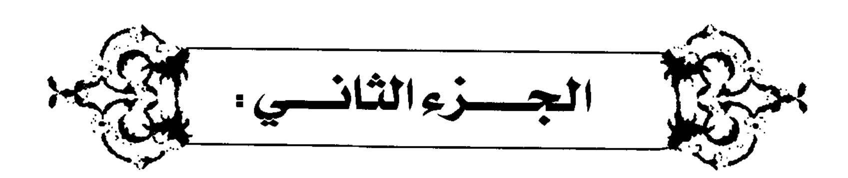


دراسات في تاريخ تهامة والسراة

خلال القرون الإسلامية المبكرة والوسيطة

(ق١-١٠هـ/ ق٧-١٦م)

المسمى

تاريخ الجنوب: (الباحة وعسير، جازان ونجران)

تأليف:

أ. د. غيثان بن علي بن جريس

أستاذ التاريخ – جامعة الملك خالد

(١٤٣١- ١٤٣٢هـ / ٢٠١٠ - ٢٠١١ م)

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

بن جريس، غيثان بن علي

دراسات في تاريخ تهامة والسراة خلال العصور الإسلامية المبكرة والوسيطة: الجزء الثاني ./ غيثان بن علي بن جريس.- أبها، ١٤٣٠هـ

٦٢٤ ص؛ ١٧×٢٤ سم

ردمك: ٢ - ٢٥٣١ - ٠٠ - ٦٠٣- ٩٧٨

١- تهامة - تاريخ إسلامي ٢- بلاد السراة - تاريخ إسلامي أ. العنوان

ديوي١٥٧, ٩٥٣ ٣٠٥٥/ ١٤٣٠

رقم الإيداع: ٣٠٥٥/ ١٤٣٠

ردمك: ٢ - ٢٥٣١ - ٠٠ - ٦٠٣- ٩٧٨

الطبعة الأولى

(١٤٣١- ١٤٣٢هـ / ٢٠١٠ - ٢٠١١ م)

الرياض : مطابع الحميضي

E-mail: Jrais2009@hotmail.com

تلفاكس : ٠٧/٢٣١٣٤٩٢ (أبها)



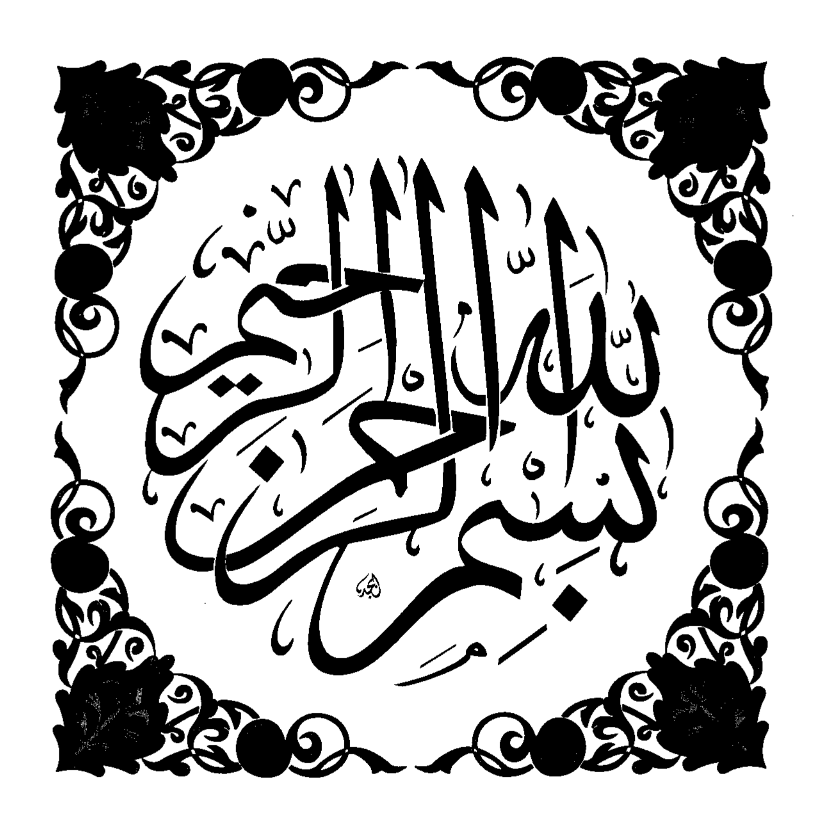
شكر وتقدير

للذين دعموا طباعة الكتاب

هناك كوكبة من أعيان منطقة عسير دعموا طباعة هذا الكتاب ونشره ، فلهم منا الثناء والدعاء وهم :

١- الشيخ / محمد بن عبد الله الصقلي .
٢- الأستاذ / حسين بن ظافر الأشول الشهري .
٣- الأستاذ / محمد بن عبد الوهاب أبو ملحة .
٤- الأستاذ / عبد الرحمن بن علي بن مبارك القحطاني .
٥- الأستاذ / عبد الله بن سعيد بن عبد الوهاب أبوملحة .
٦- اللواء / فائز بن عبد الله البكري .
٧- الأستاذ / علي بن محمد بن فائز العسبلي .
٨- الأستاذ / عبد الوهاب بن محمد بن مجثل عسيري .
٩- الأستاذ/عبد الرحمن بن سعيد بن عبد الوهاب أبو ملحة .

المؤلف


بسم الله الرحمن الرحيم


فهرس محتويات
الكتاب العام

فهرس محتويات الكتاب العام

م	الموضوع	رقم لصفحة
١-	شكر وتقدير للذين دعموا طباعة الكتاب	٣
٢-	فهرس محتويات الكتاب	٥ – ٦
٣-	المقدمة	٧ – ١٠
٤-	**الدراسة الأولى :** أضواء على مصادر تدوين تاريخ وتراث جنوبي شبه الجزيرة العربية عبر أطوار التاريخ الإسلامي	١١ – ٣٦
٥-	**الدراسة الثانية :** الصلات الدعوية بين الرسول (صلى الله عليه وسلم) وبين أهل تهامة والسراة (دراسة تاريخية) .	٣٧ – ٩٨
٦-	**الدراسة الثالثة :** بلاد السراة في العصر الأموي : دراسة لبعض مظاهر الحضارة	٩٩ – ١٣٢
٧-	**الدراسة الرابعة :** التطور التاريخي لمنطقة الباحة خلال العصور الإسلامية المبكرة والوسيطة .	١٣٣ – ١٩٠
٨-	**الدراسة الخامسة :** تنبيهات حول تأريخ منطقة الباحة . للدكتور / جمعان عبد الكريم الغامدي .	١٩١ – ٢٥٠

تابع فهرس محتويات الكتاب

م	الموضوع	رقم لصفحة
٩-	**الدراسة السادسة :** التطور التاريخي لمنطقة عسير خلال العصور الإسلامية المبكرة والوسيطة .	٢٥١ – ٢٩٨
١٠-	**الدراسة السابعة :** التطور التاريخي لمنطقة نجران خلال العصور الإسلامية المبكرة والوسيطة	٢٩٩ – ٣٥٦
١١-	**الدراسة الثامنة:** بيشة خلال العصر الإسلامي المبكر والوسيط (ق١-ق٩هـ/ق٧ ق١٧م) (دراسة تاريخية حضارية) .	٣٥٧ – ٤٢٢
١٢-	**الدراسة التاسعة :** تبالة وأهميتها التاريخية والحضارية خلال القرون الإسلامية الأولى .	٤٢٣ – ٤٧٠
١٣-	**الدراسة العاشرة :** رسائل الإمام القاسم بن علي العياني إلى أهل عثر ونجران في أواخر القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي) (٣٨٨-٣٩٣هـ / ٩٩٨- ١٠٠٢م) (دراسة تاريخية تحليلية) .	٤٧١ – ٥٣٤
١٤-	**الدراسة الحادية عشرة :** بلاد السراة في كتاب : سيرة الأميرين الجليلين الشريفين الفاضلين القاسم ومحمد ابني جعفر الإمام العياني من عام (٤٥١-٤٥٩هـ/ ١٠٥٩- ١٠٦٦م) (دراسة تاريخية تحليلية) .	٥٣٥ – ٥٩٦
١٥-	**كتب وبحوث للمؤلف .**	٥٩٧ – ٦١٩

المقدمة

بلاد تهامة والسراة ، هي الأوطان الجبلية والتهامية الواقعة بين أقاليم اليمن والحجاز . وتهامة في الأصل بلاد واسعة تمتد من المدينة المنورة ومكة المكرمة شمالاً إلى ثغر عدن جنوباً . والسراة هي جزء من جبال الحجاز الممتدة من تعز اليمن إلى أطراف بلاد الشام .[1] ولا تدخل الأجزاء التهامية والجبلية الواقعة في نطاق اليمن أو الحجاز (مكة المكرمة والمدينة المنورة) في الإطار الذي حددناه لهذا الكتاب الذي بين أيدينا ، وإنما تركيزنا على الديار الجبلية والتهامية الممتدة من نجران وجازان جنوباً إلى جنوبي مكة والطائف شمالاً . وهي ما يُعرف اليوم بمناطق (الباحة ، وعسير ، وجازان ، ونجران) . وتدخل ضمنها محافظتا الليث والقنفذة في النواحي التهامية والتابعة إدارياً لمنطقة مكة المكرمة .

هذا الكتاب هو الجزء الثاني ، وقد سبقه الجزء الأول الذي صدر من مطابع العبيكان بالرياض في عام (١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣ م) ، واشتمل على ثمان دراسات علمية أكاديمية . وهذا الجزء على منوال الجزء الأول ، ونأمل أن تتبعه أجزاء عديدة على المنهج نفسه وفي إطار الفترة الزمنية المحددة لكل الأجزاء ، ألا وهي

---

(١) لمزيد من التفصيلات عن بلاد السروات أو جبال الحجاز ، انظر : صالح أحمد العلي . " تحديد الحجاز عند المتقدمين " مجلة العرب (١٣٨٨هـ /١٩٧٨م) ، ج١ ، ص١–٩، عبد الله الوهيبي " الحجاز كما حدده الجغرافيون العرب " مجلة كلية الآداب، جامعة الرياض سابقاً (الملك سعود حالياً) (١٣٩٠هـ/١٩٧٠م) ج١ ، ص٥٣ – ٧٠ ، غيثان بن علي بن جريس . دراسات في تاريخ تهامة والسراة (ق١– ق١٠هـ / ق٧ – ق١٦) (الرياض : مطابع العبيكان ، ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣ م) ، ج١ ، ص٢١ وما بعدها.

<u>عشرة قرون من تاريخ الإسلام التي تبدأ من عصر النبوة حتى آخر القرن العاشر الهجري (السادس عشر الميلادي) .</u>

وسياستنا العامة في إخراج هذه السلسلة ، هو جمع دراسات علمية أكاديمية سبقت المشاركة بها في ندوات ، أو لقاءات ، أو مؤتمرات علمية ، وتلا ذلك نشرها في مجلات ، أو كتب ، أو موسوعات أكاديمية تابعة لتلك اللقاءات أو الندوات . والفضل لله عز وجل ثم لكل مؤسسة علمية أو أكاديمية استضافتنا يوم المشاركة الأولى بهذه الأبحاث ، والشكر أيضاً موصولاً للهيئات الأكاديمية والعلمية المشرفة على كل ندوة أو مؤتمر ، فلهم جميعاً جهود تُذكر فتُشكر ، فقد راجعوا دراسات كل ندوة أو لقاء مراجعة علمية أكاديمية دقيقة حتى خرجت بالشكل العلمي الجيد .

هذا الجزء الثاني يحتوي على إحدى عشرة دراسة ، جميعها منشورة في ندوات أو أوعية أكاديمية جيدة ، وقد ذكرنا عند بداية كل دراسة تاريخ المشاركة ، ومكانها ، والمناسبة العلمية التي من أجلها عُقد ذلك اللقاء أو تلك الندوة العلمية ، واسم الوعاء العلمي الذي نشرت فيه هذه الدراسة ، وأرقام الصفحات . وجميع هذه الدراسات من تأليفنا ، ماعدا الدراسة الخامسة فهي من تدوين الدكتور / جمعان عبد الكريم الغامدي ، أستاذ اللغة العربية المساعد بجامعة الباحة ، والتي جاءت تحت عنوان : "**تنبيهات حول تاريخ منطقة الباحة** " .

ولأن هذه الأبحاث قُدمت ونُشرت في أماكن متفرقة ، وفي أوقات متباعدة ، وطلاب البحث العلمي والدراسات العليا يجدون صعوبة شديدة في الاطلاع عليها في أماكن نشرها الأولى ، وقد لمست ذلك من بعض طلابي لمراحل الدراسات العليا ، لدرجتي الماجستير والدكتوراه . ولهذا آثرت أن أجمع هذه البحوث في نطاق واحد ، وهذا ما فعلنا في هذا الجزء ، والجزء الأول الذي خرج منذ سبع سنوات ، وسوف نستمر (بإذن الله تعالى) على النهج نفسه في الأجزاء

القادمة التي تحمل العنوان نفسه .

ومن أهم أسباب حرصنا واهتمامنا بتاريخ وحضارة وتراث بلاد تهامة والسراة ، المعنية في هذا الجزء والذي سبقه ، هو ندرة المادة العلمية المكتوبة عنها . والمتتبع لدراسة تاريخ وحضارة الجزيرة العربية خلال عشرة القرون الأولى من عصر الإسلام ، يجد أن أوطان تهامة والسراة من أقل البلاد المخدومة بحثياً ، وهذه اللبنات الأولى التي نسجلها ليست إلا نقاطاً رئيسة لعلها تساعد الدارسين والباحثين الأكاديميين في المستقبل ، كي يستنيروا بها ، ويضاعفوا الجهود فيخرجوا لنا دراسات علمية جيدة عن هذه البلاد التي لازالت من وجهة نظرنا بكراً إن صح التعبير وبخاصة في فترات التاريخ القديم ، وعصور الإسلام المبكرة والوسيطة .

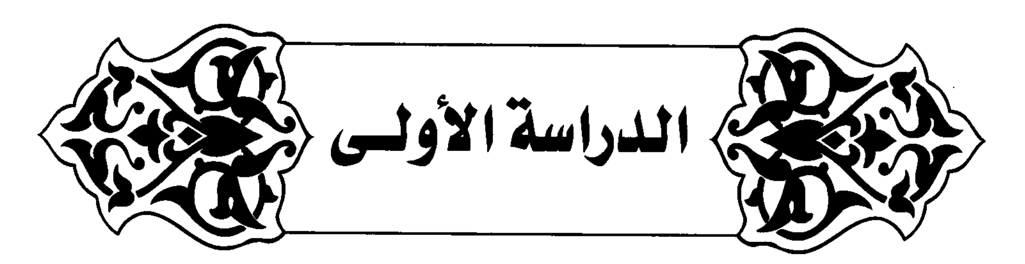
ويبدو للقارئ الكريم في هذين الجزأين (الأول والثاني) عدم الاتزان والتساوي في أحجام هذه الدراسات على بلاد تهامة والسراة ، إذ تركز بعض منها على الأجزاء السروية أكثر من التهامية ، والعكس أحياناً صحيح . كما أن بلاد تهامة ـ وبخاصة منطقة جازان ومحافظتا الليث والقنفذة ـ لم ينلها الشيء الكثير من هذه البحوث ، وهذا ما سوف نعالجه ـ بإذن الله تعالى ـ في أجزاء قادمة . كما أن الهدف من هذه السلسلة المجزأة هو التركيز على مواضيع ونواحٍ محددة في هذه البلاد الواسعة ، وفي إطار الفترة المحددة ، وما نهدف إليه هو إثراء المكتبة العربية والإسلامية بالعديد من البحوث العلمية الموثقة عن هذه المنطقة الواسعة ، والتي لم تنل حظاً وافراً عند الباحثين والدارسين المتقدمين والمتأخرين .

ولا يفوتني أن أشكر الله عز وجل الذي أعانني وأمد في العمر حتى صدور هذا الجزء من هذا المشروع ، وأسأله تعالى أن يوفقنا في إصدار أجزاء أخرى عديدة في الإطار نفسه والمضمون ذاته . كما أشكر كل من قدم لي مساعدة أو عوناً عند إعداد هذه الدراسات يوم إعدادها والمشاركة بها في العديد من اللقاءات والندوات . ولا

نسى شكر جميع من سعى في نشرها لأول مرة في مداولات وأوعية النشر الخاصة بتلك الندوات والمؤتمرات . كما أشكر أيضاً من ساعدني الآن في ترتيبها وتنسيقها ومراجعتها حتى خروجها في هذا الجزء الذي بين يدي القارئ الكريم . وأخص من أولئك الأخ الزميل الأستاذ الدكتور / **إبراهيم صبري محمود راشد** الذي لم يقصر في بذل أي جهد لمراجعة هذه البحوث من ناحية لغوية وبيانية ، كما أشكر الأخ الكريم والأستاذ الفاضل / **عبد الوهاب بن عبد الله بن ظافر الشهري** الذي راجع مسودات الكتاب عندما كان في المرحلة النهائية من الطباعة والإخراج . كما أشكر بعض طلابي للدراسات العليا الذين قدموا لي العديد من المساعدات العلمية وأخص منهم الطالب / **محمد بن علي الجحيني الشهري** الذي قام على طباعة وتنسيق أجزاء من هذا الكتاب . كما أشكر الابن / **عوض بن عبد الله بن ناحي** الذي قام بصف وترتيب الكتاب الكترونياً. وأشكر الأخ الأستاذ / **ناصر بن محمد بن خلبان** الذي قام على طباعة وصف الكتاب بصورته النهائية . وفي الختام أشكر جميع أفراد أسرتي ذكوراً وإناثاً الذين وفروا لي جميع سبل الراحة ، وضحوا من أجلي ، والله أسأل أن يوفقهم جميعاً ، ولا يحرمهم أجر ما قدموا لي من عون وراحة ومساعدة .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله وسلم على رسوله الأمين .

جمعه وكتبه وانتهى منه الفقير إلى رحمة ربه ، والراجي عفوه وغفرانه / غيثان بن علي بن عبد الله بن جريس الجبيري الشهري بمنزله في حي المنسك بمدينة أبها الجميلة بمنطقة عسير ، المملكة العربية السعودية في نهاية شهر المحرم من سنة إحدى وثلاثون وأربعمائة وألف للهجرة على صاحبها أفضل الصلاة وأتم التسليم



أضواء على مصادر تدوين تاريخ وتراث جنوبي شبه الجزيرة العربية عبر أطوار التاريخ الإسلامي (*)

إعداد

أ. د. غيثان بن علي بن جريس

(*) هذه الورقة قدمت محاضرة في قسم العلوم الاجتماعية في كلية اللغة العربية والعلوم الاجتماعية والإدارية بجامعة الملك خالد يوم الاثنين ١٤٢٤/١٠/٢١هـ الموافق ٢٠٠٣/١٢/١٥م (من الساعة ٦ – ٨ مساءً) ثم نشرت في مجلة بيادر الصادرة من نادي أبها الأدبي عدد (٤١) شهر المحرم (١٤٢٥هـ/٢٠٠٤ م).

أضواء على مصادر تدوين تاريخ وتراث جنوبي شبه الجزيرة العربية عبر أطوار التاريخ الإسلامي

إن الحديث عن الكيفية التي تم بها تدوين الكثير من تاريخ وحضارة جنوبي شبه الجزيرة العربية ، والمصادر التي أعتمد عليها في هذا التدوين يحتاج إلى العديد من المؤلفات والمحاضرات ، ولكن ما سيتم ذكره هذه الليلة هو مجرد إعطاء لمحات أو إلقاء بعض الأضواء على الموارد أو المصادر الرئيسة التي اعتمد عليها المؤرخون والباحثون في جمع تاريخ وتراث هذه البلاد .. وهي مصادر جدّ كثيرة ومتنوعة ، وللإلمام بها في هذه العجالة رأينا تقسيمها إلى قسمين رئيسين حسب الحقب الزمنية المختلفة للتاريخ الإسلامي وهما :

(١) **القسم الأول** : وهو مصادر الفترة الزمنية الممتدة من فجر الإسلام حتى نهاية (ق ١٠ هـ/ق١٦م) (وهي الحقبة التي اصطلح المؤرخون على تسميتها بحقبة التاريخ الإسلامي المبكر والوسيط .

(٢) **القسم الثاني** : وهو مصادر الفترة الزمنية الممتدة من (ق١١هـ/ ١٧م) إلى وقتنا الحاضر ، ويمكن أن نطلق عليها فترة التاريخ الحديث والمعاصر لأمتنا الإسلامية .

وقبل الخوض في الحديث عن جنوبي شبه الجزيرة في مصادر هاتين الفترتين ، يجدر بنا أولاً أن نلقي لمحة بسيطة عن التاريخ وأهميته ، ثم نُعَرِّج على التعريف جغرافياً بالمقصود من كلمة جنوبي شبه الجزيرة العربية .

أما عن التاريخ وتبيان مدى أهميته فيكفي للتدليل على ذلك أن أسوق نتفاً مما أورده بعض مؤرخينا العظام في العصر الإسلامي الوسيط مثل الأدفوي صاحب كتاب ((**الطالع السعيد الجامع أسماء نجباء الصعيد**)) حيث يقول عن التاريخ وفضله ((... **فإن التاريخ فن يُحتاج إليه ، وتشد يد الضنانة عليه ، إذ به يعرف الخلف أحوال السلف ، ويتميز منهم المستحق التنقير ممن هو أهون من النقير ، وأحقر من الفتيل ، ومن وُسِمَ منهم بالجرح ومن رسِمَ بالتعديل ، وما سلكوا من الطرائق واتصفوا به من الخلائق ، وأبرزوا من الحقائق للخلائق ، وهو أيضاً من أقوى الأسباب ، في حفظ الأنساب ، .. وقد وضع فيه السادة الفضلاء ، والأئمة العلماء كتباً تكاثر نجوم السماء ، ثم منهم من رتبه على مر السنين ، ومنهم من رتبه على الأسماء ليكون إسناده أسمى ، ثم منهم من خص بعض البلاد ، ومنهم من عم كل قطر وواد ...**)) . كذلك يعبر لنا المقريزي عمدة مؤرخي مصر الإسلامية عن رؤيته لوظيفة التاريخ فيقول : ((... **إن علم التاريخ من أجل العلوم قدراً ، وأشرفها عند العقلاء مكانةً وخطراً ، لما يحويه من المواعظ ، والاطلاع على مكارم الأخلاق ليقتدى بها ، واستعلام مذام الفعال ليرغب عنها أولو النهى ... ومنفعته أيضاً ، هي أن يشرف المرء في زمن قصير على ما كان من الحوادث والتغيرات في الأزمنة المتطاولة والأعوام الكثيرة فتتهذب بذلك نفسه وترتاض أخلاقه ، فيحب الخير ويفعله ، ويكره الشر ويتجنبه ، ويعرف فناء الدنيا فيحظى بالإعراض عنها والإقبال على ما يبقى ...**)) .

ومن هذه النصوص وغيرها نرى أن مؤرخينا رأوا في التاريخ علماً ذا وظيفة أخلاقية ، وهدف عملي تعليمي ومخزن للعظات والعبر وهي حقيقة هامة تبدو متوافقة تماماً مع الاستخدام القرآني للمادة التاريخية إذ يقول الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم ﴿ **أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَاءتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ** ﴾ . سورة الروم (آية ٩) .

أما عن جنوبي الجزيرة العربية فنعني بها المنطقة الممتدة اليوم من مكة المكرمة والطائف حتى بلاد اليمن المعروفة في يومنا هذا بحواضرها وبواديها وقراها ومخاليفها المتعددة . وكذلك يجدر بنا أن نفيد السامع الكريم بأن فترة التاريخ الإسلامي المبكر والوسيط تختلف عن فترة التاريخ الحديث والمعاصر . ففي الفترة الأولى كانت الخلافة الإسلامية هي المرجعية الشرعية والرئيسة لجميع أصقاع المسلمين ، حتى وإن ساد أرجاء العالم الإسلامي خلال تلك العهود كثير من الصراعات والانقسامات ، إلا أن أصحاب الفكر وأرباب القلم كانوا يتمتعون في غالب الأحيان بحرية كاملة ويلقون في معظم الأماكن التي ينتقلون إليها أو ينتجعونها ترحيباً وإكراماً بالغين على الصعيدين الشعبي والرسمي مما ساعدهم على تدوين أفكارهم والتعبير عن آرائهم بصراحة ووضوح كاملين . أما في وقتنا الحديث والمعاصر ، فقد لعب المستعمر دوراً هاماً في تفكيك العالم الإسلامي

وتفريقه ، ثم تأطير وتحديد كل من هذه الأقسام المجزأة حتى أصبحت كتلاً متصارعة فيما بينها لا يربط بينها إلاً روابط صورية بالإسم لا بالفعل ، وقد استسلمت الشعوب الإسلامية لذلك ويرجع ذلك في أحد أسبابه الرئيسة إلى الجهل بالتاريخ والإنجازات التي تمت في رحاب الحضارة العربية الإسلامية. وإذا ما طال استسلامنا لذلك ، فستظل المجتمعات العربية والإسلامية تدور في حلقة مفرغة وهي تبحث عن حلول لمشكلاتها لدى الحضارة الغربية التي يتعامل معها كثير من العرب والمسلمين اليوم باعتبارها حضارة مرجعية لا بد أن يقاس كل شيء بمقياسها ، دون أن ننظر في تاريخنا . فمعرفة التاريخ تساعدنا على عدم تكرار الأخطاء ، فمجتمع اليوم قد يأخذ شيئاً من ماضيه يكون له هادياً لأن التاريخ يحمل نظام تحذير داخلي لمن يعرفون كيف يستمعون إليه .. فهو يحاول تحديد المشكلات والتعرف عليها ، كما يوضح السبب في حدوثها ووقت حدوثها وكيفية حدوثها .

هذه كلمة عن التاريخ وأهميته كان لا بد منها كاستهلال نعبر به عن أن الجهل بالتاريخ والاستغناء عنه .. يعد أحد مسببات الويلات والمشاكل التي نقاسي منها في عصرنا الحاضر .

وعودة على بدء .. فإذا ما نظرنا إلى أوعية وموارد تاريخ وتراث وحضارة جنوبي شبه الجزيرة العربية في الفترة الأولى فإننا نجدها مصادر عديدة ومتنوعة يمكننا حصرها وتقسيمها على النحو التالي :

أ - **الشرعية والفقهية وكتب السنن والسيرة :**

ويأتي في مقدمتها القرآن الكريم وتفاسيره ، وهي تخدم كثيراً الباحث في التاريخ الإسلامي لجنوبي شبه الجزيرة حيث نجد أن العديد من آيات الذكر الحكيم يدور سبب نزولها حول بعض سكان أو أجزاء من جنوبي الجزيرة العربية ، منها على سبيل المثال آية المباهلة التي وردت في القرآن كانت حول نصارى نجران ، بل إن كثيراً من أهل اليمن وبلاد تهامة والسراة قد وفدوا على رسول الله ﷺ وتحدثوا معه وشَرَّع لهم أشياء كثيرة في حياتهم العامة والخاصة ، ومن يعود إلى تفاسير القرآن الموثقة ، ثم إلى كتب الصحاح الستة وغيرها من المراجع الفقهية مثل كتب الخراج لأبي يوسف ، وابن آدم ، والأموال لابن سلام ، والأحكام للماوردي ، يجدها مليئة بمعلومات تتصل في كثير من جوانبها بتاريخ وفكر وحضارة سكان جنوبي البلاد السعودية أو جنوبي شبه الجزيرة العربية ، كذلك الحال بالنسبة لكتب السيرة مثل مدونات ابن هشام وابن إسحاق وابن كثير تحوي العديد من التفصيلات التي ناقشت أحوال سكان هذه البلاد زمن الرسول عليه الصلاة والسلام وكيف دخلوا في الإسلام ، وصاروا عناصر فاعلة في أحداث التاريخ الإسلامي عبر حقبه المختلفة.

ب - **المصادر التاريخية العامة (الحولية) والمصادر الموضوعية ، وكتب التاريخ المحلي :**

وهي كثيرة ومتنوعة وتتسم بثراء مادتها التاريخية ، فمن النوع الحولي نذكر تاريخ الطبري ، والعبر لابن خلدون ، وعقد الجمان للعيني ، وتاريخ ابن الفرات ، واليافعي وغيره ، وهي مصادر تاريخية عامة تتناول تاريخ المسلمين العام ، ورغم ذلك فقد تضمنت الكثير من التفصيلات الهامة عن

تاريخ المنطقة التي نعني بالحديث عنها اليوم ، وبخاصة في الفترة من (ق ٣هـ) حتى (ق ٩هـ) . وإن كنا نلاحظ أن معظم ما دونته المصادر الحولية ينصب في المقام الأول على التاريخ السياسي ، مع بعض لمحات يسيرة تتصل بالجوانب الحضارية المختلفة لهذه المنطقة .

أما المصادر الموضوعية وهي التي تناقش موضوعاً محدداً أو معيناً فتختلف في منهجها وعرض مادتها العلمية عن المصادر الحولية أعلاه ، ومن هذه الكتب الموضوعية مدونات اليعقوبي ، والبلاذري، والمسعودي ، ونصر بن مزاحم ، وغيرهم كثير ناقشوا في مدوناتهم وأشاروا إلى مواطن وطاقات بشرية عاشت في منطقتنا المعنية بالدراسة . أما كتب التاريخ المحلي ونعني بها التي اختصت باستعراض تاريخ أو حضارة أو أدب جزء من أجزاء جنوبي شبه الجزيرة العربية ، فهي كثير ، ومنها ما اختص مدن الحجاز الكبرى (مكة المكرمة ، المدينة المنورة) ومنها ما تم تدوينه عن مدن بلاد اليمن كصنعاء، وزبيد ، وتعز وغيرها مثل كتب الأزرقي، والفاكهي ، وابن ظهيرة، وابن شبة، وعمارة اليمن ، والرازي، وابن فهد، والفاسي ، وغيرهم . وهذه المدونات المحلية لايزال بعضها محفوظاً وإن كان كثير منها قد حقق ونشر وأصبح متداولاً ميسوراً بين أيدي الناس . ومثل هذه المصنفات وخاصة المخطوط منها موزعاً في أنحاء العالم فمنها ما هو في المكتبات العامة والخاصة في بلاد اليمن، أو في المملكة العربية السعودية ، ومنها ما هو موجود في مكتبات عالمية وعربية والحصول عليها أصبح يسيراً مقارنةً بالماضي ، ولكن مازال علينا مهمة جمع هذا التراث المتناثر وتصنيفه وتحقيقه

ونشره نشراً علمياً صحيحاً حفاظاً على تراثنا وحتى تعم الفائدة للعام والخاص .

ج - كتب التراجم والطبقات :

وهي بدورها كثيرة العدد عظيمة التنوع ومنها ما هو مطبوع ومنها ما لا يزال حبيس المكتبات مخطوطاً ، ومن أهم تلك الكتب مؤلفات ابن خياط ، وطبقات ابن سعد ، ومدونات الخطيب البغدادي ، وابن عساكر ، والفاسي ، وابن خلكان ، وابن الأثير ، وابن حجر العسقلاني ، والسبكي ، والأسنوي ، والسيوطي ، والسخاوي ، والتميمي ، وابن القاضي ، وابن فرحون ، والذهبي ، والحنبلي ، وغيرهم كثير . وهذه المصنفات كلها تضم بين دفتيها زخماً هائلاً من المعلومات المتنوعة الكثير منها يتناول بالترجمة والحديث رجالات عديدين من أبناء جنوب شبه الجزيرة العربية ويُعدد أعمالهم وإسهاماتهم الفكرية والتاريخية عبر أطوار وحقب التاريخ الإسلامي .

د - كتب اللغة والأدب والمعاجم اللغوية :

ومنها مؤلفات الجاحظ ، وابن قتيبة ، ومدونات الثعالبي وغيرها ، والمطالع لهذه المصنفات الأدبية واللغوية يلاحظ مدى ثرائها هي الأخرى بمعلومات متنوعة تفيد الباحث في المجالين التاريخي والحضاري لمنطقة جنوبي شبه الجزيرة العربية ، وتثري بحثه عند الإقدام على معالجة أحد الموضوعات المتصلة بتاريخ وتراث هذه المنطقة . كذلك الأمر بالنسبة لدواوين شعراء

العصر الأموي والعباسي كالفرزدق ، وجرير ، والحطيئة، والأخطل ، وبشار ، وأبو العتاهية وغيرهم ، حيث لا تخلو قصائدهم من مادة علمية ثرية تتصل بمواقع وأمكنة ومواطن تتصل جغرافياً وتاريخياً بمنطقتنا المعنية بالدراسة . ويلي ذلك المعاجم اللغوية : كلسان العرب لابن منظور ، وتاج العروس للزبيدي فهذان المعجمان بخاصة يضمان مادة علمية لا يستغني عنها الباحث في التاريخ الحضاري للمنطقة وبخاصة فيما يتصل بالمصطلحات اللغوية واللهجات ونحوها .

هـ - كتب الجغرافيا والرحلات والمعاجم الجغرافية :

وهذه المجموعة من المصادر تزخر بدورها بكمٍّ هائل من المادة العلمية التي تعد كثيرة الفائدة للدارس في التاريخ والحضارة بعامة ، ولتراث وأوضاع منطقتنا بخاصة، ويأتي في مقدمتها مدونات الهمداني " **لسان اليمن**" والحربي ، وأبو علي الهجري ، والأصفهاني، والمسعودي، وابن الفقيه ، وابن خرداذبه ، والأصطخري ، وقدامة ، وغيرهم ، ويليهم الرحالة بما دونوه من مشاهداتهم أثناء تجوالهم في أصقاع العالم الإسلامي، ومنهم ابن جبير ، وابن بطوطة ، وابن المجاور، وناصر خسرو ، وتحوي انطباعاتهم الكثير من المعلومات المفيدة عن شبه الجزيرة وجنوبيها بوجه خاص . كذلك تضم المعاجم الجغرافية مثل معجم البلدان لياقوت الحموي ، والمسالك للبكري ، والروض المعطار للحميري ، وغيرها أسماء لمواطن ومواقع عديدة جغرافية توجد في منطقتنا ،ولا زال الكثير منها يسمى بنفس الاسم الذي ورد في تلك المعاجم ، والتي لا تقتصر على ذكر المكان فقط ، وإنما

تمدنا بتفصيلات جيدة ومفيدة عن النشأة والتطور ومجمل للأحداث التي مرت بهذا الموطن ، وذكر لبعض أعلام رجاله ، وكلها معلومات قد لا يجدها الباحث في مكان آخر .

و- كتب الأنساب :

وعلم الأنساب أحد المعارف العربية الأصيلة التي تميز فيها العرب حرصاً منهم على أنسابهم والاعتزاز والفخر بها ، ومن هنا ظهر العديد ممن تخصص في هذا الفرع من المعرفة ، ويمدنا التاريخ بأسماء العديد منهم وعناوين مصنفاتهم في النسب، ولا يزال الكثير منها موجوداً ومتداولاً ويُعد معيناً لا ينضب للدارسين في أصول القبائل العربية وأنسابها ومواضعها ، ومن أبرز هؤلاء ابن الكلبي، وابن حزم، ومصعب الزبيري ، والسمعاني ، والقلقشندي وغيرهم ممن دون في أنساب القبائل العربية وعشائرها ، وضمت كتبهم جزئيات كثيرة تتصل بجنوبي شبه الجزيرة العربية وسكانها وجلهم ينتمون إلى قبائل عربية صريحة

ز - موسوعات التراث الإسلامي العامة :

ومن أهمها نهاية الأرب للنويري،ومسالك الأبصارلابن فضل الله العُمري، وصبح الأعشى للقلقشندي، والمقصد الرفيع المنشأ للخالدي، ومبهاج الفِكر ومنهاج العِبَر للكتبي [1] وكل مصنف من هذه المصنفات وغيرها

(١) محمد بن إبراهيم بن يحيى الكتبي المعروف بالوطواط وكتابه موسوعة في التاريخ الجغرافي والعلوم التطبيقية مثل النبات والحيوان والإنسان والتاريخ والمسالك والفلاحة والمعدن والجواهر .

من المدونات الموسوعية التي أنجزها كبار مؤرخي ومفكري العصور الإسلامية ورجال الإدارة والدولة تضم بين دفتيها معارف وعلوم عديدة ، فالكتاب الواحد منهم قد يوحي عنوانه بأنه من كتب الجغرافيا أو الأدب بينما يحتوي على معارف عدة من أدب وجغرافيا وتاريخ وديانات وآثار، فضلاً عن معلومات أخرى وافرة تتعلق بالحياة الاجتماعية ، والاقتصادية ، والعلوم التطبيقية ، والأنساب وغيرها من المعارف ، وقد دون هؤلاء العلماء في موسوعاتهم العديد من المعلومات الثرية عظيمة الفائدة ووثيقة الصلة بتاريخ وحضارة شبه الجزيرة العربية بعامة ، وجنوبها الغربي بخاصة .

ح - مصادر أخرى متنوعة :

كذلك أبدعت العقول الإسلامية في العصور الوسطى العديد من المصنفات الأخرى في علوم متعددة تحتوي بدورها معلومات غاية في الثراء عن تاريخ وحضارة منطقتنا مثل : كتاب النبات للدينوري ، والذي يقع في حوالي عشرة مجلدات لم يصل إلينا منها سوى ثلاثة فقط ، وهي زاخرة بمعلومات جيدة عن النبات وفصائله وأنواعه وأماكن إنباته والكثير منه تحتضنه أرضنا الممتدة من الحجاز إلى اليمن ، وهو كتاب جدير بالقراءة والدراسة والتحقيق . كذلك من هذه الكتب التي تعد مصدراً هاماً عن تاريخ التعدين في منطقتنا كتاب الهمداني .. الجوهرتين العتيقتين المائعتين الصفراء والبيضاء الذهب والفضة ، وهو كتاب من أغنى الكتب العربية التي تناولت المعادن والتعدين في شبه الجزيرة وبخاصة جنوبيها، وكتاب الأنواء لابن قتيبة والذي اختص فيه بالحديث عن مواسم

العرب وأبرز درايتهم الفائقة بهذه المواسم على مدار السنة ، وبه العديد من الأمثلة التي تخص تاريخ عرب جنوب شبه الجزيرة العربية . والحديث طويل ومتشعب بالنسبة لمصادر الفترة الأولى نكتفي منه بما عرضناه نظراًلضيق الوقت وننتقل إلى الفترى الزمنية الثانية التي تبدأ بالقرن الحادي عشر الهجري . وهي فترة تختلف عن الفترة السابقة لعدة أمور منها :

١- انحصار تدوين تراث جنوب شبه الجزيرة العربية مع ظهور القوى الاستعمارية التي بدأت تقسم العالم الإسلامي إلى دول محدودة بحدود جغرافية وسياسية معلومة .

٢- أصبح اهتمام مدوني تراث هذه البلاد كل في حدود نطاقه ، حيث ظهرت دولة اليمن الحديث ، وكذلك الحكومات السعودية المتتالية لهذا أصبحت كل دولة تهتم بتراثها وفكرها في نطاق حدودها الجغرافية بينما لم يكن ذلك موجوداً في الفترة الأولى فكان التدوين أكثر شمولية وانتشاراً ، فأغلب المصادر السابق ذكرها كثير من مدونيها لم يتوافر لهم حظ الزيارة والوفود إلى بلاد تهامة والسراة ولا حتى إلى اليمن وإنما دونوا ما كتبوا عن هذه البلاد عن طريق ما وجدوا من مصادر ومراجع أو عن طريق الرواية الشفهية .

رغم تنوع المادة العلمية الخاصة بهذه الفترة الزمنية الحديثة ، والمعاصرة ، إلا أنها حبيسة داخل حدود الدول الحديثة المعاصرة فهناك كثير من المحفوظات التي لا زالت تحتاج إلى دراسة وتحقيق

متناثرة في أجزاء عديدة من بلاد اليمن ، وعند بعض البيوتات والأسر العلمية الموجودة في أجزاء عديدة من تهامة والسراة ، وغالبيتها يعود إلى الفترة المحددة من القرن العاشر وحتى الرابع عشر الهجري ، كما ظهر كثير من المدونات والكتب المطبوعة والمتداولة بين يدي الناس وتكاد تكون هذه المدونات أكثر تخصصية فبعضها في التاريخ السياسي ، أو العلمي والأدبي والفكري ، وقليل ما يكون في الجانب الاقتصادي أو الاجتماعي أو الجوانب الحضارية الأخرى.

أيضا هناك مصدر غني عن هذه الفترة وهو ما يمكن وجوده في الوثائق وهي متنوعة في موضوعاتها وأماكنها ولغاتها ، فمنها ما هو بيد أشخاص في جميع أجزاء جنوبي البلاد السعودية واليمينية ، ومنها ما هو في دور وثائق مختلفة في اليمن والسعودية ومصر وتركيا ، وكذلك في بلدان غربية وشرقية أخرى ، ناهيك عن المعلومات التي يمكن استخلاصها عن طريق الرواية الشفوية عن هذه الأجزاء من كبار السن والمعمرين ممن كان لهم دور في أحداث ووقائع عاشوها أو شاهدوها ودارة الملك عبد العزيز مشكورة وكذلك مكتبة الملك عبد العزيز بدأت منذ سنوات تقوم على جمع معلومات متنوعة من خلال هذا المصدر (الرواية الشفوية أو التاريخ الشفوي) ورغم أهمية هذا النوع من التاريخ .. إلا أننا يجب أن نتناوله ونأخذ معلوماته ببالغ الحيطة والحذر خشية ومغبة التدليس والكذب والمبالغة من قبل بعض الرواة ، فلا بد عند اعتماد هذه الروايات مصدراً للحقائق

التاريخية أن نخضعها للدراسة النقدية التحليلية المقارنة مع غيرها من النصوص التاريخية المكتوبة بغية التأكد من صحتها . كذلك الصور الفوتوغرافية والعملات المختلفة ، وما يمكن الاطلاع عليه في المتاحف المحلية أو الإقليمية أو العالمية فكل هذا لا يخلوا من وجود مادة علمية تفيد الباحث والقارئ على حد سواء عن هذه البلاد . كما أن هناك مصدر مهم جداً وقد يعتبر للفترتين معاً وربما كان ذا فائدة لتاريخ المنطقة القديم ونعني به الآثار ، سواءً كانت رسوماً ، أو نقوشاً أو مواداً أثرية مختلفة ، كل هذا عظيم الفائدة في معرفة جوانب تاريخية وتراثية وحضارية مهمة جداً عن تاريخ البلاد المعنية في هذه الورقة . كما أن الموروث الشعبي من الأمثال والقصائد ، والألغاز والأحاجي ، والحكم والكنايات العامة وغيرها كلها قد تكون ذات مدلولات هامة عن تراث هذه البلاد .

ومن خلال هذه الإطلالة السريعة على مصادر تدوين تاريخ وتراث هذه المنطقة عبر حقب التاريخ الإسلامي ووصولاً إلى عصرنا الحديث فيمكن الخروج ببعض التوصيات التي نراها جدَّ مفيدة في جمع تراث منطقتنا الغالية منها :

١- تنامي أهمية هذه المنطقة الجغرافية والتاريخية والحضارية منذ ما قبل الإسلام إلى يومنا هذا ، نظراً لما تتمتع به من كثافة بشرية وزخم حضاري متنوع ، وثراء في مواردها الاقتصادية ، فهي ذات غطاء نباتي جيد بالإضافة إلى أنها لا تخلوا من الثروات المعدنية الجيدة ، ولهذا فان الباحثين والدارسين من هذه البلاد أو غيرها لو اتجهوا

لدراستها في أي جانب من الجوانب العلمية فانهم بدون شك سوف يفيدون الأمة بما قد يتوصلون إليه من دراسات ونتائج .

إنني أهيب بأقسام الآثار في جامعاتنا ، والجهات المعنية بذلك في دولتنا الرشيدة إلى إن يولوا الدراسات الأثرية لهذه البلاد كثيراً من الاهتمام ، وبخاصة من ناحية الدعمين المادي والمعنوي للباحثين والدارسين والآثاريين حتى يتمكنوا من بذل الجهد العلمي الواجب بذله في الدراسة والتنقيب عن آثار المنطقة من منطلق علمي صحيح ، وبدون شك إذا فعلوا ذلك فسوف نرى نتائج إيجابية بإذن الله .

٢- على الجامعات ومراكز البحوث العلمية تسخير جهودها لدعم الباحثين والأبحاث العلمية سواءً كانت قديمة أو وسيطة أو حديثة أو في أي مجال من مجالات العلم والفكر الخاصة بهذه المنطقة الغنية في فكرها وتراثها .

٣- على رجال الأعمال والقطاعات الخاصة والمقتدرين مادياً تبني فكرة الدعم والتشجيع للباحثين والدارسين الذين يخدمون هذه المنطقة بعلومهم ودراساتهم المتنوعة ، ليس بالضرورة في الجوانب الإنسانية والفكرية والتاريخية والإدارية ، لكن في أي علم من العلوم النافعة والمفيدة لهذه البلاد ولهذه المجتمعات .

٤- على عاتق أجهزة الإعلام (مرئية- مسموعة- مكتوبة) مهمة عظيمة وهي نشر الوعي الأثري والبيئي والتاريخي بين المواطنين من أجل المحافظة على التراث والآثار عبر أجزاء البلاد وغيرها من مصادر الفكر والمعرفة سواءً كانت مخطوطات أو وثائق، أو عملات،

وتسليمها إلى الجهات المختلفة أو مراكز البحث العلمي بالبلاد ، لدراستها وتحقيقها بما يعود على الجميع بالنفع والفائدة العلمية . خاصة وقد أصبح في مملكتنا مراكز بحثية وعلمية قادرة على تشجيع ومساعدة وحفظ تراث البلاد، مثل مدينة الملك عبد العزيز للعلوم والتقنية، ودارة الملك عبد العزيز، ومكتبة الملك فهد الوطنية، ومكتبة الملك عبد العزيز . وكذلك الهيئة العليا للسياحة في المملكة وغيرها، ولهذا يجب أن يتعاون الجميع مع هذه المؤسسات من أجل الوصول إلى إنجاز الهدف العام وهو حفظ ودراسة فكر وتراث هذه البلاد الغنية بفكرها وتراثها .

٥ - كذلك يجب أن تضطلع جامعة الملك خالد وهي الجامعة الفتية الوليدة في المنطقة الجنوبية بدور رائد في هذا المجال خاصة وأنه لا ينقصها الكوادر الأكاديمية ذات الخبرة في هذا الشأن ، لا سيما وأن من بين هياكلها المعتمدة والتي تحتاج إلى تفعيل كي تقوم بدورها الفاعل لخدمة تاريخ وتراث هذه المنطقة وجمعه وتدوينه مركز الدراسات الاجتماعية والتاريخية. ولا شك أن تفعيل هذا المركز وغيره من المراكز البحثية والمعتمدة لدى الجامعة كمركز السياحة والتنمية وكذلك المراكز العلمية والبحثية بالجامعات الأخرى الحديثة في جازان، ونجران، والباحة سوف تسهم بشكل مؤثر وفعال في الحفاظ على تاريخ وثروات هذه المنطقة من الضياع ، ويُبقى على البقية الباقية من آثارها حتى لا تعتورها يد الإهمال والنسيان.

والله ولي التوفيق ، ، ،



الدراسة الثانية

الصلات الدعوية بين الرسول ﷺ وبين أهل تهامة والسراة (دراسة تاريخية) (*)

إعداد

أ . د. غيثان بن علي بن جريس

(*) هذا البحث نشر ضمن مداولات اللقاء العلمي السادس بجمعية التاريخ والآثار بدول مجلس التعاون لدول الخليج العربية ، والذي عقد في مدينة الكويت بدولة الكويت الشقيقة في (١١-١٢/ربيع الأول / ١٤٢٦هـ الموافق ٢٠-٢١/ ابريل ، ٢٠٠٥م) ، ص١٥٧-٢١١. كما أعيد نشره ضمن كتابنا : دراسات في تاريخ أفريقيا والجزيرة العربية خلال العصور الإسلامية (جازان : نادي جازان الأدبي ، ١٤٢٨هـ / ٢٠٠٧م) ، ص ١٣-٦٤.

فهرس الدراسة الثانية

م	العنوان	أرقام الصفحات
أولاً	مقدمة	٣٠ – ٣١
ثانياً	تهامة والسراة جغرافياً وقبلياً عند ظهور الإسلام ..	٣١ – ٣٨
	١- تهامة والسراة جغرافيا........................	٣١
	٢- تهامة والسراة قبلياً	٣٣
	أ - قبيلة مذحج	٣٣
	ب- قبيلة همدان	٣٤
	ج- قبيلة حمير	٣٤
	د- قبائل خولان	٣٤
	هـ- القبائل التهامية	٣٥
	و- قبائل بلاد السراة	٣٥
	ز- نصارى نجران	٣٧
ثالثاً	استجابة بعض أهل تهامة والسراة للإسلام في مرحلة الدعوة المكية	٣٨ – ٤٢
رابعاً	انتشار الإسلام في تهامة والسراة خلال مرحلة الدعوة المدنية	٤٢ – ٧٣

م	العنوان	أرقام الصفحات
	١- الدعوة عن طريق الدعاة والرسائل.......	٤٢
	٢- إرسال البعوث والسرايا لنشر الإسلام بين التهاميين والسرويين	٤٨
	٢- دخول وفود أهل تهامة والسراة في الإسلام	٦٤
خامساً	الخاتمة	٧٤ – ٧٦
سادساً	الحواشي والتعليقات	٧٧ – ٩٨

أولاً : مقدمة :

إن المراقب لأوضاع الجزيرة العربية قبل ظهور الإسلام ، يجدها مفككة في شتى مناحي الحياة ، فالجوانب السياسية يغلب عليها طابع القبيلة التي تسودها الصراعات والحروب الطاحنة . كما أن الناحية الدينية متعددة العقائد والاتجاهات من يهودية ، ونصرانية، ووثنية، ومجوسية ، وصابئة ، ومن لا زال على ملة الحنيفية . أما الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية ، والفكرية العلمية فلم تكن هي الأخرى أحسن حالاً من غيرها [١] .

هكذا كانت حالة جزيرة العرب قبيل وأثناء ظهور الرسول الكريم ﷺ في مكة المكرمة ، ويوم بدأ دعوة قومه ﷺ وأهل مكة إلى هذا الدين العالمي الذي جاء به من عند الله إلى عموم الجن والإنس كافة [٢]. كانت بلاد مكة المكرمة ممثلة في قبيلة قريش أول من تصدى لظهور الرسول ﷺ ، فحاربوه، ورفضوا الاستجابة له ، بل سعوا إلى تشويه صورته وما جاء به إلى عموم قبائل الجزيرة العربية ، والى كل وافد إلى بلادهم للحج أو التجارة وغيرها [٣].

والبلاد المحاذية لمكة المكرمة من الجنوب والممتدة إلى صنعاء وعدن كان يطلق عليها اسم بلاد اليمن ، وذلك لسبب وقوعها إلى الجنوب من مكة المكرمة [٤]. ولسنا في هذه الدراسة معنيين بالحديث عن مصطلح بلاد اليمن في العهود السابقة لظهور الإسلام ، أو حتى أثناء عصور الإسلام المختلفة [٥] ، ولكننا نسعى إلى التركيز على وضع بلاد تهامة والسراة الواقعة بين حواضر اليمن الكبرى (صنعاء ، وعدن ، وصعدة) وبين مدن

الحجاز الرئيسة (مكة المكرمة ، والمدينة المنورة ، والطائف) ، وبخاصة في عهد الرسول ﷺ ، فندرس ما المقصود ببلاد تهامة والسراة ؟ ثم كيف كانت أوضاعها السياسية والحضارية قبل ظهور الإسلام ؟ وكيفية بداية اتصالهم بالرسول ﷺ في العهد المكي ؟ وما هي الأساليب التي سلكها الرسول ﷺ معهم لإبلاغهم دعوة الإسلام ؟ وكيف كانت استجابتهم لهذه الدعوة ؟ خلال ذلك العهد ؟ ثم نركز على أوضاعهم السياسية والدينية في العهد المدني ، وما هي الوسائل التي اتبعها الرسول ﷺ لدخولهم في الإسلام ، ويمكننا تحديدها في ثلاثة اتجاهات ، هي :

١- دعوتهم عن طريق إرسال الدعاة والرسائل .
٢- إرسال البعوث والحملات والسرايا إلى بلادهم .
٣- ذهاب وفودهم طواعية إلى المدينة المنورة لإعلان إسلامهم .

ثانيا : تهامة والسراة جغرافياً وقبلياً عند ظهور الإسلام :

١- تهامة والسراة جغرافياً :

تهامة : هي الأرض المنخفضة الواقعة بين ساحل البحر الأحمر من الغرب وجبال السروات من الشرق ، وتمتد من أرض الحجاز ، وربما من بلاد الشام حتى بلاد اليمن ، وتتفاوت في اتساعها وضيقها من مكان إلى آخر . والذي يهمنا في هذه الدراسة ، هو الجزء الأوسط من بلاد تهامة والممتدة من جنوب مكة المكرمة إلى بلاد جازان وزبيد وما حولها [٦] .

أما أرض السراة وجمعها سروات ، فهي المرتفعات الجبلية الممتدة من الشام إلى اليمن ، والمطلة على بلاد تهامة ، والتي يطلق عليها أيضاً اسم " جبال الحجاز " وأحياناً " جبال السروات " . وهذه الجبال مثار جدل عند كثير من الباحثين في التراث الإسلامي ، وبخاصة حول تسميتها ، وحدودها الشمالية والجنوبية ، وأحياناً الشرقية والغربية وأقسامها . وهذه الخلافات حول هذه المرتفعات ليس موضوع حديثنا . وإنما الذي يعنينا القسم الأوسط من هذه المرتفعات الموازي للجزء التهامي المذكور آنفاً والممتد من الطائف شمالاً إلى نجران وصعدة جنوباً . وهذا الجزء لا يختلف عليه اثنان فهو واسطة العقد لبلاد السروات ، بل إن عدداً من كتب التراث الإسلامي أطلقت على سكان هذه البلاد اسم " السرو " أو " السرويين " وعلى بلادهم اسم " بلاد السراة " وأحياناً " السروات " لأنه يعيش بها عدد من القبائل التي استوطنتها من قبل الإسلام [٧] ، وتسمت الأرض باسم القبيلة القاطنة لها ، فيقال مثلاُ ، من الشمال إلى الجنوب : سراة الطائف ، يليها سراة عدوان ، فسراة فهم ، ثم سراة بجيلة ، وسراة دوس أو غامد وزهران ، فسراة خثعم ، وتشمل بلاد شمران ، وعليان ، وبلقرن ، ثم سراة الحجر وتشمل قبائل بنو عمر وبنو شهر ، وبللسمر ، وبللحمر ، وسراة عسير ، ويطلق عليها قديماً (سراة عنز) ثم سراة جنب المذحجية ، وهي معظم بلاد قحطان الجنوب في يومنا الحالي ، وسراة همدان وخولان في بلاد صعدة ونجران [٨].

٢- تهامة والسراة قبلياً عند ظهور الإسلام .

إن أرض تهامة والسراة قبيل وأثناء نزول الوحي على رسول الله ﷺ كانت مأهولة بالسكان العرب القحطانية والعدنانية . ولو حاولنا تقصي جميع القبائل والعشائر التي كانت تستوطن هذه البلاد آنذاك ، فالحديث سوف يطول بنا وبخاصة ما يدور حول أنساب وتاريخ مجيء كل عشيرة أو قبيلة إلى موطنها الذي استوطنت به ، وجاءها الإسلام وهي فيه (٩) ، ولكن نكتفي بذكر أسماء وموقع القبائل الكبار في هذه البلاد ، والتي تندرج تحتها عشائر وقبائل صغيرة ، ونبدأ من الجنوب على النحو التالي :

أ- **قبيلة مذحج بن أدد بن زيد بن عمر بن عريب بن زيد بن كهلان** ، ويقال إن مذحجاً يسمى أيضاً مالكاً (١٠)، وهي إحدى القبائل الكهلانية الكبرى ، ولها فروع متعددة وديار واسعة ، فكانت تمتد ديارها من الجنوب الشرقي لمدينة صنعاء إلى بلاد تثليث شمالاً (١١)، وتميل إلى جازان غرباً ، وكانت ذات بأس ومنعة ، فكانت تغير على أواسط نجد وعلى من جاورها من القبائل الكبار ، فخشيتها القبائل وهابتها، وكان الشرف والمنعة والرئاسة فيها لبني الحارث بن كعب ببلاد نجران ، ومن عشائرها في بلاد السراة زُبيد ، التي ينتسب إليها صاحب الصمصامة ، عمرو بن معد كرب الزبيدي ، والتي كانت تقطن في بلاد تثليث ومتداخلة مع بلاد خولان . وتعد زُبيد جزءاً من (سعد العشيرة) الذين نزلوا بلاد تهامة في نواحي

جازان وما جاورها [١٢]. كما تأتي عشيرة صداء المذحجية بجوار بني الحارث بن كعب في نجران من الشمال [١٣].

ب- **قبيلة همدان** : وهو على وزن فعلان من قولهم همدت النار إذا سكن اشتعالها وهو همدان بن مالك بن زيد بن أوسلة ، يصل نسبه إلى كهلان بن سبأ [١٤]. كانت من القبائل الكبيرة في الأجزاء الجنوبية السرورية وتشمل قسماً كبيراً من شرق صنعاء وشمالاً إلى بلاد صعدة ونجران ، وتنقسم إلى فرعين رئيسين هما : حاشد وبكيل ، وهي تشترك في بعض المواطن مع من جاورها من القبائل مثل مذحج ، وحمير ، وخولان [١٥].

ج- **قبيلة حمير** : وتستوطن جنوب شرق اليمن ، وربما أطلق عليها اسم (سرو حمير) وهذه القبيلة لا تدخل ضمن حديثنا ، إلاّ أنها تجاور قبائل همدان ومذحج من الجنوب وتمتد بلادها إلى أرض حضرموت ، وتعد هذه القبيلة وارثة لملك حمير القديمة التي كانت تملك اليمن كله [١٦].

د- **قبائل خولان** : وتنسب إلى خولان بن عمرو بن إسحاق من قضاعة ، وهو بطن من كهلان القحطانية ويسكنون مجاورين لهمدان ومذحج وموطنهم صعدة ، وتمتد بلادهم إلى تهامة من ناحية الغرب ، وإلى وادعة من جهة الشرق ، ويطلق عليهم خولان قضاعة خلاف خولان بن عمرو ، الذي يطلق عليهم خولان العالية القاطنين شرق بلاد صنعاء ، والممتدة بلادهم إلى بلاد مأرب [١٧].

هـ - **القبائل التهامية** : إن معظم أجزاء تهامة الواقعة إلى جنوب مكة تسكنها قبائل كنانة ويخالطها بعض القبائل العدنانية والقحطانية(١٨). وكلما اتجهنا إلى الجنوب ناحية جازان وما يأتي جنوبها نجد انتشار عدد من القبائل مثل العكيون نسبة إلى عك بن عدنان بن عبد الله ابن الأزد من قحطان في وادي سهام ورمع ، وينسب إلى هذه البلاد مخلاف (عك) ، وتتصل بلادهم ببلاد حكم بن سعد العشيرة في منطقة جازان (١٩) والتي تتصل ببلاد مذحج ونجران في الجبال (٢٠) ويأتي إلى جنوبهم الأشعريون في منطقة واسعة تضم بلاد زبيد وما حولها (٢١).

و- **قبائل بلاد السراة** الواقعة بين نجران جنوباً وبين الطائف شمالاً والمسماة بلاد السراة أو أهل السراة نسبة إلى جبال السروات المترابطة بعضها مع بعض ، والتي تمتد إلى قعر بلاد اليمن جنوباً وإلى أطراف بلاد الشام شمالاً . وهذه الجبال مأهولة بالسكان الذين أغلب أصولهم من قبيلة الأزد نسبة إلى أزد بن الغوث من كهلان القحطانية . وقبيلة الأزد هاجرت من بلاد اليمن بعد انهدام سد مأرب ، وانقسمت إلى فروع عديدة داخل الجزيرة العربية وخارجها (٢٢) ، ومن الفروع التي استقرت في بلاد السراة . أزد شنوءة ومنازلهم شرق السراة في أجزاء من أودية تثليث، وبيشة، وتربة ، وبعض أعالي هذه الأودية تسكنها قبائل من خثعم وبجيلة (٢٣)، وفروع من قبائل مذحج (٢٤) . كما استوطنتها عشائر غامد و زهران وهي فرع رئيس من الأزد

عرفوا باسم (أزد السراة) وربما أطلقت عليهم بعض المصادر الإسلامية المبكرة (أهل السراة) أو (السرو) أو (السرويون)(٢٥) . وبالتالي فالقبائل القاطنة في أرض السروات معظمها قبائل يمانية سواء كانت أزدية ، أو مذحجية أو كهلانية أو غيرها (٢٦)، ولا تخلو من وجود بعض الفروع العدنانية بينها وقد أشار الهمداني في كتابه : <u>صفة جزيرة العرب</u> ، إلى أغلب مواطنها ومسمياتها وبخاصة في البلاد الممتدة من صعدة إلى الطائف ، فذكر قبائل مذحج ومن ضمنها همدان ويام ، وكذلك جنب (قحطان الحالية) وعنز (عسير) والحجر (قبائل بني شهر وبني عمرو وبللسمر وبللحمر)، ودوس ، وغامد ، وخثعم (شهران العريضة) وبجيلة ،وبارق ، وغافق ، وألمع ، وغيرها (٢٧).

وعند سفوح السروات الغربية ، والمتصلة بالسهول التهامية نلاحظ استيطانها بعدد من العشائر والأفخاذ القبلية التي هي في الأساس من أصول القبائل الرئيسة في أعالي بلاد السراة ، وربما تركوا مواطنهم الأصلية وذهبوا إلى السهول التهامية بحثاً عن موارد الرزق ، ولازال أغلبهم إلى اليوم لهم نواب وشيوخ لكنهم يعودون جميعهم إلى شيوخهم الرئيسين في السروات . وكلما اتجهنا نحو ساحل البحر الأحمر نجد القبائل أكثر اختلافاً في نسبها عن القاطنين في السهول الواقعة عند سفوح السروات الغربية ، فنجد أغلبها قبائل عدنانية ، بل لها أحلاف واتصالات قبلية فيما بينها ،

وأحياناً نجد بينها وبين القبائل الداخلية صلات نسبية ، ولكن – كما ذكرنا – أن القبائل التهامية التي عند سفوح السروات تعود في أنسابها إلى القبائل القحطانية [٢٨].

ز – **نصارى نجران** : كانت بلاد نجران بعامة مستوطنة بعدد من القبائل اليمانية المذحجية، والهمدانية، والحميرية . ولكن الزعامة – كما ذكرنا – كانت في يد بني الحارث بن كعب [٢٩] . ولمدينة نجران الرئيسة وضع خاص ، حيث كان أهلها يدينون بالنصرانية ، وكان المسؤولون عنها يستمدون نفوذهم وسير أمورهم من دولة الروم . ورئاستهم في ثلاثة أشخاص ، الأول : ويلقب بالأسقف ، والثاني : (العاقب) وهو أمير القوم ولا يعملون شيئاً إلاّ برأيه ، والثالث : (السيد) وهو صاحب رحلهم أي المتولي شئون الأمن والدفاع فيهم . وكانت دولة الروم حريصة على رعايتهم وتمويلهم بالأموال والهبات والهدايا كي يبقوا موالين لهم ويقوموا على بناء الكنائس ونشر الدين النصراني هناك ، وبالتالي فمدينة نجران كانت بمثابة شبه مستعمرة للرومان في جزيرة العرب [٣٠].

هكذا كانت التركيبة البشرية في بلاد تهامة والسراة ، فالغالب عليها هو الهيمنة القبلية ، وكل قبيلة منفصلة عن غيرها ، فلا يجمعها جامع ولا تربطها رابطة ، بل كانت كل القبائل ضد بعضها بعضا . والتاريخ القديم مليء بالصراعات القبلية بين مذحج وما جاورها من القبائل كهمدان وحمير والأزد . بل نجد أن بجيلة كانت

في حروب مستمرة مع قبائل خثعم . وكذلك الأزد وخثعم كانت لا تتوقف عن الحروب الطاحنة فيما بينها [٣١].

ومما يؤكد تمزق القبائل في بلاد تهامة والسراة ، وتعدد حروبها وصراعاتها ، كثرة وفود تلك القبائل إلى المدينة المنورة عند توافد القبائل العربية إليها لإعلان إسلامها ، ثم تعدد السرايا والبعوث التي أرسلها الرسول ﷺ إلى سكان تلك البلاد لمحاربتهم وتأديبهم .

ثالثاً : استجابة بعض أهل تهامة والسراة للإسلام في مرحلة الدعوة المكية :

إن ظهور الإسلام في مكة ثم انتشاره حتى وصل سكان تهامة والسراة الذين كان أغلبهم يدينون بالوثنية ، جعل بعضهم يراجعون حساباتهم العقدية ، فيجدون عدم جدوى ما يمتلكون من عادات ومعتقدات ، وبدأوا يفكرون بجدية في الدعوة الجديدة . ولكن تصدي قريش لدعوة الرسول ﷺ ومحاربتهم له جعل جميع قبائل الجزيرة العربية بما فيهم التهاميون والسرويون ينتظرون عما يسفر عنه الصراع بين القرشيين والرسول ﷺ وأتباعه . وفي فترة الدعوة المكية لم تجرؤ أي قبيلة أو عشيرة تهامية أو سروية على الدخول في الإسلام بل كانوا جميعهم سلبيين تجاه الدين الجديد ، ما عدا أفراداً كانوا يرتادون مكة للحج أو التجارة وغيرها ، وعند سماعهم بظهور الإسلام اعتنقوه ، ويمكننا ذكرهم على النحو التالي :

١- قيس بن نمط الهمداني :

يذكر أن النبي ﷺ كان يعرض الدين على الناس في الحج ، ويطلب منهم النصرة ، فأتاه رجل من همدان ، فقال : ممن أنت ؟ فقال الرجل : من همدان ، قال : فهل عند قومك من منعه ؟ قال نعم . ثم إن الرجل خاف أن يخذله قومه فأتى رسول الله ﷺ فقال آتيهم فأخبرهم ثم آتيك من عام قابل . قال نعم : فذهب وجاء وفد الأنصار من بعده فبايعوا الرسول ﷺ (٣٢). ونجد الهمداني يوضح نسب هذا الرجل فيقول : هو قيس بن نمط بن قيس من بني سفيان الهمداني ثم الأرحبى (٣٣)، وقد ذهب قيس إلى قومه في بلاد همدان وعاد إلى الحجاز بعد بيعة الأنصار للرسول ﷺ فسماه رسول الله ﷺ بـ (الوفي) (٣٤) .

٢- عبد الله بن قيس بن أم غزال :

عبد الله بن قيس من قبيلة همدان قابل الرسول ﷺ في موسم الحج وأسلم ، ثم وعد الرسول ﷺ أن يوافيه في موسم الحج من العام المقبل ، ولكنه قتل وهو في طريقه إلى بلاده على يد رجل من زُبيد للثارات التي كانت قائمة بينهم (٣٥).

٣- أبو موسى الأشعري وبعض قومه :

كان الأشعريون في تهامة يترددون على مكة المكرمة كثيراً ، وكان من ضمنهم أبو موسى الأشعري الذي كان حليفاً لبعض رجالات بني أمية بن عبد شمس بن عبد مناف (٣٦)، ويذكر أنه رأى الرسول ﷺ في مكة وهو يدعو الناس إلى الإسلام ، فدخل الإسلام ، ودخل معه بعض

إخوانه ، ثم عاد إلى بلاده في تهامة ينشر الإسلام بين قومه حتى كانت السنة السابعة للهجرة فهاجر لمقابلة الرسول ﷺ ومعه أكثر من خمسين رجلاً من قومه [٣٧].

٤- الطفيل بن عمرو الدوسي :

يعد الطفيل الدوسي أحد مشاهير أزد السراة في بلاد دوس (زهران)، وله علاقات نسب ومصاهرة مع بعض رجالات قريش ، ويتردد كثيراً على مكة المكرمة [٣٨]. وعند ظهور الرسول ﷺ ومناداة الناس إلى الإسلام ، يحدث للطفيل ما يرويه لنا عندما جاءه بعض القرشيين فقالوا له : **((يا طفيل : إنك قدمت بلادنا وهذا الرجل بين أظهرنا قد عضل بنا (أي اشتد وغلظ) وفرق جماعتنا ، وإن قوله كالسحر يفرق بين الرجل وبين أبيه ، وبين الرجل وبين أخيه ، وبينه وبين زوجه ، وإنما نخشى عليك وعلى قومك فلا تكلمه ولا تسمع منه ، قال فوالله مازالوا بي حتى أجمعت أن لا أسمع منه شيئاً ، ولا أكلمه ، حتى حشوت أذني كرسفاً (أي قطناً) فرقاً (أي خوفاً) أن يبلغني من قوله ، وأنا أريد ألاّ أسمعه . قال : فغدوت إلى المسجد فإذا رسول الله ﷺ قائم يصلي عند الكعبة ، قال فقمت قريباً منه ، فأبى الله إلاّ أن يسمعني قوله ، فسمعت كلاماً حسنا . قال فقلت في نفسي: واثكل أمي ! والله إني لرجل شاعر لبيب ما يخفى علي الحسن من القبيح ، فما يمنعني أن أسمع هذا الرجل ما يقول !! إن كان الذي يأتي به حسناً قبلته وإن كان قبيحاً تركته . قال : فمكثت حتى انصرف رسول الله ﷺ إلى بيته فتبعته ، حتى إذا دخل بيته دخلت عليه .**

فقلت : يا محمد إن قومك قالوا لي كذا وكذا ، فأخبرته بالذي قالوا . ثم إن الله أبى إلاّ أن أسمع قولك ، فسمعت قولاً حسناً فاعرض علي دينك وما تأمر به وما تنهى عنه . قال : فعرض علي الإسلام ، وتلا القرآن ، قال فوالله ما سمعت قولاً أحسن منه ولا أمراً أعد منه فأسلمت . قلت يا رسول الله إني امرؤ مطاع في قومي وأنا راجع إليهم وداعيهم إلى الإسلام ، فادع الله أن يجعل لي آية تكون لي عوناً عليهم فيما أدعوهم إليه ، فقال اللهم اجعل له آية .)) . ((ثم قال : ثم دعوت دوساً فأبطأوا عن الإسلام فرجعت إلى رسول الله ﷺ بمكة فقلت : يا رسول الله . إنه قد غلبني على دوس (الزنا) و (الربا) فادع الله عليهم فقال : اللهم اهد دوساً ، ارجع إلى قومك فادعهم وارفق بهم)) (٣٩).

٥- ضماد بن ثعلبة الأزدي :

ضماد الأزدي من أزد شنوءة من بلاد السراة ، كان معروفاً بمكة من كثرة قدومه إليها ، وكان عنده بعض المعارف الطبية ، وربما ارتياده مكة للتجارة أو الاستزادة من العلوم والمعارف الطبية ، وفي إحدى رحلاته إلى مكة سمع ببعثة الرسول ﷺ ، وسمع بعض سفهاء مكة يقولون إن محمداً قد أصابه مس ، أي جنون (٤٠)، فقال **((لو أني رأيت هذا الرجل لعل الله يشفيه على يدي . قال فلقيته . فقال : يا محمد إني أرقي من هذا الريح** (٤١)، **وإن الله يشفي على يدي من شاء فهل لك ؟ فقال رسول الله ﷺ إن الحمد لله نحمده ونستعينه ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له . وأن محمداً عبده ورسوله .**

أما بعد)) فقال : أعد علي كلماتك هؤلاء . فأعادهن عليه رسول الله ﷺ ثلاث مرات . قال : لقد سمعت قول الكهنة وقول السحرة وقول الشعراء فما سمعت مثل كلماتك هؤلاء ، ولقد بلغن ناعوس البحر [٤٢]. فقال هات يدك أبايعك على الإسلام ، قال فبايعه ثم قال : رسول الله ﷺ وعلى قومك ؟ قال وعلى قومي [٤٣].

ونجد أن دين الإسلام تسلل إلى قلوب بعض السرويين والتهاميين ، وهذه تعد من البشائر الأولى التي سوف تمهد الطريق لدخول جميع سكان تهامة والسراة في الإسلام ، ولكن ليس قبل هجرة الرسول الكريم ﷺ إلى المدينة ، وتأسيس العاصمة الأولى لدولة الإسلام .

رابعاً : انتشار الإسلام في تهامة والسراة خلال مرحلة الدعوة المدنية :

بعد أن هاجر الرسول ﷺ إلى المدينة المنورة واستقر بين ظهراني الأنصار ، حول الدعوة الإسلامية إلى أساليب تحتاج إلى القوة وجهاد الكفار في كل مكان . وسلك مع أهل تهامة والسراة ، كما سلك مع غيرهم ، عدداً من الوسائل مثل :

٦- الدعوة عن طريق الدعاة والرسائل :

بدأ الرسول ﷺ ينشر الإسلام إلى سكان تهامة والسراة وعموم بلاد اليمن عن طريق أولئك الرجال الأوائل الذين دخلوا الإسلام في مرحلة الدعوة المكية أمثال : الطفيل ، وضماد وغيرهما ، فكان يأمرهم ﷺ بعد إعلان إسلامهم بالعودة إلى قومهم كي يدعوهم للإسلام ، ولم تأت السنة

السابعة للهجرة إلاّ وطلائع أهل تهامة والسراة قد بدأوا يفدون على المدينة معلنين إسلامهم بين يدي رسول الله ﷺ (٤٤). وبعد فتح مكة في السنة الثامنة للهجرة ، عزم الرسول ﷺ على إرسال بعض صحابته دعاة لدين الإسلام ، وكان يرسل معهم كتباً تقرأ على من يأتون إليهم . ويعد معاذ بن جبل من أوائل صحابة الرسول ﷺ الذين أرسلوا إلى عموم بلاد اليمن في أواخر السنة التاسعة للهجرة ، وقد ودعه الرسول ﷺ ومعه لفيف من الصحابة وأوصاه في كلام طويل بتقوى الله عز وجل وتوخي حسن المعاملة والعدل بين الناس ، ومما قال ﷺ : ((**يا معاذ !! إذا قدمت عليهم فزين الإسلام بعدلك وحلمك وصفحك وحسن خلقك ، فإن الناس ناظرون إليك وقائلون خيرة رسول الله ، فلا تزل لك سقطة يستريب لها أحد في حلمك وعدلك فإن الرسل من المرسلين**)) (٤٥). ويذكر في عدد من المصادر الإسلامية المبكرة بأن معاذاً كان مرسلاً إلى بلاد اليمن ، وبخاصة إلى قبيلة حمير ، وهذا أمر لا يتعارض مع مهمة معاذ الرئيسة . حيث كان يحمل كتباً لملوك حمير من رسول الله ﷺ يدعوهم فيها للإسلام ، لكنه أيضاً كان يحمل كتباً ودعوة عامة إلى عموم الأقوام التي سوف يقابلها في الجبال من الطائف حتى صنعاء ، فكان يتوقف على طول محطات طريقه في أجزاء عديدة من بلاد السراة يدعوهم إلى الإسلام ويفقههم في دينهم ، بل كان يتنقل من مكان لآخر لإبلاغ رسالة الإسلام إلى كل الناس الذين يمر عليهم (٤٦).

ونجد أن وضع الدعوة الإسلامية في بلاد السراة يوم ذهاب معاذ إلى اليمن أصبح أفضل حالاً مما كان عليه من قبل ، وذلك لأسباب عديدة

نذكر منها :

أ- انهزام قبيلة قريش ، ودخول أهل مكة في الإسلام مما جعل السرويين والتهاميين يعزمون على المبادرة والدخول في الإسلام ، لأن قريشاً أصبحت لا تشكل لهم خطراً لضعف شوكتها العسكرية والإدارية وبخاصة عندما كانوا كثيري التردد على مكة لممارسة التجارة فيها .

ب- أصبح أهل السراة مسلمين منذ مرحلة الدعوة المكية ، لأن بعض رجالهم ووفودهم دخلوا الإسلام قبل فتح مكة، كما سيأتي معنا، ولكن عموم سكان هذه البلاد جاءوا إلى المدينة زرافات ووحدانا بعد السنة الثامنة للهجرة ، ودون عناء يذكر مع سرايا وبعوث الرسول ﷺ التي أرسلها إليهم بعد عام الفتح [٤٧].

وإذا كانت المصادر تشير إلى أن معاذاً كان مرسلاً إلى أهل الجبال الممتدة من الطائف حتى صنعاء ، فما هو حال أهل تهامة الممتدة من مكة المكرمة حتى زبيد وربما عدن ؟ سبق وأن أشرنا إلى أن الأشعريين كانوا يفدون على الرسول ﷺ في مرحلة الدعوة المكية ، وأن أبا موسى الأشعري من أوائل الداخلين في الإسلام ، ومن الوافدين على رسول الله ﷺ في المدينة في السنة السابعة للهجرة [٤٨]، ولذلك فقد اختاره الرسول ﷺ رسولاً إلى الجزء التهامي ، وبخاصة بلاد حكم بن سعد العشيرة ، والأشعريين ، وعك وما حولها . وقد جاء في الحديث الذي رواه البخاري ومسلم من أن رسول الله ﷺ بعث أبا موسى إلى اليمن ثم أتبعه معاذاً [٤٩]، ويذكر أن

الرسول ﷺ بعثهما وأوصاهما بقوله : ((**أدعو الناس وبشروا ولا تنفروا ويسروا ولا تعسروا**)) [٥٠] ويفهم من الحديث أنهما ذهبا معاً في وقت واحد وطريق واحد [٥١]، وهذا غير صحيح ، كما ذكر أحد الباحثين المتأخرين [٥٢]، وعلل أن أبا موسى أرسل ثم أرسل بعده معاذ (رضي الله عنهما) ، كما ورد في الحديث السابق ، ثم إن الرسول ﷺ ودع معاذاً عند خروجه إلى بلاد اليمن ومشى معه إلى خارج المدينة وهو يسدي له العديد من النصائح التي يجب عليه اتباعها في دعوته ، ولم يذكر أن أبا موسى كان معه أثناء المغادرة . ونستطيع القول أن كلاً من معاذ وأبي موسى (رضي الله عنهما) ذهبا إلى بلاد تهامة والسراة حتى وصلا أرض اليمن ، لكن معاذاً كانت مهمته دعوة أهل الجبال من الطائف حتى صنعاء وصعدة والجند ، أما أبو موسى فمهمته دعوة أهل تهامة من مكة حتى بلاد جازان وزبيد وعدن وما حولها ، ثم إن ذهابهما كان في السنة التاسعة للهجرة [٥٣]. إلاّ أن أبا موسى خرج قبل معاذ بن جبل ، ومن حرص الرسول ﷺ أنه كان يوصي رسله وينصحهم بما يجب لهم وعليهم ، ثم إنه كان في معظم الأحيان يرسل بعض صحابته إلى بلادهم وأقوامهم ، فأبو موسى الأشعري أرسل إلى قومه الأشعريين وغيرهم [٥٤].

كما أرسل الرسول ﷺ كتاباً إلى نصارى نجران وبخاصة أساقفتهم ، فقال فيه : ((**بسم الله من محمد رسول الله إلى أساقفة نجران : بسم الله فإني أحمد إليكم إله إبراهيم ، وإسماعيل ، وإسحاق ، ويعقوب ، أما**

بعد ذلكم فإني أدعوكم إلى عبادة الله من عبادة العباد ، وأدعوكم إلى ولاية الله من ولاية العباد ، فإن أنتم أبيتم فالجزية ، وإن أبيتم آذنتكم بالحرب والسلام)) [٥٥].

وبعد وصول كتاب رسول ﷺ إلى نصارى نجران ، وعلموا جدية الرسول ﷺ في مطلبه ، اجتمعوا وتشاوروا فيما بينهم ، ووصلوا في نهاية الأمر إلى إرسال وفد من أعيانهم إلى الرسول ﷺ ليناقشوه ويعرفوا حقيقة دعوته [٥٦]. وقد اختلفت المصادر في ذكر عدد أفراد الوفد الذين مثلوهم ، فمنهم من قال إن عددهم أربعة عشر رجلاً من رؤسائهم وأشرافهم [٥٧] ، ومنهم من قال بأن عددهم ستون [٥٨] ، وآخرون قالوا أربعون [٥٩] ، وابن خلدون يشير إلى أن عددهم ستون نصرانياً [٦٠] ، وكان من بين أفراد ذلك الوفد رؤساؤهم الرئيسيون ، وهم العاقب ، واسمه عبد المسيح ، والسيد ويدعى الأيهم أو شرحبيل ، والأسقف واسمه أبو الحارث بن علقمة [٦١]. ويبدو أن بعض أفراد هذا الوفد كان يدرك صدق وصحة نبوة الرسول ﷺ ، وبخاصة زعيمهم الروحي أبو الحارث بن علقمة [٦٢] ، لكنهم لا يستطيعون الدخول في دين الإسلام لخوفهم من امبراطورية الروم التي كانت تغدق عليهم الأموال والهدايا ، وتعدهم ممثلين لها في حماية النصارى ودينهم في نجران وعموم اليمن [٦٣].

وصل وفد نجران المدينة والرسول ﷺ في المسجد ، وكان عليهم ثياب الحبرة ، وفي أيدهم وأعناقهم الصليب ، ثم أقاموا في المسجد يصلون إلى المشرق ، فلم يكلمهم الرسول ﷺ ولم يلق لهم بالاً ، وعندما شعروا

بذلك جاؤا من اليوم الثاني وعليهم زي الرهبان [٦٤]، ثم قابلوا الرسول ﷺ ، وناقشوه في أمور عديدة حول السيد المسيح عيسى بن مريم عليه السلام ، ثم دعاهم الرسول ﷺ إلى الإسلام ، فلم يقبلوا بذلك . ويورد القرآن الكريم مقابلتهم للرسول ﷺ وما دار بينهم من اختلاف ، يقول ابن كثير : ((**فأنزل الله في قولهم واختلاف أمرهم صدر سورة آل عمران إلى بضع وثمانين آية منها**)) [٦٥]، ووصل بهم النقاش مع الرسول ﷺ إلى أن تقام بينهم (ملاعنة) أو (مباهلة) [٦٦]، وبعد مشاورات فيما بينهم رأوا أن لا يباهلوا رسول الله ﷺ لعلمهم بصدق نبوته ، وعادوا إلى الرسول ﷺ وقالوا : ((**لا نباهلك فأنت على دينك ونحن على ديننا ...**)) [٦٧]، وصالحهم وكتب لهم كتاباً طويلاً بين فيه أنه حكم فيهم على أن يدفعوا للمسلمين ألفي حلة ، ألف في رجب وألف في صفر من كل عام ، واشترط لهم شروطاً كثيرة لهم وعليهم [٦٨]، وقد دخل في هذا الصلح اليهود الذين كانوا بنجران فكانوا كالأتباع لهم [٦٩].

وبعد كتابة الصلح مع الرسول ﷺ طلبوا منه أن يرسل معهم رجلاً من أصحابه يرضاه لهم ليحكم بينهم في أشياء اختلفوا فيها في أموالهم [٧٠]، فأرسل معهم أبا عبيدة عامر بن الجراح (رضي الله عنه) كي يحكم بينهم ، وكذلك ليجمع مال الجزية التي فرضت عليهم ، وبهذا كان نصارى نجران أول من أعطى الجزية في الإسلام [٧١]. ثم بقي رسول الله ﷺ يرسل من قبله بعض أصحابه لتسلم مال هذا الصلح ، أو الصدقة المفروضة

على المسلمين هناك في كل موسم من مواسم العام . فقد أرسل المغيرة بن شعبة (رضي الله عنه) ، وكذلك أرسل كلاً من علي بن أبي طالب ، وأبي سفيان (رضي الله عنهما) في مرات مختلفة ، وأخيراً عين عمرو بن حزم الأنصاري (رضي الله عنه) والياً عاماً على نجران وما حولها ، وكتب ﷺ كتاباً جامعاً بين له فيه ما يجب عليه وعلى أهل نجران من حقوق وواجبات [٧٢] .

٧- إرسال البعوث والسرايا لنشر الإسلام بين التهاميين والسرويين :

إن التركيبة الاجتماعية في بلاد تهامة والسراة لم تتغير ، وإن كان بعض دعاة الإسلام قد وصلوا إلى بلادهم ، وبذلوا جهوداً كبيرة في دعوة الناس إلى الإسلام ، إلاّ أن الوضع القبلي لا زال هو النظام السائد في أرجاء البلاد ، بل إن بعض القبائل بقيت قبل وبعد فتح مكة تعلن تصديها لهذا الدين الجديد ، وتمارس طقوسها الوثنية التي ألفتها وتدافع عنها . وكان الرسول ﷺ يعرف ذلك من خلال رسله الذين كان يرسلهم لتبليغ الإسلام في أصقاع جنوب الجزيرة العربية ، ولهذا بدأ يتخذ أسلوب إرسال السرايا والبعوث إلى بعض النواحي المجاهرة بعصيانها وعنادها . فيذكر الواقدي والمسعودي أن الرسول ﷺ أرسل سرية إلى تربة جنوب الطائف ، بقيادة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) في شهر شعبان في السنة السابعة للهجرة ، وكان معه من صحابة الرسول ثلاثون رجلاً ، فذهبوا إلى بلاد

تربة فوجدوا العشائر قد تفرقت من مواطنها فعادوا إلى المدينة (٧٣). وإرسال هذه السرية إلى جنوب الطائف قبل فتح مكة مما يعد نصراً أولياً للرسول ﷺ على المشركين وبخاصة قريش التي لم تعد قادرة على مهاجمة الرسول ﷺ في المدينة ، ولا حتى التصدي لأي قوة إسلامية تأتي إليها في عقر دارها . كما أن إرسال قوة صغيرة بهذا الحجم إلى بلاد السراة تعكس قوة الدولة الإسلامية التي أصبحت قادرة على مهاجمة أي قوة مشركة تسول لها نفسها محاربة المسلمين ، أو مناصرة قريش المشركين في حروبها القادمة مع الرسول ﷺ .

كما أرسل الرسول ﷺ السرايا جنوب مكة ، وكان ممن بعث خالد بن الوليد وأمره أن يسير في بعض نواحي تهامة داعياً وليس مقاتلاً ، وقد نفذ أوامر الرسول ﷺ لكن الظروف اضطرته لمواجهة بني جذيمة ودارت الحرب بينهم فقتل بعض رجالهم (٧٤).

ثم تتالت السرايا والبعوث التي أرسلها الرسول ﷺ إلى بعض قبائل بلاد السراة مثل : دوس ، وصداء ، وخثعم ، وبجيلة ، والأزد ، وبني الحارث بن كعب الوثنيون ، وكانوا على النحو التالي :

أ- دوس :

تذكر بعض المصادر أن الرسول ﷺ أعاد الطفيل بن عمرو الدوسي (رضي الله عنه) إلى قومه كي يدعوهم إلى الإسلام وبقي بينهم داعياً حتى السنة السابعة للهجرة ثم خرج معه حوالي ثمانون رجلاً بما فيهم أبو هريرة الدوسي رضي الله عنه، فقدموا على الرسول ﷺ في المدينة وأعلنوا

إسلامهم [٧٥]. والسؤال الذي يتبادر إلى الذهن هل جميع قبيلة دوس دخلوا الإسلام قبل فتح مكة ؟ والجواب لا ، لأننا نجد بعض الروايات تذكر أن الرسول ﷺ أرسل الطفيل بن عمرو الدوسي مع بعض قومه المسلمين بعد معركة حنين في السنة الثامنة للهجرة لمحاربة من بقي على الوثنية في بلاد غامد وزهران ودوس [٧٦]، وأوصاهم بهدم صنم عمر بن حممة الدوسي ، الذي يعرف بذي الكفين ، فلم يكن على الطفيل إلاّ أن يطيع أمر الرسول ﷺ ويطلب النصيحة ، فقال ﷺ للطفيل : ((**افش السلام ، وابذل الطعام ، واستحِ من الله كما يستحي الرجل ذو الهيئة من أهله** [٧٧]، **إذا أسأت فأحسن إن الحسنات يذهبن السيئات ذلك ذكرى للذاكرين**)) [٧٨]، ثم خرج الطفيل بمن معه فحارب بعض المشركين في بلاد دوس وما حولها ، ثم هدم صنم ((**ذا الكفين**))، وجعل يحشو النار في جوفه ويقول :

ياذا الكفين لست من عُبَّادك ميلادنا أقـدم مـن ميلادك

أنا حشـوت النار في فـؤادك

وبعد ذلك رجع الطفيل وبعض قومه وعددهم أربعمائة فقابلوا الرسول ﷺ في الطائف بعد مقدمه إليها بأربعة أيام وكان معهم ((دبابة ومنجنيق)) [٧٩].

ويتضح من هذه السرية التي أرسلها الرسول ﷺ مع الطفيل وكذلك السرايا التي سبقتها مع عمر بن الخطاب ، وخالد بن الوليد (رضي الله عنهم) ليست إلاّ نذيراً لأهل تهامة والسراة وعموم بلاد اليمن التي يجب

عليها الوعي بالمستوى الذي وصلت إليه الدعوة الإسلامية في الحجاز ، ولسان الحال يكاد يقول : عليكم بدخول الإسلام ، وإلاّ فالحرب والقتل هو مصيركم .

ب - صداء :

وهو بطن من قبيلة مذحج نسبة إلى صداء بن يزيد بن حرب بن علة ، وكانوا متحالفين مع بني الحارث بن كعب المذحجية ، بل كانوا يسكنون في الناحية الشمالية من بلاد نجران ، وقد يختلطون في مساكنهم مع بعض فروع خثعم ، والأزد ، وبجيلة (٨٠). وتذكر بعض المصادر أن رسول الله ﷺ عند عودته من الطائف في السنة الثامنة للهجرة جهز جيشاً مكوناً من أربعمائة من المسلمين وعليهم قيس بن سعد بن عبادة الأنصاري (رضي الله عنه) وأمره أن يتوجه إلى بلاد صداء المذحجية في بلاد السراة من ناحية نجران (٨١)، وفيما يبدو أن هذه السرية كان لها أهداف عديدة عند رسول الله ﷺ .

١- إشعار جميع القبائل التي لازالت على الوثنية في الحجاز وتهامة والسراة واليمن بأن قوة المسلمين أصبحت قادرة على مواجهة أي عدو يتصدى لنشر دعوة الإسلام وبالتالي فإرسال قوة عسكرية بهذا الحجم الصغير إلى أطراف بلاد اليمن الشمالية يعد انتصاراً للإسلام والمسلمين .

٢- معظم الأقوام في جنوب شبه الجزيرة العربية أصبحت في خوف شديد من ظهور الإسلام ، ووصول جيوشه وسراياه إلى

بلادهم ، وبالتالي أصبح كثير منهم تراودهم أنفسهم بالدخول في الإسلام ، إما حباً فيه أو خوفاً من قوة المسلمين ، ويظهر الأمر واضحاً في قول ربيعة بن رواء العنسي الذي سئل عن سبب دخوله الإسلام فقال : ((**خُوِّفت فخفت وقيل لي آمن فآمنت**)) [٨٢].

ومن الثابت أن هذا الجيش الذي أمر الرسول ﷺ بإرساله إلى بلاد صداء لم يخرج ، ولكن إشاعة خبره في البلاد كان له تأثير إيجابي عند عموم المشركين ، حتى إن أحد أعيان قبيلة صداء ، ويدعى زياد بن الحارث الصدائي قد سمع بأمر الرسول ﷺ وإرسال هذا الجيش إلى بلاده ، فجاء إليه ، وقال يا رسول الله إنني ((**جئتك وافداً على من ورائي فاردد الجيش وأنا لك بقومي**)) فردهم رسول الله ﷺ وكتب كتاباً إلى صداء يدعوهم إلى الإسلام وبعثه مع زياد بن الحارث (رضي الله عنه) ، وبعد مرور بضعة أسابيع عاد زياد إلى المدينة ومعه وفد من بلاد صداء عددهم خمسة عشر رجلاً ، فاستقبلهم الرسول ﷺ أحسن استقبال وفقههم في دينهم ، ثم أمَّر عليهم أحدهم وأعادهم إلى بلادهم كي ينشروا الإسلام بين أقوامهم، فلم تأت حجة الوداع إلاّ ويقدم على الرسول ﷺ منهم مائة رجل معلنين إسلامهم [٨٣].

جـ- خثعم :

إحدى قبائل السراة الكبرى التي تدين بالوثنية وتقوم على رعاية صنم ذي الخلصة في بلادها [٨٤]، وكان الرسول ﷺ يعرف مدى تأثيرهم

وقوتهم في بلادهم وعلى من حولهم ، فجهز سرية في شهر صفر من السنة التاسعة للهجرة ، ووضع على رأسها الصحابي قطبة بن عامر الأنصاري [٨٥] (رضي الله عنه) ، وكان عددهم عشرين رجلاً فذهبوا إلى بلاد بيشة وتربة ورنية وأجزاء من بلاد السراة لمحاربة وتمزيق قبيلة خثعم . وقد أمرهم الرسول ﷺ أن يشنوا الغارة عليهم فيفرقوهم ويمزقوهم في كل ناحية . فخرجوا على عشرة أبعرة يعتقبونها حتى وصلوا بلادهم ثم اشتبكوا معهم في قتال شديد حتى كثر الجرحى بين الفريقين ، وقتل من قتل وساقوا النعم والشاء والنساء إلى المدينة [٨٦]. ويظهر لنا من إرسال هذه السرية عدة أمور هي :

١- قلة عدد السرية المرسلة مع قطبة إلى بلاد السراة وبخاصة إلى قبيلة خثعم ، ثم إحرازهم النصر عليهم ، وهذا لا يمكن حصوله إلاّ بوجود دعم محلي من القبائل المسلمة المحيطة ببلاد خثعم ، ولا يستبعد أن تكون قبائل دوس وصداء على رأس القوى المساندة لسرية قطبة خصوصاً أنهم قد أعلنوا إسلامهم في وقت سابق .
٢- أن هزيمة قبيلة خثعم لا يعني دخولهم الإسلام ، وإنما بقوا على وثنيتهم لفترة من الزمن ، وبعد اشتباكات عسكرية وسرايا عديدة كما سوف نلاحظ في صفحات تالية .
٣- أن الرسول ﷺ أدرك أن قبائل بلاد تهامة والسراة مستقلة بعضها عن بعض ، لهذا كان يرسل قوى عسكرية محددة وإلى مواطن وقبائل معينة كي يخضعهم فيدينوا بالإسلام ، وأحياناً قد يستعين

ﷺ ببعض القبائل أو العشائر المسلمة على قبائل وعشائر مجاورة لهم فيحاربونهم حتى يعلنوا إسلامهم ، وهذا ما حدث في بلاد تهامة والسراة ، بل في جميع نواحي الجزيرة العربية .

د - **قبائل بجيلة وبقية خثعم :**

تذكر بعض المصادر أن جرير بن عبد الله البجلي [٨٧] (رضي الله عنه) قدم على الرسول ﷺ ببعض قومه بعد فتح مكة المكرمة ، فأسلموا وحسن إسلامهم ، ثم رأس الرسول ﷺ جريراً على صحبه وطلب منهم محاربة مشركي خثعم وهدم صنمهم ذي الخلصة ، فلبى ما أمر به الرسول ﷺ [٨٨]. وفي رواية أخرى أنه وفد على الرسول ﷺ من بجيلة وفدان أحدهما بقيادة جرير بن عبد الله البجلي ومعه مائة وخمسون رجلاً من قومه ، والآخر بزعامة قيس بن عزرة الأحمسي ومعه من أحمس [٨٩] مئتان وخمسون رجلاً فدخلوا الإسلام جميعاً [٩٠] . ويشير ابن سعد في رواية أخرى عن جرير بن عبد الله بأنه قدم على الرسول ﷺ في السنة العاشرة ومعه بعض قومه من بجيلة فرحب به الرسول ﷺ ومن معه ، ثم قال له بايعني : ((**على أن تشهد أن لا اله إلاّ الله وأني رسول الله ، وتقيم الصلاة ، وتؤتي الزكاة ، وتصوم رمضان ، وتنصح المسلمين ، وتطيع الوالي وإن كان عبداً حبشياً**)) فقال جرير ، نعم ، فبايعه الرسول ﷺ ، ثم سأله الرسول ﷺ عن أحوال ما وراءه في بلاد السراة ، فقال : ((**يا رسول الله قد أظهر الله الإسلام ، وأظهر الأذان في مساجدهم وساحاتهم ، وهدمت القبائل أصنامها التي كانت تعبد**)) قال :

((فما فعل ذو الخلصة ؟)) قال هو على حاله ، قد بقي والله مريح منه إن شاء الله)) [٩١] ويتضح من لقاء جرير البجلي مع الرسول ﷺ بعض الأمور منها :

١- أن معظم أهل السراة وربما أهل تهامة أيضاً أصبحوا يدينوا بالإسلام ، وبخاصة في السنة التاسعة ومطلع السنة العاشرة للهجرة ، وهذا الأمر يظهر واضحاً في قول جرير للرسول ﷺ : **((قد أظهر الله الإسلام ، وأظهر الأذان في مساجدهم وساحاتهم ، وهدمت القبائل أصنامها التي كانت تعبد))**

٢- يبدو أن صنم ذي الخلصة وقبيلة خثعم السادنة له لا زالت مصرة على الدفاع عن هذا الصنم ، والتشبث بعقيدة الشرك ، وهذا ما جعل الرسول ﷺ يحدد سؤاله لجرير عن وضع صنم ذي الخلصة ، وهل لازال على وضعه ترتاده القبائل والعشائر ، فكان جواب جرير البجلي بـ (نعم)، وهذا مما يوحي أن جميع العشائر والقبائل السروية لم تعتنق الإسلام ، وإنما لا زال منهم من يلفظ أنفاسه الأخيرة أمام انتشار الدعوة الإسلامية في بلادهم .

ونجد الرسول ﷺ بعد حجة الوداع يقول لجرير بن عبد الله البجلي (رضي الله عنه) : **((ألاّ تريحني من ذي الخلصة))** ، وكذلك من القبائل المدافعة عنه كخثعم وغيرها ، فاستجاب جرير لأمر الرسول ﷺ وعقد له لواءاً ومعه مائتان من قومه ، وأوصاه أن يسير إلى خثعم فيدعوهم ثلاثة

أيام ، فإن أجابوا إلى الإسلام قبل منهم ، وهدم صنمهم (ذا الخلصة) وإلاّ وضع فيهم السيف (٩٢) . وذهب جرير إلى بلاد خثعم فاشتبك مع الخثعميين ومن انضم معهم من القبائل والعشائر المجاورة المشركة فهزمهم ، وأخضعهم للإسلام ، ثم هدم صنمهم (ذا الخلصة) ، ورجع إلى الرسول ﷺ ، فقال : ((**يا رسول الله والذي بعثك بالحق لقد هدمته ، وأخذت ما عليه ، وأحرقته بالنار، وتركته كما يسوء من يهوى هواه ...**)) فسر الرسول ﷺ وبرّك على جرير وقومه (٩٣) . ويذكر أن الحارث بن عبد شمس الخثعمي خرج إلى المدينة بعد هدم جرير لصنم ذي الخلصة فأسلم وأخذ الأمان لأصحابه من الرسول ﷺ (٩٤). وكتب رسول الله ﷺ كتاباً لخثعم ، لسكان الحضر والبادية وضح لهم ترك دماء الجاهلية ، وما يجب عليهم من الزكاة ، وأشهد على هذا الكتاب ، جرير بن عبد الله البجلي (رضي الله عنه) ، ومما ذكر ﷺ في ذلك الكتاب ، قوله : ((**هذا كتاب من محمد رسول الله لخثعم من حاضرة بيشة وباديتها ، أن كل دم أصبتموا في الجاهلية فهو موضوع ، ومن أسلم منكم طوعاً أو كرهاً في يده حرث من خيار أو عزاز تسقيه السماء ... فله نشره وأكله ، وعليهم في كل سيح العشر ، وكل غرب نصف العشر**)) (٩٥) .

هـ- قبائل الأزد في بلاد جُرش (عسير حالياً) :

قدم على رسول الله ﷺ في السنة العاشرة للهجرة من بلاد جرش(٩٦) ، صرد بن عبد الله الأزدي فأسلم وحسن إسلامه ، وكان معه وفد من قومه ، وقد مكثوا في المدينة عشرة أيام ، وكانوا في ضيافة فروة بن عمرو

البياضي ، ويحضرون مجلس الرسول ﷺ باستمرار ، ثم أمَّر الرسول ﷺ صرد على قومه وأعادهم إلى بلادهم ينشرون الإسلام بين أهلهم في بلاد جرش (عسير حالياً) ، ويجاهدون من لا زال منهم على الشرك [٩٧] .

وعند عودة صرد إلى أرض جرش اجتمع حوله بعض من دخل الإسلام سابقاً ، وجاءوا إلى مدينة جرش فإذا بها مغلقة ، وقد تحصنت بها بعض القبائل المشركة من الأزد وخثعم ومذحج فدعاهم إلى الإسلام فلم يستجيبوا لدعوته ، وأعلنوا عنادهم وتصديهم له ولدعوته ، فأحكم الحصار عليهم قرابة الشهر ، إلاّ أنهم لم يستسلموا ، فتراجع عنهم وفك الحصار ، وأوهمهم أنه سوف يتركهم ، فنزلوا من حصونهم وفتحوا أبواب المدينة فعاد إليهم وقاتلهم قتالاً شديداً وهزمهم وغنم الشيء الكثير من أموالهم وخيولهم [٩٨] .

وقد أخبر الرسول ﷺ أصحابه بهذه الحادثة في وقت وقوعها ، وكان في المدينة رجلان من أهل جرش ، أرسلهما قومهما ليستطلعا الخبر ويتجسسا لهم ، وقد سمعا ما قال الرسول ﷺ عن الواقعة التي حدثت بين أهل جرش وصرد بن عبد الله الأزدي [٩٩] ، وعند عودتهما إلى أرضهما أخبرا قومهما بما سمع في المدينة من رسول الله ﷺ ، فاتضح أنه وقع لهم ما حدث مع صرد في نفس الزمان والمكان ، وعندئذ علموا بصدق هذه الرسالة ، وخرج وفد آخر حتى قدموا على الرسول ﷺ ، فقال لهم الرسول ﷺ : ((**مرحباً بكم أحسن الناس وجوهاً ، وأصدقه لقاء ، وأطيبه كلاماً ، وأعظمه أمانة ، أنتم مني وأنا منكم**)) [١٠٠] ((**وجعل شعارهم مبروراً** ،

وحمى لهم حمى حول مدينتهم كي ترعى فيه مواشيهم وأنعامهم ، ولا يحق لغيرهم الرعي فيما حمى لهم)) [١٠١].

وفي اعتقادنا أن أهل جرش (عسير حاليا) لم يسلموا جميعهم بمقاتلة صرد بن عبد الله الأزدي لهم ، بل لم يتم إسلامهم إلاّ بعد عودة ذينك الرجلين اللذين سمعا ما قال الرسول ﷺ عن قومهما لأن بعض المصادر تذكر أن أهل تبالة [١٠٢]، وجرش أسلموا من غير قتال ، فتركهم الرسول ﷺ على ما أسلموا عليه ، وجعل على كل حالم ممن بهما من أهل الكتاب ديناراً واشترط عليهم ضيافة المسلمين [١٠٣] .

و- **بنو الحارث بن كعب الوثنيون بنجران :**

يعد بنو الحارث بن كعب معظم سكان بلاد نجران ، وكانوا على دين الوثنية بخلاف نصارى نجران الذين سبق ذكرهم ، والذين كانوا أقلية بالنسبة لعموم المنطقة النجرانية ، وكان الرسول ﷺ يعلم ببقائهم على وثنيتهم حتى السنة العاشرة للهجرة ، ثم جهز لهم سرية قوامها أربعمائة رجل وأرسلها إليهم تحت قيادة خالد بن الوليد (رضي الله عنه) ، وأوصاه أن يدعوهم إلى الإسلام قبل أن يقاتلهم ثلاثة أيام ، فإن استجابوا له فليقم بينهم يعلمهم ويفقههم أساسيات ما جاء به الإسلام من تعاليم ، كالتوحيد ، والصلاة ، والصيام وغير ذلك من أركان وقواعد الإسلام ، وإن لم يستجيبوا فليحاربهم [١٠٤].

وعندما وصلت سرية خالد إلى نجران ، بعث الركبان يضربون في كل وجه ، يدعون الناس إلى الإسلام ، ويقولون : ((**يأيها الناس أسلموا تسلموا**))، فأسلموا ، لاسيما بعض بني الحارث بن كعب ، ولحقت بهم القبائل والعشائر النجرانية الأخرى ، ثم قام خالد بن الوليد ومن معه من المسلمين بينهم يعلمونهم شرائع الإسلام ، بل أخذوا الصدقات من أغنيائهم وردوها على فقرائهم [١٠٥].

وبنو الحارث بن كعب قد دخلوا في الإسلام ، وكانوا قبل ذلك عازمين على القتال ، وأعدوا لذلك العدة والعتاد ، لكن ما الذي جعلهم يُغَيّرون موقفهم ويقبلون على اعتناق الإسلام في فترة وجيزة جداً ، وبدون قتال ، وربما يرجع ذلك لعدة أسباب منها :

١- عدم قدرتهم على مواجهة جيوش المسلمين التي استطاعت القضاء على قبيلة قريش ، المرهوبة الجانب ، ونجاحهم في مكة المكرمة التي كانت بمثابة المرحلة الأولى في رحلة الجيش الإسلامي المتجه إلى بلاد تهامة والسراة ، وعموم أرض اليمن ، لنشر العقيدة الإسلامية . وبالتالي نظروا للأمور بنظرة حكمة وتعقل فدخلوا الإسلام بدون حرب إدراكاً منهم أنه الدين الذي ستؤول له السيادة على جزيرة العرب .
٢- أن الصراعات والحروب القبلية ربما تكون قد أنهكت قبيلة مذحج ، التي ينتسب إليها بنو الحارث بن كعب ، ومعظم سكان نجران ، وبالتالي رأوا أن دخولهم في الإسلام قد ينقذهم من عناء

الحروب وشظف العيش ، وبخاصَّة أن خالد بن الوليد عندما جاء إليهم وضح ما يجب لهم وما عليهم فوجدوا في الإسلام ضالتهم المنشودة .

٣- أن غالبية الذين استجابوا لخالد بن الوليد واعتنقوا الإسلام كانوا من الوثنيين ، وبالتالي فالعامل الديني لعب دوره في سرعة دخولهم للديانة السماوية الجديدة ، بخاصة وأن الديانتين اليهودية والنصرانية ، كان لا يزال هناك من يدين بهما في نجران . أما الوثنيون فربما لاحظوا مدى تخلفهم العقدي مقارنة بأصحاب الديانات السماوية السابقة ، وبالتالي رأوا في الإسلام فرصة ثمينة عند ما جاءتهم الدعوة الإسلامية الداعية إلى وحدانية الله ، فاستجابوا لها ودخلوا الإسلام في أيام معدودة ليكونوا بدورهم أصحاب رسالة سماوية فيتماثلون هم ويهود ومسيحو نجران .

وبعد نجاح خالد بن الوليد في مهمته سلماً وإقناعاً لأهل نجران بالدخول في الإسلام بعث بكتاب إلى رسول الله ﷺ يخبره بذلك ، وأنه مقيم بينهم تلبية لأوامره يعلمهم شرائع الإسلام ، وهو في انتظار الجديد من تعليماته ﷺ [١٠٦]، فأجابه الرسول ﷺ برسالة يعلمه من خلالها بوصول كتابه الحاوي لنبأ إسلام أهل نجران ويأمره بالعودة إلى المدينة ، وبصحبته وفد من مسلمي نجران [١٠٧]. فلما وصل كتاب رسول الله ﷺ إلى خالد بن الوليد ، أخبر بني الحارث بن كعب برغبة رسول الله ﷺ بمقابلة وفدهم فشكلوا الوفد من أشرافهم ، ثم جاء خالد إلى المدينة وبرفقته وفد

نجران [١٠٨]، ويمدنا الطبري بأسماء أعضاء الوفد النجراني وكان عددهم ستة أشخاص هم : قيس بن الحصين بن يزيد بن قنان ذي الغصة [١٠٩]، ويزيد بن عبد المدان الحارثي ، ويزيد بن المحجل ، وعبد الله بن قريظ الزيادي ، وشداد بن عبد الله القناني ، وعمرو بن عبد الله الضبابي [١١٠]، فلما رآهم الرسول ﷺ قال : **((من هؤلاء القوم الذين كأنهم رجال الهند ، قيل يا رسول الله ، هؤلاء بنو الحارث بن كعب))** [١١١]، وربما شبههم الرسول ﷺ برجال الهند بسبب سمرة بشرتهم أو بسبب ملابسهم وأزيائهم التي يرتدونها ، أو بهما معاً . وعندما وقفوا أمام الرسول ﷺ سلموا عليه ، ثم قالوا : **((نشهد أنك رسول الله وأن لا إله إلا الله ، فقال رسول الله : وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله ، ثم قال رسول الله ﷺ أنتم الذين إذا زجروا استقدموا ! فسكتوا ، فلم يراجعه منهم أحد))** [١١٢] ثم أعاد الرسول ﷺ عليهم هذه العبارة أربع مرات ، وهم لا يردون عليه ، وفي الرابعة قال يزيد بن عبد المدان : **((نعم يا رسول الله ، نحن الذين إذا زجروا استقدموا))** [١١٣] . قالها أربع مرات فقال رسول الله ﷺ : **((لو أن خالد بن الوليد لم يكتب إلي فيكم أنكم أسلمتم ، ولم تقاتلوا لألقيت رؤوسكم تحت أقدامكم))** [١١٤] .

ويتضح من هذا اللقاء الذي حدث بين الرسول ﷺ ووفد نجران ، ومن العبارات التي دارت بينهما بأن الرسول ﷺ كان غاضباً عليهم وبخاصة ما ورد في العبارة الأخيرة . ولا ندري ما هو السبب ، فإن كان غضب الرسول ﷺ بأنهم كانوا يعملون بالزجر والكهانة ، فهذا لم يكن غريباً على

الرسول ﷺ وإنما كان يعرف أن هذه العادات كانت سائدة عند العرب قبل الإسلام ، وإن كان غضبه بأن الوفد لم يتجاوب معه عندما سألهم لأول مرة ، ولم يردوا عليه إلا بعد أن سألهم أربع مرات ، ثم ردوا عليه إجابتهم أربع مرات أيضاً ، فهذا الأمر حدث مرات عديدة مع الرسول ﷺ ، بل كان هناك من عرب الجزيرة من يأتي إلى النبي الكريم ويهاجمه بالكلام ويشتد عليه في القول ، والرسول ﷺ كان ليناً رفيقاً في معاملته وتجاوبه مع مثل أولئك (١١٥). ونجد ابن هشام ، والطبري ، وابن كثير يوردون هذا الحوار الذي دار بين الرسول ﷺ وبين وفد نجران ، دون أن يذكروا سبب غضب النبي ﷺ (١١٦) ، في حين أن بعض المصادر التاريخية الأخرى قد أشارت إلى سرية خالد بن الوليد إلى اليمن ، وإلى هذه المقابلة مع الرسول ﷺ مع تجنب ذكر هذا الحوار الذي يتصف بشدة اللهجة في كلام الرسول ﷺ ، وربما أن هذه المصادر شكت في صحة إسناد هذا الحوار إلى رسول الله ﷺ أو أنها تحاشت ذكره ، فاليعقوبي وابن خلدون ذكرا بعض تفاصيل تلك السرية ، وذلك اللقاء ، لكنهما لم يوردا الحوار الذي دار بين الرسول ﷺ ووفد نجران (١١٧) . كذلك ابن سعد في الطبقات لم يشر إلى هذا الحوار ، مع أنه ذكر أن رسول الله ﷺ أكرم وفد نجران ووزع عليهم الجوائز ، فأعطى كل واحد منهم عشر أواقٍ ، ما عدا قيس بن الحصين فأعطاه اثنتي عشرة أوقية ، وجعله أميراً عليهم . وابن الأثير ، الذي يعتمد في نقله على الطبري ، تجنب أيضاً ذكر هذا الحوار مع أنه أشار إلى حديث الرسول ﷺ مع هذا الوفد (١١٨).

وإذا كان الطبري ، وابن هشام ، وابن كثير هم الذين تحدثوا عن هذا اللقاء والحوار بين الرسول ﷺ ووفد نجران [١١٩] ، فنجد أنهم يواصلون بقية الحوار ، بعد أن رد عليهم الرسول ﷺ رداً فيه عنف وحدة ، فقال يزيد بن عبد المدان : ((**أما والله يا رسول الله ، ما حمدناك ولا حمدنا خالداً ، فقال رسول الله ﷺ فمن حمدتم ؟ فقالوا : حمدنا الله الذي هدانا بك يا رسول الله ، قال : صدقتم**)) [١٢٠] . وقد عرف بنو الحارث في الجاهلية بالشجاعة والإقدام ، وشدة البأس ، والصبر في الحروب ، فما حاربهم أحد إلا انتصروا عليه ، كذلك اشتهروا بالكرم ، والعدالة ، وطيب الأخلاق والتعاون فيما بينهم ، والرسول ﷺ يعرف ما تواتر عنهم من تلك الصفات فأراد أن يقف على ذلك بنفسه ويعرف سر انتصاراتهم في الحروب ، فواصل الحديث معهم بقوله ((**بم كنتم تغلبون من قاتلكم في الجاهلية ؟ قالوا : لم نكن نغلب أحداً فقال رسول الله ﷺ بل قد كنتم تغلبون من قاتلكم ، قالوا : يا رسول الله ، كنا نغلب من قاتلنا ، أنا كنا بني عبيد ، وكنا نجتمع ولا نتفرق ، ولا نبدأ أحد بظلم ، قال : صدقتم**)) [١٢١] .

ومن هذه العبارات التي قالها وفد نجران للرسول ﷺ تتضح لنا عدة دروس منها :

أ- علم الرسول ﷺ بما كان يتصف به أهل نجران من صفات حميدة حث عليها الإسلام ، لهذا أصر على سؤالهم واشتد معهم في القول حتى يتأكد من تواتر هذه الصفات فيهم ، وبخاصة في انتصاراتهم ضد أعدائهم .

ب- أراد الرسول ﷺ أن يسمع المسلمين إجابة هؤلاء القوم ، الذين كانوا عصبة واحدة فلا يتفرقون ، بل يتغلبون على مشاكلهم الداخلية من أجل الوحدة والتكاتف فيما بينهم حتى يتصدوا لأعدائهم ، ومن يتربص بهم الدوائر ، ثم إنهم كانوا أصحاب عدل واستقامة ، فلا يسعون إلى ظلم أحد ، وهذه قيم رفيعة اتصفوا بها في الجاهلية فسادوا ، وعندما جاء الإسلام نادى بها وحث جميع المسلمين على الاتحاد والتكاتف فيما بينهم على كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، كما حذر الإسلام من الظلم ، وأخذ حقوق الناس بالباطل وحث المسلم على العدل والاستقامة في أموره كلها .

٨- دخول وفود تهامة والسراة في الإسلام :

منذ فتح مكة في السنة الثامنة للهجرة ، وعموم قبائل الجزيرة العربية أصبحت ترى أنه لا محيص من دخول الإسلام ، وبخاصة بعد سقوط قريش التي كانت تمثل رأس حربة الشرك للإسلام والمسلمين ، وكي نطلع القارئ الكريم على وضع سكان تهامة والسراة ، فإننا سوف نذكر في الصفحات التالية الوفود التي قدمت من هذه البلاد على الرسول ﷺ معلنة إسلامها بين يديه طواعية ، وتأخذ الأمان من رسول الله ﷺ لأقوامها من بعدها ، وهم على النحو التالي :

أ- **وفد بيشة** :

قدم من بلاد بيشة إلى رسول الله ﷺ ، بعد فتح مكة المكرمة ، مطرف بن الكاهن الباهلي ، فأعلن إسلامه وطلب الأمان لقومه ، فأمنه الرسول ﷺ وأعطاه كتاباً له ولمن بعده فيه فرائض الصدقات قال فيه : ((**هذا كتاب من محمد رسول الله لمطرف بن الكاهن ، ولمن سكن بيشة من باهلة ، أن من أحيا أرضاً مواتاً بيضاء فيها منافع الأنعام ومراح فهي له وعليهم في كل ثلاثين من البقر فارض، وفي كل أربعين من الغنم شاة ، وفي كل خمسين من الإبل ثاغية مسنة ، وليس للمصدق أن يصدقها إلاّ في مراعيها ، وهم آمنون بأمان الله**)) (١٢٢) .

كما قدم على الرسول ﷺ نهشل بن مالك الوائلي من باهلة في بيشة ، فكتب له الرسول ﷺ كتاباً له ولقومه من بعده قال فيه : ((**باسمك اللهم ، هذا كتاب من محمد رسول الله ، لنهشل بن مالك ومن معه من بني وائل، لمن أسلم وأقام الصلاة ، وآتى الزكاة ، وأطاع الله ورسوله ، وأعطى من المغنم خمس الله وسهم النبي ، وأشهد على إسلامه وفارق المشركين ، فإنه آمن بأمان الله ، وبرئ إليه محمد من الظلم كله ، وأن لهم لا يحشروا ولا يعشروا ، وعاملهم من أنفسهم**)) (١٢٣) .

ب- **وفود غامد ودوس :**

يذكر ابن سعد أنه قدم وفد غامد على رسول الله ﷺ في شهر رمضان من السنة العاشرة ، وهم عشرة ، فنزلوا ببقيع الغرقد ، ثم لبسوا من صالح ثيابهم ، وانطلقوا إلى رسول الله ﷺ فسلموا عليه وأقروا بالإسلام ، وكتب

لهم الرسول ﷺ كتاباً فيه شرائع الإسلام ، وأتوا أبي بن كعب فعلمهم قرآناً ، وأجازهم رسول الله ﷺ كما يجيز الوفد وانصرفوا [١٢٤] .

وتشير بعض المصادر إلى أن الرسول ﷺ كان قد كتب إلى أبي ظبيان الأزدي الغامدي يدعوه ويدعو قومه إلى الإسلام ، لكننا لم نعثر على نص هذا المكتوب [١٢٥] . وفي كتاب آخر أرسله الرسول ﷺ أيضاً إلى أبي ظبيان عمير بن الحارث الأزدي الغامدي [١٢٦] قال فيه ((**أما بعد : فمن أسلم من غامد فله ما للمسلم ، حرم ماله ودمه ، ولا يعشر ولا يحشر ، وله ما أسلم عليه من أرضه ...**)) [١٢٧] .

وكما أشرنا سابقاً أن بعض الدوسيين المجاورين للغامديين في مواطنهم ببلاد السراة قد أسلموا مع زعيمهم الطفيل بن عمرو الدوسي منذ السنة السابعة للهجرة ، وكان أبو هريرة وعبد الله بن أزيهر الدوسي من ضمن الذين وفدوا على الرسول ﷺ في المدينة ، لكنهم وجدوه خرج إلى بلاد خيبر لمحاربة اليهود هناك فلحقوا به ، وأعلنوا إسلامهم بين يديه فقسم لهم الرسول ﷺ من غنيمة خيبر ، ثم عادوا معه المدينة فقال الطفيل : يا رسول الله لا تفرق بيني وبين قومي فأنزلهم حرة الدجاج [١٢٨] . وقال أبو هريرة في هجرته حين خرج من دار قومه في بلاد دوس بالسراة :

يا طولها من ليلة وعناءها

على أنها من بلدة الكفر نجت [١٢٩]

وقال عبد الله بن أزيهر : ((**يا رسول الله إن لي في قومي سلطة ومكاناً فاجعلني عليهم ، فقال رسول الله ﷺ يا أخا دوس إن الإسلام بدأ غريباً ، وسيعود غريباً ، فمن صدق الله نجا ومن آل إلى غير ذلك هلك ، إن أعظم قومك ثواباً أعظمهم صدقاً ، ويوشك الحق أن يغلب الباطل**)) (١٣٠).

جـ - وفود بعض العشائر المذحجية والأزدية من الأجزاء التهامية والسروية :

هناك بعض الوفود المذحجية والأزدية القاطنة بين نجران والطائف وزبيد ومكة ، كانت قد جاءت لإعلان إسلامها أمام رسول الله ﷺ في العامين التاسع والعاشر الهجريين ، ثم عادت إلى أقوامها كي تنشر الإسلام بينهم ، ومن أشهرهم ، كما ذكرنا سابقاً ، بنو الحارث بن كعب في نجران ، والأزديون الجرشيون في بلاد عسير (١٣١) ، إلاّ أن هناك وفود وكتب أخرى بين رسول الله ﷺ وبين فروع مذحجية وأزدية خلاف أهل نجران وجرش نذكرهم على النحو التالي :

٩- ومن وفود بعض البطون المذحجية التهامية والسروية :

أ - وفد زُبيد :

قدم عمرو بن معد يكرب الزُبيدي ، من نواحي تثليث ، ومعه عشرة نفر من عشيرته زُبيد المذحجية إلى المدينة ، فنزلوا على سعد بن عبادة الأنصاري (رضي الله عنه) فاستقبلهم وأحسن استقبالهم ، ثم ذهب به مع قومه إلى الرسول ﷺ ، فأسلم هو ومن معه وأقام أياماً في المدينة ، ثم أجازه

الرسول ﷺ بجائزة وانصرف إلى بلاده وأقام مع قومه على الإسلام ، حتى توفي رسول الله ﷺ [١٣٢].

ب- **وفد مراد :**

مراد أحد بطون مذحج ، وكانت تجاور قبيلة همدان وبينهم حروب وثارات من أيام الجاهلية [١٣٣]، وكان زعيم مراد فروة بن مسيك المرادي وعندما ظهر الإسلام ، وأصبح فروة لا يجد من يناصره على قبيلة همدان ترك الشرك وأهله ، وذهب إلى المدينة لإعلان إسلامه أمام رسول الله ﷺ وذكر ذلك شعراً فقال :

يممت راحلتي أؤم محمداً أرجو فواضلها وحسن ثرائها [١٣٤]

وقد خرج معه في هجرته إلى المدينة بعض قومه ، فوصلها في السنة التاسعة ، فاستقبله سعد بن عبادة (رضي الله عنه) حيث أنزله عنده ، وبقي يتردد على مجلس الرسول ﷺ يتعلم فرائض الإسلام ، ثم أجازه الرسول ﷺ باثنتي عشرة أوقية ، واستعمله على مراد وعنس وزُبيد [١٣٥]، وفي رواية تشير إلى أن ولايته كانت على عموم بلاد مذحج [١٣٦]، وأرسل معه خالد بن سعيد بن العاص على الصدقات ، وكتب له كتاباً فيه فرائض الصدقة ، ولم يزل بتلك البلاد حتى وفاة الرسول ﷺ [١٣٧].

جـ- **وفد الرهاويين :**

قدم على رسول الله ﷺ ، في السنة العاشرة ، خمسة عشر رجلاً من الرهاويين ، وهم من مذحج ، فنزلوا دار رملة بنت الحارث ، فأتاهم رسول

الله ﷺ فتحدث معهم طويلاً ، وأهدوا الرسول ﷺ هدايا ، منها فرس يقال له المرواح ، ثم أسلموا وتعلموا القرآن والفرائض ، وأجازهم كما يجيز الوفد ، أكثرهم اثنتي عشرة أوقية ، وأقلهم خمس أواق ، ثم عادوا إلى بلادهم . وفي حجة الوداع قدمت منهم طائفة اشتركوا مع الرسول ﷺ في الحج ، ثم ذهبوا معه إلى المدينة للإقامة معه ، وقد أوصى لهم الرسول ﷺ بحمل بعير من مزروعات خيبر ، وكتب لهم كتاباً بذلك [١٣٨] .

د - وفد سعد العشيرة :

سعد العشيرة أحد بطون مذحج التي نزحت من السراة إلى تهامة وجاورت الأشعريين والعكيين في بلاد جازان وزَبيد وما حولها ، وعند ظهور الإسلام كانوا على دين الوثنية ، وكان لهم صنمٌ يسمى (فَراضّ) ، فوثب رجل من بني أنس الله بن سعد العشيرة [١٣٩] ، ويدعى عبد الله بن ذياب الأنسي ، على ذلك الصنم وحطمه ، ثم يمم تجاه المدينة للدخول في الإسلام ، وقال :

تَبِعْتُ رَسُولَ اللهِ إذ جَاءَ بِالهُدَى وَخَلَّفْتُ فَرَّاضَاً بِدَارِ هَوانِ

شَـدَدْتُ عَلَيْـهِ شَـدَّةً فَتَرَكْتُـهُ كَأَنْ لَمْ يَكُنْ والدَّهْرُ ذُو حَدَثَانِ

فَلَمَّا رَأَيْـتُ اللهَ أَظْهَرَ دِينَهُ أجَبْتُ رَسُولَ اللهِ حِينَ دَعَانِي

فَأَصْبَحْتُ لِلإِسْلامِ مَا عِشْتُ نَاصِراً وألقَيتُ فِيهَا كَلْكَلِي وَجِرَانِي

فَمَنْ مُبْلِغٌ سَعْدَ العَشِيرَةِ أَنَّنِي شَرَيْتُ الَّذِي يَبْقَى بِآخَرَ فَانِي؟[١٤٠]

هـ- وفد جهيش بن أنيس المذحجي :

وفد على رسول الله ﷺ من أهل مذحج جهيش بن أنيس النخعي المذحجي في نفر من أهل مذحج فقالوا : ((**إسلامنا على أن لنا من أرضنا ماؤها ومرعاها وهدلها**)) فقال رسول الله ﷺ ((**اللهم بارك على مذحج وعلى أرض مذحج من حشد ورفد زهر ...**)) ثم كتب لهم رسول الله ﷺ كتاباً أورد فيه شهادة أن لا اله الا الله ، وإقام الصلاة لوقتها ، وإيتاء الزكاة بحقها ، وصوم شهر رمضان ثم قال : ((**فمن أدركه الإسلام وفي يده أرض بيضاء سقية الأنواء فالعشر ، وما كان من أرض تسقى بالدلاية فنصف العشر ...**)) [١٤١] ، ويذكر أن جهيشاً أنشد شعراً ، فقال :

ألا يَا رَسُولَ اللهِ إنّكَ صَادِقٌ	فَبُورِكْتَ مَهْدِيًّاً وبُورِكْتَ هَادِيا
شَرَعْتَ لَنَا دِينَ الحَنِيفَة بَعْدَمَا	عَبَدْنَا كِأمْثَالَ الحَمِيرِ الطّواغِيا
فَيَا خَيْرَ مَدْعَى ويَا خَيْرَ مُرْسَلٍ	مِنَ الإِنْسِ والجِنَّانِ لَبّيْكَ دَاعِيَا
أَتَيْتَ بِبُرْهَانٍ مِنَ اللهِ وَاضِحِ	فَأَصْبَحْتَ فِينَا صَادِقَ القَولِ زَاكِيَا
وَنَحْنُ قَبِيلٌ مِنْ ذُؤَابَةَ مِذْحَجِ	أَتَيْنَاكَ نَرْجُو أَنْ نُصِيبَ المَعَالِيَا
نَجُودُ بِنَفْسٍ لا يُجَادُ بِمِثْلِهَا	إذَا لَقَحَتْ حَرْبٌ تُشِيبُ النَّوَاصِيَا
فَبُورِكْتَ فِي الأَقْوَامِ حَيّاً وَمَيِّتاً	وبُورِكْتَ مَهْدِيًّاً وبُورِكْتَ هَادِيَا [١٤٢]

١٠- ومن وفود بعض البطون الأزدية في تهامة والسراة :

أ- وفد بارق :

قدم من الأزديين على رسول الله ﷺ وفد بارق [١٤٣] ، فدعاهم الرسول ﷺ إلى الإسلام ، فأسلموا وبايعوا ، وكتب لهم رسول الله ﷺ : ((**هذا كتاب من محمد رسول الله لبارق ، لا تُجز ثمارهم ، ولا ترعى بلادهم في مربع ولا مصيف إلاّ بمسالة من بارق ، ومن مر بهم من المسلمين في عرك أو جدب فله ضيافة ثلاثة أيام ، وإذا أينعت ثمارهم فلابن السبيل اللقاط يوسع بطنه من غير يقتثم ...**)) [١٤٤]

ب- وفد غافق :

وقدم جليحة بن شجار بن صحار الغافقي الأزدي على رسول الله ﷺ في رجال من قومه ، فقالوا : يا رسول الله نحن الكواهل من قومنا ، وقد أسلمنا ، وصدقاتنا محبوسة بأفنيتنا ، فقال : لكم ما للمسلمين وعليكم ما عليهم ، فقال عوز بن سرير الغافقي ، آمنا بالله واتبعنا الرسول [١٤٥] . .

جـ- وفد سلامان :

ويذكر أن وفد سلامان الأزدي قدموا على رسول الله ﷺ في المدينة في شهر شوال من السنة العاشرة وكانوا سبعة نفر ، وعند مقابلته ﷺ كان خارجاً من المسجد إلى جنازة دعي إليها ، فقالوا السلام عليك يا رسول الله ، فقال وعليكم ، من أنتم ، فقالوا : نحن من سلامان قدمنا لنبايعك على الإسلام ، ونحن على من ورائنا من قومنا ، فقال : الرسول ﷺ لغلامه

ثوبان أنزل هؤلاء الوفد حيث ينزل الوفود فلما صلى الظهر اجتمع بهم فعلمهم شرائع الإسلام ، وأعطى كل واحد منهم خمس أواق ، وعادوا إلى بلادهم (١٤٦) .

د - وفود أزدية أخرى :

تشير بعض المصادر إلى أسماء بعض رجالات الأزد في بلاد تهامة والسراة الذين تلقوا رسائل من رسول الله ﷺ يقرهم على بلادهم بعد إسلامهم ، ويشرح لهم بعض شرائع الإسلام ، ولم تذكر هذه المصادر قصة وفودهم على رسول الله ﷺ في المدينة ، لكنها تشير إلى بعض نصوص خطابات الرسول ﷺ إليهم ، ولا نستبعد أنهم أرسلوا منهم رسلاً إلى رسول الله ﷺ يعلنون له إسلامهم ، ويرغبون الاستزادة من علوم الشرع التي تعينهم على فهم دينهم ، ومن أولئك الأزديين :

١- **خالد بن ضماد الأزدي** ، وهو ابن ضماد الأزدي الذي أعلن إسلامه أمام رسول الله ﷺ في فترة المرحلة المكية ، وتشير بعض الروايات إلى أن رسول الله ﷺ كتب لخالد بن ضماد : ((**إن له ما أسلم عليه من أرضه ، على أن يؤمن بالله لا شريك له ، ويشهد أن محمد عبده ورسوله ، وعلى أن يقيم الصلاة ويؤتي الزكاة ، ويصوم شهر رمضان ، ويحج البيت ، وألا يؤوي محدثاً ، ولا يرتاب ، وعلى أن ينصح لله ولرسوله ، وعلى أن يحب أحباب الله ويبغض أعداء الله**)) والتزم له الرسول ﷺ بقوله : ((**وعلى محمد النبي أن يمنع منه نفسه**

وماله وأهله ، وأن لخالد الأزدي ذمة الله وذمة محمد النبي إن وفى بهذا)) (١٤٧).

٢ - أبو راشد عبد الرحمن الأزدي ، الذي يقول : ((**قدمت أنا وأخي ، من سروات الأزد ، فأسلمنا جميعاً ، وكتب لي رسول الله ﷺ كتاباً إلى جهة الأزد**)) ، ولم يذكر نص ذلك الكتاب (١٤٨).

٣ - **جنادة الأزدي** من أهل السراة ، الذي كتب له الرسول ﷺ كتاباً قال فيه ((**بسم الله الرحمن الرحيم . هذا كتاب من محمد رسول الله لجنادة الأزدي وقومه ومن تبعه : ما أقاموا الصلاة ، وآتوا الزكاة ، وأطاعوا الله ورسوله وأعطوا من المغانم خمس الله ، وسهم النبي ﷺ ، وفارقوا المشركين ، فإن لهم ذمة الله وذمة محمد بن عبد الله**)) (١٤٩) .

د - <u>وفد الأشعريين</u> :

قدم الأشعريون من تهامة على رسول الله ﷺ وهم خمسون رجلاً ، وفيهم أبو موسى الأشعري ، وبعض إخوانه ، ومعهم رجلان من عك ، ويذكر أنهم ركبوا البحر من بلاد الأشعريين حتى نزلوا بجدة ، فلما دنو من المدينة جعلوا يقولون : ((**غداً نلقى الأحبة ، محمد وحزبه**)) ثم قدموا فوجدوا رسول الله ﷺ في خيبر ، فذهبوا لمقابلته ومبايعته على الإسلام ، فقال رسول الله ﷺ : ((**الأشعرون في الناس كصرة فيها مسك**))(١٥٠) .

خامساً : الخاتمة :

وخلاصة القول أن أهل تهامة والسراة كانوا من أوائل مجتمعات الجزيرة التي علمت وراقبت الأحداث في الحجاز أثناء مرحلتي الدعوة المكية والمدنية ، ثم تدرجوا في الدخول في الإسلام منذ ظهوره في مكة المكرمة حتى وفاة الرسول ﷺ ، ويمكننا الخروج بكثير من النتائج والتوصيات فنذكرها على النحو التالي :

أ- أن اتصال بلاد تهامة والسراة جغرافياً بأرض الحجاز كانت من الأسباب التي جعلت سكان هذه البلاد يطّلعون على أحداث ظهور الدعوة الإسلامية في مكة ثم المدينة ، بل كان البعض منهم يذهب إلى مكة ويشاهد الغضب والصراع الذي استحدثته قريش للرسول ﷺ ودعوته ، وبالتالي تأثر بعض السرويين بهذا الدين الجديد فدخلوا فيه قبل أن تقوم عاصمة الدولة الإسلامية في المدينة .

ب- الصبغة القبلية كانت المتحكمة في حياة عموم سكان الجزيرة العربية ، فهذه قريش في مكة ، وتلك قبائل الأزد، ومذحج، وخثعم، وبجيلة، وهمدان ، وخولان ، وحمير ، وغيرها في بلاد تهامة والسراة وأجزاء عديدة من أرض اليمن ، وقد أدرك الرسول ﷺ مكانة القبائل وأهمية شيوخها وأعيانها فكان يرسل رسله وخطاباته إليهم فيشرح لهم أهداف الدين الإسلامي ، وما يسعى إليه لإخراج الناس من الظلام إلى النور ، ومن الباطل إلى الحق .

وكانت نتائج الدعوة السلمية للرسول ﷺ قد أثمرت ، فدخلت بعض العشائر أو بعض أفرادها في الإسلام ، ثم صاروا فيما بعد رسلاً لرسول الله ﷺ إلى أقوامهم يدعونهم إلى الإسلام ، ويستخدمون القوة أحياناً إذا عجزوا عن تحقيق ما يسعون إليه عن طريق السلم واللين . بل كان الرسول ﷺ يرسل من قبله السرايا التي تذهب إلى قبيلة محددة أو مكان معين فتجاهد وتؤدب الكفار الذين أصروا على عنادهم في محاربة الإسلام ومن ينتمي إليه .

ج- نجاح الرسول ﷺ وصحابته ، وكثير من مسلمي تهامة والسراة في ترسيخ عقيدة الإسلام في هذه البلاد ، وبالتالي فلم تأت السنتان التاسعة والعاشرة من الهجرة إلاّ وجميع سكان تهامة والسراة يعلنون إسلامهم أمام رسول الله ﷺ ، أو أمام رسله وصحابته الذين كان يرسلهم إليهم لتبليغهم وتعليمهم أمور الدين .

د- كما نتج من انفتاح بلاد تهامة والسراة للإسلام أن كان لكثير من سكانها السبق في الهجرة من بلادهم ، والانخراط في منظومة الجيوش الإسلامية التي خرجت تجاهد في سبيله ، وتشارك في المعارك الإسلامية الفاصلة التي أدخلت بلاد الشام ومصر وفارس والعراق في حوزة الدولة الإسلامية . ومن يستقرئ المصادر التاريخية فإنه يجد التأثير الواضح للسرويين التهاميين الذي نتج عن انخراطهم وتغلغلهم في المجتمعات المختلفة داخل وخارج الجزيرة العربية .

هـ- من خلال دراستنا لهذا الموضوع نرى أهمية دراسة فترة صدر الإسلام ، وما نتج عنها من تأصيل حضاري وسياسي وفكري على مر العصور الإسلامية . ولا يكف الحديث عن الجانب السياسي الجهادي الذي اتصف به هذا العصر ، ولكن الدراسة بالشرح والتحليل للآثار الاجتماعية والاقتصادية واللغوية والفكرية التي ترتبت عليه . فهذه الجوانب وغيرها من الجوانب الحضارية جديرة بالدراسة والبحث الجادين ، والله من وراء القصد .

سادساً : الحواشي والتعليقات :

(١) لمزيد من التفصيلات عن أحوال عرب الجزيرة العربية قبل الإسلام ، انظر : جواد علي . المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام (بغداد : جامعة بغداد ، ١٤١٣ هـ / ١٩٩٣ م) (عشرة مجلدات) ، السيد عبد العزيز سالم . دراسات في تاريخ العرب قبل الإسلام (الإسكندرية : مؤسسة شباب الجامعة للطباعة والنشر ، د . ت)

(٢) المراجع نفسها ، وفي عمومية رسالة الإسلام ، قال الله تعالى {وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ} (١٠٧) سورة الأنبياء .

(٣) انظر : أبو محمد عبد الملك بن هشام . السيرة النبوية . تحقيق مصطفى السقاف وآخرين (بيروت : دار القلم ،د . ت)، جـ ٢ ، ص ٣ وما بعدها ، شمس الدين : أبو عبد الله محمد ، المعروف بـ (ابن القيم الجوزية) . زاد المعاد في هدي خير العباد . تحقيق شعيب الأرنؤوط ، وعبد القادر الأرنؤوط (بيروت : مؤسسة الرسالة ، ١٤١٠ هـ / ١٩٩٠ م) ط (١٤) ، جـ ٣ ، ص ١٢ – ٦٩ .

(٤) شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت الحموي . معجم البلدان (بيروت : دار صادر ، ١٤٠٤ هـ / ١٩٨٤ م) جـ ٥ ، ص ٤٤٧ – ٤٤٩ ، عبد الله بن عبد العزيز البكري . معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع (بيروت : عالم الكتب ، ١٤٠٣ هـ ١٩٨٣ م) ط (٣) ، مج (٢) ، جـ ٤ ، ص ١٤٠١ .

(٥) للإطلاع على تاريخ بلاد اليمن قبل الإسلام وبعده انظر : جواد علي ، المفصل ، جـ ٢ ، ص ٧٣ وما بعدها ، السيد عبد العزيز سالم ، دراسات في تاريخ العرب ، ٨٥ – ١٥٠ ، عصام الدين الفقي . اليمن

في ظل الإسلام منذ فجره حتى قيام دولة بني رسول (القاهرة : دار الفكر، ١٤١٤ هـ/ ١٩٩٤م) ص ١٨ وما بعدها .

(٦) انظر تفصيلات أكثر عن تهامة ، ياقوت الحموي ، معجم ، جـ ٢ ، ص ٦٣ – ٦٤ ، البكري ، معجم ، مج (١) ، جـ ١ ، ص ٣٢٢ ، جمال الدين أبو الفضل بن منظور . لسان العرب (بيروت : دار إحياء التراث العربي ، ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨ م) ، جـ ٢ ص ٥٩ فعل (تهم) .

(٧) للاطلاع على العديد من المصادر والمراجع التي تعرضت لبلاد السراة من حيث المسميات والتركيبة الجغرافية والبشرية ، انظر : عبد الله بن خرداذبة ، كتاب المسالك والممالك . تحقيق أم . جي . دي غوي (لندن : مطبعة بريل ، ١٨٨٩ م) ص ١٣٣ – ١٤٤ ، الحسن بن أحمد الهمداني . صفة جزيرة العرب . تحقيق محمد بن علي الأكوع (الرياض : منشورات دار اليمامة ، ١٣٩٧ هـ / ١٩٧٧ م) ص ٥٨- ٥٩ ، ٩٨ – ١٠٠ ، شهاب الدين أحمد بن فضل الله العُمري . مسالك الإبصار في ممالك الأمصار . تحقيق أيمن فؤاد سيد (القاهرة : المعهد الفرنسي للآثار الشرقية ، د . ت) ص ١٤٩ – ١٧٠ ، مج١ ، جـ١ ، ص ٥ – ٨٠ ، غيثان بن علي بن جريس . " بلاد السراة من خلال كتاب صفة جزيرة العرب للهمداني " مجلة الدارة ، عدد (٣) سنة (١٩) (١٤١٤ هـ / ١٩٩٣ م) ص ٧٦ – ١١١ ، للمؤلف نفسه . دراسات في تاريخ تهامة والسراة خلال العصور الإسلامية المبكرة والوسيطة (ق ١هـ- ق ١٠ هـ/ ق ٧ م – ق ١٦ م) . الرياض : مطابع العبيكان ، ١٤٢٤ هـ / ٢٠٠٣ م) جـ١ ، ص ٢١ وما بعدها . عبد الله الوهيبي . " الحجاز كما حدده الجغرافيون العرب " مجلة كلية الآداب – جامعة الرياض . (١٣٩٠ هـ / ١٩٧٠ م) جـ ١ ، ص ٥٣ – ٧٠ ، صالح

أحمد العلي " تحديد الحجاز عند المتقدمين " مجلة العرب (١٣٨٨ هـ / ١٩٧٨ م) ، جـ ١ ، ص ١ – ٩ .

(٨) انظر الهمداني ، صفة ، ص ٩٩ وما بعدها ، ابن جريس ، دراسات في تاريخ تهامة والسراة ، جـ١ ، ص ٢٣ وما بعدها ، وللمؤلف نفسه . نجران : دراسات تاريخية حضارية (ق ١ – ق٤ هـ / ق ٧ – ق ١٠ م) (الرياض : مطابع العبيكان ، ١٤٢٥ هـ / ٢٠٠٤ م) جـ١ ، ص ٢٥ وما بعدها .

(٩) عبد الرحمن عبد الواحد الشجاع . اليمن في صدر الإسلام (دمشق : دار الفكر ، ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٧م) ص ٢٣ وما بعدها .

(١٠) أبو المنذر هشام بن محمد السائب الكلبي . نسب معد واليمن الكبير . تحقيق ناجي حسن (بيروت : عالم الكتب ، ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨ م) جـ ١ ، ص ٢٦٧ ، عبد الرحمن بن خلدون. تاريخ بن خلدون . تحقيق خليل شحادة وسهيل زكار (بيروت : دار الفكر للطباعة والنشر ، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م) جـ ٢ ، ص ٣٠٧ ، ابن جريس ، نجران ، جـ ١ ، ص ٣٦ ، عبد الرحمن الشجاع ، اليمن ، ص ٣١ .

(١١) المصادر والمراجع نفسها .

(١٢) المصادر والمراجع نفسها .

(١٣) الهمداني ، صفة ، ص ٥٩ ، حاشية رقم (٢) ، أبو محمد علي بن أحمد بن حزم . جمهرة أنساب العرب . تحقيق لجنة من العلماء بإشراف الناشر (بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م) ص ٤١٣ ، محمد علي الأكوع . الوثائق السياسية اليمنية من قبيل الإسلام إلى سنة (٣٣٢ هـ) (بغداد : دار الحرية ، ١٣٩٦ هـ / ١٩٧٦ م) ص ٨٩ .

(١٤) ابن منظور ، لسان ، جـ ١٥ ، ص ١٢٩ – ١٣٠ ، أبو محمد الحسن بن

أحمد الهمداني . الإكليل . تحقيق محب الدين الخطيب (القاهرة : المطبعة السلفية ، ١٣٦٨ هـ) جـ ١٠ ، ص ١ – ١٠ .

(١٥) الهمداني، صفة ، ٩٩ ، ٢٣٩ ، ٢٤٧ ، المؤلف نفسه ، الإكليل ، جـ١٠ ، ص ٦٥ ، ٧٦ ، ١٩٠ ، ٢٢٧ ، ٢٥٢ .

(١٦) قبيلة حمير ربما سميت (سرو حمير) . والسرو بفتح أوله وسكون ثانيه على وزن الغزو . والسرو من الجبل ما ارتفع عن مجرى السيل وانحدر . انظر: ياقوت الحموي، معجم، جـ ٣ ، ٢١٤ – ٢١٨ ، للمزيد انظر: الهمداني، صفة ٧١ ، ١٧٦ وما بعدها، أحمد بن عبد الله الرازي. تاريخ مدينة صنعاء. تحقيق حسين عبد الله العمري، وعبد الجبار زكار (بيروت: د. ن، ١٩٧٤م) ص ١٤٤ وما بعدها، أبو محمد الحسن الهمداني. الإكليل. تحقيق محمد الأكوع (القاهرة: مطبعة السنة المحمدية، ١٣٨٦هـ/١٩٦٦م)، جـ٢، ص١٤٣(الحاشية) .

(١٧) للمزيد انظر : أبو عبد الله بهاء الدين محمد الجندي . السلوك في طبقات العلماء والملوك . تحقيق محمد الأكوع (صنعاء : مكتبة الإرشاد ، ١٤١٤ هـ/ ١٩٩٣ م) جـ١، ص ٢٩٠ ، الهمداني ، صفة ، ص ٢٣٥ ، ٢٤٨ – ٢٥٠ ، المؤلف نفسه ، الإكليل جـ ٢ ، ٢٧٥ ، جـ ١٠ ، ص ٧٢ ، ١٣٥ ، ١٣٦ ، الرازي ، تاريخ مدينة صنعاء ، ص ٣٧ .

(١٨) للاطلاع على أسماء القبائل المنتشرة في تهامة انظر : الهمداني ، صفة ، ص٧١، ٧٣ ، ٧٤ ، ٧٥ ، ياقوت ، معجم ، جـ ٢ ، ص ٢٣٢ ، و جـ ٣ ، ص ٦٨ ، ٢٨٩ ، و جـ ٥ ، ص ٦٧ ، عمر رضا كحالة . معجم قبائل العرب القديمة والحديثة (بيروت : مؤسسة الرسالة ، ١٣٩٨ هـ/ ١٩٧٨م) ط (٢) جـ ١ ، ص ٣٠ ، ٣١ و جـ ٢ ، ص ٨٠٢

، و جـ ٣ ، ص ١٠٤٢ .

(١٩) الهمداني ، صفة ، ص ٦٥ ، ٦٧ ، ٦٨ ، ٧٠ – ٧٧ ، ٢٥٩ ، عرام بن الأصبغ السلمي . أسماء جبال تهامة وسكانها وما فيها من القرى. تحقيق عبد السلام هارون (القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٣٧٤ هـ / ١٩٥٥ م) ص ٤٠١ وما بعدها ، ياقوت ، معجم ، جـ ٢ ، ص ٢٨٠ ، جـ ٥ ، ٢٠٩ .

(٢٠) للمزيد انظر: ياقوت، معجم، جـ ٣، ص ٦٨، ٤٤٠ ، الهمداني ، صفة ، ص ٧٦ (الحاشية)، ٢٥٨، عمر كحالة، معجم ، جـ ١ ، ص ٢٨٦ ، محمد علي الأكوع . اليمن الخضراء مهد الحضارة (القاهرة : مطابع السعادة، ١٣٩١هـ/ ١٩٧١ م) ص ١٨٢ .

(٢١) الأشعريون : هم ولد الأشعر وهو نبت بن أدد من كهلان بن سبأ ، منهم أبو موسى الأشعري . وللمزيد انظر : ابن حزم ، جمهرة ، ص ٣٩٧ ، ياقوت ، معجم ، جـ ٢ ، ص ١٤٢ ، ١٤٣ ، جـ ٣ ، ص ٢٨٩ ، جـ ٥ ، ص ٦٧ . وزبِيد : بفتح الزاي وكسر الباء كان اسماً لواد فيه قرية تسمى الحصيب ، ثم غلب عليها اسم الوادي فلا تعرف إلا به . ثم أصبح هذا الاسم يطلق على مدينة عظيمة قريبة من البحر الأحمر وأصبحت فيما بعد عاصمة الدولة الزيادية . انظر : ياقوت ، جـ ٣ ، ١٣١ ، عبد الرحمن بن الديبع . بغية المستفيد في تاريخ مدينة زبيد . تحقيق عبد الله محمد الحبشي . (صنعاء : مركز الدراسات والبحوث اليمني ، د.ت ، ص ٣٤ ، ٣٥ .

(٢٢) انظر : البكري، معجم ، مج ١ ، جـ ١ ، ص ٩٠ ، ابن حزم ، جمهرة ، ص ٣٣٠ ، ٤٧٣ ، ابن الكلبي ، نسب معد ، جـ ١ ، ص ١٣١ ، ٣٦١ ، ابن خلدون ، تاريخ ، جـ ٢ ، ص ٢٨٥

وما بعدها . والأزد تنسب إلى أزد بن النبت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يعرب بن يشجب بن قحطان ، انظر : بن حزم، ص ٣٢٩، ٤٨٤ ، أبو الحسن علي المسعودي . مروج الذهب ومعادن الجوهر . ترتيب يوسف داغر (بيروت : دار الأندلس ، ١٤٠٤ هـ / ١٩٨٤ م) مج ١ ، جـ٢ ، ص ١٧٠ وما بعدها .

(٢٣) بجيلة: بفتح الباء وسكون الياء، قبيلة من ولد أنمار من قحطان وسمو بأمهم بجيلة بنت صعب بن سعد العشيرة وكانوا متحالفين مع ولد أمهم خثعم. ابن حزم، جمهرة، ص ٣٨٧، البكري، معجم، مج١، جـ ١ ، ص ٥٨ – ٦١ ، كحالة ، معجم ، جـ ١ ، ص ٦٣ .

(٢٤) عبد الملك بن قريب الأصمعي . تاريخ العرب قبل الإسلام . تحقيق محمد حسن آل ياسين (بغداد : مطبعة دار المعارف ، ١٣٧٩ هـ/١٩٥٩ م) ، ص ٧٧ وما بعدها ، ابن الكلبي ، نسب معد جـ ١، ص ٢٦٨ وما بعدها ، ابن خلدون ، جـ ٢ ص ٣٠٦ ، المسعودي ، مروج ، مج ١ ، جـ ٢ ، ص ١٧٢ – ١٧٣ ، ابن حزم ، جمهرة ، ص ٣٣٠ ، ٤٧٣ ، كحالة ، معجم ، جـ ١ ، ص ١٥ – ١٨ .

(٢٥) الهمداني ، صفة ، ص ١١٩ وما بعدها ، ابن حزم ، أنساب ، ص ٣٣٠، ٤٧٣ ، الشجاع ، اليمن في صدر الإسلام، ص٥٣ – ٥٤ ، ابن جريس ، دراسات في تاريخ تهامة والسراة ، جـ١ ، ص ١٣٢ وما بعدها .

(٢٦) الهمداني ، صفة ، ص ١١٦ – ١٢٠ ، كحالة ، معجم ، جـ ١ ، ص ٣٣، ابن جريس ، دراسات، ص ١٣٠ وما بعدها .

(٢٧) المصادر والمراجع نفسها .

(٢٨) المصادر والمراجع نفسها ، للمزيد انظر : عاتق بين غيث البلادي . بين

مكة وحضرموت (مكة المكرمة : دار مكة للطباعة والنشر ، ١٤٠٤ هـ / ١٩٨٤ م) ، ص ١١ وما بعدها .

(٢٩) المسعودي ، مروج، مج١، جـ٢، ص ١٧٢ – ١٧٣، الهمداني، صفة ، ص ٢٥٤ ، الأكوع اليمن ، ص ١٥٣ ، ابن جريس ، نجران ، جـ ١ ، ص ٣٤ وما بعدها .

(٣٠) محمد بن سعد . الطبقات الكبرى (بيروت: دار صادر،١٤٠٥هـ / ١٩٨٥ م) ، جـ ١ ، ص ١٦٥ ، جواد علي ، المفصل ، جـ ٣ ، ٥٣٢ ، ٥٣٣ ، جـ ٤ ، ص ١٩٠ ، عبد المجيد عابدين . بين الحبشة والعرب . (القاهرة : دار الفكر ، د . ت) ، ص ٤٩ وما بعدها .

(٣١) ابن حزم ، جمهرة ، ص ٣٨٧ ، البكري ، معجم ، جـ ١ ، ص ٤٠ ، ٤١ ، ٥٨ – ٦١ ، جـ ٤ ، ١٢٩٨ .

(٣٢) عماد الدين إسماعيل بن كثير . البداية والنهاية ، (بيروت : مكتبة المعارف ، ١٣٩٤ هـ/ ١٩٧٤ م) جـ ٣ ، ص ١٤٦ .

(٣٣) الهمداني ، الإكليل ، جـ ١٠ ، ص ٣٤٠ ، ٣٤١ ، شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن حجر . الإصابة في تمييز الصحابة (القاهرة : مطابع السعادة ، ١٣٢٨ هـ) ، ص ٢٦٢ ، الشجاع ، اليمن في صدر الإسلام ، ص ١٠٠ – ١٠١ .

(٣٤) المصادر والمراجع نفسها .

(٣٥) ابن سعد ، جـ ١ ، ص ٣٤١ ، الشجاع ، ص ١٠١ .

(٣٦) أبو الحسن عز الدين علي محمد بن الأثير . أسد الغابة في معرفة الصحابة (القاهرة : دار الشعب ، د . ت)، جـ٣، ص ٣٦٧ .

(٣٧) المصدر نفسه ، للمزيد انظر : ابن حجر ، الإصابة ، جـ٣ ، ص ٣٥٩ ، للمؤلف نفسه . فتح الباري بشرح صحيح البخاري

(القاهرة : مكتبة الكليات الأزهرية ، ١٣٨٩ هـ/ ١٩٧٨ م) ، جـ ١٦ ، ص ٦٦ — ٦٩ .

(٣٨) ابن الأثير ، أسد الغابة ، جـ ٣ ، ص ٧٨ — ٨١ ، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر . الاستيعاب في أسماء الصحابة (بهامش كتاب) : الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر ، جـ ٣ ، ص ٢٣١ وما بعدها ، ابن جريس ، دراسات، ص ٢٩، الشجاع ، اليمن في صدر الإسلام، ص ١٠٦—١٠٨ .

(٣٩) المصادر والمراجع نفسها ، للمزيد انظر : ابن هشام ، السيرة ، جـ ٢ ، ص ٢١ — ٢٥ ، محمد بن حبيب البغدادي . كتاب المنمق في أخبار قريش . تحقيق خورشيد أحمد فاروق (بيروت : عالم الكتب ، ١٤٠٥ هـ/ ١٩٨٥ م) ص ١٩٩ — ٢١١ ، جمال الدين بن الجوزي . صفة الصفوة . تحقيق محمود فاخوري ومحمد رواس قلعجي (حلب : دار الوعي ، ١٣٨٩ هـ / ١٩٦٩ م) جـ ١ ، ص ٦٠٠ — ٦٠٤ .

(٤٠) ابن حجر ، الإصابة ، جـ ٢ ، ص ٢١٠ .

(٤١) المراد بالريح هنا الجنون ومس الجن وسمي بالأرواح أو الريح لأنهم لا يبصرهم الناس فهم كالروح والريح . محي الدين أبو زكريا النووي . صحيح مسلم بشرح النووي (القاهرة : المطبعة المصرية ، د . ت) جـ ٦ ، ص ١٥٧ .

(٤٢) ناعوس البحر أي : قاموس البحر ، وهو وسطه ولجتة . انظر : ابن منظور ، اللسان ، جـ ١٤ ، ص ٢٠١ — ٢٠٢ .

(٤٣) النووي ، صحيح مسلم ، جـ ٦ ، ١٥٦ — ١٥٨ ، ابن عبد البر ، الاستيعاب ، جـ ٢ ، ص ٢١٧ .

(٤٤) انظر : ابن حجر ، الإصابة ، جـ ١ ، ١٦٩ — ١٧٠ ، المؤلف نفسه،

فتح الباري، جـ ٧ ، ص ٧٣ – ٧٨ ، المسعودي ، مروج ، جـ ٢ ، ص ٢٩٦ ، ابن الأثير ، أسد الغابة ، جـ ١ ، ص ٤٠٤ .

(٤٥) أبو الحسن علي بن الحسين الخزرجي . الكفاية والأعلام . تحقيق الفصول الخمسة من هذا الكتاب ، تحقيق راضي دغفوس تحت اسم : اليمن في عهد الولاة (تونس : منشورات الجامعة التونسية ، كلية الآداب ، ١٦٧٩ م) ، ص ٤٢ – ٤٣ .

(٤٦) المصادر نفسها ، وللمزيد انظر : ابن حجر ، فتح الباري ، جـ ٧ ، ص ١٢٤ ، ابن عبد البر ، الاستيعاب ، جـ ٣ ، ص ٣٥٨ (بهامش الإصابة) ، الأكوع ، الوثائق ، ص ١٢٨ .

(٤٧) محمد بن عمر الواقدي . كتاب المغازي . تحقيق مارسدن جونس (بيروت : عالم الكتب ، د . ت) جـ ٢ ، ص ٧٢٢ ، علي بن الحسن المسعودي . التنبيه والإشراف (بيروت : دار الهلال ، (١٩٨١ م)) ص ٢٤٣ ، خليفة بن خياط . تاريخ خليفة بن خياط . تحقيق أكرم ضياء العمري (الرياض : دار طيبة ، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م) ص ٧٨، ابن هشام، السيرة ، جـ ٢ ، ص ٢١ – ٢٥ ، ابن القيم الجوزية ، زاد المعاد ، جـ ٣ ، ص ٦٢٤ – ٦٢٨ .

(٤٨) ابن الأثير ، أسد الغابة ، جـ ٣ ، ص ٣٦٧ ، ابن عبد البر ، الاستيعاب (بهامش الإصابة) جـ ٣ ، ص ٣٧١ ، ابن حجر ، فتح الباري ، جـ ١٦ ، ص ٦٦ – ٦٩ .

(٤٩) انظر : ابن حجر ، الإصابة ، جـ ٢ ، ص ٣٦٠ ، للمؤلف نفسه ، فتح الباري ، جـ ١٦ ، ١٧٩ ، النووي ، شرح صحيح مسلم ، جـ ٢ ، ص ٢٠٧ – ٢٠٩ . ويذكر ابن حجر قوله ((كان أبو موسى والياً على الجهة السفلى من اليمن)) ويقصد بذلك الأجزاء التهامية المنخفضة

المطلة على البحر الأحمر والممتدة من جنوب مكة المكرمة إلى عدن ، انظر : ابن حجر ، الإصابة ، جـ ٢ ، ص ٣٦٠ ، وللمؤلف نفسه ، فتح الباري ، جـ ١٦ ، ص ١٧٩ ، جـ ٢٦ ، ص ١٠٤ — ١٠٥ .

(٥٠) النووي ، شرح صحيح مسلم ، جـ ١٣ ، ص ١٧٠ — ١٧١ ، ابن حجر ، فتح الباري ، جـ ١٦ ، ص ١٧٩ .

(٥١) المصادر نفسها .

(٥٢) انظر : محمد الأكوع ، الوثائق السياسية اليمنية ، ص ١٢٩ . وفي رواية ((أن معاذاً وأبا موسى خرجا معاً فكان طريقهما على الطائف ، فتربة ، فبيشة ، ثم افترقا فنزل أبو موسى طريق التهائم ، ومعاذ طريق الجبال)) . وهذا القول غير ممكناً لبعد المسافة بين الناحيتين ، والصحيح أن أبا موسى سلك طريق الساحل ، ومعاذ سلك طريق الجبال .

(٥٣) ابن حجر ، الإصابة ، جـ ٢ ، ص ٣٦٠ ، وللمؤلف نفسه ، فتح الباري ، جـ ٧ ، ص ١٢٤ . عمارة بن علي اليمني ، تاريخ اليمن المسمى المفيد في أخبار صنعاء وزبيد . تحقيق محمد الأكوع (القاهرة : مطابع السعادة ، ١٣٩٦هـ/١٩٧٦ م) ص ٧٢ ، الرازي ، تاريخ صنعاء ، ص ٢٣٢ ، ٢٣٣ ، الهمداني ، صفة ، ١٤٤ ، الخزرجي ، الكفاية ، ص ٤٢ .

(٥٤) للمزيد انظر : ابن حجر ، فتح الباري ، جـ ١٣ ، ص ٢٣٧ — ٢٣٩ ، ابن عبد البر ، الاستيعاب ، جـ ٢ ، ص ٣٧٢ (بهامش الإصابة) أبو جعفر محمد بن حبيب . المحبر . أخرجه وصححه محمد حميد الله ، وإيلزه ليختن شتيتر (صورة المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع بحيدر أباد الهند ، ١٣٦٠ هـ / ١٩٤٢ م) ، ص ١٢٦ .

(٥٥) أحمد بن يعقوب . تاريخ اليعقوبي (بيروت : دار بيروت ،

١٤٠٠ هـ/ ١٩٨٠ م) ، جـ ٢ ، ص ٨١ ، الفقي ، ص ٢٥٤ ، الشجاع ، ١٣٦ – ١٣٨ .

(٥٦) محمد سعد . الطبقات ، جـ ١ ، ص ٣٥٧ ، المسعودي ، التنبيه والإشراف ، ص ٢٥٥ ، ابن خلدون ، تاريخ ، جـ ٢ ، ص ٤٧٧ .

(٥٧) ابن سعد ، جـ ١ ، ص ٣٥٧ .

(٥٨) الحافظ شمس الدين الذهبي . العبر في أخبار من غبر . تحقيق حسين عبد الله العمري (بيروت : د . ن ، ١٩٧٤ م) جـ ١ ، ص ٥٧٨ .

(٥٩) محمد حميد الله ، مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة (بيروت : دار النفايس ، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥ م) ، ١٨٣ ، انظر أيضاً أبا الفداء إسماعيل ابن كثير . تفسير القران الكريم (بيروت : دار المعرفة ، ١٤١٢ هـ/ ١٩٩١ م) ، جـ ١ ، ص ٣٧٦ .

(٦٠) ابن خلدون ، تاريخ ، جـ ٢ ، ص ٤٧٧ .

(٦١) ابن سعد ، جـ ١ ، ٣٥٧ ، ويذكر ابن خلدون في تاريخه ((ان اسمه أبو حارثة بن بكر بن وائل)) جـ ٢ ، ص ٤٤٧ ، للمزيد انظر : الذهبي ، العبر ، جـ ١ ، ص ٥٧٨ ، ابن كثير ، التفسير ، جـ ١ ، ٣٧٦ .

(٦٢) المصادر نفسها .

(٦٣) للمزيد انظر : ابن سعد ، جـ ١ ، ص ١٦٤ – ١٦٥ ، الذهبي ، جـ ١ ص ٥٨٧ ، ابن كثير ، التفسير ، جـ ١ ، ٣٧٦ ، ابن جريس ، نجران ، جـ ١ ص ٧٤ – ٧٨ . للمزيد عن علاقة نجران بالروم ، انظر : عابدين ، ص ٤٩ وما بعدها ، جواد علي ، جـ ٣ ، ص ٤٤٩ ، فاطمة مصطفى عامر . نجران في العصر الجاهلي وعصر النبوة (القاهرة : دار الاعتصام ، ١٩٧٨ م) ، ص ٢٦ .

(٦٤) اليعقوبي ، تاريخ ، جـ ٢ ، ص ٨٢ ، ابن سعد ، جـ ١ ، ص ٣٥٧ –

٣٥٨ ، ابن جريس ، نجران ، جـ ١ ، ص ٧٧ .

(٦٥) ابن كثير ، التفسير ، جـ ١ ، ص ٣٧٦ ، وللمزيد انظر: اليعقوبي، تاريخ ، جـ ٢ ، ص ٨٢ ، ابن سعد ، جـ ١ ، ص ٣٥٧ ، أبو الحسن أحمد البلاذري ، فتوح البلدان . تحقيق رضوان محمد رضوان (بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣ م)، ص ٧٥ ، محمود بن عمر الزمخشري . تفسير الكشاف . تحقيق محمد مرسي عامر (القاهرة : دار المصحف ، ١٣٩٧ هـ / ١٩٧٧ م) ، جـ ١ ، ص ١٧٧ وما بعدها .

(٦٦) المباهلة ، جاءت من فعل (بهل) والبهل هو اللعن ، يقال بهله الله بهلاً أي لعنه ، وعليه بهلة الله أي لعنته ، ويذكر في حديث أبي بكر الصديق رضي الله عنه أنه قال : ((من ولي من أمور الناس شيئاً فلم يعطهم كتاب الله فعليه بهلة الله " أي لعنته . والمباهلة هي الملاعنة ، ومعنى المباهلة أن يجتمع القوم إذا اختلفوا في شيء فيقولوا : لعنة الله على الظالم منا . ابن منظور ، جـ ١ ، ص ٥٢٢ .

(٦٧) ابن كثير ، التفسير ، جـ ١ ، ص ٣٧٧ – ٣٧٨ ، الزمخشري ، تفسير ، جـ ١ ، ص ١٧٨ . والنصارى أقرب في مودتهم للمسلمين من اليهود والمشركين قال الله تعالى ﴿ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُواْ الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُواْ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ آمَنُواْ الَّذِينَ قَالُوَاْ إِنَّا نَصَارَى ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَاناً وَأَنَّهُمْ لاَ يَسْتَكْبِرُونَ ﴾ . سورة المائدة ، آية (٨٢) .

(٦٨) اليعقوبي ، تاريخ ، جـ ٢ ، ص ٨٢ – ٨٣، البلاذري، فتوح ، ص٧٥ – ٧٦ ، ابن سعد جـ١، ص ٣٥٧ – ٣٥٨ ، الزمخشري، تفسير ، جـ١ ، ص ١٧٨ ، علي بن أبي الكرم بن محمد بن الأثير .

الكامل في التاريخ . تحقيق نخبة من العلماء (بيروت : دار الكتاب العربي ، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م) ، جـ ٢ ، ص ٢٠٠ .

(٦٩) المصادر نفسها .

(٧٠) المصادر نفسها .

(٧١) المصادر نفسها ، للمزيد انظر : محمد حميد الله ، ص١٧٥ – ١٧٦ ، ابن جريس ، نجران ، جـ ١ ، ص ٧٩ – ٨٢ .

(٧٢) المصادر والمراجع نفسها .

(٧٣) الواقدي ، المغازي ، جـ ٢ ، ص ٧٢٢ ، المسعودي ، التنبيه ، ص٤٣ . للمزيد انظر: ابن خياط، تاريخ، ص ٧٨، ابن جريس، دراسات في تاريخ تهامة والسراة ، جـ ١ ، ص ٣١ .

(٧٤) انظر : محمد بن جرير الطبري . تاريخ الأمم والملوك (تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم (بيروت : دار سويدان ، د . ت)، جـ ٣ ، ص ٦٦ – ٦٨ . وبنو جذيمة بن عامر بن عبد مناة بن كنانة ، كانوا يسكنون موضعاً يسمى (الغميصاء) على مقربة من مكة . انظر ، ياقوت ، المعجم ، جـ ٤ ، ص ٢١٤ .

(٧٥) ابن هشام ، السيرة ، جـ ٢ ، ص ٢١ – ٢٥ ، ابن الجوزي ، صفة الصفوة ، جـ ١ ، ص ٦٠٠ – ٦٠٤ ، ابن جريس ، دراسات ، جـ ١ ، ص ٢٩ ، ٣٢ ، الشجاع ، ص ١٩١ – ١٩٢ .

(٧٦) المصادر والمراجع نفسها .

(٧٧) ذو الهيئة : أي ذو الصورة والشكل الحسن ، أو ذو الوقار ، وتقول هئت للأمر أهيء ، هيئة ، وتهيأت ، تهيوا . والهيئة : الشارة ، فيقال فلان حسن الهيئة . انظر : ابن منظور ، اللسان . فعل (هيأ) ، جـ ١٥ ، ص ١٧٠ ، (طبعة بيروت) .

(٧٨) الواقدي ، جـ ٣ ، ص ٩٢٣ .

(٧٩) لمزيد من التفصيلات عن محاربة الطفيل للوثنيين في بلاد غامد وزهران وما جاورها من بلاد السراة ، انظر : ابن سعد ، جـ ٢ ، ص ١٥٧ — ١٥٨ ، ابن هشام ، جـ ٢ ، ص ١٢ — ٣٥ ، ابن الجوزي ، صفة ، جـ ١ ، ص ٦٠٣ . محمد بن إسماعيل البخاري صحيح البخاري (بيروت : دار العربية للطباعة والنشر ، د . ت) مج ٣ ، جـ ٥ ، ص ١٢٣ ، ابن جريس ، دراسات ، جـ ١ ، ص ٣٢ ، ٤٩ .

(٨٠) الهمداني ، صفة ، ٥٩ ، ١٤٧ ، ١٩٨ ، ١٩٩ ، ياقوت ، جـ ٣ ، ص ٣٩٦ ، ٣٩٧ ، ابن حزم ، جمهرة ، ٤١٣ ، الأكوع ، الوثائق ، ص ٨٩ .

(٨١) المصادر نفسها ، كما انظر : ابن حجر ، الإصابة ، جـ ٣ ، ص ٢٤٩ ، الشجاع ، ص ١٩٢ — ١٩٣ .

(٨٢) ابن سعد ، جـ ١ ، ص ٣٤٢ .

(٨٣) ابن سعد ، جـ ١ ، ص ٣٢٦ ، ٣٢٧ ، محمد بن عبد الباقي الزرقاني . شرح المواهب اللدنية للقسطلاني (بيروت : دار المعرفة ، (١٣٩٣ هـ / ١٩٧٣ م) ، جـ ٣ ، ٤٢ ، جـ ٤ ، ٦٠ — ٦١ .

(٨٤) لمزيد من الاطلاع على صنم ذي الخلصة وحماية خثعم له ، انظر : ابن هشام ، جـ ١ ، ص ٨٨ ، ابن الحوزي ، صفة ، جـ ١ ، ص ٧٤١ ، البخاري ، الصحيح ، مج ٣ ، جـ ٥ ، ص ١١١ ، مج ٥ ، جـ ٨ ، ص ١٠٠ . محمد بن عبد الله الأزرقي . أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار . تحقيق رشدي ملحس (مكة المكرمة : مطابع دار الثقافة ، ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م) ، جـ ١ ، ص ٣٧٤ — ٣٨٩ (الحاشية) .

(٨٥) قطبة بن عامر الأنصاري صحابي بدري بل كان من أصحاب بيعة

العقبة ، وشهد المشاهد مع رسول الله ﷺ ، وكان معه راية بني سلمة يوم الفتح . توفي في خلافة عمر (رضي الله عنه) ، أو في خلافة عثمان (رضي الله عنه) ، ابن حجر ، الإصابة ، جـ ٣ ، ص ٢٣٧ .

(٨٦) ابن سعد، جـ ٢، ص ١٦٢، ابن القيم، زاد المعاد، جـ٣، ٥١٤ . للمزيد انظر: الزرقاني ، شرح المواهب، جـ ٣، ص٤٨ .

(٨٧) جرير البجلي ، الصحابي الشهير ، اختلفت المصادر في وقت إسلامه ، إما قبل السنة العاشرة ، أو في العاشرة ، قال الرسول ﷺ ((إنه خير ذي يمن ، على وجهه مسحة ملك)) اشترك مع الرسول ﷺ في حجة الوداع ، وشارك في الفتوحات الإسلامية في بلاد فارس ، ومات سنة (١٥١ هـ) وقيل سنة (١٥٤ هـ /) . انظر : ابن حجر ، الإصابة ، جـ ١ ، ص ٢٣٢ .

(٨٨) ابن هشام ، جـ ١ ، ص ٨٨ ، البخاري ، الصحيح ، مج ٣ ، جـ ٥ ، ص ١١١ – ١١٢ ، ابن الجوزي ، صفة ، جـ ١ ، ص ٧٤١ .

(٨٩) أحمس : بفتح الهمزة وسكون الحاء وفتح الميم ، بطن من الغوث بن أنمار ، وهم بطن من بجيلة . انظر : ابن حزم ، جمهرة ، ص ٣٨٨ ، ٤٧٤ .

(٩٠) ابن سعد ، جـ ١ ، ٣٤٧ ، ٣٤٨ ، ابن حجر ، فتح الباري ، جـ ١٦ ، ص ١٩٠ ، ١٩١ .

(٩١) الأزرقي ، جـ ١ ، ص ٣٨٠ ، ابن سعد ، جـ ١ ، ص ٣٤٧ – ٣٤٨ ، البخاري ، الصحيح ، مج ٣ ، جـ ٥ ، ص ١١١ – ١١٢ .

(٩٢) اختلف في العدد الذي كان معه ، ففي رواية البخاري (فتح الباري جـ ١٦ ، ص ١٩٠) مئة وخمسون رجلاً من أحمس ، وفي رواية (فتح الباري ١٦/١٩١) عامة من كان معه وندب معه ثلاثمائة

من الأنصار . وفي رواية ضعيفة عن الطبري : أنهم كانوا سبعمائة ، وفي رواية أخرى : كانوا أكثر من ذلك : خمسمائة من أحمس ومائة وخمسين أتباع جرير وثلاثمائة من الأنصار ، وهذا غير مستساغ ، لأنه لم يلق حرباً ذات بال ، وقد يكون الصحيح أنه لم يضم إليه من الأنصار أحد لأن رسول الله ﷺ حينما بلغه خبر الإحراق دعا لجرير وقومه ولم يذكر الأنصار بشيء .

(٩٣) انظر : البخاري، الصحيح، مج ٣، جـ ٥ ، ص ١١١ – ١١٢ ، ابن سعد جـ ١ ، ص ٣٤٧ – ٣٤٨ ، الأزرقي ، جـ ١ ، ص ٣٨٠ .

(٩٤) محمد حميد الله ، الوثائق ، ص ٢٩١ .

(٩٥) المرجع نفسه .

(٩٦) جُرش : بضم الجيم وفتح الراء ، من مخاليف اليمن من جهة مكة . معناها مأخوذ من جرش الحبوب أي طحنها بدون تنعيم ، وقيل نسبة إلى جرش بن أسلم الذي يعود نسبه إلى حمير بن سبأ ، والذي كان أول من سكنها فسميت باسمه ، وغير ذلك من التعليقات والآراء . للمزيد انظر: ياقوت، جـ ٢ ، ص ١٢٦ ، البكري ، مج ١ ، جـ ١ ، ص ٣٧٦ ، ابن حزم ، ص ٤٣٦ ، ٤٧٨ . غيثان بن علي بن جريس ((تاريخ مخلاف جرش (عسير) خلال القرون الإسلامية الأولى)) مجلة العصور ، مج (٩) جـ١ (١٩٩٤ م) ص ٦٣ – ٧٨ ، للمؤلف نفسه . دراسات في تاريخ تهامة والسراة ، جـ١ ، ص ٩٣ – ١٢٦ .

(٩٧) الطبري ، جـ ٣ ، ص ١٣٠ ، ابن جريس ((تاريخ مخلاف جرش)) ، ص ٩٥ وما بعدها .

(٩٨) ابن هشام ، جـ ٤ ، ص ٢٣٣ – ٢٣٤ ، ابن سعد جـ ١ ، ص ٣٣٧ – ٣٣٨ ، ابن القيم الجوزية ، جـ ٣ ، ص٦٢٠ – ٦٢١ ، الطبري ، جـ ٣ ،

ص ١٣٠ – ١٣١ .

(٩٩) المصادر نفسها .

(١٠٠) ابن سعد ، جـ ١ ، ص ٣٣٨ .

(١٠١) المصدر نفسه ، للمزيد انظر : محمد حميد الله ، ص ٢٨٩ – ٢٩٠ . وعن الحمى وأهميته منذ بداية عصر الإسلام ، انظر : صالح أحمد العلي . ((الحمى في القرن الأول الهجري)) مجلة العرب (١٣٨٩ هـ / ١٩٦٩ م) ، جـ ٧ ، ص ٣ وما بعدها .

(١٠٢) الطبري ، جـ ٣ ، ص ١٣٠- ١٣١ ، ابن سعد ، جـ ١ ، ص ٣٣٧ – ٣٣٨، ابن عبد البر، الاستيعاب، جـ ٢، ص ٢٠٤ ، ابن هشام ، السيرة ، جـ ٤ ، ص ٢٣٣ . تبالة : بفتح التاء والباء موضع ببلاد اليمن ، وبين مكة وتبالة اثنان وخمسون فرسخاً (حوالي ٣٠٠ كيلو متر) ، وسميت بتبالة بن جناب بن مكنف من بني عمليق، وقيل غير ذلك، ياقوت ، جـ ٢، ص ٩ – ١٠ ، البلادي، جـ ١ ، ص ٣٠١ .

(١٠٣) البلاذري. فتوح البلدان، ص٧٠ – ٧١. وللمزيد انظر: ابن هشام، جـ٤ ، ص٢٣٣ ، ابن سعد، جـ١ ، ص٣٣٧، الطبري ، جـ ٣ ، ص ١٣٠ ، ابن القيم الجوزية ، جـ ٣ ، ٦٢٠ – ٦٢١ .

(١٠٤) الطبري ، جـ ٣ ، ص ١٢٦ .

(١٠٥) المصدر نفسه ، للمزيد انظر : أبو الحسن أحمد بن يحيى . أنساب الأشراف . تحقيق محمد حميد الله (القاهرة : معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية بالإشتراك مع دار المعارف ، د . ت) جـ ١ ، ص ٣٨٤ .

(١٠٦) الطبري ، جـ ٣ ، ص ١٢٧ ، ابن هشام ، السيرة ، جـ ٤ ، ص ٢٣٩ .

(١٠٧) ابن سعد ، جـ ١ ، ص ٣٣٩ ، الطبري جـ ٣ ، ص ١٢٦ – ١٢٧.

(١٠٨) الطبري ، جـ ٣ ، ص ١٢٧ .

(١٠٩) سمي بذي الغصة ، لغصة كانت تعتريه في حلقه حين يتكلم ، وكان فارساً من ذوي الرباع ، أي الذين كانوا يأخذون ربع الغنيمة التي يغنمها قومه في حروبهم مع غيرهم حضرها أم لم يحضرها . انظر : ابن هشام ، جـ ٤ ، ص ٢٤١ ، عبد الواحد محمد راغب دلال . البيان في تاريخ جازان وعسير ونجران (القاهرة : مطابع دار التعاون للطباعة والنشر ، ١٤١٦ هـ / ١٩٩٥ م ص ١٢٥ ، حاشية (٢)

(١١٠) الطبري ، جـ ٣ ، ص ١٢٧ ، للمزيد انظر : ابن سعد ، جـ ١ ، ص ٣٣٩ ، ابن جريس ، نجران ، جـ ١ ، ص ٦٤ – ٦٥ ، جواد علي ، جـ ٤ ، ص ١٨٨ وما بعدها .

(١١١) ابن هشام ، جـ ٤ ، ص ٢٤٠ ، الطبري ، جـ ٣ ، ١٢٧ .

(١١٢) الطبري ، جـ ٣ ، ص ١٢٧ – ١٢٨ ، ابن هشام ، جـ ٤ ، ص ٢٤٠ ، ابن سعد ، جـ ١ ، ص ٣٣٩ – ٣٤٠ .

(١١٣) ابن هشام ، جـ ٤ ، ص ٢٤٠ – ٢٤١ ، الطبري ، جـ ٣ ، ص ١٢٧ – ١٢٨ ويقصد بالزجر هنا ، أي نوع من الكهانة والعيافة ، والزجر للطيور هو التيمن والتطير بها ، انظر : ابن منظور ، جـ٦ ، ص ١٢ ، فعل (زجر) . وعادة الكهانة كانت من العادات السائدة عند العرب قبل الإسلام ، ويتضح من سياق الحديث أنها كانت موجودة عند أهل نجران .

(١١٤) الطبري ، جـ ٣ ، ١٢٧ – ١٢٨ ، ابن هشام ، جـ ٤ ، ص ٢٤٠ – ٢٤١ .

(١١٥) ونجد القرآن الكريم يذكر آيات كثيرة يوضح فيها لين الرسول ﷺ مع

المسلمين ، أثناء قيامه بالدعوة ، قال تعالى {فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ } (١٥٩) سورة آل عمران .

(١١٦) ابن هشام ، جـ ٤ ، ص ٢٤٠ – ٢٤١ ، الطبري ، جـ ٣ ، ص ١٢٧ – ١٢٨ ، أبو الفداء إسماعيل بن كثير . البداية والنهاية . تحقيق أحمد أبو ملحم وآخرين (بيروت : ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م) مج ٣ ، جـ ٥ ، ص ٨٨ – ٨٩ .

(١١٧) اليعقوبي ، تاريخ ، جـ ٢ ، ص ٧٩ ، ابن خلدون ، تاريخ ، جـ ٢ ، ص ٤٧٣ .

(١١٨) ابن سعد ، جـ ١ ، ص ٣٣٩ – ٣٤٠ ، ابن الأثير ، الكامل ، جـ ٢ ، ص ١٩٩ – ٢٠٠ .

(١١٩) الطبري ، جـ ٢ ، ص ١٢٨ ، ابن هشام ، جـ ٤ ، ص ٢٤٠ ، ابن كثير ، البداية ، مج ٣ ، جـ ٥ ، ص ٨٩ .

(١٢٠) المصادر نفسها .

(١٢١) المصادر نفسها .

(١٢٢) ابن سعد ، جـ ١ ، ص ٣٠٧ ، محمد حميد الله ، ص ٢٩٢ .

(١٢٣) حميد الله ، ص ٢٩٢ – ٢٩٣ ، ابن جريس ، دراسات في تاريخ تهامة والسراة ، جـ ١ ، ص ٣٥ .

(١٢٤) ابن سعد ، جـ ١ ، ص ٣٤٥ ، ابن الأثير ، أسد الغابة ، جـ ٤ ، ص ٢٨٨ ، الزرقاني ، جـ ٤ ، ص ٦٣ .

(١٢٥) الأكوع ، الوثائق ، ص ٨٧ ، ويذكر ((أنه كتب الرسول ﷺ إلى أبي ظبيان الأزدي الغامدي يدعوه ويدعو قومه إلى الإسلام فأجابه في نفر من قومه بمكة منهم مخنف وعبد الله وزهير بنو

سليم ، وعبد الله بن عفيف ، وجندب بن كعب ، وهؤلاء بمكة ، وقدم عليه بالمدينة الحجن بن المرقع ، وجندب بن زهير ، وجندب بن كعب ، ثم قدم بعد مع الأربعين الحكم بن مغفل ، فأتاه بمكة أربعون رجلاً)) المرجع نفسه ، ص ٨٧ .

(١٢٦) المرجع نفسه . ويدعى هذا الصحابي أبو ظبيان الأزدي الغامدي ، وكذلك أبو ظبيان عمير بن الحارث الأزد الغامدي ، انظر : المرجع نفسه .

(١٢٧) المرجع نفسه ، ص ٨٧ .

(١٢٨) ابن سعد جـ ١ ، ص ٣٥٣ . حرة الدجاج ، إحدى نواحي المدينة في عهد الرسول ﷺ .

(١٢٩) ابن سعد ، جـ ١ ، ص ٣٥٣ .

(١٣٠) المصدر نفسه .

(١٣١) لمزيد من التفصيلات عن وفود جرش ونجران ، انظر : اليعقوبي ، جـ ٢ ، ص ٧٩ ، ابن سعد ، جـ ١ ، ص ٣٣٨ – ٣٣٩ ، الطبري ، جـ ٣ ، ١٢٧ ، ١٣٠ ، ابن الأثير ، الكامل ، جـ ٢ ، ص ٢٠٠ ، ابن خلدون ، جـ٢ ، ص ٤٧٣ ، ابن القيم الجوزية ، جـ ٣ ، ص ٦٢٠ – ٦٢١ .

(١٣٢) ابن سعد ، جـ ١ ، ص ٣٢٨ . عمرو بن معد كرب الزبيدي دخل الإسلام في عهد الرسول ﷺ ، ثم ارتد في عهد أبي بكر الصديق ، وانضم إلى الأسود العنسي ، وبعد مقتل العنسي عاد إلى الإسلام مرة أخرى ، ثم شارك في الفتوحات الإسلامية في جبهتي الجهاد ضد الروم والفرس . للمزيد انظر : أبو عبد الله عمر الواقدي . فتوح الشام (بيروت: دار الجيل،د.ت) جـ ١ ، ص ٣٧، ابن هشام، السيرة،

جـ ٤ ، ص٢٣٠ - ٢٣٢ ، البلاذري ، فتوح ، ص١٢٦ - ١٢٧ ، ١٢٨ . ابن جريس . دراسات في تاريخ تهامة والسراة ، جـ ١ ، ص ٥٥ وما بعدها .

(١٣٣) وقعت بين همدان ومراد حرب طاحنة في مكان يسمى الردم ، ونسبت المعركة إلى هذا المكان ، فسميت بـ (يوم الردم) ، أو (يوم الرزم) ، وقد توافق حدوثها مع غزوة بدر الكبرى في السنة الثانية من الهجرة ، وأسفرت هذه المعركة عن هزيمة مراد . للمزيد انظر : ابن هشام ، جـ ٤ ، ص ٢٢٨ ، ياقوت ، معجم ، جـ ٣ ، ص ٤٢ ، الشجاع ، اليمن في صدر الإسلام ، ص ٢١٧ .

(١٣٤) ابن عبد البر ، الاستيعاب ، جـ ٣ ، ص ٢٠٠ (بهامش الإصابة) الطبري ، جـ ٣ ، ص ١٣٥ . فروة بن مسيك المرادي : من (غطيف) قال البخاري له صحبة ، وقد وفد على رسول الله ﷺ ، واستعمله على مراد ومذحج كلها . وبعث معه خالد بن سعيد بن العاص ، وبقي حتى توفي رسول الله ﷺ ، وكان له دور في مقاومة المرتدين ، ثم استعمله عمر بن الخطاب على صدقات مذحج ، سكن الكوفة ، وهو من وجوه قومه ، ولا نعرف تاريخ وفاته . ابن حجر ، الإصابة ، جـ ٣ ، ص ٣٠٥ .

(١٣٥) ابن سعد ، جـ ٥ ، ص ٥٢٤ ، الطبري ، جـ ٣ ، ١٣٦ .

(١٣٦) ابن سعد ، جـ ١ ، ص ٣٢٧ ، جـ ٥ ، ٥٢٤ ، ابن عبد البر ، الاستيعاب ، جـ ١ ، ص ٤٠٠ (بهامش الإصابة) ، الطبري ، جـ ٣ ، ص ١٣٦ .

(١٣٧) المصادر نفسها .

(١٣٨) ابن سعد ، جـ ١ ، ص ٣٤٤ ، ٣٤٥ ، ابن حجر ، الإصابة ، جـ ٢ ،

ص ٥٣٧ ، ابن الأثير ، أسد الغابة ، جـ ٤ ، ص ٢٢٧. للمزيد عن بلاد الرهاويين الذين تتداخل بلادهم مع بلاد حمير ، انظر : ابن حزم ، الجمهرة ، ص ٤١٢ ، الهمداني ، صفة ، ص ١٨١ ، ١٨٢ (الحاشية) .

(١٣٩) ابن سعد ، جـ ١ ، ص ٣٤٢ .

(١٤٠) المصدر نفسه .

(١٤١) محمد حميد الله .

(١٤٢) الأكوع ، الوثائق ، ص ١٣٩ .

(١٤٣) بارق : بطن من الأزد ، واسم بارق سعد بن عدي منازلهم في جبال السراة ، ونزلوا، الكوفة بعد ذلك. ابن حزم، جمهرة ، ص ٤٧٣ . كحالة ، معجم قبائل العرب ، جـ ١ ، ص ٥٧ .

(١٤٤) ابن سعد ، جـ ١ ، ص ٣٥٢ .

(١٤٥) المصدر نفسه ، جـ ١ ، ص ٣٥٢ .

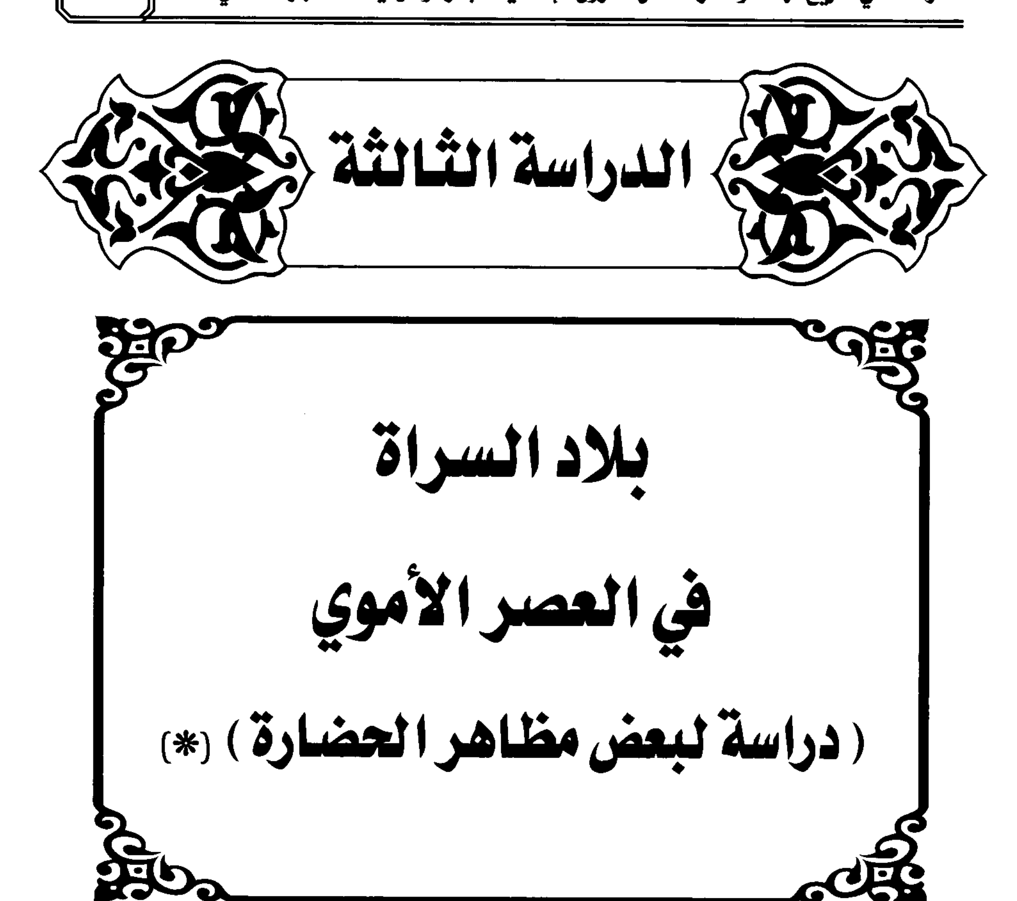
(١٤٦) المصدر نفسه ، جـ١ ، ص٣٣٢– ٣٣٣ ، انظر : غيثان بن جريس بلاد بني شهر وبني عمرو خلال القرنين ١٣/١٤ هـ (أبها : مطابع مازن ، ١٤١٣ هـ) ص ٤٤ .

(١٤٧) الأكوع ، الوثائق ، ص ٨٦ ، محمد حميد الله ، ص ٢٣٨ .

(١٤٨) حميد الله ، ص ٢٣٨ .

(١٤٩) المرجع نفسه ، ٢٣٨ — ٢٣٩ ، الأكوع ، الوثائق ، ص ٨٦ .

(١٥٠) ابن سعد ، جـ ١ ، ص ٣٤٨ – ٣٤٩ .



الدراسة الثالثة

بلاد السراة في العصر الأموي

(دراسة لبعض مظاهر الحضارة) (*)

إعداد

أ . د. غيثان بن علي بن جريس

(*) بحث قدم ضمن أعمال الندوة العالمية الرابعة لدراسات تاريخ الجزيرة العربية ، الجزيرة العربية في العصر الأموي (الأحد – الثلاثاء ٧–٩/١١/١٤٢٠هـ / ١٣–١٥/ نوفمبر / ٢٠٠٠م) ، بجامعة الملك سعود ـ كلية الآداب . وقد نشرت هذه الدراسة في الكتاب الرابع من دراسات الجزيرة العربية، والخاص بالعصر الأموي ، ص ١٤٩–١٦٤.

أولا : تمهيد :

يهدف هذا البحث إلى محاولة معرفة بعض الجوانب السياسية والحضارية لبلاد السراة [١] ، الممتدة من الحجاز شمالاً إلى اليمن جنوباً ، خلال العصر الأموي .

وقد أدت صعوبة تضاريس المنطقة (من جبال ، ووهاد ، وهضاب وعرة المسالك) إلى إحجام المؤلفين الأولين (من الجغرافيين والمؤرخين) عن سبر أغوارها والكتابة عنها وهذا من الأسباب التي جعلتني أخوض بقلمي مع صعوبة مهمتي في الحديث عنها . ويعد الحسن بن أحمد الهمداني الشخصية المعرفية في أرض السراة وسكانها ، لكثرة تنقله في أرجائها .[٢]

ولم يقتصر الهمداني في كتابه صفة جزيرة العرب على وصف الأماكن وتسميتها بأسمائها الجغرافية ، أو بأسماء القبائل أو العشائر القاطنة فيها ، وإنما يذهب إلى أبعد من ذلك ، حيث يذكر مواقع هذه القبائل أو العشائر في بعض المواطن من بوادٍ ونجود وسهول وأغوار ، متتبعاً أفخاذ هذه العشائر أو القبائل في الأماكن التي استقرت فيها ويمكن استعراض مظاهر الحضارة في بلاد السراة على النحو التالي .

ثانياً : التبعية الإدارية والسياسية لبلاد السراة خلال العصر الأموي :

رغم أن المصادر الإسلامية المبكرة شحيحة في معلوماتها عن الحياة الإدارية لبلاد السراة ، لكن من المؤكد أنها كانت تتبع إدارياً أمراء الدولة الإسلامية في الحجاز ، والذين كانوا يعينون على تلك الناحية من قبل خلفاء

المسلمين الأول . ففي العصر الأموي نجد الفاسي يذكر أن الخليفة معاوية بن أبي سفيان ، في بداية خلافته ، عين أخاه عتبة بن أبي سفيان على مكة وما يتبعها من أرض السراة ونجران ، وعين أحمد بن خالد بن العاص على المدينة ، وقيل مروان بن الحكم ، وبعد ذلك عزل أخاه ، وأضاف ولاية مكة والطائف إلى مروان بن الحكم ، فأصبح بذلك والياً على الحجاز بكامله . ثم عزله عام (٤٩هـ /٦٦٩م) وولي سعيد بن العاص بن سعيد بن العاص ، وكان سعيد يقيم في المدينة وجعل ابنه عمراً نائباً عنه في مكة والطائف وما يتبعهما نحو الجنوب [٣] . وجمعت أيضاً لعمرو بن سعيد بن العاص (الأشدق) عام (٦٠ هـ/٦٧٩م) في عهد يزيد بن معاوية .

وعقب موت يزيد في (١٤) من ربيع الأول (٦٤هـ/٦٨٣م) [٤]. قوي أمر ابن الزبير في مكة وما يتبعهما من أرض السراة (يساعده الحارث بن حاطب الجمحي) ، وظل أمره كذلك حتى خلافة عبد الملك بن مروان .

عمل عبد الملك على استعادة الحجاز . فبعث قواته بقيادة الحجاج بن يوسف الثقفي الذي تغلب على ابن الزبير ، في جمادى الأولى عام (٧٣هـ/٦٩٢م) ، وأخضع الحجاز واليمن لطاعة بني أمية ، ولذا فإن عبد الملك بن مروان ولاه عليها جميعاً [٥] ولم يسبق لها أن اجتمعت لوال قبله ، وعين الحجاج ولاة من قبله على تلك المناطق كنواب عنه يديرونها ، وهو المرجع لهم ، كان منهم أخوه محمد بن يوسف الثقفي والياً على بلاد السروات الممتدة من الطائف حتى صنعاء .[٦] فلما انتقل الحجاج إلى العراق عام (٧٥هـ/٦٩٤م) والياً عليها عقب وفاة واليها بشر بن مروان ، أصبح

ولاة تلك المنطقة يراجعون مباشرة الخليفة عبد الملك بن مروان ، وكان منهم الحارث بن خالد بن العاص المخزومي ، والي مكة والطائف والسراة ، (وقد سبق له أن تولاهما في عهد يزيد بن معاوية) ، كما كان على المدينة يحيى بن الحكم بن أبي العاص ، عم الخليفة عبد الملك[٧]. واستمر محمد بن يوسف الثقفي - أخو الحجاج - والياً على اليمن وأصبح مرجعه المباشر هو الخليفة ، إلى أن توفي هذا الوالي عام (٩١هـ/٧٠٩م) بعد (١٨) عاماً من ولايته لها [٨] وتقلد ولاية مكة والطائف وما يتبعهما كثير من الولاة في عهد بني أمية ، وبالأخص في عهد عبد الملك بن مروان ، كما وليهما في عهد ابنه الوليد بن عبد الملك ، الخليفة العادل عمر بن عبد العزيز ، وأضيفت له المدينة المنورة فكان والياً على الحجاز بكامله ، واستمرت ولايته من عام (٨٦هـ/٧٠٥م) حتى عام (٩٣هـ/٧١١م) وقيل عام (٩١هـ /٧٠٩م)[٩] كما تولى ولاية مكة والطائف وما يتبعهما نحو الجنوب، أكثر من مرة ، خالد بن عبد الله القسري البجلي .

ونلحظ أن بعض الولاة جمعت له الولايات الثلاث : مكة والمدينة والطائف ، بما يتبعهم نحو الجنوب كجرش وبيشة ونجران مثل : عمر بن عبد العزيز كوال لها في عهد الوليد بن عبد الملك ، وعبد الرحمن بن الضحاك القرشي عام (١٠٣هـ/٧٢١م) ، ثم الذي خلفه في ولايتها وهو : عبد الواحد بن عبد الله الثقفي وكان عبد الواحد قد ولي الطائف فقط عام (١٠٣هـ/٧٢١م) عقب عزل عبد العزيز بن عبد الله بن أسيد ، ثم ضمت إليه الولايات الثلاث عام (١٠٤هـ/٧٢٢م) وأيضاً إبراهيم بن هشام بن

إسماعيل المخزومي ـ خال هشام بن عبد الملك ـ الذي وليها من عام (١٠٦هـ/٧٢٤م) حتى عام (١٢٥هـ/٧٤٢م) ، ويوسف بن محمد بن يوسف الثقفي ـ ابن أخي الحجاج بن يوسف ، وخال الخليفة الوليد بن يزيد ـ حيث تولاها عام (١٢٦هـ/٧٤٣م) ، وفي الوقت نفسه كان أخوه مروان بن محمد بن يوسف الثقفي والياً على اليمن ، وجمعت أيضاً لعبد الواحد بن سليمان بن عبد الملك بن مروان عام (١٢٩هـ/٧٤٦م)(١٠).

وكان يحصل أن تنفرد ولاية بوالٍ مستقل ، يتلقى تعليماته مباشرة من قبل الخليفة ،من هؤلاء هشام بن أبي سفيان الثقفي ، الذي ولي أمر الطائف وما يتبعها نحو الجنوب دون ولاية مكة وذلك في عهد يزيد بن الوليد (١١).

ونلحظ من سياسة معاوية حرصه على اختيار الولاة من ذوي الحزم والحكمة في الاضطلاع بشؤون الرعية ، مع ميله إلى إسناد تلك المناصب إلى رجالات بني أمية ، أو من يلوذون في فلكهم ، فإذا رغب في أن يولي أحداً من بني أمية ولم يسبق له أن تقلد منصب ولاية ولاه ولاية محدودة تتسم بالهدوء والاستقرار ، مثل ولاية الطائف التي لا تردها وفود ، أو يطرق أرضها إلا عابر ، فإذا رأى منه خيراً وأعجب بحسن سيرته وإدارته أضاف إليه ولاية أخرى ، مثل ولاية مكة أو نقله إلى ولاية تستحق رعاية وسهراً دائماً ، لكثرة ما فيها من اضطراب ، كالبصرة والكوفة .(١٢) وهذا ما فعله مع أخيه عتبة بن أبي سفيان ، ففي بداية تقلده المناصب ولاه ولاية الطائف وحدها ، و بعد عدة أشهر أضاف إليه ولاية مكة وبلاد السراة الممتدة من

الطائف إلى نجران بعد أن لمس فيه حسن الإدارة ، وتصريف شؤون الولاية ، وكذلك مع مروان بن الحكم ، فقد ولاه المدينة أولاً ثم أضاف إليه مكة والطائف وما يتبعهما ، بعد عزل عتبة لمرضه ، وهذا في حد ذاته يعطينا مؤشراً على مدى اهتمام خلفاء بني أمية بتلك الولايات الثلاث وتوابعها ، وإسنادهم إياها إلى ذوي الكفاءة والمقدرة .

ونلاحظ أن عمر بن عبد العزيز عندما ولي خليفة عام (٩٩هـ/٧١٧م) عقب وفاة سليمان بن عبد الملك ، اختار ولاته من ذوي الورع والعلم وحسن الإدارة في سياسة الرعية ، فأبقى على عبد العزيز بن عبد الله بن خالد بن أسيد ، والي مكة والطائف وما يتبعهما في عهد سليمان بن عبد الملك ، وكان لعمر مشورة من قبل في تعيينه والياً على مكة من قبل سليمان ، كما عين على المدينة أبا بكر محمد بن عمرو بن حزم الأنصاري ، وهو من فقهاء المدينة المشهورين.[١٣] ويأتي يزيد بن عبد الملك فيفصل ولاية الطائف وما يتبعها من بلاد السراة عن ولاية مكة ، ويولي عليها عبد الواحد بن عبد الله من ثقيف ، ويولي مكة والمدينة عبد الرحمن بن الضحاك بن قيس الفهري ، وذلك عام (١٠٣هـ/٧٢١م) [١٤]. لكن لم تلبث أن انضمت تلك الولايات الثلاث تحت والٍ واحد في عهد هشام بن عبد الملك وإلى نهاية عهد بني أمية في معظم الأحوال .

ثانياً : الحياة الاجتماعية :

أما الحياة الاجتماعية في بلاد السراة ، كما تخبرنا بعض المصادر الإسلامية المبكرة ، فقد بينت أن التركيبة السكانية في هذه البلاد تقوم على

القبيلة ، مشيرة إلى مواطن القبائل وفروعها في هذه البلاد ، فمثلاً ، قبائل الأزد بمختلف فروعها استوطنت البلاد الواقعة ما بين نجران وجازان إلى الطائف وتهائم مكة في الشمال ، وقد اختلط مع هذه القبائل ، قبائل عدنانية ، والاختلاط بين القبائل العدنانية والقحطانية في بلاد السراة قائم منذ أمد .[١٥] الأمر الذي أدى إلى اندماج العشائر النزارية مع القبائل الأزدية ، باعتبار الأولى أقل عدداً من القبائل الأزدية القحطانية ، فاندمجت بها أحياناً تحت ظروف القهر والغلبة ، أو الجوار والمصاهرة ، ويفهم من حديث الهمداني عندما قال : ((**ثم سراة زهران من الأزد، ودوس ، وغامد ، والحر، نجدها بنو سواءة بن عامر ، وغورها لهيب ، وعويل من الأزد وبنو عامر ، وبنو سواءة خليطي والدعوة عامرية**)) .[١٦] بأن الاختلاط والاندماج كان قائماً ، فبنو سواءة خليط من أفخاذ وعشائر سواءً كانت قحطانية أو عدنانية ، وأحياناً يكون خليط مجموعة من العشائر مندرجاً تحت مظلة واحدة أو اسم قبيلة أو عشيرة معينة .

وفي حديث بعض المصادر عن السراة ، لم تذكر وجود طبقة معينة من العبيد بها ، ولكن لا نستبعد أن يكون قد وجد بها نسبة منهم ، لأجل وقوعها في الوسط بين حواضر الحجاز واليمن الكبرى ، التي اشتهرت بنشاط أسواقها في بيع العبيد وشرائهم ، وغيرهم من السلع المختلفة ، إلى جانب أن أغوار بلاد السراة تطل على البحر الأحمر الذي يوجد به عدد من الموانئ التي كان لها صلات جيدة مع مصر والحبشة والسودان والصومال وغيرها من بلاد العالم .[١٧] أما طبقة الموالي في بلاد السراة فقد أوردها أحد

المصادر الإسلامية المبكرة صراحة عند حديثه عن جرش فقال : ((**وفي شق قرية جرش فرق من النزارية يدعون الجزارين من موالي قريش**)) .[١٨] ولعل جرش نالت هذا التخصيص بسبب كثرتهم ، الأمر الذي أدى إلى فرض وجودهم ، مع العلم أن النص الذي أورده هذا المصدر لا يوضح إلى من ينتسب إليه أولئك الموالي من قريش [١٩] . ولكن الأهم من ذلك أنه ربط مهنة الجزارة بالموالي دون سواهم ، لأن القبائل العربية تأنف أن تتخذ مثل هذه المهن وأشباهها ، وفي هذا يقول ابن خلدون في فصل خاص بمقدمته : ((**أن العرب أبعد الناس عن الصنائع**)) [٢٠] والملاحظ أن المهن إلى اليوم لها انعكاسات على أصحابها في بعض المجتمعات العربية .

وأثناء حديث المصادر الإسلامية الأولى عن مواطن السكان ومجاورتهم بعضهم بعضاً ، لم تذكر معلومات عن نوعية مساكنهم ومرافقها، ولم توضح كيف تبني بيوتهم، وكيف تصمم ، ونوع الأثاث الذي كان يوضع بها مع العلم أن بعض تلك المصادر ذكرت تفصيلات عن بناء البيوت ومرافقها في حواضر اليمن الكبرى ، فأشارت إلى سعة بعض الدور ، عند الأغنياء خاصة في صنعاء وغيرها من المدن الكبرى ، واستخدام الحجارة في البناء على هيئة طابقين ونادراً ما تكون أكثر من ذلك ، وغيرها من المعلومات الجيدة حول البناء وما يتعلق به .[٢١] ونظراً للمجاورة بين بلاد السراة وحواضر اليمن فليس ببعيد أن يكون شكل بعض الأبنية والمواد المستخدمة في بنائها مثلما هو الحال في صنعاء وغيرها .

والطريف في روايات الرحالة الهمداني أنه لم ينس ذكر بعض الأماكن التي وجد بها بعض المراكز الحضارية ، فيذكر منطقة جرش قائلاً : **((ويسكنها بنو عبد الله بن عامر من عنز ، ثم تندحة ، وهي العين من أودية جرش ، وفيها أعناب وآبار وساكنه بنو أسامة من الأزد ، ورأيت بعضهم ينجذب إلى شهران العريضة ، والعيبا بلد مزارع لبني أبي عاصم من عنز ، ويليها وادي طلعان كثير المزارع لبني أسد من عنز ، والقرعا لشيبة من عنز ولهم قرية كبيرة ذات مسجد جامع يقال لها المسقي وهم مسالمون للعواسج))** .[٢٢]

وعلي نحو هذا العرض الذي تفرد به الهمداني لبعض أجزاء بلاد جرش ، نجده أيضاً يذكر أسماء بعضها ، وبقي أسماء بعض آخر إلى يومنا هذا ، وكل ما ورد ذكره فهو يغطي أجزاء من المناطق المعروفة حالياً بخميس مشيط ، وأحد رفيدة ، ومنتزه القرعا والجرة وما حولهما . ونراه ينوه بذكر شيبة من عنز في أرض القرعاء (الفرعاء حالياً)، وبين أن لهم قرية كبيرة ذات مسجد جامع ، فهذا يدل على دقة ملاحظته ، فلم يكن يغفل عن حجم القرية التي كانت كبيرة ، وبها مسجد جامع للمصلين.[٢٣] عندما كان يعبر بلاد السراة في ذهابه وإيابه ما بين الحجاز واليمن . ولم يكن أيضاً يغفل عن ذكر بعض المراكز الحضارية ، وتجمعات المواطن السكنية بها . فيورد أسماء بعض القرى الهامة في جرش ، كتندحة ، وغيرها ، ثم يذهب إلى سراة بلاد الحجر ، فيذكر بها تنومة ، ثم يقول : **((وهي وادٍ فيه ستون قرية أسفله لبني يسار ، وأعلاه لبلحارث بن شهر))** .[٢٤] ثم يشير إلى مدينة

الجهوة التي تأتي في المرتبة الأولى قبل جرش ، ويواصل تدوين ملاحظاته الجيدة عن بعض القرى في سراة خثعم ، وبلقرن ، وشمران ، وغامد ، وزهران ، وبجيلة حتى مدينة الطائف ، والملاحظ أن الأماكن التي أشار إليها لم تبق على ما كانت عليه ، بل تغيرت في تقسيماتها ، وأحياناً في أسمائها ، فعلى سبيل المثال كانت في منطقة الجهوة في زمنه تأتي في المرتبة الأولى قبل جرش ، وهي من أرض بني شهر لسراة الحجر ، لكنها في الوقت الحاضر أصبحت جزءاً صغيراً من قرية بني بكر التابعة لمنطقة النماص.(٢٥)

أما الموائد والأطعمة التي حفظتها لنا بعض المصادر الأولية ، فكان جلها من الثريد، وهو عبارة عن خبز يفت ويبل بالمرق ، ويوضع فوق اللحم(٢٦) . ولعله يشبه ما يسمى ببلاد الشام (بالفتة) . والمضيرة ، وهي طبيخ اللحم باللبن حتى ينضج وتخثر المضيرة ، ثم تعد للأكل ، وموائد أخرى تتضمن الخبز ، والزبد ، واللبن ، والحليب ، واللحوم . وجميع هذه الأطعمة محلية لتوافر موادها في بلادهم ، فالقمح ، والذرة ، والشعير تزرع في السراة بكميات كبيرة . أما اللحوم والحليب ، فتؤخذ من مواشيهم الموجودة بكثرة حسب المراعي الشاسعة . وأشاد الهمداني بنوع من الأطعمة ، يسمى اللحوح (ولا يزال معروفاً في بلاد السراة إلى وقتنا الحاضر) ، وهو خبز رقيق يصنع من الذرة ، ويستخدم عادة مع اللبن ، وقد لا حظ رقته فوصفه بالقول : ((**إنه إذا وقع في اللبن استرخى فلا يحتمل إلا بأكثر الأصابع**)) .(٢٧) وأشار إلى أطعمة السفر الذي يتزود بها المسافر من اليمن إلى الحجاز، وربما تزود بها أهل السراة ، فقال : ((**وكنا نستعمل في**

أسفارنا الخبز والسمن واللحم والكشك والمهاد)) .[٢٨] وكان من أفضل المشروبات عند أهل السراة شراب اللبن مع الزبدة ، ومن أفضل المأكولات السمن الذي يستخرج من ألبان المواشي ، حيث كانوا يستخدمونه مع الخبز والعصيد والهريس[٢٩]. وهذا النوع من الطعام مازال مرغوباً وخاصة عند المسنين من أهل تهامة السراة .

وبالنسبة للعادات والتقاليد عند أهل السراة كالكرم ، والشجاعة فهو أمر معروف . وأما عن التكافل والتآزر ، سواءً في المواسم أو الأعياد أو المآتم أو غيرها من المناسبات ، فقد أشارت المصادر إلى ذلك باقتضاب شديد حينما تتحدث عن النواح (البكاء والعويل) أثناء المآتم بأرض السراة ومشابهته بنواح اليمن ، وتبين أن غالبية الذين يقومون به هم من النساء والعبيد الموالى.[٣٠]

رابعاً : الحياة الاقتصادية :

أما عن الحياة الاقتصادية في هذه البلاد التي حباها الله بعدة مزايا تؤهل ساكنيها على مزاولة العيش فيها ، فهناك المراعي ، والأراضي الزراعية الخصبة ، وهناك الموقع الجغرافي الهام ، كل هذا ساعد على امتهان الرعي ومزاولة الزراعة والتجارة ، والحرف اليدوية على مختلف أنواعها ، فالرعي عند أهل البادية من المهن الأساسية في الحياة ، يشاركهم فيها ـ أحيانا ـ أهل الحضر ، ونتيجة لكثرة المراعي وأهميتها في مقومات الحياة ، فقد ذكرها الهمداني في كتابه صفة جزيرة العرب فقال : **((والصحن مراعي لبني شهر نجديها مما يصلي ببيشة))** .[٣١] ويبدو أن المناطق الشرقية من السراة تمتاز بكثرة مراعيها ، مما جعلها منطقة رعي عندهم إلى زمن قريب ، والأكثر من

هذا أننا نجد حواضر تزاول الرعي إلى جانب الزراعة، وهذا مما يعبر عنها عند علماء الاجتماع بنهاية مرحلة الانتقال وبداية مرحلة الاستقرار الدائم ، مع التنوع في أساليب العيش لتحسين الدخل.

ومن المواشي التي ورد ذكرها في بعض المصادر خلال القرون الإسلامية الأولى عند أهل السراة ، (وبقيت إلى زمن قريب) الماعز ، والضان ، يليها الإبل ، التي كانت تكثر في المراعي الشرقية للسراة لما يناسبها من اتساعها وتوافر أعشابها ، إلى جانب الأبقار والمطايا من الحمير وغيرها في البلاد السروية عامة ، وفي الأجزاء النجدية والتهامية معاً . وقد ذكر الهمداني أفخاذاً وعشائر في مناطق متعددة من بلاد السراة ، اقتصر عملهم على رعي الماشية ، وجمع الحطب ، وصيد الحيوانات البرية ، ومعظمهم من سكان المناطق الشرقية للسراة .[٣٢] ويبدو من كلامه أيضاً ، أن الزراعة كانت لها الأولوية بين المهن ، لكثرة المزارع والبساتين وما بهما من خضر وفاكهة ، ويعود ذلك لوفرة المياه من الآبار والأودية ، ونزول الأمطار في معظم أيام السنة بسبب هبوب الرياح الموسمية على اليمن وعلى بلاد السراة بشكل عام ، ومما يجدر ذكره بهذا الخصوص قوله: ((**وبسراة الحجر البر ، والشعير ، والبلس ، والعتر ، واللوبيا ، واللوز، والتفاح ، والخوخ ، والكمثرى ، والإجاص والعسل**)) .[٣٣] ويذكر ثانية سراة الحجر ، ثم نحيان واد مستقبل القبلة فيه التفاح واللوز والثمار،[٣٤] . ويذكر عدة أصناف من المحاصيل الزراعية التي اعتاد الفلاحون زراعتها ، في بلاد جنب ، وعنز ، وغامد ، وزهران ، وبجيلة ، وغيرها من المناطق الأخرى ،

وإن دل هذا على شيء فإنما يدل على صلاحية المنطقة للزراعة، لما تحويه من وفرة المياه ، وخصب التربة ، لكن مع الأسف لا نجد ذكراً لأساليب من الزراعة المستخدمة في المنطقة ، ولا كيفية بناء المدرجات الزراعية وحفر الآبار لاستخراج الماء من باطن الأرض ، رغم وجودها منذ زمن بعيد (٣٥) .

والملاحظ أن هذه المنطقة غنية بالأشجار والأعشاب البرية ، ومن هذه الأشجار : شجر الطرفاء ، والأثل ، والسلم ، والقرض والشبرم والشوحط ، والتالب ، والشث وغيرها. (٣٦)

أما الحرف والمهن اليدوية في بلاد السراة ، فلم تكن تهتم المصادر الإسلامية المبكرة بذكرها بشكل واضح ، وهذا لا يعني أنه لم يكن هناك العديد من الحرف التي يتم مزاولتها لدى أهل البلاد ، والسبب الذي يجعلنا نجزم بوجود بعض منها ، هو أن المقومات الأساسية لبعض الحرف كانت متوافرة ، وأشار الهمداني إلى بعضها ، فمثلاً حرفة الدباغة كانت تحتاج إلى مناخ معتدل ، وإلى جلود المواشي ، وكذلك إلى بعض أوراق الأشجار المهمة في عملية الدباغة ، وكل هذه الأشياء في متناول أيدي أهل السراة(٣٧) . وقس على مهنة الدباغة مهناً أخرى ، كالخرازة ، والحدادة ، والخياطة ، والصياغة وغيرها من الحرف الكثيرة (٣٨)

ولم يغفعل الهمداني عن ذكر الجانب التجاري في بلاد السراة أثناء تجواله في ديارها من الجنوب إلى الشمال بسبب امتهانه مهنة الجمالة ، حيث كان هو وصحبه ومن شاركهم في هذه المهنة يحملون أمتعة المسافرين والتجار على جمالهم ، لكنه مع الأسف لم يذكر لنا تقاليدهم المتبعة في هذه المهنة ،

من حيث الأجور ، هل تحسب بحساب الزمن ونوع الأمتعة ، أم بالمسافة وكمية الأمتعة ، كما أنه لم يشر إلى كيفية التعامل والتبادل التجاري الذي كان معمولاً به في المراكز التجارية ببلاد السراة ، ولا إلى الأعراف التجارية والعقود المبرمة بين أصحاب المهن والتجار ، في كل من حواضر اليمن والحجاز، كالطائف ومكة المكرمة ، والمدينة المنورة ، وصنعاء ، وصعدة ، وغيرها من الحواضر الأخرى ، حيث نشطت التجارة في هذه الحواضر ـ منذ أمد بعيد ـ حتى أصبح لها تراث تجاري زاخر في التقاليد والأعراف التجارية ، وهذا ما أشاد به الجغرافيون والرحالة المسلمون الأول ، وخاصة ممن كانت مؤلفاتهم في ذكر الأقاليم ، وما يوجد بها من خبرات ، وذكر المسافة فيما بينها (٣٩) . وخص أولئك الجغرافيون الطرق التجارية التي كانت تربط الحجاز باليمن مارة ببلاد السراة ، ابتداءً من صنعاء وانتهاء بمكة المكرمة ، فذكروا الطريق الممتد من صنعاء ماراً بصعدة ، فجرش ، فبيشة حتى الطائف ثم مكة المكرمة ، والأكثر طرافة في الأمر أن الهمداني ذكر طول المسافة بين كل محطة وأخرى بالأميال ، وهذا يعكس لنا دقته في قياس طول الطريق أثناء ذهابه وإيابه منها (٤٠) . وذكر الطريق الساحلي الذي يربط الحجاز باليمن ماراً بالسهول الواقعة على الساحل بمحاذاة البحر الأحمر ، ذاكراً المراكز والمحطات التي يمر بها بعد مروره من اليمن ، ومن تلك المراكز، حلي ، وقنونا ، ودوقة ، والسرين ، والليث ، وغيرها حتى يصل مكة المكرمة ، وهناك طريق تجاري آخر يصل حضرموت بمكة المكرمة ، ويلتقي مع طريق صنعاء مكة المكرمة في محطة تبالة (٤١) .

خامساً : الحياة العلمية والفكرية :

كان الجو العلمي والفكري في السراة مناسباً لنمو البذور العلمية بسبب وضع السراة المميز ما بين اليمن والحجاز فلابد أن تنال قسطاً وافراً من العلم سواءً من علماء اليمن أو علماء الحجاز ، خاصة وأنها معبر لأهل اليمن أثناء توجههم لمكة والمدينة . والقارئ لكتب التراجم وغيرها من كتب الأولين ، ككتاب الطبقات لابن سعد ، وأسد الغابة في معرفة الصحابة لابن الأثير ، والإصابة في تمييز الصحابة ، وتهذيب التهذيب لابن حجر العسقلاني ، والأغاني لأبي الفرج الأصفهاني ، ومعجم الأدباء لياقوت الحموي ، وسير أعلام النبلاء للذهبي ، كل هذه الكتب وغيرها يجد فيها القارئ معلومات قيمة عن علماء وفقهاء ، وشعراء وأرباب سيف وغيرهم ، عاشوا في حواضر هذين القطرين (اليمن والحجاز) وفي غيرهما من حواضر العالم الإسلامي ، كالكوفة ، والبصرة ، ودمشق ، وبغداد ، وغيرها ، وبعضهم كانوا بالمولد من أهل السراة ، وهم حجازيون ، أو يمنيون ، أو كوفيون ، أو دمشقيون بالاستقرار . ولكن مع الأسف لم نجد لهذه المنطقة (السراة) ذكراً واسعاً وصريحاً في مثل هذا المجال . ولعل السبب في ذلك يعود إلى اهتمام المؤرخين والمؤلفين بشكل عام بالمراكز الحضارية الشهيرة في العالم الإسلامي ، أكثر من اهتمامهم بالمناطق المغمورة ، والواقع أن منطقة السراة ظلت منسية ردحاً من الزمن .

ونجد بعض المصادر الأولية تدون لنا معلومات يسيرة استفدنا منها بعض الشيء في معرفة أحوال بلاد السراة من جميع الجوانب ، لكن على الرغم من أهميتها ، فإنها لم تفِ بالمطلوب في معرفة الحياة العلمية وأساليب

التعلم فيها ، وفي التعرف على الشعراء والأدباء والعلماء الذاهبين إلى بلاد الحجاز أو اليمن التي كانت أسعد حظاً من منطقة دراستنا . وسوف نستعرض بعض الشعراء من أبناء السراة خلال العصر الأموي .

١. **ابن الدمينة :** وهو عبد الله بن عبيد الله أحد بني عامر بن تيم الله [٤٢] . لم يعرف تاريخ ولادته ووفاته وإنما عاش ومات خلال النصف الأول من القرن الثاني الهجري متنقلاً في أرض الجزيرة العربية من بلاد السراة إلى صنعاء والشام وبغداد ، ومن أسماء الأماكن في السروات والتي وردت في قصائده وتدل على انتمائه إليها قوله في بيشة (ممتدحاً معن بن زائدة) [٤٣]

لولا رجاؤك لم أسر من بيشة   عرض العراق بفتية ورواحل [٤٤]

وذكر في أبيات أخرى أسماء المواقع في بلاد قحطان وشهران والحجر ، كما ذكر أبياتاً كثيرة يفتخر بقومه خثعم ، فيقول :

وخثعم قومي ما من الناس معشر   أعم ندى منهم وأنجى لخائف [٤٥]

٢. **أحمد بن يزيد بن عمرو القشيبي:** [٤٦] وهذا الشاعر ينتهي نسبه إلى حمير ، ثم يعرب بن قحطان ، وكان يسكن بصعدة مع صديقه الشاعر محمد بن إبان الخنفري [٤٧] . في عهد الدولة الأموية ، وكان صديقاً وحليفاً وصهراً له فقد تزوج من أخته الفارعة ابنة أبان .

ولما نشبت الحرب بين الربيعة والسعديين قام القشيبي مع ابن أبان في هذه الحرب وأفرى في السعديين وذلك على حد المصاهرة والحميرية كما يقول الهمداني إذ لم يكن للشاعر شأن بهذه الحرب .

ولما اصطلح الحيان وعادت بطون السعديين وأحس أنه قد أوجع القوم في حرب لم يكن طرفاً فيها خاف على عقبه من بني سعد بن سعد فارتحل إلى نجد وحالف بعض القبائل اليمنية كزبيد ونهد وجنب حتى يعتز بهم ويقوى ثم تقدم فنزل رياض تنادح (ببلاد شهران حالياً) في جمع من أهل بيته وخدمه وحواشيه ومن رغب الظعن معه من قومه [٤٨] .

ولما طال المكث به وتمادى في المقام اجتمعت إليه قبائل عنز (عسير) وكلمته في النزول بأرضها وأحميتها فسألهم المهلة حتى يعود رواده الذين بعثهم إلى نواحي الطائف وأنه لمرتحل ، ولكن عنز رأت ذلك مماطلة ومدافعة منه ، وألحت عليه في طلب الارتحال ، وكره سرعة الرحيل ، وجرت بينه وبين القوم مشادة وملاحاة حتى فزع كل فريق إلى سلاحه ، وبعث الشاعر الصريخ يستنجد بأحلافه زبيد وجنب ونهد وكان منهم حلال بالقرب منه فأنجدوه ، واقتتل الفريقان قتالاً شديداً انهزمت بعده عنز بعد أن قتل جمع من أشرافها ورؤسائها . وبعدها ارتفع الشاعر من رياض تنادح إلى قرية جرش حتى يكون قريباً من أحلافه واستوطنها ولكن الحرب لم تنته بل ظلت مشتعلة بين الحيين . وكانت له أشعار ومناقضات مع محمد بن أبان في تلك الحرب وكان يبعث بها إليه في صعدة [٤٩] .

ولم يحدد الهمداني الذي أورد أخباره مكان وفاته وزمانها ، ولم تذكر المصادر الأخرى شيئاً عنه وستظل وفاته مجهولة لنا إلى أن تكشف لنا كتب التراث هذا المجهول.

وشعر أحمد بن يزيد قوي الأسلوب فخم التعبير يمثل العصبية القبلية عامة والعصبية اليمنية خاصة . ولعلنا نلمس هذه الشدة في اللفظ والمعنى في

قصيدته التي بعث بها إلى محمد بن أبان يصور فيها بلاءه وبلاء أحلافه حيث يقول:

لقد لفلفت عنز علينا وأجلبت	ودبت إلينا في كتائبها تسري
وساقت علينا من معد قبائلاً	تبختر في الماذي في الحلق الخضر
فقالت معد ارحلوا من سيوفنا	وخلوا بلاد الأكرمين ذوي الفخر
فسارت إلينا من زبيد عصابة	وقالوا لنا بالجد منهم وبالنصر
وجاءت بنو نهد بن زيد بعارض	من المزن وأني الرعد منبجس القطر
وأردف من يام وحي عدية	فوارس ليسوا الميل في ساعة الكر
وغوري جنب في عرين حبيضة	يرن عزيف الجن في شاهق وعر

ويمضي على هذا النحو إلى آخر القصيدة التي تبلغ أربعة وعشرين بيتاً ينتقل من معنى إلى معنى في قوة الفارس وصلابة المحارب (٥٠).

٣ ـ **جعفر بن علبة بن ربيعة الحارثي:** ينتهي نسبه إلى يعرب بن قحطان. ويكنى بأبي عارم وهو ابنه وفيه يقول عند مقتله.(٥١)

أوصيكم إن مت يوماً بعارم	ليغني شيئاً أو يكون مكانيا

ولد هذا الشاعر ونشأ بنجران بلاد بني الحارث بن كعب، وكان فارس قومه وشاعرهم، كما كان أبوه شاعراً أيضاً. وكغيره من شعراء عصره لم نجد تحديداً لميلاده أو أخباراً عن نشأته الأولى. وكل ما نعرفه من أخبار هذا الشاعر تلك الحادثة التي أودت بحياته، ولكنها حفظت لنا بعض

أخباره وهي حادثة قتله لأحد العقيليين ورفع أمره لوالي مكة ثم حبسه والقود منه بقتله . والتي اضطربت الروايات حولها واختلفت . ولعل أبا الفرج الأصفهاني خير من يعطينا صورة لهذا الاضطراب وذاك الاختلاف حيث يقول : ((**وكان جعفر قتل رجلاً من بني عقيل : قيل : إنه قتله في شأن أمة كانا يزورانها فتغاير عليها . وقيل : بل في غارة أغارها عليهم . وقيل: بل كان يحدث نساءهم فنهوه فلم ينته، فرصدوه في طريقه إليهن فقاتلوه فقتل منهم رجلاً فاستعدوا عليه بالسلطان فأقاد منه**)) .[٥٢]

ومهما يكن من أمر هذا الاختلاف فإن الشاعر قد رفع من نجران وحبس بمكة [٥٣] في القرن الثاني للهجرة ، وتردد الوالي في قتله لخؤولة أبي جعفر المنصور في بني الحارث بن كعب ، ولكن العقيليين أقاموا القسامة عليه وهددوا الوالي إن لم ينصفهم ليقدمن على الخليفة المنصور ، ويجيب الوالي بعد هذا التردد بقتله .

وكما اختلفت الروايات في تحديد أسباب الحادثة التي أدت إلى مقتل الشاعر اختلفت في تحديد زمان ومكان القود منه ، فبينما نجد أن أبا الفرج الأصفهاني يذكر أن الحادثة كانت في عهد أبي جعفر المنصور وأن الوالي على مكة كان السري بن عبد الله الهاشمي وأنه نسخ ذلك من كتاب عمرو بن أبي عمرو الشيباني بأثره عن أبيه [٥٤] إذ به ينقل عن ابن الكلبي أن الحادثة كانت في عهد إبراهيم بن هشام المخزومي ، ومن ثم فإن الرواية تقرر أنه قتل في عهد هشام بن عبد الملك بن مروان . وإذ به يعود وينسخ من كتاب للنضر بن حديد يقرر فيه أنه قتل في عهد المنصور وأن الوالي على مكة

كان السري بن عبد الله الهاشمي . وبعد نقل صاحب الأغاني لهذه الروايات نجد التبريزي في شرحه على حماسة أبي تمام يقرر وبدون تردد أن القتل كان على عهد الوالي إبراهيم بن هشام المخزومي [٥٥] .

ويبقى بعد ذلك أن نقف عاجزين عن تحديد السنة التي قتل فيها الشاعر ، فلم يذكر أحد ممن ترجموا له تحديداً لهذه السنة ، وقد حزن عليه أبوه حزناً شديداً بل نجران كلها بكت مقتله [٥٦] .

وقد وصف أبو الفرج جعفر بن علبة بأنه شاعر مقل غزل فارس مذكور في قومه . وهذه الصفات في الواقع تنطبق على الشاعر فأما كونه غزلاً فله أبيات في غاية الجودة وحادثة مقتله ربما أفصحت عن هذه الصفة ؛ وأما كونه فارساً مذكوراً في قومه فيظهر ذلك من خلال شعره وتبقى صفة القلة في شعره فهذا ما لا نستطيع أن نثبته أو ننفيه ، لا نستطيع أن ننفيه لأن ما بين أيدينا من شعره قليل ولا نستطيع أن نثبته لأن شعر أهل السراة وبلاد اليمن في هذه المدة قد أصيب بالإهمال وعدم التسجيل .

وعلى كل حال فإن شعر جعفر ـ كما يبدو لنا ـ ينقسم إلى قسمين : قسم غزلي وآخر حماسي . وقد تميز شعر الغزل برقة الألفاظ وسهولتها كما تلمس فيه حرارة العاطفة. ولعل ما يمثل هذه السمات قوله :

أشارت لنا بالكف وهي حزينة — تودعنا إذ لم يودع سلامها

وما أنس مالأشياء ما أنس قولها — وقد زل عن غر الثنايا لثامها

أما من فراقي اليوم بد ولا النوى — بمجتمع إلا لشحط لمامها

أما شعر الحماسة ، فهو يمتاز بقوة الألفاظ ، وجزالة الأسلوب وجودة المعنى ، كما في قوله :

ولا يكشف الغماء إلا ابن جرة يرى غمرات الموت ثم يزورها

نقاسمها أسيافنا شر قسمة ففينا غواشيها وفيهم صدورها (٥٧)

٤ . **العجير السلولي** (٥٨) : شاعر عاش في بلاد السراة خلال العصر الأموي ، وله قصة مع الخليفة هشام بن عبد الملك ، فتذكر المصادر الأولية أنه كان في بيشة مكان يسمى (المعمل) وهو عبارة عن قرية من أعمال مكة في أرض السراة لبني هاشم ، وكان أول أمر (المعمل) أنه كان بين سلول وخثعم ، فيحفر السلوليون به ويضعون فسيل النخل فيأتي الخثعميون وينتزعون الفسيل ويهدمون ما حفر السلوليون ، ثم يفعل الخثعميون مثلما يفعل السلوليون ، ولا يزال بينهم قتال وحروب دائمة حتى صار يطلق على ذلك المكان اسم " مطلوب " وعندما رأى ذلك العجير شاعر بني سلول تخوف أن يقع بين الناس شر أخطر من ذلك فأخذ من هذا المكان طيناً وماءً عذباً وذهب به إلى الشام ليعرضه على الخليفة هشام بن عبد الملك ، ويخبره ما يدور في ذلك المكان من حروب ونزاعات ، وعندما قابل الخليفة وأخبره ، قال هشام بن عبد الملك : كم بين الشمس وهذا الماء ؟ فقال : أبعد ما يكون بعده . قال : ما بين الطين ؟ قال : في الماء ثم أخبر العجير الخليفة بما في بيشة من أودية ومياه عذبة ، كما أخبره بجودة وخصوبة أرض بيشة ، فأرسل الخليفة إلى أمير مكة المكرمة وأمره أن يشتري مائتي زنجي ويجعل مع كل

رجل امرأته ثم يحملهم حتى يضعهم بمطلوب في بيشة للزراعة به ، فلما رأى الناس ذلك قالوا إن مطلوباً معمل يعمل فيه فذهب اسمه المعمل إلى يومنا الحالي.(٥٩) وقال العجير السلولي :

لا نوم للعين إلا وهي ساهرة حتى أصيب بغيظ أهل مطلوب

إن تشتموني فقد بركت أيكتكم زرق الدجاج وتجفاف اليعاقيب

قد كنت أخبرتكم أن سوف يعمرها بنو أمية وعداً غير مكذوب

سادساً : وخلاصة القول :

دراسة بلاد السراة وتبعيتها سياسياً وإدارياً في العصر الأموي، وأوضاعها الاجتماعية مثل : مواطن القبائل ، ونظام الموائد ، وطرق الطهي ، وأسماء الأطعمة، كما أشار البحث أيضاً إلى المراكز التجارية وأثرها الحضاري ، والازدهار الثقافي الناجم عن توسط السروات بن مركزين هامين: اليمن والحجاز . وما أشرنا إليه في هذه الدراسة، قد يفتح الآفاق لبعض الباحثين ، وبخاصة من أهل السراة أنفسهم، لأنهم أدرى بمواطنهم من غيرهم فيضيفون بالتحليل أو النقد أو التصحيح لكل ما تم إيراده . والشيء الذي يجب معرفته أن بلاد السراة وما جاورها لا زالت بحاجة إلى دراسات علمية أثرية جادة ، وذلك لا يتم إلاّ بتضافر الجهود بين الجهات الرسمية الحكومية ، والجامعات ، والمراكز البحثية ، بالإضافة إلى توفر الدعمين السياسي والإداري وكذلك المالي كي نصل إلى نتائج طيبة وإيجابية بإذن الله تعالى . والله من وراء القصد

سابعاً : الحواشي و التعليقات :

(١) السراة : لغة أعلى الشيء ، والسراة عند العرب تعني - أيضاً - الجبال المتقاودة ، الأخذ بعضها برقاب بعض ليس بينها فاصل تام ، والسراة هنا : هي السلسلة الجبلية الواقعة غرب بلاد العرب، أو الممتدة من اليمن جنوباً إلى الحجاز ثم الشام شمالاً ، وتخترق هذه السلسلة أودية و شعاب كثيرة يشرق بعضها ، وبعضها يغرب ، وهي ليست في مستوى واحد من حيث الاستواء ، فمنها الشامخ في العلو ، ومنها المنخفض ومنها المتوسط في الارتفاع . وقد أطلق بعض الجغرافيين القدامى على هذه السلسلة اسم (الطود) ونخص بهذه التسمية الجزء الجنوبي من جبال السراة، الذي يبتدئ بالطائف شمالاً وينتهي بنجران ثم صعدة وصنعاء جنوباً ، ويسمى الجزء الجنوبي الشرقي من هذه الجبال بـ (الجبل الأسود) ، ربما لأن صخوره بركانية سوداء ، كما يسمى بالسراة ، أو السروات ، وكل قسم فيه ينسب إلى القبيلة التي تسكنه، وقد يدعى سراة دون (أل) التعريف ، أما القسم الشمالي من السلسلة الممتدة من شمال مكة المكرمة إلى المدينة المنورة ، وما يأتي بعدها فيسمى بحجاز المدينة أو السراة . أنظر : الحسن بن أحمد الهمداني ، الإكليل من أخبار اليمن وأنساب حمير ، تحقيق محب الدين الخطيب (بيروت : دار المناهل ، ١٤٠٧هـ /١٩٨٧م) ، ٢٥ وما بعدها ؛ ياقوت الحموي . معجم البلدان (بيروت : دار صادر ، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م) ٢ :

٢١٨ : ٢٢٠ . جـ٣ ، ٢١٧، ٢٢٠ جرجي زيدان . تاريخ آداب اللغة العربية (القاهرة : دار الهلال ، د. ت) ٢ : ٢٠٩ ، ٢١٠ صالح أحمد العلي ، " تحديد الحجاز عند المتقدمين"، مجلة العرب ، (١٣٨٨هـ/١٩٧٨م) ص١-٩ ؛ عبد الله الوهيبي ، " الحجاز كما حدده الجغرافيين العرب،"مجلة كلية الآداب ، الرياض (١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م)، ٥٣-٧٠.

(٢) الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، ٦٤ ؛ لمزيد من التفصيلات عن الهمداني ، انظر المقدمة التي كتبها حمد الجاسر في أوائل كتاب صفة جزيرة العرب ، وقاموس الأعلام ، لخير الدين الزركلي (بيروت ، ١٩٨٠م) ، ٢ : ١٧٩ .

(٣) انظر : تقي الدين محمد بن أحمد الفاسي ، شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام ، تحقيق لجنة من العلماء (بيروت : دار الكتب العلمية ، د. ت) ، ٢ : ١٦٦ ١٦٧ .

(٤) انظر عماد الدين إسماعيل بن كثير ، البداية والنهاية ، تحقيق محمد عبد العزيز النجار (القاهرة: مطبعة الفجالة ، د . ت)، ٨: ٣٣٢ ، ٣٣٤.

(٥) ابن كثير ، البداية والنهاية ، ٨-٣٥٧ ؛ ٩ : ٤٠٣ .

(٦) انظر ابن زبارة ، مختصر أنباء اليمن ،ص ٤١ ؛ ابن حزم، الجمهرة ، ٢٧٦. مات محمد بن يوسف في عهد أخيه الحجاج ، وهو والٍ على العراق ، ويوم أن جاءه نعيه كان ابنه محمد بن الحجاج قد توفي منذ ساعة ، فاسترجع الحجاج وقال : أمحمد ، ومحمد في يوم ؟! . وكان

عبد الملك قد ولي على المدينة طارق بن عمرو مولى عثمان بن عفان عقب مقتل عبد الله بن الزبير عام (٧٣هـ /٦٩٢م) ، ثم عزله عنها عام (٧٤هـ/٦٩٣م) وأضافها للحجاج خلال وجوده بالحجاز فجعل نائبه فيها عبد الله بن قيس بن مخرمة . انظر : الطبري، تاريخ ، ٦ : ١٩٢ ، ٢٠١ .

(٧) لمزيد من المعلومات انظر: الطبري ، تاريخ، ٦ : ٢٠٢ ، ابن حزم ، الجمهرة ، ٨٧ ؛ الفاسي ، شفاء الغرام ، ٢: ١٧٠ .

(٨) الطبري ، تاريخ ، ٦ : ٤٩٨ ، ابن الزبارة ، مختصر ، ٤١ .

(٩) الطبري ، تاريخ ، ٦:٤٢٦ ، ٤٨١،٤٦٤ ؛ الفاسي ، شفاء الغرام، ٢: ١٧٤ ؛ ابن حزم، الجمهرة، ٢٤٦، ٤٦٤ ، ٤٨١ .

(١٠) الطبري ٦ : ٤٤٧ ٦٢٠ ؛ ٧: ١٤ ، ٢٠ ، ٢٩ ، ٩١ ، ٢٢٦ ؛ الفاسي ، شفاء الغرام ، ٢: ١٧٢ ١٧٤ ؛ ابن حزم ، الجمهرة ، ١٤٨ ، ٢٦٧ ، ٢٧٠ .

(١١) ابن حزم ، الجمهرة ، ٢٦٨ .

(١٢) الطبري ، تاريخ ، ٥ : ٢٩٦ .

(١٣) الطبري ، تاريخ ، ٦: ٥٥٧ ، ٥٥٨ ؛ ابن كثير ، البداية والنهاية ، ٩: ٢٠٧ .

(١٤) الطبري ، تاريخ، ٦ : ٦٢٠ ؛ الفاسي ، شفاء الغرام ، ٢: ١٧٤ .

(١٥) لمزيد من التوضيحات عن القبائل القحطانية (الأزدية) والعدنانية في بلاد تهامة والسراة ، انظر : هشام بن محمد الكلبي ، جمهرة النسب الكبير ، رواية السكري عن ابن حبيب ، تحقيق ناجي حسن

(بيروت : عالم الكتب ، ١٤٠٧هـ /١٩٨١م) ؛ ابن حزم، الجمهرة ، ١٨ وما بعدها ؛ عمرو بن غرامة العمروي ، قبائل إقليم عسير في الجاهلية والإسلام (أبها : نادي أبها الأدبي ، ١٤١١هـ /١٩٩١م) ، ١ : ٥٧ وما بعدها .

(١٦) الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، ١١٩ ١٢٠ .

(١٧) النشاط التجاري خلال العصور الوسطى كان جيداً ، وبخاصة في مكة المكرمة ، والمدينة المنورة بالحجاز ، وصنعاء وصعدة وغيرهما من مدن اليمن الكبرى ، إلى جانب وجود طرق تجارية ، برية وبحرية نشيطة تربط تلك الحواضر مع أجزاء عديدة في العالم الإسلامي آنذاك . ولمزيد من التفصيل انظر في المصادر والمراجع التالي ذكرها . شمس الدين محمد بن أحمد المقدسي ، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، تحقيق إم دي غودي (ليدن : أبريل ، ١٩٧٦م) ، ٧٩ ، ٩٧ ؛ محمد بن أحمد بن جبير ، رحلة ابن جبير (بيروت : د.ت .) ، ٩٦ وما بعدها ؛ ناصر الدين خسرو المروزي ، رحلة ناصرخسرو ، ترجمة وتقديم أحمد خالد البدلي . (الرياض : عمادة شؤون المكتبات، جامعة الملك سعود، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م)، ١٢١ وما بعدها ؛ غيثان علي جريس " الطرق التجارية البرية والبحرية المؤدية إلى الحجاز خلال القرون الإسلامية المبكرة ، " مجلة العرب ، ٢٦ ، ع ع ٧ ، ٨ (١٤١٢هـ) ، ٤٤٧ ٤٦١ .

(١٨) الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، ص٢٥٥ ٢٥٦ .

(١٩) كان العرب في صدر الإسلام ولاسيما في العهد الأموي يسمون غير العرب من المسلمين بالموالي . وكان المسلمون في البلاد العربية ، كالعراق ، والشام ، والحجاز ، وغيرها ، قد ألفوا عادة الانتماء بالولاء إلى من يريدون من الشخصيات العربية المرموقة والانتساب إلى قبائلها اسمياً ، وإن لم يكونوا منها فيكتسبون بذلك بعض حقوق القرابة بالنسب ، كالمساعدة ، والحماية ، والتأييد . ومن الموالي أيضاً من كان في منزلة الرق ثم أعتقوا من قبل ساداتهم فصاروا في مكانة أخرى بين الرق والحرية هي منزلة الولاء أو الموالي . لمزيد من التفصيل عن الولاء انظر . محمد بن منظور، لسان العرب ، نسقه وعلق عليه علي شيري (بيروت : در إحياء التراث العربي ، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م) ، ١٥ : ٤٠١ ٤٠٦ .

(٢٠) عبد الرحمن محمد بن خلدون ، تاريخ ابن خلدون (بيروت : دار العلم للجميع ، د . ت) ، ١ : ٣١٨ وما بعدها .

(٢١) انظر تفصيلات أكثر : الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، ٣٤٤ وما بعدها ؛ ولمزيد من التوضيحات عن الحياة الاجتماعية في حواضر اليمن، وبخاصة في صنعاء وما حولها، انظر: المقدسي ، أحسن التقاسيم ، ٨٤ وما بعدها ؛ أحمد بن عمر بن رسته ، كتاب الأعلاق النفيسة ، تحقيق ، إم دي غوي (ليدان : بريل ، ١٩٨١م)، ١٠٩ ١١٥ ؛ كما انظر : غيثان بن علي بن جريس ، عسير دراسة تاريخية في الحياة الاجتماعية والاقتصادية

(١١١٠ ١٤٠٠هـ /١٦٨٨ ١٩٨٠م) (جدة : دار البلاد ، ١٤١٥هـ/١٩٩٤م) ، وما بعدها .

(٢٢) الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، ٢٥٧ .

(٢٣) الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، ٢٥٦ ، ٢٥٧ .

(٢٤) الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، ٢٦١ .

(٢٥) لمزيد من المعلومات عن الحياة التجارية في اليمن والحجاز وعلاقة تلك الأجزاء ببلاد السراة ، انظر . ابن جبير ، الرحلة ، ١٠٠ وما بعدها ؛ ابن جريس "الطرق التجارية" ٤٤٧ وما بعدها ؛ أحمد عمر الزيلعي ؛ مكة وعلاقاتها الخارجية ٣٠١ ٤٧٨هـ (الرياض : عمادة شؤون المكتبات بجامعة الرياض، ١٩٨١م)، ١٥٥ وما بعدها .

(٢٦) الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، ٣٤٠ ، ٣٥٦ .

(٢٧) الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، ٣٤٠ .

(٢٨) الهمداني ، صفة جزيرة العرب، ٣٥٦ ، والمهاد ، هو الخبز الممهود . والكشك يتخذ من نقع البرغل بعد اختماره فيفت ويطبخ، الهمداني، صفة جزيرة العرب، ٣٥٦، ملاحظة (٢) .

(٢٩) الهمداني، صفة جزيرة العرب ، ٣٥٧ ، ٣٥٨ ، ٣٥٩ ، ٣٦٠ .

(٣٠) الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، ٣٦٥ . وقد أخبرني بعض المختصين في تاريخ المغرب والأندلس ، فذكر أن مثل هذه العادة كانت ولازالت عند بعض المغاربة، وبخاصة في المغرب الأقصى .

(٣١) الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، ٢٦٢ .

(٣٢) الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، ٢٦٢ ، ٣٠٢ .

(٣٣) الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، ٢٦٢ .

(٣٤) الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، ٢٦١ .

(٣٥) من يلاحظ الآبار والمدرجات الزراعية ببلاد السراة ، في يومنا هذا يلاحظ الجهد الكبير الذي بذل في بناء مدرجات عالية الارتفاع، لكي تحافظ على تربة المزرعة ، وكذلك آبار بعيدة العمق ، والتي بعضها حفرت في صخور صماء ، وبأدوات يدوية قديمة . حبذا لو خرج أحد أبناء السراة بدراسة علمية جادة تتبع فيها متى وكيف عملت تلك المدرجات الزراعية ، التي نلاحظها في طول وعرض البلاد ، وكذلك تلك الآبار الكثيرة والتي يظهر على بعضها قدم العهد .

(٣٦) الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، ٢٢٦ ، ٣٠١ . ولم يكن رحالة اليمن الهمداني هو الوحيد الذي انفرد بذكر ما في السراة من أشجار برية متنوعة ، بل سبقه في ذلك أبو حنيفة الدينوري ، ومن يطالع كتابه (النبات) يجد أنه لا يكتفي بذكر أسماء الأشجار ، بل يشير إلى وصفها من حيث شكلها ، والمناطق الملائمة لها ، وأين تكثر وأين تقل ، والأغراض المستخدمة من أجلها ، سواءً كان في التجارة أو في الدباغة ، أو الصباغة أو غيرها . ويعتبر الدينوري من أفضل من كتب عن النباتات وبخاصة في بلاد السراة من بلاد الجزيرة العربية ، ومن كتبه التي وصلتنا عن النباتات ما يلي : كتاب النبات ، الجزءان الأول والثاني ، تحقيق محمد حميد الله (القاهرة : المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية، ١٩٧٣ م) ، الجزء الثالث ،

النصف الأول من الجزء الخامس، شرح وتحقيق المستشرق برنهارد لفين ، بألمانيا عام ١٣٩٤هـ/١٩٧٤م . وقد جاء بعد الدينوري والهمداني بعض الجغرافيين واللغويين فذكروا أسماء عديدة للأشجار والنباتات الموجودة ببلاد السراة ، ومن أولئك العلماء على سبيل المثال لا الحصر ، عرام بن الإصبغ السلمي ، في كتابه أسماء جبال تهامة وسكانها وما فيها من القرى وما ينبت عليها من الأشجار وما فيها من المياه، والبكري في كتابه معجم ما استعجم ، وياقوت الحموي في كتابه معجم البلدان، وفي بعض المعاجم اللغوية، كالقاموس المحيط للفيروز أبادي ، ولسان العرب لابن منظور ، وتاج العروس للزبيدي .

(٣٧) لمزيد من التفصيلات عن مهنة الدباغة، كيفيتها، وأساليب مزاولتها، والمواد الأساسية في ممارستها ، انظر :"باب الدباغ " المذكور في كتاب النبات للدينوري ، تحقيق المستشرق برنهارد لفين ، ١٠٤ ـ ١٢١ ، أيضاً انظر : كتاب المخصص لابن سيدة (القاهرة : مطبعة بولاق ، ١٣١٦هـ / ١٨٩٨م) ، ٤ : ١٠٤ـ ١١٦.

(٣٨) ولمعرفة بعض التوضيحات عن المهن والحرف بشكل عام خلال القرون الإسلامية الأولى ، وبخاصة في المناطق المجاورة لبلاد السراة كحواضر الحجاز واليمن ، انظر : عبد العزيز إبراهيم العمري ، الحرف والصناعات في الحجاز في عصر الرسول صلى الله عليه وسلم (الدوحة : مركز التراث الشعبي ، ١٩٨٥م) ، ٤٧ وما بعدها ، عبد الله محمد السيف ، الحياة الاقتصادية والاجتماعية في نجد

والحجاز في العصر الأموي (بيروت : مؤسسة الرسالة ، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م) ، ١٥١ ١٦٨ ؛ جميل حرب محمود ، الحجاز واليمن في العصر الأيوبي (جدة : دار تهامة للنشر ، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م) ، ١٢٦ ، ١٢٨ ، ١٤٨ ، ١٥٠ ؛ غيثان بن علي بن جريس ، "أهم الحرف والصناعات في الحجاز خلال القرون الإسلامية المبكرة ، " مجلة المنهل ، ٥٣ ، ع ٤٩٢ (١٤١٢هـ) ، ٨٢-٩٦ .

(٣٩) لمزيد من التفصيل عن النشاط التجاري في حواضر اليمن والحجاز خلال العصر الإسلامي الوسيط. انظر، المقدسي، أحسن التقاسيم ، ٨٤ وما بعدها ؛ ابن جبير، الرحلة، ٩٦ وما بعدها ؛ الزيلعي ؛ مكة وعلاقاتها الخارجية، ١٥٥ ومابعدها ؛ حرب، الحجاز واليمن ١١٧، ١٥٩ Hassan ."The Arabian Commercial Background, " Islamic Culture .46.No 2(April 1987). 70 .83 Patrica Crone. Meccan Trade and the Rise of Islam (Oxford : Basil Blackwell,1987) .

(٤٠) حول شرح الهمداني لأطوال تلك الطريق التي تربط بين صنعاء والطائف مروراً بالسراة ، انظر : صفة جزيرة العرب ، ٣٣٨-٣٤٠ لم يكن الهمداني هو الوحيد الذي ذكر تلك الطريق ، وإنما البعض من الجغرافيين الأوائل أشاروا إليها أيضاً مثل : اليعقوبي ، البلدان ، ٣١٤ وما بعدهما ؛ ابن خرداذبة ، المسالك والممالك ، تحقيق إم . دي غوي (ليدن : بريل ، ١٣٠٦هـ / ١٨٩٩م) ، وما بعدها . وضمن هذا الكتاب ، كتاب الخراج وصنعة الكتابة لأبي الفرج قدامة بن جعفر ، الذي أشار أيضاً إلى ما أشار إليه اليعقوبي وابن خرداذبة ، ١٩١ وما بعدها ، انظر أيضاً : الإمام أبو إسحاق

الحربي ، كتاب المناسك وأماكن طرق الحج ومعالم الجزيرة ، تحقيق حمد الجاسر (الرياض : منشورات دار اليمامة ، ١٤٠١هـ / ١٩٨١م) ، ٦٤٣ ٦٤٩ .

(٤١) الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، ٣٤١ـ ٣٤٣ .

(٤٢) لمزيد من التفصيلات انظر : ديوان ابن الدمينة ، جمع وتحقيق أحمد راتب النفاخ ، تقديم ومراجعة محمود محمد شاكر (القاهرة : دار العروبة ، ١٣٧٨هـ) ، ١٤ وما بعدها . أيضاً انظر : عبد الله بن مسلم بن قتيبة ، الشعر والشعراء (بيروت : دار إحياء العلوم ، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م) ، ٤٩٢ ـ ٤٩٣ ؛ للمزيد أيضاً انظر : " أخبار ابن الدمينة ونسبه ، " كتاب الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني ، ط٢ (بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م) ، ١٧ : ٩٨ـ ١١٢.

(٤٣) معن بن زائدة الشيباني من رجال الدولة الأموية والعباسية ومن أجود العرب ، ومن القادة المذكورين بالبأس والنجدة ، وكان فارساً شجاعاً ؛ انظر : الطبري ، تاريخ ، ٧: ٥٠٥ ، ٥٠٨ .

(٤٤) ديوان ابن الدمينة ، ٣٥ .

(٤٥) ديوان ابن الدمينة ، ٣٧ ، وله أشعار عديدة في كتاب الشعر والشعراء لابن قتيبة ، ٤٩٢ وما بعدها ؛ وكذلك في كتاب الأغاني ، ١٧ : ٩٨ وما بعدها .

(٤٦) للمزيد عن أخبار هذا الشاعر انظر : الحسن بن أحمد الهمداني ، الإكليل (القاهرة : مطبعة السنة المحمدية ، ١٩٦٦م) ،

٢ : ١٢٨ ، ١٦٣ ١٦٦ ؛ أحمد بن محمد الشامي . قصة الأدب في اليمن (بيروت : منشورات المكتب التجاري للطباعة ، ١٩٦٥م) ، ٢٥٧ - ٢٦٣ .

(٤٧) ولد الشاعر محمد بن أبان الخنفري بصعده في خلافة الخليفة معاوية بن أبي سفيان (رضي الله عنه) سنة خمسين للهجرة ، ونشأ بها ، يعود نسبه إلى يعرب بن قحطان . لمزيد انظر : الشامي ، قصة الأدب في اليمن ، ٢٥٧ وما بعدها .

(٤٨) انظر : الهمداني ، الإكليل ٢ : ١٢٨ ، ١٦٣ وما بعدها ؛ الشامي ، قصة الأدب ، ٢٥٨ وما بعدها.

(٤٩) انظر : الهمداني ، الإكليل ، ٢ : ١٢٨ ، ١٦٣ وما بعدها ؛ الشامي ، قصة الأدب ، ٢٥٨ وما بعدها .

(٥٠) الهمداني ، الإكليل ، ٢ : ١٦٥ وما بعدها ؛ الشامي ، قصة الأدب ، ٢٦١ وما بعدها .

(٥١) لمزيد من التفصيلات عن هذا الشاعر انظر : أبو الفرج الأصفهاني ، كتاب الأغاني (بيروت : مؤسسة جمال للطباعة ، عن طبعة دار الكتب المصرية ، د ت) ، ١٣ : ٤٥ " جعفر بن علبة الحارثي" : "حياته وما تبقى من شعره" ، جمع وتحقيق ودراسة شوادفي أحمد علام ، مجلة كلية اللغة العربية بالمنصورة (جامعة الأزهر) (١٤١٣هـ /١٩٩٣م) ، ٣٤١ - ٤٢٩ .

(٥٢) الأصفهاني ، الأغاني ، ١٣ : ٤٩ وما بعدها ؛ علام " جعفر بن علبة الحارثي " ، ٣٤٦ وما بعدها ،

(٥٣) الأصفهاني ، الأغاني ، ١٣ : ٤٩ وما بعدها ؛ علام " جعفر بن علبة الحارثي ، ٣٤٦ وما بعدها .

(٥٤) الأصفهاني ، الأغاني ، ١٣ : ٤٩ وما بعدها علام " جعفر بن علبة الحارثي " ٣٤٦ وما بعدها . وانظر : " كتاب أسماء المغتالين من الأشراف في الجاهلية والإسلام ، لمحمد بن حبيب ، ضمن نوادر المخطوطات لعبد السلام هارون (القاهرة : لجنة التأليف والترجمة ١٣٧٣هـ /١٩٥٤م) ، ٢ : ٢٠٧ ،

(٥٥) انظر : شرح ديوان الحماسة للخطيب التبريزي (بيروت : عالم الكتب ، د ت .) ، ١ : ٤٦ ؛ كما انظر : علام ، " جعفر بن علبة الحارثي " ، ٣٥٢ وما بعدها .

(٥٦) الأصفهاني ، الأغاني ، ١٣ : ٤٦ ؛ علام " جعفر بن علبة الحارثي ، ٣٥٥-٣٥٦ .

(٥٧) علام ، " جعفر بن علبة الحارثي " ، ٤١٨ .

(٥٨) لمزيد من التفصيلات عن الشاعر العجير السلولي ، انظر : محمد بن سلام الجمحي ، طبقات فحول الشعراء ، قراءة وشرح محمود محمد شاكر (القاهره : مطبعة المدني ، د ت) ، ٢ : ٥٨٣ ، ٥٩٣ ، ٦١٥ ، ٦٢٥ . وهناك روايات تقول : إن العجير السلولي عاش في عصر الخليفة عبد الملك بن مروان والوليد بن عبد الملك لمزيد من التفصيلات عن أخبار هذا الشاعر ونسبه ، انظر : الأصفهاني ، كتاب الأغاني ، ١٣ : ٦٤-٨٤ .

(٥٩) الأصفهاني ، كتاب الأغاني ، ١٣ : ٧٤ وما بعدها .



الدراسة الرابعة

التطور التاريخي لمنطقة الباحة خلال العصور الإسلامية المبكرة والوسيطة (*)

إعداد

أ . د. غيثان بن علي بن جريس

(*) هذه الدراسة الخاصة بمنطقة الباحة ، نشرت لأول مرة في موسوعة المملكة العربية السعودية (المحور التاريخي) ، مج (١٦) . مكتبة الملك عبد العزيز العامة (الرياض ، ١٤٣١ هـ/ ٢٠١٠م) .

محتويات الدراسة الرابعة

م	العنوان	أرقام الصفحات
أولاً	منطقة الباحة : الاسم ، التركيبة الجغرافية والبشرية .	١٣٥ – ١٤٤
	١- أصل الاسم	١٣٥
	٢- التركيبة الجغرافية	١٣٦
	٣- التركيبة البشرية	١٤٠
ثانياً	تاريخ الباحة في العهد النبوي	١٤٥ – ١٥٦
	١- عصر الدعوة المكية	١٤٥
	٢- عصر الدعوة المدنية	١٤٩
ثالثاً	تاريخ الباحة في العهد الراشدي	١٥٧ – ١٦٤
رابعاً	تاريخ الباحة في العهدين الأموي والعباسي وما بعدهما .	١٦٤ – ١٨٧
	١- الآثار السلبية على انتقال الخلافة من الجزيرة العربية إلى الشام والعراق	١٦٤
	٢- بعض الفتن والحركات السياسية	١٦٨
	٣- الأوضاع العامة لبلاد الباحة وما جاورها بعد القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي)	١٧٥
خامساً	الخاتمة النتائج وتوصيات البحث	١٨٧ – ١٩٠

أولاً- منطقة الباحة[١]: الاسم ، التركيبة الجغرافية والبشرية:

١ - أصل الاسم :

عندما بحثنا في القواميس اللغوية عن كلمة (الباحة) ومصدرها والمترادفات الخاصة بها وجدناها جاءت من التبحبح ، والمقصود بذلك السعة في النفقة ، أو في الأرض ، أو في المنزل[٢]. ويقال : القوم في ابتحاح أي في سعة وخصب من أرضهم ، والبحبوحة وسط المحلة ، أو وسط الدار. قال جرير :

قومي تميم هم القوم الذين هم ينفون تغلب عن بحبوحة الدارِ

وفي الحديث : أن الرسول ﷺ، قال : ((**من سره أن يسكن بحبوحة الجنة فليلزم الجماعة ، فإن الشيطان مع الواحد ، وهو من الاثنين أبعد**)) ، قال أبو عبيدة : أراد ببحبوحة الجنة وسطها. قال : وبحبوحة كل شيء وسطه

---

(١) استخدام كلمة (منطقة) هنا، وهو مصطلح حديث، تجاوزاً من أجل توضيح إطار البلاد المعنية في هذه الدراسة، وهي جميع نواحي بلاد غامد وزهران المعروفة اليوم باسم (إمارة الباحة)،وهي إحدى المناطق الرئيسة في المملكة العربية السعودية التي أصبحت إمارة مستقلة ، تراجع وزارة الداخلية في الرياض منذ عام (١٣٨٣هـ/١٩٦٣م). بينما كانت قبل عام (١٣٥٣هـ/١٩٣٤ م) تابعة لإمارتي الطائف وبيشة،ثم فصلت عنهما، واتخذت الظفير مركزاً للإمارة حتى عام (١٣٧٠هـ/١٩٥٠م)،ثم انتقلت إلى بلجرشي، وأخيراً منذ عام (١٣٨٣هـ/١٩٦٣م) أصبحت مدينة الباحة هي الحاضرة الرئيسة لعموم بلاد غامد وزهران . انظر: محمد بن مسفر حسين الزهراني، بلاد زهران، (الرياض:الرئاسة العامة لرعاية الشباب،١٤٠٨هـ/١٩٨٨م)،٣٩؛ صالح عون الغامدي، الباحة، (الرياض: الرئاسة العامة لرعاية الشباب،١٤٠٨هـ/١٩٨٨م)،٤٥.

(٢) جمال الدين أبو الفضل بن منظور، لسان العرب، نسقه وعلق عليه ووضع فهارسه: علي شيري، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤٠٨ هـ ١٩٨٨م) ، جـ١،٣٢٢ – ٣٢٣ . فعل (بحح).

وخياره[١]. ويقال: قد تبحبحت في الدار إذا توسطتها وتمكنتُ منها. والتبحبح: التمكن في الحلول والمقام، وقد بحبح وتبحبح إذا تمكن وتوسط المنزل والمقام، قال: ومن حديث غناء الأنصارية:

وأهدى لها كبشاً تبحبح في المربد[٢]

أي متمكنة في المربد، وهو الموضع أو المكان. وفي حديث خزيمة: ((**تفطر اللحاء وتبحبح الحياء أي اتسع الغيث وتمكن من الأرض**))[٣].

وإذا نظرنا إلى منطقة الباحة وجدناها أرضاً تحيط بها الهضاب والجبال من كل جانب، فليست هي تلك الأرض الواسعة الفسيحة، وإنما تتوسط البلاد التي تقع بها، وتحيط بها القرى والجبال والمزروعات المختلفة من كل جانب.

٢ - التركيبة الجغرافية:

تقع منطقة الباحة في موقع إستراتيجي متميز، إذ تتصل حدودها ببلاد الحجاز شمالاً، وبلاد عسير (جرش قديماً)[٤] جنوباً، يحيط بها عدد من الحواضر الرئيسة، كالطائف من الشمال، وبيشة وأبها من الشرق

---

(١) المرجع السابق.

(٢) المرجع السابق.

(٣) المرجع السابق.

(٤) للمزيد من التفصيلات عن بلاد جرش (عسير الحالية)، انظر: أبو محمد عبد الملك بن هشام، السيرة النبوية، تحقيق: مصطفى السقا وآخرين. (بيروت: دار القلم، د. ت)، جـ ٤، ٢٣٣ - ٢٣٤؛ محمد بن سعد، الطبقات الكبرى، (بيروت: دار صادر، (١٤٠٥ هـ/ ١٩٨٥ م)، جـ ١، ٣٣٧ - ٣٣٨؛ حمد الجاسر، في سراة غامد وزهران، نصوص، انطباعات، مشاهدات. (الرياض: دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، ١٣٩١ هـ/ ١٩٧١ م)، ٤٢ - ٤٩؛ غيثان بن علي بن جريس، " تاريخ مخلاف جرش (عسير) خلال القرون الإسلامية الأولى "، مجلة العصور، مج ٩، جـ ١، (١٤١٤ هـ/ ١٩٩٤ م)، ٦٣ - ٧٨.

والجنوب، والليث والقنفذة من الغرب والجنوب الغربي على ساحل البحر الأحمر[١].

ويحدها شمالاً بلحارث (بنو الحارث) وبنو مالك. وجنوباً بنو عيسى، وبنو زبيد، وبنو بحير، وبنو سهيم، والعوامر، وبنو ميمون، وهي من قبائل بلقرن، وبلعريان وخثعم. وشرقاً بعض بادية بني ميمون وأكلب من قبائل البقوم وشمران. ومن الشمال الشرقي سبيع، وغرباً الليث، ومن الجنوب الغربي القنفذة[٢].

وتنقسم تضاريس منطقة الباحة إلى قسمين رئيسين هما: مرتفعات جبال السروات وسهول تهامة[٣]. ومرتفعات السراة جزء من سلسلة جبال السروات الممتدة من بلاد الشام حتى قعر اليمن[٤]، وهذه المرتفعات الواقعة في بلاد الباحة، شديدة الانحدار نحو الغرب، قليلة المنافذ، صعبة المسالك، يزيد ارتفاعها على (٢٢٠٠) متر تقريباً، فوق سطح

---

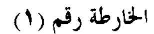
(١) الزهراني، محمد بن مسفر. بلاد زهران، مرجع سابق، ١١ – ١٧.

(٢) المرجع السابق، ولمزيد من الإيضاح انظر: علي بن صالح السلوك، المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية، بلاد غامد وزهران، (الرياض: دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، ١٤٠١ هـ/ ١٩٨١ م)، ١١ – ١٢؛ الغامدي، ١٧ – ٢٢؛عاتق بن غيث البلادي، بين مكة واليمن، (رحلات ومشاهد)، (مكة المكرمة: دار مكة للطباعة والنشر، ١٤٠٤ هـ/ ١٩٨٤ م)، ٣٨ وما بعدها، انظر خارطة رقم (١) موقع منطقة الباحة (غامد وزهران) في خارطة شبه الجزيرة العربية.

(٣) الزهراني، محمد بن مسفر. بلاد زهران،مرجع سابق، ١١، ١٤؛ الجاسر، حمد. في سراة غامد وزهران، مرجع سابق،٨٣ وما بعدها، ٣٥١؛ الغامدي، صالح عون. الباحة، مرجع سابق، ١٧ وما بعدها.

(٤) المراجع السابقة؛ وللمزيد عن جبال السروات المعروفة أيضاً بـ (جبال الحجاز)، انظر: صالح أحمد العلي، "تحديد الحجاز عند المتقدمين"، مجلة العرب، جـ ١، (١٣٨٨هـ/ ١٩٧٨ م)، ١ – ٩؛ عبد الله الوهيبي، "الحجاز كما حدده الجغرافيون العرب"، مجلة كلية الآداب، (جامعة الرياض: ١٣٩٠هـ/١٩٧٠م)،جـ١،٥٣ – ٧٠.

البحر[١]. ويوجد بها عدد من الهضاب والجبال والأودية المتفاوتة الأحجام والأطوال [٢].



الخارطة رقم (١)

خارطة إمارة منطقة الباحة المعروفة ببلاد غامد وزهران المصدر: حمد الجاسر، في سراة غامد وزهران، ٨٤ .

---

(١) السلوك، علي بن صالح. المعجم، مرجع سابق، ١١ – ١٢؛ الزهراني، محمد بن مسفر. بلاد زهران، مرجع سابق، ١١، ١٤ ؛ الغامدي، صالح عون. الباحة، مرجع سابق، ١٧ وما بعدها؛ وللمزيد، انظر: عبد الرحمن صادق الشريف، جغرافية المملكة العربية السعودية. إقليم جنوب غرب المملكة، (الرياض: دار المريخ، ١٤٠٤ هـ/ ١٩٨٤ م)، جـ ٢، ٢٠٥ وما بعدها؛ البلادي، عاتق بن غيث. بين مكة وحضرموت، ١١٧ وما بعدها.

(٢) الزهراني، محمد بن مسفر. بلاد زهران، مرجع سابق. السلوك، علي بن صالح. المعجم، مرجع سابق، ١١– ١٥؛ الغامدي، صالح عون. الباحة، مرجع سابق، ١٧ – ٢١؛ فؤاد حمزة، في بلاد عسير، (الرياض: مكتبة النصر الحديثة، ١٣٨٨ هـ/١٩٦٨ م)، ٩١.

أما سهل تهامة الباحة فهو جزء من سهل تهامة الذي يمتد من أقصى شمال الجزيرة العربية إلى أقصى جنوبها، والمنحصر بين سلسلة جبال السروات شرقاً والبحر الأحمر غرباً، ويراوح طول سهل تهامة منطقة الباحة من تهامة بني مالك شمالاً إلى خثعم وبلقرن وشمران جنوباً [١]، بين (١٥٠ و٢٥٠) كم تقريباً، ويراوح عرضه من سفوح جبال السروات شرقاً إلى بلدتي الليث والقنفذة على البحر الأحمر غرباً بين (١٠٠ و١٥٠) كم تقريباً [٢].

ويأخذ سهل تهامة منطقة الباحة في الارتفاع التدريجي، كلما اتجهنا من الغرب إلى الشرق، ولهذا نجد سطحه يتكون من ثلاثة أقسام رئيسة هي: تهامة الساحل في الغرب (ويطلق الأهالي على هذا الجزء من سهل تهامة "الخبت")، وكذلك تهامة العروض في الوسط، وتكثر فيها الجبال المعترضة ذات الارتفاع الشاهق. وتهامة الأصدار في الشرق [٣]، ويوجد فيها جبال شاهقة الارتفاع غزيرة المياه، خصبة التربة، آهلة بالسكان، أهمها: جبل شدا، وجبل نيس، وجبل ربا، وجبل نخرة، وتشتهر هذه الجبال بزراعة البن والموز، والليمون، وفي قممها تعيش الوحوش الكاسرة مثل: الذئاب والأسود، والنمور [٤].

---

(١) المراجع السابقة.

(٢) المراجع السابقة؛ البلادي، عاتق. بين مكة واليمن،مرجع سابق، ٦٧ وما بعدها.

(٣) الزهراني، محمد بن مسفر. بلاد زهران، مرجع سابق، ١٤ - ١٥.

(٤) المرجع السابق.

٣ - التركيبة البشرية :

تعيش في منطقة الباحة قبيلتان كبيرتان هما غامد وزهران الأزديتين[١]، فإذا أطلقنا مصطلح بلاد الباحة بمفهومها الإداري الواسع فذلك يعني بلاد غامد وزهران،وسوف يرد معنا هذا المصطلح (غامد وزهران) وأحياناً (دوس) في صفحات البحث، لأن اسم الباحة بصفته مصطلحاً سياسياً إدارياً، وحاضرة رئيسة لبلاد غامد وزهران لم يعرف إلا في العصر الحديث، وفي مدة زمنية لا تزيد على القرنين تقريباً[٢].

وغامد وزهران قبيلتان أزديتان من أصول قحطانية يصل نسبهما إلى الأزد بن الغوث بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن

---

(١) الأزد من القبائل العربية اليمنية المشهورة، وتنسب إلى أزد بن الغوث بن يعرب بن يشجب بن قحطان، انظر: أبو محمد علي بن أحمد بن حزم، جمهرة أنساب العرب، راجعه: لجنة من العلماء بإشراف الناشر، (بيروت: دار الكتب العلمية،١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣ م)، ٣٢٩، ٤٨٤؛ أحمد بن محمد بن إبراهيم الأشعري، التعريف في الأنساب والتنويه لذوي الأحساب، تحقيق : سعد عبد المقصود ظلام. (القاهرة: دار المنار، ١٩٨٦ م)، ١٧٣ وما بعدها؛ الجاسر،حمد. في سراة غامد وزهران، مرجع سابق، ٢٠٦ – ٢٢٤.

(٢) لا نجد ذكراً لاسم (الباحة) قبل القرن الثالث عشر الهجري (التاسع عشر الميلادي) وإنما كانت تعرف قبل ذلك ببلاد غامد وزهران، وأحياناً تعرف هي وما جاورها من القبائل الأخرى في بلاد السراة ، بـ (السرو) أو (السروات) أو (السراة). انظر: الحسن بن أحمد الهمداني، صفة جزيرة العرب، تحقيق: محمد بن علي الأكوع. (الرياض: منشورات دار اليمامة، ١٣٩٧ هـ/ ١٩٧٧ م)، ٢٦٠؛ غيثان بن علي بن جريس، دراسات في تاريخ تهامة والسراة خلال العصور الإسلامية المبكرة والوسيطة (ق ١ هـ – ق ١٠ هـ/ ق ٧ م – ق ١٦ م) (الرياض: مطابع العبيكان، ١٤٢٤ هـ/ ٢٠٠٣ م)، جـ ١، ١٢٧ – ١٩٦.

يعرب بن قحطان[١]. وأخذت قبيلة غامد اسمها من جدها غامد، وهو عبدالله بن كعب بن الحارث بن كعب بن عبدالله بن مالك بن نصر بن الأزد[٢]، وسمي غامداً لأنه كان وقع بين قومه شيء فأصلحه، وتغمدهم بذلك فقال:

تحملت للصلح الثأى عن عشيرتي   فأسماني القيل الحضوري غامدا[٣]

كذلك سميت زهران باسم جدها زهران بن كعب بن الحارث بن كعب بن عبدالله بن مالك بن نصر الأزد[٤]، وإذا كان غامد هو عبدالله فهو شقيق لزهران، مع أن بعض كتب الأنساب تشير إلى أن غامد هو ولد

---

(١) ابن حزم، أبومحمد علي بن أحمد بن سعيد. جمهرة أنساب العرب، مرجع سابق، ٣٢٩ – ٤٨٤؛ الأشعري، أحمد بن محمد بن إبراهيم. التعريف، مرجع سابق، ٢٠٦ – ٢٢٤، أبو الحسن علي بن الحسين المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجواهر، ترتيب: يوسف أسعد داغر (بيروت : دار الأندلس، ١٤٠٤ هـ/ ١٩٨٤ م)، مج ١، جـ ١، ١٦١ وما بعدها؛ ولمزيد من الإيضاح عن قبائل الأزد في بلاد السراة وغيرها من البلدان، انظر: عبد الملك بن قريب الأصمعي، تاريخ العرب قبل الإسلام، تحقيق: محمد حسن آل ياسين، (بغداد: مطبعة دار المعارف ١٣٧٩ هـ/ ١٩٥٩ م)، ٨١ وما بعدها ؛ الهمداني ، الحسن بن أحمد . صفة جزيرة العرب ، مرجع سابق ، ٣٧٠ – ٣٧٤.

(٢) أبو بكر محمد الحسن بن دريد، الاشتقاق،تحقيق: عبد السلام محمد هارون. (القاهرة:مكتبة الخانجي،د.ت)،جـ٢، ٤٩٢؛ الجاسر،حمد. في سراة غامد وزهران، مرجع سابق، ٢٤٩.

(٣) يقال: إنه وقع بين عشيرته شر فتغمد ذنوبهم، أي غطاها وسترها، ومنه الغمد، وكان ابن الكلبي يقول: سماه بهذا الاسم قيل من أقيال حمير، وينشد بيتاً:

تلافيت شراً كان بين عشيرتي   فأسماني القيل الحضوري غامداً.

ويقال: غمدت السيف وأغمدته لغتان. وبرك الغماد موضع، وكان الأصمعي يقول: اشتقاق غامد من قولهم : غمدت الركيُّ:إذا كثر ماؤها. للمزيد انظر: ابن دريد، أبو بكر محمد الحسن. الاشتقاق، مرجع سابق، جـ ٢، ٤٩٢.

(٤) المرجع السابق، جـ٢، ٤٩١، ٤٩٦ – ٥١٥.

لعبدالله[١]، وبالتالي فزهران يصبح عماً لغامد[٢]. وكانت قبيلتا غامد وزهران ضمن قبائل الأزد التي نزحت من اليمن على أثر انهدام سد مأرب، وتفرقت مع غيرها في أنحاء مختلفة من الجزيرة العربية[٣]. ويذكر أن قبائل الأزد افترقت إلى نيف وعشرين قبيلة توزعت داخل الجزيرة العربية وخارجها[٤]. ومنها قبائل غامد وزهران التي نزلت مرتفعات السروات وعرفت باسم (أزد السراة)، وأحياناً بـ (السرو)[٥]، وسار بعض أولاد دوس بن عدثان بن زهران إلى أرض

---

(١) ابن حزم، ٣٧٧ – ٣٧٩.

(٢) المرجع السابق،

(٣) للمزيد، انظر: ابن دريد، أبو بكر محمد الحسن. الاشتقاق، مرجع سابق، جـ ٢، ٤٨٠ وما بعدها؛ ابن حزم، علي بن أحمد. جمهرة أنساب العرب، مرجع سابق، ٣٨٢ وما بعدها؛ الهمداني، الحسن بن أحمد. صفة جزيرة العرب، مرجع سابق، ٣٧٠ – ٢٧٤؛ الأشعري، أحمد. التعريف، مرجع سابق، ١٧٣ وما بعدها؛ الجاسر، حمد. في سراة غامد وزهران، مرجع سابق، ٢٠٦ – ٢٢٤.

(٤) من قبائل الأزد: غسان، وجفنة، والأوس، والخزرج، وخزاعة، ومازن، وثمالة، وخثعم. فنزلت الأوس والخزرج يثرب (المدينة المنورة)، ونزلت خزاعة بطن مر الظهران بالقرب من مكة. وزهران وغامد وبعض أولاد أنمار بن أراش بن عمرو، وأولاد الحجر بن الهنو وغيرهم نزلوا بلاد السروات الواقعة بين أبها والطائف. للمزيد، انظر ابن حزم، علي بن أحمد. جمهرة أنساب العرب، مرجع سابق،٣٨٢؛ وما بعدها، الأشعري، أحمد. التعريف، مرجع سابق، ١٧٣ وما بعدها؛ الجاسر، حمد. في سراة غامد وزهران، مرجع سابق ، ٢٠٦ – ٢٢٤، غيثان بن علي بن جريس، نجران: دراسة تاريخية حضارية (ق ١ – ق ٤ هـ/ ق ٧ – ق ١٠ م)، (الرياض: مطابع العبيكان، ١٤٢٥ هـ/ ٢٠٠٤م)، جـ ١، ٣٣ – ٣٤.

(٥) أزد السراة أو (السرو): هي القبائل التي استوطنت البلاد الممتدة من شمال أبها إلى بلاد زهران. وعموم هذه القبائل نزلت في مواطنها الحالية منذ العهود السابقة لعصر الإسلام، ولا تزال تعيش فيها إلى يومنا الحالي. للمزيد عن مسميات هذه القبائل وأنسابها وتاريخها انظر: الهمداني، الحسن بن أحمد. صفة جزيرة العرب، مرجع سابق، ٢٦٠ – ٢٦٣، ٣٦٨ – ٣٧٤؛ جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، (بغداد: جامعة بغداد، ١٤١٣ هـ/١٩٩٣م)،جـ٤، ٤٣٨ وما بعدها؛ ابن جريس، غيثان. دراسات،مرجع سابق، جـ ١، ٢٤ وما بعدها؛ وللمؤلف نفسه انظر: "بلاد تهامة والسراة كما وصفها الرحالة والجغرافيون المسلمون الأوائل (ق٣ هـ–ق ٨ هـ) "، مجلة المؤرخ العربي، ع ٣، مج١، (١٩٩٤ م)، ٧٣ – ١٠٠.

تهامة فأقاموا بها(١). كما خرجت مجموعات من رجال غامد وزهران إلى خارج حدود منطقتهم (منطقة الباحة اليوم)، فمثلاً: بعض من قبيلة دوس من زهران التي انتشر بعض رجالها في شرقي شبه الجزيرة العربيّة حيث كونوا إمارة عربية في عمان قبل الإسلام واستمرت حتى ظهور الإسلام، ولا تزال فروع من الأزد أكثرهم من دوس يقيمون هناك على أنسابهم(٢). ويلاحظ في كتب التراث أن لفظ (دوس) قد طغى إلى حد كبير على لفظ زهران وأحياناً غامد في الجاهلية وصدر الإسلام. وهذا ما جعل بعض المؤرخين يكتفون بذكر دوس بدلاً من زهران، بينما ظن آخرون أن دوساً قبيلة مستقلة تماماً عن غامد وزهران، وهذا خطأ. فدوس قبيلة من قبائل زهران، وجزء لا يتجزأ منها(٣). وأفضل قول لغلبة اسم دوس هو ما ذكره أحد الباحثين المتأخرين(٤) عندما ذكر أن رجال قبيلة دوس انتشروا خارج بلادهم، وتمكن بعضهم من

---

(١) دوس: هو أحد أحفاد زهران بن كعب. انظر:ابن حزم، علي بن أحمد. جمهرة أنساب العرب، مرجع سابق، ٣٧٩؛ الهمداني، الحسن بن أحمد. صفة جزيرة العرب، مرجع سابق، ٢٦٠ وما بعدها؛ابن دريد، الاشتقاق جـ٢، ٤٩٦؛ غيثان بن علي بن جريس،"بلاد السراة من خلال كتاب صفة جزيرة العرب للهمداني " مجلة الدارة، ع٣،س ١٩، (١٤١٤هـ)،٧٦ – ١١١.

(٢) الجاسر،حمد. في سراة غامد وزهران، مرجع سابق، ٢٦٢. كما عبر قسم آخر الخليج العربي إلى بلاد فارس، وسكنوا أحد جبال كرمان ويدعى القفس. وسكن بعض الدوسيين الحيرة ونواحيها من بلاد العراق وأسسوا مملكة بها، كان من أشهر ملوكها جذيمة بن مالك بن فهم بن غنم بن دوس الملقب بالأبرش. انظر: أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، (بيروت: دار بيروت للطباعة والنشر، ١٤٠٠ هـ/ ١٩٨٠ م)، جـ ١، ٢٠٨ – ٢٠٩؛ شهاب الدين ياقوت الحموي، معجم البلدان، (بيروت: دار صادر، ١٤٠٤ هـ/ ١٩٨٤ م)، جـ ٤، ٣٨٠ – ٣٨١.

(٣) ابن حزم،علي بن أحمد. جمهرة أنساب العرب، ٣٧٩؛ ابن دريد،أبوبكر محمد الحسن. الاشتقاق، مرجع سابق، جـ ٢، ٤٩٦.

(٤) الجاسر، حمد. في سراة غامد وزهران، مرجع سابق، ٢٦٦ – ٢٦٧.

تأسيس إمارتين عربيتين في عمان والحيرة[١]. كما أن بعض الدوسيين سارعوا في قبول الدعوة الإسلامية، كما سيأتي معنا، فنالوا مكانة سامية في صدر الإسلام. هذا فضلاً عما عُرف عن رجال دوس من إخلاص وصدق في تلقي الدعوة [٢]، وما أظهروه من شجاعة وإقدام في الفتوحات الإسلامية، ما زاد في رفع منزلة القبيلة واشتهارها. وعلى هذا الأساس إذا قلنا فلان الدوسي، فهو في الأصل من أولاد زهران[٣]. وبالتالي فجميع سكان منطقة الباحة قديماً وحديثاً، (سراة وتهامة) هم من أصول غامدية وزهرانية أزدية قحطانية[٤].

---

(١) المرجع السابق، ٢٦٢، ٢٦٦ – ٢٦٧؛ للمزيد انظر: اليعقوبي، أحمد. تاريخ اليعقوبي، مرجع سابق، جـ ١، ٢٠٨ – ٢٠٩؛ ياقوت،شهاب الدين . معجم البلدان، مرجع سابق، جـ ٤، ٣٨٠ – ٣٨١.

(٢) الجاسر، حمد. في سراة غامد وزهران، مرجع سابق، ٢٦٦ وما بعدها؛ وللمزيد عن أخبار قبول بعض رجال دوس لدعوة الإسلام وإخلاصهم لها، انظر: ابن هشام،أبو محمد عبدالملك. السيرة، مرجع سابق، جـ٢، ٢١ – ٢٥؛ جمال الدين بن الجوزي،صفة الصفوة،تحقيق: محمود فاخوري، ومحمد رواس قلعجي. (حلب:دار الوعي،١٣٨٩هـ/١٩٦٩م)،جـ ١، ٦٠٠ – ٦٠٤؛ عز الدين بن علي بن الأثير،أسد الغابة في معرفة الصحابة، (بيروت:دار إحياء التراث العربي،د. ت)،جـ ٣، ٥٤ – ٥٥.

(٣) ابن دريد،أبو بكر محمد الحسن، الاشتقاق، مرجع سابق، جـ٢، ٤٩٦؛ ابن حزم،علي بن أحمد. جمهرة أنساب العرب، مرجع سابق، ٣٧٩؛ للمزيد انظر: ابن جريس، غيثان. دراسات في تاريخ تهامة والسراة،مرجع سابق، جـ ١، ٥٥ – ٩١.

(٤) لمزيد من الإيضاح عن بطون وأفخاذ قبيلتي غامد وزهران اليوم التي استوطنت أمكنتها الحالية منذ عهود ما قبل الإسلام، ومدينة الباحة التي تأتي في أرض قبيلة غامد هي العاصمة الإدارية لعموم بلاد غامد وزهران في الأجزاء السروية والتهامية، وبخاصة منذ أوائل العقد التاسع للقرن الهجري الماضي، في حين أن بلدتي الظفير ثم بلجرشي كانتا مركزاً لإمارة المنطقة خلال العصر الحديث، وقبل أن تصبح الباحة إحدى الإمارات الرئيسة في المملكة العربية السعودية في عام (١٣٨٣ هـ/ ١٩٦٣ م). انظر: الجاسر، حمد. في سراة غامد وزهران، مرجع سابق، ٢٥٤ وما بعدها؛ حمد بن إبراهيم الحقيل، كنز الأنساب ومجمع الآداب، (الرياض: مطابع الجاسر، ١٤١٣ هـ/ ١٩٩٣ م)، ١٩٩، ٢٢٨؛ السلوك،علي بن صالح، المعجم، مرجع سابق، ١١ وما بعدها؛ الغامدي،صالح عون. الباحة، مرجع سابق، ٤٥ – ٤٨؛ الزهراني،محمد بن مسفر. بلاد زهرن، مرجع سابق، ٣٤ – ٤٠.

ثانياً ـ العهد النبوي:

١ - عصر الدعوة المكية:

كانت قبيلة قريش أشد القبائل عداوة وكراهية لدعوة الإسلام التي جاء بها الرسول ﷺ، ولم تقتصر محاربة القرشيين للإسلام في حصر أنشطتهم في إطار مكة ومجتمعها، وإنما كانوا يسعون إلى الاتصال بالقبائل والشيوخ في بلدان ونواحٍ أخرى في الجزيرة العربية، فيوصونهم ويحرضونهم على بذل ما يستطيعون لمحاربة الرسول الكريم ﷺ والدين الذي جاء به إلى مجتمع الحجاز، ثم إلى عموم المجتمعات[١].

وكان سكان قبيلتي غامد وزهران في بلاد الباحة (سراة وتهامة) من أوائل الأقوام الذين حُرضوا من القرشيين لمعاداة الرسول ﷺ والوقوف في طريق دعوته. وتذكر لنا كتب التراث الإسلامي قصة الطفيل بن عمرو الدوسي الزهراني الذي كان أحد شيوخ وأعيان قبيلة دوس الزهرانية، وكان على صلات تجارية واجتماعية مع بعض أعيان قريش كأبي سفيان بن حرب وغيره[٢]، لكنه كان من أوائل الداخلين في دين

---

(١) لمزيد من التفصيلات عن أساليب قريش في محاربة الإسلام،انظر:اليعقوبي،أحمد. تاريخ، مرجع سابق، جـ٢، ٣٦ وما بعدها؛ ابن هشام، عبدالملك. السيرة،مرجع سابق، جـ٩،٢ وما بعدها؛ أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، تاريخ الأمم والملوك،تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم. (بيروت:دار سويدان، ١٣٨٢هـ / ١٩٦٢م)، جـ٣، ٣٩٥ وما بعدها.

(٢) محمد بن حبيب البغدادي، كتاب المنمق في أخبار قريش، تحقيق: خورشيد أحمد فاروق. (بيروت: عالم الكتب، ١٤٠٥ هـ/ ١٩٨٥ م)، ١٩٩ – ٢١١؛ الجاسر، حمد. في سراة غامد وزهران، مرجع سابق، ٢٧٤ – ٢٧٩؛ للمزيد، انظر: ابن هشام،عبدالملك. السيرة، مرجع سابق، جـ ١، ٨٤؛ ابن دريد،أبو بكر محمد الحسن. الاشتقاق، مرجع سابق، ٤٩٦؛ الجاسر،حمد. في سراة غامد وزهران ، مرجع سابق، ٢٧٤ وما بعدها.

الإسلام. وقصة دخوله الإسلام مع بعض أهل بيته في فترة المرحلة المكية، كما يذكرها ابن هشام أن الطفيل قدم ذات يوم من بلاده إلى مكة، فقابله وجهاء مكة وشكوا إليه الرسول ﷺ وحذروه من السماع إليه [١]، ووصفوه بالساحر الذي يفرق بين الرجل وأبيه وأخيه وزوجته، وأعربوا له عن خوفهم عند سماعه أن يدخل فيما يدعو إليه، كما حصل لبعض القرشيين الذين دخلوا في الإسلام من قبل[٢]، وقد تأثر الطفيل مما سمعه من أشراف قريش عن الرسول ﷺ فوضع في أذنيه كرسفاً (قطناً) كي لا يسمع ما يقوله ﷺ [٣]، وعندما أدرك الطفيل أنه قادر على أن يميز بين الخبيث والطيب حدثته نفسه أن يسمعه فإذا كان ما يقوله ﷺ حسناً قبله، وإن كان دون ذلك تركه، وكأنه لم يسمع شيئاً، ثم ذهب إلى المسجد فوجد الرسول ﷺ قائماً يصلي فسمع منه كلاماً ما سمعه قبل ذلك من لسان بشر، وعندما أصابت آيات القرآن قلب الطفيل فتحت مغاليق قلبه للإسلام، فأسرع إلى دار الرسول ﷺ وطلب منه أن يعرض عليه الإسلام، ثم ما لبث أن اطمأن قلبه للإسلام فأسلم[٤]. وعرض الطفيل على

---

(١) ابن هشام، عبدالملك. السيرة، مرجع سابق، جـ ٢، ٢٢.

(٢) أي بعض القرشيين الأوائل الذين دخلوا الإسلام في مرحلة الدعوة المكية كأبي بكر الصديق (رضي الله عنه) وغيره من الصحابة الذين كانوا يجتمعون مع الرسول ﷺ في دار الأرقم بن أبي الأرقم خلال فترتي الدعوة السرية والعلنية في مكة قبل الهجرة إلى المدينة. للمزيد، انظر: ابن هشام،عبدالملك. السيرة، مرجع سابق، جـ ١، ٢٢٨، ٢٥٧، ٢٦٤، ٢٦٦ – ٢٧٩، ٣١١ – ٣١٢، ٣٣٦.

(٣) ابن هشام،عبدالملك. السيرة، مرجع سابق، جـ ٢،٢١ – ٢٥؛ ابن الجوزي،جمال الدين. صفة الصفوة، مرجع سابق،جـ١، ٦٠٠-٦٠٤؛ ابن الأثير ، عز الدين . أسد الغابة ، مرجع سابق ، جـ ٣، ٥٤– ٥٥؛ أبو الفداء الحافظ ابن كثير، البداية والنهاية، تحقيق: أحمد أبو ملحم وآخرين. (بيروت : دار الكتب العلمية،١٤٠٥ هـ/ ١٩٨٥ م)، مج ٢، جـ ٣، ١١٥ – ١٢٥.

(٤) المراجع السابقة.

الرسول ﷺ أن يحمل رسالة الإسلام إلى قومه دوس في أرض غامد وزهران، حيث إن له فيهم منزلة وهو فيهم مطاع، وطلب من الرسول ﷺ أن يدعو له، وأن يجعل الله له عوناً في حمل الرسالة إلى قومه، فقال الرسول ﷺ: ((**اللهم اجعل له آية**))[١]، وبدأ دعوته بالأقربين عقب عودته إلى منطقة الباحة فعرض الإسلام على أبيه فأسلم بعد أن قام وتطهر، وقال: ((**يا بني ديني دينك**))، ولكن أمه أنكرت الإسلام[٢]. كما وجد الطفيل زوجته تميل إلى الإسلام، فقال لها: "اذهبي إلى ذي الشرى[٣] وتطهري منه" ففعلت ذلك ثم أسلمت[٤].

---

(١) يشير ابن هشام إلى الآية التي جُعلت له، وهي نور بين عينيه، فسأل الله أن تكون في غير وجهه، حتى لا يقول قومه إنها (مُثلة) ويشمتوا به لفراقه دينهم، فتحول النور إلى رأس سوطه فكان يضيء في الليل، ولهذا لقب بـ (ذي النور). ابن هشام،عبدالملك. السيرة، مرجع سابق، جـ ٢، ٢٣؛ للمزيد، انظر: محمد عجاج الخطيب، أبو هريرة راوية الإسلام. (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، د. ت)، ٨٥.

(٢) ابن هشام،عبدالملك. السيرة، مرجع سابق، جـ ٢، ٢٣.

(٣) ذو الشرى: صنم كان لدوس، وكانوا قد حموا حوله حمى يأتي إليه رجال دوس ونساؤها كي يتعبدوا عنده ويتقربوا إليه في قضاء حوائجهم. ابن هشام،عبد الملك. السيرة، مرجع سابق، جـ ٢، ٢٤. وكان في منطقة الباحة، بل في بلاد تهامة والسراة الواقعة بين اليمن والحجاز، عدد من الأصنام التي كان يتعبد إليها سكان هذه البلاد قبل الإسلام، ومنها: عائم، والسعيدة، وذو الكفين، وذو الشرى، وذو الخلصة وكان أشهرها، ويقع في سروات غامد وزهران وخثعم وبجيلة، ويسمى بـ (الكعبة اليمانية) لأن معظم قبائل السراة الواقعة بين أبها والباحة كانت تفد إليه وتقدسه. وكانت قبيلة خثعم المخالطة لقبائل غامد وزهران من الجنوب والجنوب الشرقي هي السادنة الرئيسة لصنم ذي الخلصة. للمزيد انظر: أبو المنذر هشام محمد بن السائب الكلبي. الأصنام، (القاهرة: د. ن، ١٣٤٣ هـ) ٣٧، ٤٣؛ ابن هشام، عبدالملك. السيرة، مرجع سابق،جـ ١، ٨٨، جـ ٢، ٢٤؛ أبو الوليد محمد بن عبد الله الأزرقي، أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار، تحقيق: رشدي الصالح ملحس. (مكة المكرمة: مطابع دار الثقافة، ١٤٠٣ هـ/ ١٩٨٣م)، جـ ١، ٣٧٤ – ٣٨٩؛ الجاسر، حمد. في سراة غامد وزهران، مرجع سابق، ٣٣٣ – ٣٥٠.

(٤) ابن هشام، عبدالملك. السيرة، مرجع سابق، جـ ٢، ٢٤.

وعلى الرغم من معارضة أمه للدعوة الإسلامية إلا أن معارضة قومه كانت أشد وأكبر، ويتضح ذلك حينما دعا قومه إلى الإسلام، فكثر رفضهم، واشتد إنكارهم له، وبعد أن أصابه اليأس من إسلام قومه عاد إلى الرسول ﷺ وطلب منه أن يدعو على قومه، ولكن الرسول ﷺ دعا لهم بالهداية وقال ((**اللهم اهدِ دوساً**))[١] وفي رواية أخرى ((**اللهم اهد دوساً وارفق بها**))، وقال له ارجع إلى قومك فادعهم وارفق بهم[٢].

ويعود موقفهم المعارض من الإسلام إلى ميراثهم الوثني الذي حال بينهم وبين قبولهم الإسلام، فضلاً عن أن ميراثهم من العادات والتقاليد كان فاسداً وقدوتهم كانت على ضلال .

وعاد الطفيل إلى عشيرته دوس الزهرانية يدعو قومه ومن حولهم من الزهرانيين والغامديين برفق، كما أوصاه الرسول ﷺ، وقد امتدت دعوته لهم عدداً من السنوات، لأن الرسول ﷺ هاجر إلى المدينة ومضت غزوات الرسول ﷺ الأولى (بدر، وأحد، والخندق)، ولم يزل أبناء دوس، ومن جاورهم من عشائر تهامة والسراة الأخرى، على حالهم من الكفر والعصيان[٣]. ويظهر أن قبيلة دوس، بل عموم قبائل منطقة

---

(١) المرجع السابق؛ الجاسر، حمد. في سراة غامد وزهران، مرجع سابق، ٢٣٦، ٢٩٣.

(٢) المرجع السابق؛ وانظر: الخطيب،محمد عجاج. أبو هريرة، مرجع سابق، ٨٥؛ الجاسر،حمد. في سراة غامد وزهران، مرجع سابق، ٢٩٣.

(٣) ابن هشام، عبدالملك. السيرة، مرجع سابق، جـ ٢، ٢٤؛ للمزيد، انظر: ابن الجوزي، جمال الدين. صفة الصفوة، مرجع سابق،جـ ١، ٦٠٢ – ٦٠٣؛ ابن الأثير، أُسد الغابة، مرجع سابق، جـ ٤، ٥٤ – ٥٥؛ الجاسر، حمد. في سراة غامد وزهران، مرجع سابق،٢٩٣.

الباحة ومن حولها قد تأخروا في إسلامهم إلى السنة السابعة للهجرة وما بعدها[١].

٢ - عصر الدعوة المدنية :

بقي الطفيل بن عمرو الدوسي الزهراني يدعو قومه للإسلام منذ عودته من مكة في فترة الدعوة المكية حتى جاءت السنة السابعة للهجرة، ثم خرج ومعه نحو سبعين أو ثمانين رجلاً بذراريهم ونسائهم بمن فيهم أبو هريرة، وعبدالله بن أزيهر الدوسيان - رضي الله عنهما- [٢]، فقدموا المدينة كي ينضموا إلى مجتمع المسلمين فيها[٣]، لكنهم وجدوا الرسول ﷺ خرج لمحاربة اليهود في خيبر فلحقوا به، وأعلنوا إسلامهم بين يديه، ثم قسم لهم الرسول ﷺ من غنيمة خيبر[٤]، وجعل شعارهم مبروراً، ، ثم عادوا معه إلى المدينة فقال الطفيل: يا رسول الله لا تفرق بيني وبين قومي فأنزلهم حرة

---

(١) للمزيد انظر: ابن سعد،محمد. الطبقات، مرجع سابق، جـ ١، ٣٢٨، ٣٣٢، ٣٣٥، ٣٣٧، ٣٣٩، ٣٤٢، ٣٤٤، ٣٤٥ – ٣٤٨، ٣٥٢ – ٣٥٣، ٣٥٧.

(٢) ابن هشام،عبدالملك. السيرة، مرجع سابق، جـ ٢، ٢٤، محمد بن عمر الواقدي، كتاب المغازي، تحقيق: مارسدن جونس، (بيروت: عالم الكتب، د. ت)؛ شمس الدين محمد بن القيم، زاد المعاد في هدي خير العباد، تحقيق: شعيب بن الأرنؤوط وآخرين. (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤١٠ هـ/ ١٩٩٠ م)،جـ٣، ٦٢٤ – ٦٢٨؛و لمزيد من المعلومات عن أبي هريرة، وعبد الله بن أزيهر الدوسي، انظر: ابن حزم، علي. جمهرة أنساب العرب، مرجع سابق، ٣٨١، ٣٨٢؛ الخطيب،محمد عجاج. أبو هريرة، مرجع سابق، ٨٥؛ الجاسر،حمد. في سراة غامد وزهران،مرجع سابق، ٢٧٥، ٢٨٢ – ٢٨٣.

(٣) الواقدي، محمد بن عمر. كتاب المغازي، مرجع سابق، جـ ٢، ٦٨٣؛ ابن القيم، شمس الدين. زاد المعاد،مرجع سابق، جـ ٣، ٦٢٤، وما بعدها؛ الجاسر،حمد.في سراة غامد وزهران، مرجع سابق، ٢٩٣.

(٤) المراجع السابقة.

الدجاج[١]. وقال عبدالله بن أزيهر: ((**يا رسول الله إن لي في قومي سلطة ومكاناً فاجعلني عليهم، فقال رسول الله ﷺ يا أخا دوس: إن الإسلام بدأ غريباً، وسيعود غريباً، فمن صدق الله نجا، ومن آل إلى غير ذلك هلك، إن أعظم قومك ثواباً أعظمهم صدقاً، ويوشك الحق أن يغلب الباطل**))[٢] وإذا كان الإسلام تغلغل في قلوب بعض الزهرانيين قبل فتح مكة فهذا لا يعني أن مجتمع بلاد غامد وزهران أصبح مسلماً، لأننا نجد بعض الروايات تذكر أن الرسول ﷺ أرسل الطفيل بن عمرو الدوسي مع بعض قومه المسلمين بعد معركة حنين في السنة الثامنة للهجرة لمحاربة من بقي على الوثنية في بلاد غامد وزهران[٣]، وأوصاهم بهدم صنم عمرو بن حممة الدوسي الذي يعرف بذي الكفين[٤]، فما كان على الطفيل إلاّ أن أطاع أمر الرسول ﷺ وطلب النصيحة، فقال ﷺ للطفيل: ((**أفش السلام، وابذل الطعام، واستح من الله كما يستحيي الرجل ذو الهيئة[٥] من أهله، إذا أسأت فأحسن إن**

---

(١) ابن هشام،عبدالملك. السيرة، مرجع سابق، جـ ٢، ٢٤ – ٢٥؛ ابن سعد،محمد. الطبقات، مرجع سابق، جـ ١، ٣٥٣. وحرة الدجاج إحدى نواحي المدينة في عهد الرسول ﷺ.

(٢) المرجع السابق، جـ ١، ٣٥٣.

(٣) انظر: الواقدي،محمد بن عمر. كتاب المغازي، مرجع سابق، جـ ٣، ٩٢٣؛ ابن هشام، عبدالملك. السيرة، مرجع سابق، جـ ٢، ٢١ وما بعدها؛ ابن جريس غيثان. دراسات، مرجع سابق، جـ١، ٣٢؛ الزهراني،محمد بن مسفر. بلاد زهران، مرجع سابق، ٢١ – ٢٢.

(٤) ذو الكفين: صنم لدوس، وهو مصنوع من الخشب، كان لعمرو بن حممة،وعمرو هذا والد الصحابي الجليل الطفيل الذي أرسله الرسول ﷺ لهدم هذا الصنم وإحراقه. انظر: ابن هشام،عبدالملك. السيرة، مرجع سابق، جـ ١، ٨٤؛ ابن حزم، علي بن أحمد. جمهرة أنساب العرب، مرجع سابق، ٤٩٤؛ جواد علي. المفصل، مرجع سابق، جـ ٦، ٢٧٤ – ٢٧٥.

(٥) أي ذو الصورة والشكل الحسن، أو ذو الوقار. وتقول هيأت للأمر أُهيِّئ، هيئة، وتهيأت تهيؤاً، والهيئة: الشارة، فيقال فلان حسن الهيئة. ابن منظور، جمال الدين. لسان العرب، مرجع سابق، جـ ١٥، ١٧٠. فعل (هيأ).

الحسنات يذهبن السيئات ذلك ذكرى للذاكرين))[١]، ثم خرج الطفيل بمن معه فحارب بعض المشركين في بلاد دوس وما حولها، ثم هدم صنم ذي الكفين، وجعل يحشو النار في جوفه ويقول:

يا ذا الكفين لستُ من عُبَّادك ميلادنا أقدم من ميلادك

أنا حشوت النار في فؤادك [٢]

وبعد ذلك رجع الطفيل وبعض قومه وعددهم أربعمئة فقابلوا الرسول ﷺ في الطائف بعد مقدمه إليها بأربعة أيام، وكان معهم دبابة ومنجنيق[٣]. ويتضح من هذه السرية التي أرسلها الرسول ﷺ مع الطفيل توطيد قدم الإسلام في بلاد غامد وزهران، والقضاء على بقايا المشركين وأوثانهم، ثم تتالت الوفود من هذه البلاد على الرسول ﷺ في المدينة. وتشير بعض المصادر إلى وفد غامد الذي قدم المدينة في شهر رمضان

---

(١) الواقدي،محمد بن عمر. كتاب المغازي، مرجع سابق، جـ ٢، ٧٢٢.

(٢) المرجع السابق، علي بن الحسين المسعودي، التنبيه والإشراف. (بيروت:دار مكتبة الهلال،١٩٨١م)،٢٤٣؛ ابن الجوزي، جمال الدين. صفة الصفوة، مرجع سابق،جـ١، ٦٠٣.

(٣) للمزيد عن محاربة الطفيل للوثنيين في بلاد دوس وما حولها، انظر: الواقدي،محمد بن عمر. المغازي،مرجع سابق، جـ ٣، ٩٢٣؛ ابن سعد، محمد. الطبقات، مرجع سابق، جـ ٢، ١٥٧؛ ابن هشام،عبدالملك. السيرة، مرجع سابق، جـ ٢، ٢١ – ٢٥، المسعودي، علي. التنبيه،مرجع سابق، ٢٤٩؛ ابن الجوزي،جمال الدين. صفة الصفوة، مرجع سابق، جـ ١، ٦٠٣. وعند عودة الطفيل من بلاد دوس مع قومه، قال لهم الرسول ﷺ "يا معشر الأزد من يحمل رايتكم، فقال الطفيل من كان يحملها في الجاهلية، فقال: أصبتم "، وقيل الذي كان يحملها في الجاهلية أخو النعمان بن الزرافة اللهبي، وهذا ما ذكره الواقدي، أما ابن سعد فذكر أنه النعمان بن بازية اللهبي، وذكر ابن عبد البر أنه النعمان بن الزراع عريف الأزد. انظر: الواقدي، محمد بن عمر. المغازي، مرجع سابق،جـ ٣، ٩٢٣؛ ابن سعد، محمد. الطبقات، مرجع سابق، جـ ٢، ١٥٧ – ١٥٨؛ محمد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري، (بيروت: دار التربية للطباعة والنشر والتوزيع، د. ت)، مج٣، جـ ٥، ١٢٣.

من السنة العاشرة، وهم عشرة نفر، فنزلوا ببقيع الغرقد، ثم لبسوا من صالح ثيابهم، وانطلقوا إلى رسول الله ﷺ فسلموا عليه وأقروا بالإسلام، وكتب لهم الرسول ﷺ كتاباً فيه شرائع الإسلام، وأتوا أبي بن كعب فعلّمهم قرآناً، وأجازهم رسول الله ﷺ كما يجيز الوفود، ثم عادوا إلى بلادهم[(١)].

ويذكر ابن سعد أن وفد سلامان الزهراني الأزدي[(٢)] قدموا على رسول الله ﷺ في المدينة في شهر شوال من السنة العاشرة، وكانوا سبعة نفر، وعند مقابلته ﷺ كان خارجاً من المسجد إلى جنازة دعي إليها، **((فقالوا السلام عليك يا رسول الله: فقال وعليكم، من أنتم، فقالوا: نحن من سلامان قدمنا لنبايعك على الإسلام، ونحن على من وراءنا من قومنا))**[(٣)]،

---

(١) ابن سعد، محمد. الطبقات، مرجع سابق، جـ ١، ٣٤٥؛ ابن دريد، أبو بكر محمد الحسن، الاشتقاق، مرجع سابق، ٤٩٣؛ الجاسر،حمد. في سراة غامد وزهران، مرجع سابق، ٢٨٢. وفي رواية أخرى، انفرد بها ابن سعد، تشير إلى أن الرسول ﷺ كتب إلى أبي ظبيان الأزدي الغامدي يدعوه ويدعو قومه إلى الإسلام ((فأجابه في نفر من قومه بمكة، منهم: مخنف، وعبد الله، وزهير بنو سليم، وعبد شمس بن عفيف بن زهير، هؤلاء بمكة، وقدم عليه بالمدينة الجحن بن المرقع، وجندب بن زهير، وجندب بن كعب، ثم قدم بعد مع الأربعين الحكم بن مغفل، فأتاه بمكة أربعون رجلاً، وكتب النبي ﷺ لأبي ظبيان كتاباً، وكانت له صحبة))، انظر: ابن سعد،محمد. الطبقات، مرجع سابق، جـ ١، ٢٧٩ – ٢٨٠.

(٢) ابن سعد، محمد. الطبقات، مرجع سابق، جـ ١، ٣٣٢ – ٣٣٣؛ للمزيد انظر: محمد بن علي الأكوع، الوثائق السياسية اليمنية من قبيل الإسلام إلى سنة ٣٣٢ هـ، (بغداد: دار الحرية للطباعة، ١٣٩٦ هـ/ ١٩٧٦ م)، ٨٧.

(٣) المرجع السابق.

فقال: الرسول ﷺ لغلامه ثوبان: أنزل هؤلاء الوفد حيث ينزل الوفود، فلما صلى الظهر اجتمع بهم فعلمهم شرائع الإسلام، وأعطى كل واحد منهم خمس أواقٍ فضة، وعادوا إلى بلادهم [(١)].

وتذكر بعض الروايات أن الرسول ﷺ كان قد كتب إلى أبي ظبيان الأزدي الغامدي[(٢)] يدعوه ويدعو قومه إلى الإسلام، لكننا لم نعثر على نص هذا المكتوب[(٣)]. وفي كتاب آخر أرسله الرسول ﷺ إلى أبي ظبيان عمير بن الحارث الأزدي الغامدي، قال فيه: ((**أما بعد: فمن أسلم من**

---

(١) المرجع السابق.

(٢) أبو ظبيان الغامدي: هو عبد شمس بن الحارث بن كثير بن جشم، ترأس وفد غامد إلى الرسول ﷺ، وكان في جيش سعد بن أبي وقاص في معركة القادسية، وهو القائل:

أنا أبو ظبيان غير المكذبة ... أبي أبو العنقاء وخالي اللهبة

أكرم من يعلم بين ثعلبة

انظر: إسماعيل بن القاسم القالي، الأمالي، (بيروت، د. ن، د. ت)، جـ ٢، ٢٧٦؛ الجاسر، حمد. في سراة غامد وزهران، ٢٨٢.

(٣) ابن سعد، محمد. الطبقات، مرجع سابق، جـ ١، ٢٨٠؛ الأكوع؛ محمد. الوثائق، مرجع سابق، ٨٧؛ محمد حميد الله، مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة، (بيروت: دار النفائس، ١٤٠٥ هـ/ ١٩٨٥ م)، ٢٤٠. هناك وفود ورسائل عديدة متبادلة بين الرسول ﷺ وأهل تهامة والسراة، بمن فيهم سكان منطقة الباحة (الغامديون والزهرانيون)، وفيها إعلان لسكان هذه البلاد عن إسلامهم أمام رسول الله ﷺ، أو عن طريق وفودهم، ثم إقرارهم من قبل الرسول ﷺ على بلادهم، على أن يقيموا حدود الله في أوطانهم، ومن صيغ تلك الكتب التي كان يدونها الرسول ﷺ لتلك الوفود قوله ﷺ ((بسم الله الرحمن الرحيم. هذا كتاب من محمد رسول الله لجنادة الأزدي وقومه ومن تبعه: ما أقاموا الصلاة، وآتوا الزكاة، وأطاعوا الله ورسوله، وأعطوا من المغانم خمس الله، وسهم النبي ﷺ، وفارقوا المشركين، فإن لهم ذمة الله، وذمة محمد بن عبد الله))، انظر: الأكوع، محمد. الوثائق، مرجع سابق، ٨٦؛ حميد الله، محمد. مجموعة الوثائق، مرجع سابق، ٢٣٨ – ٢٣٩.

غامد فله ما للمسلم، حرم ماله ودمه، ولا يعشر ولا يحشر، وله ما أسلم عليه من أرضه)) [١].

وتذكر بعض المصادر اسم سعد بن أبي ذئاب الدوسي[٢]، الذي يقول: **((أتيت رسول الله ﷺ فأسلمت فاستعملني على قومي، وجعل لهم ما أسلموا عليه من أموالهم))** [٣].

ويتضح مما سبق أن عموم قبائل غامد وزهران أسلمت ما بين السنة السابعة والعاشرة للهجرة، وتولى شؤون بلادهم بعض الولاة الدوسيين والغامديين الذين وفدوا على رسول الله ﷺ في كل من مكة والمدينة، كالطفيل بن عمرو، وأبو ظبيان، وسعد بن أبي ذئاب، لكن قبل وفاة الرسول ﷺ حدث ظهور بعض الكذابين المدعين للنبوة أمثال عبهلة، الملقب بـ (الأسود العنسي) في بلاد اليمن وما حولها[٤]، فاتخذ صنعاء نقطة انطلاقه نحو الشمال حتى سيطر على مناطق عديدة بين صنعاء والطائف، وكانت

---

(١) حميد الله، محمد. مجموعة الوثائق، مرجع سابق، ٢٤٠؛ ويذكر الأكوع أن الرسول ﷺ كتب كتاباً لعمر بن عبد الله الأزدي من غامد وضح له فيه شرائع الإسلام، وذلك في شهر رمضان سنة عشر، ولم يرو نص الكتاب؛ الأكوع،محمد. مجموعة الوثائق، مرجع سابق، ٨٧.

(٢) يذكر ابن حجر أن اسم هذا الصحابي هو: سعد بن أبي ذئاب، ويذكر ابن الأثير أن اسمه (سعد بن أبي ذباب)، وفي اعتقادنا أن الاسم الصحيح ما أورده ابن حجر. للمزيد انظر: شهاب الدين أحمد بن علي بن حجر. الإصابة في تمييز الصحابة، (بيروت: دار الكتب العلمية، د. ت) (مصورة من طبعة كلكتا، ١٨٥٣ م)، مج ٢، جـ ٣، ٨٦؛ ابن الأثير، عز الدين. أسد الغابة، مرجع سابق، جـ ٢، ٢٧٦.

(٣) المرجعان السابقان.

(٤) لمزيد من التفصيلات عن الأسود العنسي وتحركاته السياسية بين صنعاء والطائف، انظر: الطبري، محمد بن جرير. تاريخ الأمم، مرجع سابق، جـ ٣، ٢٣٠ وما بعدها.

بلاد الباحة من المناطق التي نالها وما حولها الأذى من هذا المدّعي الكذاب[١]. وعند سماع الرسول ﷺ بظهور الأسود العنسي وسوء فعاله أرسل إلى عموم ولاته وجميع المسلمين في البلاد الممتدة من مكة والطائف حتى اليمن يحثهم على التمسك بدين الإسلام، والثبات في تصديهم للأسود العنسي، وحذرهم من الارتداد عن دين الله. ثم أرسل جرير بن عبدالله البجلي مع بعض صحابته، - رضوان الله عليهم- إلى سروات غامد وزهران وما جاورها كي يتصدوا للمرتدين والمؤيدين للأسود العنسي في تلك النواحي[٢]، وبعد خروج جرير من المدينة تجاه سروات الباحة، وما يقع جنوبها من السروات جاءه نبأ وفاة الرسول ﷺ فعاد إلى المدينة دون أن يواصل مهمته، وربما أن خبر وفاة الرسول ﷺ فجع جريراً ومن كان معه من المسلمين فعاد إلى المدينة كي يقف على مجريات الأحداث فيها.

ونجد أن بعض رجال غامد وزهران تألموا لموت الرسول ﷺ، وكذلك مما قام به الأسود العنسي ومن سانده من أهل الردة، فهذا سواد بن قارب الدوسي الزهراني يحث قومه على التمسك بدين الله وعدم الرجوع إلى غيره، فقال في بعض خطبه لقومه: ((**يا معشر الأزد إن سعادة القوم أن يتعظوا بغيرهم، ومن شقاوتهم ألاّ يتعظوا إلاّ بأنفسهم، وأن من**

(١) المرجع السابق.

(٢) المرجع السابق؛ عبدالرحمن بن خلدون، تاريخ بن خلدون، تحقيق: خليل شحادة وسهيل زكار، (بيروت : دار الفكر، ١٤٠١ هـ/ ١٩٨١ م)، جـ ٢، ٤٩٣.

لم تنفعه التجارب ضرّته، ومن لم يسعه الحق لم يسعه الباطل... إلخ))[١].

وقد سمع له قومه وتمسكوا بالإسلام فقال في ذلك:

جلّتْ مُصيبَتُكَ الغَداةَ سَوادُ ... وأرَى المُصيبَةَ بَعْدَها تزْدادُ
أبْقَى لَنَا فَقْدُ النَّبي مُحَمَّدٍ ... صَلّى الإلهُ عَلَيه مَا يَعْتادُ
حُزْناً لَعَمْرُكَ في الفُؤاد مُخَامِراً ... أو هَلْ لِمَنْ فَقَدَ النَّبيَّ فُؤادُ
كُنَّا نَحِلُّ بِه جَنَاباً مُمْرعاً ... جَفَّ الجَنَابُ فَأجْدَبَ الرُوَّادُ
فَبكَتْ عَلَيهِ أرْضُنَا وَسَمَاؤُنَا ... وَتَصَدَّعَتْ وَجْداً بِهِ الأكْبَادُ
كَانَ العَيَانُ هُوَ الطَرِيفُ وَحُزْنُه ... بَاقٍ لَعَمْرُكَ في النُفُوسِ تلاد
إنَّ النَّبِي وَفَاتُه كَحَيَاتِهِ ... الحَقُّ حَقٌّ والجِهَادُ جِهَادُ
لَوْ قِيلَ تَفْدُون النَّبِيَّ مُحَمَّداً ... بُذِلَتْ لَهُ الأمْوَالُ وَالأوْلادُ
وَتَسَارَعَتْ فِيهِ النُّفُوسُ بِبَذْلِهَا ... هَذَا لَهُ الأغْيَابُ والأشْهَادُ
هَذَا وَهَذَا لا يَرُدُّ نَبِيَّنَا ... لَوْ كَانَ يَفْدِيهِ فَدَاهُ سَوَادُ
إنّي أُحَاذِرُ وَالحَوَادِثُ جَمَّةٌ ... أمْراً لِعَاصِفِ رِيحِهِ إرْعَادُ
إنْ حَلَّ مِنْه مَا يُخَافُ فَأنْتُمُ ... لِلأرْضِ إنْ رَجَفَتْ بِنَا أوتَادُ
لَو زَادَ قَوم فَوقَ منية صَاحِبٍ ... زِدْتُمْ وَلَيسَ لِمَنِيَّةٍ مُزْدَادُ[٢]

---

(١) عبد الرحمن بن عبد الله السهيلي، الروض الأنف، (القاهرة: مطبعة الجمالية، ١٣٣٢ هـ)، جـ ١، ١٤٠.

(٢) الزهراني، محمد. بلاد زهران، مرجع سابق، ٢٣.

ثالثاً ـ العهد الراشدي :

وعند عودة جرير البجلي وصحبه إلى المدينة المنورة وجدوا المسلمين قد اجتمعوا على تنصيب أبي بكر الصديق خليفة للرسول ﷺ، ووجدوا أبا بكر غير راضٍ عن رجوعهم من المهمة التي كلفهم بها الرسول ﷺ، فما كان منهم إلاّ الذهاب إلى أرض السراة لمحاربة من ارتد من عشائر وقبائل تلك البلاد، فساروا إلى بلاد بجيلة وخثعم ودوس والحجر وغيرهم فحاربوا من ارتدَّ أو عاد إلى الوثنية وتغلبوا عليهم[1].

والواقع أن المرتدين في بلاد غامد وزهران كانوا قلة، وبخاصة إذا قورنوا ببقية أجزاء شبه الجزيرة العربية[2] فالأسود العنسي ـ كما أشرنا ـ ظهر في حواضر اليمن الكبرى، ثم مدَّ نفوذه شمالاً حتى نجران وجرش وسروات غامد وزهران، ووجد بعض المؤيدين لدعوته في تلك الأجزاء بل وجد من بين أهل تلك البلاد من يتولَّى قيادات عامة ينوبون عنه في السير بحركة الارتداد في أوطانهم، فيقنعون من بقي على دين الإسلام، ويحببون إليهم الردة، أو يهاجمون من يقف في طريقهم من مسلمي البلاد أنفسهم، أو من سيأتي من قِبل المدينة المنورة وما حولها ويحاربونهم. ومن أولئك المؤيدين للعنسي عمرو بن معدي كرب الزُبيدي بأرض جنب (قحطان) وخثعم المجاورين لمنطقة الباحة من الجنوب الذي تزعم وفد زُبيد عندما قدموا إلى

(١) الطبري، محمد بن جرير. تاريخ الأمم، مرجع سابق، جـ ٣، ٣٢٢؛ ابن خلدون، عبدالرحمن. تاريخ، جـ ٢، ٤٩٣.

(٢) الطبري، محمد بن جرير. تاريخ الأمم، مرجع سابق، جـ ٣، ٣٢٢ –٣٤٢.

المدينة ليعلنوا إسلامهم أمام الرسول ﷺ، وبعد ظهور العنسي ارتد عمرو وانضم إلى حزب المرتدين، فجعله العنسي نائباً عنه في البلاد الممتدة من نجران جنوباً إلى بيشة والباحة وتربة شمالاً [١]، وبرز إلى جانب عمرو مع العنسي قيس بن عبد يغوث الأزدي المرادي الذي ولاه العنسي إمرة الجيش العامة، كما شارك مع العنسي معاوية بن قيس الجنبي، ويزيد بن الأفكل الأزدي، وجميعهم من قبائل السراة الواقعة بين نجران والطائف [٢]. ويورد الطبري تجمع بعض الأفراد من عشائر بجيلة، وخثعم، وغامد وزهران، وأفخاذ أخرى في تهامة والسراة، ثم انضوائهم تحت زعامة حميضة بن النعمان بن حميضة البارقي، ثم إعلانهم ارتدادهم[٣] وربما اتحدوا مع أعوان الأسود العنسي، ونهجوا نهج المرتدين في شبه الجزيرة العربية، وبخاصة امتناعهم عن دفع الزكاة، وعدم التقيد ببعض أحكام الإسلام.

والسؤال الذي يطرح نفسه هو: كم كان حجم المرتدين في منطقة الباحة؟ والواقع أن الإجابة عن هذا السؤال صعبة؛ لأن المصادر الأولى لا تسعفنا بمعلومات وافرة حتى نستطيع من خلالها

---

(١) لتفصيلات أكثر عن شخصية عمرو بن معدي كرب منذ العصر الجاهلي حتى إسلامه ثم ارتداده، انظر: الطبري، محمد بن جرير. تاريخ الأمم، مرجع سابق، جـ٢، ٢٣٠ ـ ٢٣١؛ ابن هشام، عبد الملك. السيرة، مرجع سابق ،جـ٤، ٢٣٠ ـ ٢٣١؛ ابن سعد،محمد. الطبقات، مرجع سابق، جـ١، ٣٢٨؛ محمد بن عبد الله بن قتيبة، الشعر والشعراء، (بيروت: دار إحياء العلوم، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م)، ٢٤٠ ـ ٢٤٢؛ أحمد بن محمد بن عبد ربه، العقد الفريد، تحقيق: مفيد محمد قميحة وآخرين. (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٤هـ/١٩٨٣م)، جـ١، ١٢٤، ٣١٨ ـ ٣١٩.

(٢) الطبري،محمد بن جرير. تاريخ الأمم والملوك، مرجع سابق، جـ ٣، ٢٣٠ – ٢٣٢.

(٣) المرجع السابق، جـ ٣، ٣٢١ – ٣٣٢.

معرفة حجم حركة الارتداد في البلاد المعنية بالدراسة في هذا البحث، ولكن في اعتقادنا ـ وكما أشرنا سابقاً ـ أن حجمها كان أقل بكثير من حجمها في أجزاء أخرى من شبه الجزيرة، بدليل أنه عندما عزم الخليفة أبو بكر الصديق ﷺ على محاربة المرتدين في كل مكان، فإنه لم يرسل جيشاً خاصاً إلى تلك البلاد، وإنما أرسل جيشاً مر بمكة المكرمة ثم الطائف، ثم سلك طريقه عبر السراة حتى وصل صنعاء في اليمن، ومرور مثل ذلك الجيش بسروات الطائف، وغامد وزهران، وجرش (عسير) جعله يصطدم ببعض المرتدين الذين يبدو أن حجمهم وخطرهم لم يصل إلى مستوى خطورة وحجم جماعة مسيلمة الكذاب أو طليحة بن خويلد الأسدي أو مالك بن نويرة ومن ارتد معهم، أو غيرهم في أطراف أخرى من جزيرة العرب[١].

ولم يكتف الخليفة أبو بكر الصديق ﷺ برد جرير بن عبدالله البجلي ومن كان معه إلى حيث أرسلهم الرسول ﷺ من أرض السروات، وإنما أصدر تعليمات أخرى إلى عماله في مكة المكرمة والطائف يأمرهم أن يرسلوا البعوث إلى الباحة وعسير (تهامة وسراة)، بل إلى أجزاء عديدة من بلاد اليمن ليجمعوا من بقي على الإسلام هناك، ثم يجاهدوا بهم من ارتد عن دين الله، فما كان من أمير مكة المكرمة عتاب بن أسيد، إلاّ الامتثال لأمر الخليفة، وأرسل أخاه خالد بن أسيد إلى الأجزاء التهامية الواقعة جنوب مكة

---

(١) المرجع السابق، جـ ٣، ٢٢٣ - ٣٤٢.

المكرمة والممتدة إلى بلاد اليمن[١]. كذلك أرسل والي الطائف، عثمان بن أبي العاص بعثاً إلى بلاد السروات الممتدة من جنوب الطائف إلى اليمن، فذهب ذلك البعث حتى اجتمع بجرير بن عبدالله البجلي في وسط السراة ببلاد دوس وخثعم والحجر، ثم ذهبوا جميعاً حتى التقوا بحميضة البارقي، ومن كان معه من المرتدين في سراة جرش (عسير) فحاربوهم حتى هزموهم ومزقوهم شر ممزق[٢]، وفر قائدهم حميضة بن النعمان البارقي[٣] فارتجل عثمان بن أبي ربيعة شعراً في هزيمتهم قائلاً:

فضضنا جمعهم والنقع كاب ... وقد تعدي على الغدر الفتوق

وأبرق بارق لما التقينا ... فعادت خلّبا تلك البروق[٤]

كما أدى إصرار الخليفة أبي بكر على قتال المرتدين إلى تجهيز جيوش عديدة في المدينة، ثم أرسل كل واحد منها إلى ناحية لكي يتصدى للمرتدين، فكان نصيب بلاد تهامة والسراة واليمن جيشاً أرسله تحت قيادة المهاجر بن أبي أمية، فخرج ذلك الجيش متوجهاً صوب مكة المكرمة والطائف، ثم تحرك جنوباً إلى سروات الباحة وجرش (عسير) حتى اليمن.

---

(١) المرجع السابق، جـ ٣، ٣١٩ – ٣٢٠؛ ابن خلدون، عبد الرحمن. تاريخ ابن خلدون، مرجع سابق، جـ ٢، ٤٩١.

(٢) الطبري، محمد بن جرير. تاريخ الأمم، مرجع سابق، جـ ٣، ٣٢٠ – ٣٢٢، ٣٢٨.

(٣) كان أغلبهم من قبائل الأزد وخثعم، ولكن بعد هزيمة حميضة ومن ارتد معه، ثم تفريق جمعهم، عاد بعضهم إلى الإسلام، وفيما يظهر أن حميضة نفسه عاد إلى الإسلام، إذ نرى أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب بعثه مع سعد بن أبي وقاص إلى العراق لمحاربة الفرس. الطبري، محمد بن جرير. تاريخ الأمم، مرجع سابق، جـ ٣، ٤٨٤.

(٤) المرجع السابق، جـ ٣، ٣٢٠.

وفي سروات غامد وزهران التقى المهاجر بن أبي أمية بجرير بن عبدالله، ومن هناك واصل الرجلان سيرهما إلى بلاد جرش (عسير) السروية، وعند منتصف الطريق التقى المهاجر الذي كانت له قيادة الجيوش بعبدالرحمن بن أبي العاص قائد الجيش بإمرة والي الطائف عثمان بن أبي العاص. وانضم لهذه الجيوش أيضاً عبدالله بن ثور من تهامة فواصل الجميع سيرهم عبر بلاد الحجر، وبيشة وجرش حتى قدموا على بلاد نجران وما والاها من بلاد اليمن[١]. وبعد معارك كثيرة وصراع طويل تمكن القادة المسلمون من إحراز النصر، وتلا ذلك هزيمة المرتدين واستسلامهم في النهاية وعودتهم إلى الإسلام، الأمر الذي أدى إلى أن صارت بلاد نجران وجرش (عسير) والباحة (سراة وتهامة) جزءاً من أجزاء الخلافة الإسلامية في عهد الخليفة أبي بكر الصديق[٢].

وبعد ذلك بدأت المرحلة الثانية في تاريخ الخليفة أبي بكر الصديق ومن جاء بعده من الخلفاء الراشدين، وهي مرحلة الفتوحات الإسلامية، فانخرط

---

(١) المرجع السابق، جـ ٣، ٣٢٢، ٣٢٦ – ٣٣٠.

(٢) انظر: محمد بن أحمد العقيلي، تاريخ المخلاف السليماني، (الرياض: منشورات دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، ١٤٠٢ هـ/ ١٩٨٢م)، جـ١، ٧١ وما بعدها؛ وللمؤلف نفسه، التاريخ الأدبي لمنطقة جازان، (جازان: نادي جازان الأدبي، ١٤١١هـ/١٩٩٠م)، جـ ١، ٢٥ وما بعدها؛ وانظر: أحمد بن عمر الزيلعي، الأوضاع السياسية والعلاقات الخارجية لمنطقة جازان (المخلاف السليماني) في العصور الإسلامية والوسيطة، (الرياض: مطابع الفرزدق، ١٤١٣ هـ/ ١٩٩٢ م)، ٢٥ وما بعدها، وللمؤلف نفسه، " المواقع الإسلامية المندثرة في وادي حلي (ق ٣–٩ هـ/ ٩–١٥ م "، مجلة كلية الآداب، ع ٧، (الكويت: جامعة الكويت، كلية الآداب، ١٤٠٦ هـ/ ١٩٨٦ م)، ١–٧٧.

الكثير من التهاميين والسرويين بمنطقة الباحة في جيوش المسلمين مثل غيرهم من عرب شبه الجزيرة العربية، وأبلوا بلاء حسناً في فتح بلاد الشام، ومصر، والمغرب، والأندلس، وفارس وغيرها، وعمل الكثير منهم على نشر الإسلام في تلك البقاع الإسلامية الجديدة واستقر بعضهم في بعض الحواضر من تلك الأمصار، ثم شاركوا في كثير من الأنشطة السياسية والحضارية.

والملاحظ أن المصادر الإسلامية المبكرة لا تفصح عن الأحداث التي وقعت في منطقة الباحة، أو ما يعرف ببلاد "غامد وزهران"، وإنما تشير فقط إلى بعض الوقائع التي حدثت في بعض أجزائها، مع أن تلك الإشارات غير دقيقة إلى حدٍّ ما، لا في تسمية الأمكنة، ولا في دور الحواضر بشكل مفصل، الأمر الذي لا يروي ظمأ القارئ إلى معرفة الأوضاع السياسية والحضارية لهذه الأجزاء من هذه البلاد، وهو بدوره لا يشكل إلا جزءاً محدوداً من المنطقة الجغرافية الواسعة التي أطلقنا عليها بلاد تهامة والسراة. وفي اعتقادي أن بلاد غامد وزهران (تهامة وسراة) لم تتغير في وضعها السياسي خلال القرنين الأولين ولا سيما بعد الانتهاء من حروب الردة، ثم صارت من الأجزاء التابعة للخلافة الإسلامية في المدينة المنورة، إذ عيّن الخليفة أبو بكر ﷺ عليها والياً ينظم شؤون الناس، ثم سار من بعده الخلفاء

الراشدون في تعيين ولاة على أهل تهامة والسراة يقومون على إدارة شؤونهم، والفصل في خصوماتهم، وجباية زكاة أموالهم[١].

وإذا حاولنا معرفة الدور الذي قامت به بلاد غامد وزهران وغيرها من بلاد تهامة والسراة في بعض الأحداث السياسية التي ألمت بالدولة الإسلامية في عهد الخلفاء الراشدين، وبخاصة في الفتنة الكبرى في عهد الخليفة عثمان ابن عفان، والعلاقة بين الخليفة علي بن أبي طالب وبين معاوية بن أبي سفيان - رضي الله عنهما- نجد أن سكان هذه البلاد أسوة بغيرها من سكان الجزيرة العربية قد انخرطوا - بالتأكيد - في هذه الفتنة، ومنهم من انضم إلى الخليفتين الراشدين عثمان وعلي - رضي الله عنهما- ، ومنهم من كان ضدهما، وبخاصة الذين هاجروا من بلادهم وتوزعوا في الأمصار الإسلامية من الحجاز إلى الشام، ومصر، والعراق، وبلاد فارس[٢]. أما

---

(١) صالح أحمد العلي، " إدارة الحجاز في العهود الإسلامية الأولى " مجلة أبحاث، مج ١-٤ س ٢١ (١٩٦٨م) ٣-٥٧. ويذكر أن سعد بن أبي ذئاب الدوسي الزهراني كان والياً للرسول ﷺ على قومه في بلاد زهران، وبقي في عمله إلى عهد الخليفة عمر بن الخطاب، وتشير بعض الروايات إلى أن سعداً قدم على قومه في عهد عمر، فقال:((يا قوم أدوا زكاة العسل فإنه لا خير في مال لا تؤدى زكاته، قالوا كما ترى، قال العشر، فأخذ منهم العشر فبعث به إلى عمر فجعله في صدقات المسلمين))؛ ابن الأثير، عز الدين . أسد الغابة، مرجع سابق،جـ٢، ٢٧٦؛ ابن حجر،شهاب الدين . الإصابة، مرجع سابق، مج ٢، جـ ٣، ٧٦؛ ابن جريس،غيثان. دراسات في تاريخ تهامة والسراة،مرجع سابق، جـ ١، ٥٧ وما بعدها؛ الجاسر،حمد. في سراة غامد وزهران، مرجع سابق، ٢٨٠ وما بعدها.

(٢) أبو محمد أحمد الكوفي بن أعثم، كتاب الفتوح، (بيروت: دار الندوة الجديدة/ مصورة من طبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر أباد، الدكن، الهند، د. ت)، جـ ٤، ٥٣ - ٦٩؛ القاضي أبو بكر محمد بن العربي، العواصم من القواصم في مواقف الصحابة بعد وفاة النبي ﷺ، تحقيق: محب الدين الخطيب. (القاهرة: المطبعة السلفية، ١٣٩٦ هـ)، ٦١ - ١١٠.

سكان منطقة الباحة المقيمون في أوطانهم فلا تذكر لنا المصادر تفصيلات عن تفاعلهم مع أحداث تلك الحقبة الصعبة، ولكننا لا نستبعد تأثيرهم وتأثرهم بالأحداث، خصوصاً أنهم يقيمون في منطقة حساسة تربط بلاد اليمن بالحجاز. وإن لم يكن تأثيرهم مباشراً فربما كان عاطفياً ونفسياً.

رابعاً- العهدان الأموي والعباسي وما بعدهما:

١ - الآثار السلبية على انتقال الخلافة من الجزيرة العربية إلى الشام والعراق.

ساد الاضطراب شبه الجزيرة العربية عموماً ومنطقة الباحة بشكل خاص بعد انتهاء عصر الخلفاء الراشدين، وأهمل ذكرها في طيات المصادر، واستمر ذلك الإهمال والنسيان خلال العصر الإسلامي الوسيط، ولعل ذلك يرجع إلى عدد من الأسباب يأتي في مقدمتها انتقال حاضرة الخلافة الإسلامية، ومركز الثقل السياسي والزعامة من الحجاز إلى خارجه، أي من المدينة المنورة إلى خارج شبه الجزيرة العربية، حيث انتقلت العاصمة أولاً إلى الكوفة في عهد علي بن أبي طالب، ثم إلى دمشق في بلاد الشام ثم إلى بلاد العراق، وقد أدى انتقال السلطة المركزية، والزعامة السياسية، لخارج الجزيرة العربية إلى ظهور عدد من المشكلات والعقبات السياسية التي كان لها انعكاسها على النواحي الحضارية، نذكر منها:

أ- تقلص الدور السياسي لشبه الجزيرة العربية فتحولت جميع أجزائها إلى مجرد ولاية عادية ضمن ولايات الدولة الإسلامية، بعد أن كانت

مقراً للسلطة المركزية في عصري الرسالة والخلافة الراشدة، ولم تعد تشكل أهمية عند خلفاء بني أمية وبني العباس، فيما عدا حواضر الحجاز الكبرى التي ظلت لها مكانتها الدينية والسياسية في هذين العصرين لكونهما - مكة المكرمة والمدينة المنورة- مقراً للحرمين الشريفين بما لهما من مكانة مقدسة في نفوس المسلمين، كما أن السيطرة عليهما، والقائم على خدمتهما وإسباغ الحماية عليهما، يحوز الرضا والتأييد السياسي والروحي من عامة المسلمين وخاصتهم فترتفع مكانتهم، وبالتالي تتحقق المكاسب السياسية لأولئك الساسة لكونهم رعاة للمقدسات الإسلامية.

ب- أصبحت أجزاء شبه الجزيرة العربية الأخرى خلاف مكة المكرمة والمدينة المنورة المقدستين، منذ عصري بني أمية وبني العباس وعلى مر القرون الإسلامية الوسيطة هامشية، تحت مظلة تلك الحكومات، فلم تعد لها الأهمية والقدر اللذان كانت عليهما في عصري الرسالة والخلفاء الراشدين، ويعود ذلك في رأينا إلى البعد الجغرافي لمعظم أجزاء الجزيرة العربية عن الحاضرة السياسية للدولة الإسلامية ويرجع - أحياناً- إلى صعوبة التضاريس، ما أثر في سهولة الاتصالات فيما بين تلك البقاع والعاصمة، وهذان السببان نلاحظهما في بلاد السروات التي تعد بلاد غامد وزهران (تهامة وسراة) جزءاً منها.

وإذا ما سعينا لتقديم دراسة تاريخية حضارية لمنطقة الباحة خلال هذه الفترة، نجد أن الأمر يزداد غموضاً لأن العقبات المذكورة أعلاه تكاد تشمل أغلب نواحي شبه الجزيرة العربية باستثناء بلاد الحجاز إلى حدٍ ما، فإذا ما تطرقنا لمحاولة تقديم دراسة عن تاريخ وحضارة منطقة صغيرة من شبه الجزيرة العربية مثل أرض غامد وزهران وما شابهها فإننا نقابل بصمت المصادر تقريباً عن إفادتنا بأي شيء حيال هذا الأمر، فالعلماء وأرباب القلم لا يذهبون غالباً وأبداً إلا إلى المواطن التي يجدون فيها الدعم والرعاية، حيث تصنع الأحداث السياسية، ويقيم الحكام، ويزداد الثراء الحضاري، وهذا لا يتوافر إلا في الحواضر الكبرى وعليه فقد توافدوا على بلاط خلفاء بني أمية وبني العباس وأمرائهم ليكونوا قريبين من الأحداث وصنع القرار، فتركز اهتمامهم على التأريخ للدول وشخصيات الحكام دون الاهتمام بالتأريخ لموضوعات متخصصة إلا في القليل النادر، وإن كانوا قد دونوا شيئاً في مصنفاتهم عن تاريخ وأدب وحضارة بلاد بعيدة عن مواطنهم ومواقع استقرارهم مثل البلاد المعنية في هذه الدراسة وغيرها من النواحي الصغيرة، فذلك لا يكون إلا اعتماداً على الرواية الشفهية، أو بالاطلاع على بعض المصادر المحلية لتلك الأوطان وغالباً ما تكون تلك المصادر نادرة أو معدومة. وتزداد الأمور صعوبة على الباحث إذا ما تطرق إلى الدراسات الحضارية حيث يصادف ندرة في المعلومات التي تتصل بعدد من جوانب الموضوع، لتركيز المؤرخين في كتاباتهم على التأريخ السياسي، الأمر الذي جعل الجوانب الحضارية والاهتمام بها يضيع في زحام الصراعات السياسية، فقد

يقرأ الباحث كتباً عديدة دون أن يجد نصاً واحداً يتناول مظهراً من مظاهر التاريخ الحضاري لمنطقة ما.

فعلى سبيل المثال إذا ما طالعنا المصادر الإسلامية على اختلافها من تاريخية وجغرافية وأدبية لنرى ما دونته عن منطقة الباحة في العصرين الأموي والعباسي، نكاد لا نظفر بطائل، حيث اعتراها الإهمال، ومر المصنفون عليها وعلى ما جرى فيها من وقائع وأحداث دون أن يتناولوها سواء بإيجاز أو تفصيل، فمثلاً إذا حاولنا معرفة طبيعة النظام الإداري هناك، فإن المصادر لا تمدنا بمعلومات واضحة أو صريحة عن ذلك، فكل ما أشارت إليه في هذا الصدد ذكر أسماء الولاة المعيَّنين من قِبل خلفاء بني أمية، وكذلك بني العباس على الحجاز أو اليمن أو البحرين دون أن تفصِّل لنا ماهية الأوضاع الإدارية في تلك الأجزاء الصغيرة [١].

وبالنسبة إلى منطقة الباحة – موضوع هذا البحث – فقد تعدى عدم الاهتمام بذكرها، وإهمال وقائعها في بطون المصادر للتاريخ الحضاري ليشمل تاريخها السياسي أيضاً، فبدءاً من العصر الأموي لا نكاد نجد في

---

(١) انظر: تقي الدين محمد الفاسي، شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام، تحقيق: لجنة من العلماء. (بيروت: دار الكتب العلمية، د. ت)، جـ٢، ١٦٦ – ١٦٧؛ العلي، صالح أحمد " إدارة الحجاز في العصور الإسلامية الأولى "، مرجع سابق، ٣ – ٥٧.

Hugh. Kennedy, ((Centeral government and Provincial elites in the early Abbasid Caliphate)) Bulletin of the School of Oriental and African Studies , 44(. 19811), 26 – 38. S.B. Samadi "Some Aspects of the theory of State and Administration Under the Abbasids" Islamic culture, 29 (1955) ,120–150, Elie Salem, Muslim Administration Islamic Culture, 33 (1959), 19–30.

طيات المصادر على اختلافها وتنوعها ما يشفي غليل الباحث من المعلومات المتصلة بهذه البلاد ودورها السياسي والحضاري، وكل ما نعثر عليه لا يزيد على شذرات متناثرة وأغلبها يعالج موضوع الثورات وحركات العصيان السياسي التي شهدتها أرجاء شبه الجزيرة العربية بعامة، والمناطق الغربية والجنوبية الغربية منها بخاصة ونعني بها الحجاز واليمن، وتأتي أرض غامد وزهران وما يجاورها ضمنها.

٢ - بعض الفتن والحركات السياسية :

أ- ثورة أبي حمزة الخارجي:

ويدعى المختار بن عوف الأزدي السلمي الدوسي الزهراني، ومستقره في مدينة البصرة بالعراق، وكان معاصراً للخليفة الأموي مروان بن محمد الجعدي ١٢٧-١٣٢هـ (٧٤٤-٧٤٩م) وقد اعتاد أبو حمزة ارتياد مكة المكرمة في كل مواسم الحج لنشر مذهبه الخارجي وتحريض الناس على الفتنة، بغية القضاء على الخلافة الأموية، وخلع مروان بن محمد. وفي عام (١٢٨هـ/٧٤٥م) التقى (المختار) بأحد رجال حضرموت ويدعى، عبد الله بن يحيى الكندي الذي اقتنع بدعوته، ودعاه للذهاب معه إلى حضرموت لنشر دعوته بين قومه، وأشارت بعض المصادر إلى أن الكندي رغّبه في ذلك بقوله: ((**إنني رجل مطاع في قومي فاذهب معي إلى بلادي لتجد النصرة والمنعة**)) ، وبالفعل استحسن أبو حمزة الرأي، وخرج بصحبة الكندي إلى بلاد حضرموت، حيث طفق أبو حمزة ينشر أفكاره،

ودعا بالخلافة إلى عبدالله بن يحيى الكندي الذي تلقب بـ"طالب الحق"، ثم اجتمع من حولهما عدد كبير من بلاد حضرموت وما حولها، فتكون لهما جيش كبير توجها به إلى مدينة صنعاء فاستولوا عليها وطردوا عمال بني أمية منها، ثم امتد نفوذهما حيث خرج أبو حمزة الخارجي على رأس جيش قوامه ألف رجل فعبر بلاد صعدة ونجران وسروات عسير والباحة حتى دخلوا مكة المكرمة فاستولوا عليها وواصلوا طريقهم شمالاً إلى المدينة المنورة فاستطاعوا السيطرة عليها[١]، ووصلت أخبار تلك الحركة الخارجية واستيلائها على أغلب بلاد اليمن والسروات والحجاز إلى مسامع الخليفة مروان بن محمد فأعدّ جيشاً قوامه أربعة آلاف مقاتل وأسند قيادته إلى عبدالملك بن عطية السعدي عام ١٣٠هـ (٧٤٧م)، فخرج على رأس هذا الجيش قاصداً المدينة المنورة، ونجح في إلحاق الهزيمة بأبي حمزة الخارجي، الذي خرج فاراً إلى مكة المكرمة، فلحق به ابن عطية ليهزمه للمرة الثانية، ويتمكن من قتله، وتشتيت شمل أنصاره، ثم حز رأسه وأرسله إلى مروان بن محمد ومعه كتاب يبشره فيه بالنصر وقهر الخوارج[٢].

---

(١) الطبري، محمد بن جرير. تاريخ الأمم، مرجع سابق، جـ ٧، ٣٧٤-٣٧٦، ٣٩٣-٤٠٢؛ علي بن أبي الكرم بن الأثير، الكامل في التاريخ، تحقيق: نخبة من العلماء. (بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤٠٥ هـ/ ١٩٨٥ م)، جـ ٤، ٩٧؛ أبو الحسن علي الخزرجي، الكفاية والأعلام، الجزء الخاص باليمن في عهد الولاة من تحقيق: راضي دغفوس. (تونس: منشورات الجامعة التونسية، ١٩٧٩ م) ٧٤ – ٧٥؛ يحيى بن الحسين بن القاسم، غاية الأماني في أخبار القطر اليماني، تحقيق: سعيد عبد الفتاح عاشور (القاهرة: دار الكتاب العربي، ١٣٨٨ هـ/ ١٩٦٨ م)، جـ ١، ١٢٤ – ١٢٥.

(٢) الطبري، محمد. تاريخ، مرجع سابق،جـ ٧، ٣٩٣؛ الخزرجي، علي. الكفاية، مرجع سابق، ٧٤؛ ابن القاسم، يحيى بن الحسين، غاية الأماني، مرجع سابق، جـ ١، ١٢٤-١٢٥.

أما أنصار الخارجي، فقد عاد من نجا منهم إلى صنعاء مروراً بسراة غامد وزهران، وأجزاء من بلاد نجران، وأخبروا طالب الحق بالهزيمة، فخرج على رأس مجموعة من أنصاره إلى أرض نجران ثم بيشة والباحة، ومنها اتجه إلى الطائف ليأخذ بثأر أبي حمزة ورجاله، ويمنع زحف الجيش الأموي على اليمن، فالتقى بأبي عطية في نواحي الطائف، حيث ألحق القائد الأموي الهزيمة بطالب الحق وقتله مع عدد كبير من رجاله، ومزق الخوارج كل ممزق، ولم ينج إلا من لاذ بالفرار إلى صنعاء، وتشير المصادر إلى تفاصيل المعركة حيث تذكر صمود الخوارج وذودهم عن أنفسهم ببسالة إلى أن تمكن الأمويون من زعيمهم (طالب الحق) فقتلوه، عندئذ فتّ في عضدهم وهزموا [١].

لم يكتف ابن عطية بالقضاء على الخوارج في الحجاز، وقتل أبي حمزة، وطالب الحق بل رأى ضرورة استئصال شأفتهم بالكلية من بلاد اليمن، فتوجه عبر أرض غامد وزهران، وجرش (عسير) حتى وصل نجران ثم صنعاء فغادرها أتباع طالب الحق، وما زال ابن عطية يلاحقهم في كل صقع من أصقاع اليمن حتى قتلهم وأبادهم [٢].

---

(١) الطبري محمد. تاريخ ،مرجع سابق، جـ ٧، ٣٩٣ – ٣٩٤؛ الخزرجي،علي. الكفاية، مرجع سابق، ٧٤ – ٧٥.

(٢) ابن القاسم، يحيى بن الحسين، الهادي. غاية الأماني، مرجع سابق، جـ ١، ١٢٤– ١٢٦، وللمزيد انظر: ابن الأثير، علي. الكامل،مرجع سابق، جـ ٤، ٢٩٧.

ب- ثورات العلويين وغيرهم :

وتتابعت الفتن وحركات المعارضة ضد خلافة بني العباس. وكانت الحجاز وبلاد اليمن وما بينها أرض تهامة والسراة، مسرحاً لعدد من هذه الثورات، ولا سيما ثورات العلويين الذين كانوا من أكثر العناصر شغباً، حيث أثاروا عدداً من القلاقل في وجه بني العباس، وهددوا استقرار الخلافة وسيطرة عمالها في تلك البلاد[1].

وتشير المصادر إلى أن العلويين قد انتهزوا نشوب النزاع بين الأمين والمأمون، ووجدوا في ذلك فرصة سانحة لنشر دعوتهم في البلاد، فخرج محمد بن إبراهيم العلوي المعروف بابن طباطبا على المأمون بالكوفة عام ١٩٩هـ (٨١٤م)، وصار يدعو إلى آل الرضا من آل محمد، وعاونه في نشر دعوته قائد جنده أبو السرايا ابن منصور الشيباني الذي استولى على الكوفة، وطرد ولاة بني العباس منها [2]. وعندما توفي محمد بن إبراهيم ولى أبو السرايا بدله غلاماً من العلويين يدعى محمد بن محمد بن يزيد، ثم أرسل ولاة من العلويين إلى مكة والمدينة وبلاد السراة واليمن، وكان داود بن عيسى بن موسى والياً لأمور مكة والمدينة من قِبل الخلافة العباسية، حينما

---

(١) للمزيد عن ثورات العلويين ضد العباسيين خلال القرنين (٢-٣ هـ/ ٨- ٩م)، انظر: الطبري، محمد بن جرير. تاريخ الأمم، مرجع سابق، جـ ٧، ٥١٧ وما بعدها، جـ ٨، ١٩٣ -٢٠٣، ٥٢٨ - ٥٣٣، جـ ٩، ٢٧١ - ٢٧٦.

(٢) المرجع السابق، جـ ٨، ٥٢٨ - ٥٣٦؛ ابن الأثير،علي. الكامل، مرجع سابق، جـ ٥، ١٧٣ - ١٧٧.

وجه أبو السرايا إلى مكة حسين بن حسن الأفطس العلوي، وإلى المدينة محمد بن سليمان بن داود بن حسن بن الحسين بن علي بن أبي طالب، فدخلوها دون قتال، وقد شجع ذلك بعض العلويين بزعامة إبراهيم بن موسى بن جعفر وجماعة من أهل بيته بمكة على مد الثورة إلى بلاد السراة فشملت الطائف، وامتدت حتى وصلت إلى تربة وبلاد غامد وزهران وجرش (عسير)، فيما وصلت إلى نجران وصنعاء دون مقاومة تذكر، حتى إن إسحاق بن موسى بن عيسى بن عباس والي اليمن من قِبل المأمون عندما سمع بقدوم إبراهيم بن موسى فرّ هارباً[(١)]. وتذكر المصادر أن إبراهيم بن موسى نكل بكل من اعترض طريقه، وأسرف في القتل حتى لقب بالجزار، واستولى على كثير من الأموال والذخائر خلال الطريق من الحجاز إلى الباحة ونجران ثم صنعاء[(٢)].

وبعد أن تمت السيطرة للعلويين على اليمن، رغب إبراهيم بن موسى العودة إلى مكة المكرمة والمدينة لإحكام السيطرة عليهما فخرج من اليمن قاصداً الحجاز عبر بلاد نجران وجرش والباحة حتى وصل إلى مكة، ولكنه لم يستطع السيطرة عليها، حيث سبقه الخليفة المأمون بإرسال جيش كبير إليها عام ٢٠٠هـ (٨١٥م) بقيادة إسحاق بن هارون الرشيد لحفظ الأمن في الحرمين، وقمع أي بادرة للفتنة والعصيان، وتصدى هذا الجيش

---

(١) الطبري،محمد بن جرير، تاريخ الأمم، مرجع سابق، جـ ٨، ٥٢٩ - ٥٤٠.

(٢) المرجع السابق، جـ ٨، ٥٣٥ - ٣٥٦؛ ابن الأثير، علي. الكامل،مرجع سابق، جـ ٥، ١٧٧؛ مطهر بن طاهر المقدسي، كتاب البدء والتاريخ، تحقيق: س. هورت. (باريس: د. ن، ١٩١٦ م)، جـ ٦، ١٠٩.

لإبراهيم بن موسى وألحق به الهزيمة، وفرق جموعه وعاد إلى اليمن مهزوماً، وضاعت هيبته، وبخاصة بعد هزيمته، ومقتل أبي السرايا في بلاد العراق على يد جيش عباسي آخر لتنتهي أحداث هذه الثورة العلوية التي كادت تفصل بلاد الحجاز والسراة ونجران وصعدة وصنعاء عن بلاد الخلافة العباسية [١].

ومنذ القرن الثالث الهجري، التاسع الميلادي بدأ الضعف يدبُّ في جسم الخلافة العباسية، فقام بعض أهل السروات وتهامة وأعلنوا انفصالهم عن ولاية الحجاز، وقام أمير من الحراميين في حلي بن يعقوب بتهامة [٢]، واستقل ابن طرف بمخلاف حكم في منطقة جازان [٣]، وقامت فتنة في بلاد عك والأشاعرة في بعض الأجزاء من تهامة [٤]. ولم يأت عصر الخليفة العباسي المأمون إلاّ وبعض من أجزاء مخاليف السروات، ومنها: بلاد

---

(١) اليعقوبي،أحمد. تاريخ اليعقوبي، مرجع سابق، جـ٢، ٤٤٨؛ الطبري،محمد بن جرير. تاريخ الأمم، مرجع سابق، جـ ٨، ٥٣٥ وما بعدها؛ ابن الأثير، علي. الكامل، مرجع سابق، جـ٥، ١٧٧.

(٢) العقيلي،محمد بن أحمد. تاريخ، مرجع سابق، جـ ١، ٦٧؛ البلادي، عاتق بن غيث. بين مكة وحضرموت،مرجع سابق، ١٧٦ - ١٧٧، ٢٠٠؛ الزيلعي، أحمد. " المواقع الإسلامية المندثرة... "، مرجع سابق، ٩ وما بعدها.

(٣) للمزيد عن سليمان بن طرف الحكمي، حاكم مخلاف حكم خلال العصور الإسلامية المبكرة، انظر: العقيلي، محمد بن أحمد. تاريخ،مرجع سابق، جـ ١، ٧١، وما بعدها؛ الزيلعي، أحمد، الأوضاع السياسية،مرجع سابق، ١٢ وما بعدها.

(٤) انظر الطبري، محمد بن جرير. تاريخ الأمم، مرجع سابق، جـ ٣، ٣٢٠ - ٣٢١؛ عبد الله بن عبد العزيز البكري، معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، تحقيق: مصطفى السقا. (بيروت: عالم الكتب، ١٤٠٣ هـ/ ١٩٨٣ م)، مج ٢، جـ ٣، ٩٦٢.

الباحة، ونجران، واليمن، وبعض الأجزاء التهامية قد أعلنت ثورتها واستقلالها عن الخلافة، وعندئذ التفت المأمون في جدّية إلى تلك المناطق الجنوبية، فبعث محمد بن زياد إلى حرب الأشاعرة، والعكيين في تهامة، وكانوا أكثر الأطراف خطورة تجاه الخلافة في تلك البلاد، وقال له: ((**أسمعني صوتهم**))، أي يقاتلهم بقوة لا هوادة فيها، فوصل ابن زياد مزوداً بالمال والرجال وأهل الرأي، وتمكن من إخماد الأشاعرة وغيرهم، بل التنكيل بهم[١]. وتفرغ لسكان السروات وتهامة والمناطق الأخرى التي أعلنت انفصالها عن الولايات التابعة لها، فاستعمل الترغيب والترهيب ودعوة المنشقين إلى الوحدة، وعدم الخروج عن الجماعة، والرجوع إلى طاعة الخليفة، وتعهد بإرجاع كل منهم إلى إمارته، فوافقوا وعادوا إلى الطاعة، وقاموا بإرسال الخراج، ولكن هذا الأمر لم يستمر، فبعد موت محمد بن زياد، جاء من بعده أمراء ضعاف فلم يستطيعوا إحكام القبضة على البلاد التي كانت في حوزة الدولة الزيادية، فقام كل أمير أو شيخ قبيلة يستقل بناحيته، أما مخاليف تهامة والسراة الممتدة من شمال نجران حتى الطائف، فقد بقيت شكلياً أو إسمياً مرتبطة بعامل الحجاز[٢].

---

(١) عبد الله الجرافي، المقتطف من تاريخ اليمن، (بيروت: منشورات العصر الحديث، ١٤٠٧ هـ/ ١٩٨٧ م)، ١٠٥ -١٠٧؛ محمد بن أحمد العقيلي، التاريخ الأدبي لمنطقة جازان، (جازان: نادي جازان الأدبي، ١٤١١هـ)، جـ ١، ١٧ - ٢٠.

(٢) الجرافي،عبدالله. المقتطف، مرجع سابق، ١٠٥ -١٠٧؛ العلي، صالح أحمد. " إدارة الحجاز... "، مرجع سابق، ٢٤ وما بعدها.

٣ - الأوضاع العامة لبلاد الباحة وما جاورها بعد القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي.

وبعد القرنين: الثالث والرابع الهجريين (التاسع والعاشر الميلاديين)، لا نجد ما يوضح لنا تاريخ بلاد غامد وزهران وما حولها، وإنما أشارت بعض المصادر إلى أحداث سياسية حدثت في بلاد اليمن أو بلاد تهامة أو السراة، الواقعة إلى الجنوب من مدينتي الطائف ومكة المكرمة التي اكتسبت صبغة العمومية، وأحياناً نجد فيها شذرات تشير إلى تاريخ المدن الكبرى مثل: زبيد، وصعدة، وصنعاء، وهي أسماء لا تعطينا ما نريده عن تاريخ الديار الغامدية والزهرانية في العصر الإسلامي الوسيط، ولا تبين لنا مدى مشاركة أهلها في المضمار الحضاري للحواضر السابقة الذكر. ولعل في كتب الجغرافيا والرحلات ما يلقي بصيصاً من الضوء على بلاد غامد وزهران خلال الفترة محل البحث، حيث جرت العادة أن تذكر الكتب محل الإشارة السروات وتهامة الواقعة بين نجران وجازان جنوباً والطائف ومكة شمالاً، وفيها بلاد غامد وزهران، وبخاصة عندما تذكر الطرق التجارية المارة بها والواصلة بين حواضر اليمن والحجاز.

فابن الفقيه يقول: **((.... سراة بين تهامة ونجد أدناها بالطائف، وأقصاها قرب صنعاء، والسروات أرض عالية، وجبال مشرفة على البحر من الغرب وعلى نجد من الشرق، والطائف من سراة بني ثقيف، وهو أدنى السروات إلى مكة، ومعدن البرم هي السراة الثانية، بلاد**

عدوان في برية العرب، وبها معدن البلور...))[١] ويذكر ياقوت معلومات جيدة، ومكملة لما ذكره ابن الفقيه فيقول "**... والسراة الثالثة أرض عالية وجبال مشرفة على البحر الأحمر من الغرب وعلى نجد من الشرق، وسراة بني شبابة...**"[٢]، ثم يشير إلى بعض الأجزاء الواقعة إلى الغرب من السروات فيورد الآتي ((**... وبأسفل السروات أودية تصب إلى البحر الأحمر منها: الليث، وقنونا، والأحسبة، وضنكان، وعشم، وبيش، ومركوب، وعليب**))[٣]. ويتفق كل من القزويني وياقوت الحموي على أن أهل السراة القاطنين من الطائف شمالاً حتى صعدة جنوباً من أفصح الناس لغة، وأكثر مَنْ اتسمت ألسنتهم ببلاغة القول، كهذيل القاطنة بجوار الطائف، وبجيلة وثقيف وأزد السراة (غامد وزهران) وما جاورها بلاغة وبياناً[٤]. وزيادة في القول يضيف المقدسي من أبناء القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي)، معلومات أكثر تفصيلاً من سابقيه، فيذكر أسماء بعض المواقع ما بين صعدة ونجران جنوباً والطائف شمالاً، حيث يقول:

---

(١) أبو بكر أحمد بن الفقيه، كتاب البلدان، تحقيق: أم. دي. غوي. (ليدن: مطبعة برايل، ١٣٠٢ هـ/ ١٨٨٤ م)، ٣١ – ٣٢.

(٢) ياقوت،شهاب الدين. معجم البلدان، مرجع سابق، جـ ٣، ٢٠٤ – ٢٠٥.

(٣) المرجع السابق.

(٤) زكريا محمد القزويني، آثار البلاد وأخبار العباد، (بيروت: دار بيروت، ١٤٠٤ هـ/ ١٩٨٤ م)، ٨٩؛ ياقوت، شهاب الدين. معجم البلدان، مرجع سابق، جـ ٣، ٢٠٥.

((القبائل تأخذ من السروات نحو أهل الشام فتقع في أرض الأغرّ بن هيثم، ثم تخرج إلى ديار يعلى بن أبي يعلى، ثم إلى سردد، ثم إلى ديار عنز بن وائل في بني غزية، ثم تقع في ديار جرش، والعتل وجلاجل، ثم إلى ديار الشقرة وبها خثعم، ثم في ديار الحارث (غامد وزهران) ثم في شكر وعامر، ثم في بجيلة، ثم في فهم، ثم في بني عاصم، ثم في عدوان، ثم في بني سلول، ثم في مطار....))[١]. ويستدل ممّا ذكره المقدسي أنه ربط ما بين ذكر الأمكنة الواقعة ما بين صعدة والطائف والقبائل القاطنة فيها.

ويشير ابن المجاور من مؤرخي القرن السابع الهجري (الثالث عشر الميلادي)، إلى معلومات تختص بالنواحي السياسية والحضارية لأهل تهامة والسراة، لا نجدها عند غيره، فيقول: **((فأمّا السرو فإنها قبائل وفخوذ من العرب ليس يحكم عليهم سلطان، بل مشايخ منهم، وفيهم بطون متفرقون....))** [٢].

وفي مكان آخر يتحدث عن المناطق الواقعة بين صعدة والطائف، وبخاصة الأجزاء السروية الممتدة من نجران إلى غامد ودوس بن زهران فيذكر أن تلك المناطق جميعها قرى متقاربة بعضها من بعض في الكبر والصغر، ثم إن كل قرية مقيمة بأهلها، وكل فخذ أو بطن من البدو في قرية، ومن

---

(١) أبو عبد الله شمس الدين المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، تحقيق: أم. دي. غوي. (ليدن: مطبعة برايل، ١٨٧٧ م)، ١٠٤.

(٢) جمال الدين يوسف بن المجاور، صفة بلاد اليمن ومكة وبعض الحجاز، المسمى تاريخ المستبصر، (ليدن: مطبعة برايل، ١٩٥١– ١٩٥٤م)، جـ ١، ٢٦.

جورهم لا يسكن قراهم ولا ينزلها أحد سواهم، ثم يواصل حديثه عن تلك الأجزاء وأهلها فيقول:

((وقد بني في كل قرية قصر من حجر وجص، وكل واحد من أهل القرية له مخزن في القصر يخزن فيه جميع ما يكون له من حوزه وملكه، ولا يأخذ منه إلا قوت يوم بيوم، ويكون أهل القرية محيطين بالقصر من أربع ترابيعه، ويحكم على كل قرية شيخ من مشائخها كبير القدر والسن ذو عقل وفطنة، فإذا حكم بأمر لم يشاركه ولا يخالفه أحد فيما يشير عليهم ويحكم فيهم، وجميع من في هذه الأعمال لم يحكم عليهم سلطان، ولا يؤدون خراجا، ولا يسلمون قطعة وكل واحد منهم مع هوى نفسه، وبهذا لا يزال القتال دأبهم ويتغلب بعضهم على مال بعض، ويضرب قرابة زيد على أموال عمرو، وهم طول الدهر على هذا الفن، وجميع زرعهم الحنطة والشعير وشجرهم الكروم والرمان واللوز، ويوجد عندهم من جميع الفواكه والخيرات، وأكلهم السمن والعسل، وهم في دعة الله وأمانه، وهم فخوذ يرجعون إلى قحطان وغيرهم من الأنساب....)) [١].

وهكذا أورد لنا ابن المجاور من رحالة القرن السابع الهجري (الثالث عشر الميلادي) نصاً يؤكد ما تحويه منطقة سروات غامد وزهران وجرش (عسير) وما جاورها من حصون ومخازن لغرض الحرب وتخزين المواد الغذائية عند الحاجة، وما نشاهده الآن في هذه البلاد ما هو إلا رموز تدل

---

(١) المرجع السابق، جـ ١، ٢٧.

على صحة الروايات السابقة. وقد تبين لنا في مقابلاتنا مع كبار السن في عدد من الأمكنة من بلاد غامد وزهران التهامية والسروية حول الحصون ومهامها أن لها مهمّتين: مهمّة حربية، ومهمّة اقتصادية إذ تعد هذه الحصون مستودعات لخزن الحبوب. كما تبين لنا من الأقوال والمشاهدة أن البنية الاجتماعية في تلك المناطق تعتمد على القبيلة التي تعد الوحدة الأساسية في المجتمع، ويعد شيخ القبيلة هو السيد الحاكم لا ينازعه أحد في سلطان، وهو الذي يعلن الحرب، وهو الذي يطفئها مع المشايخ الآخرين، ولهذا ينعم بقية الأفراد في المجتمع القبلي بالأمن بمقدار ما يمنحه الشيخ لهم، ويصحب المعارك عادة السلب والنهب، وتسود شريعة الغاب، فالقوة هي الحق، وليس الحق هو القوة. كما يذكر ابن المجاور بعض العادات التي كانت جارية بين أهل جرش (عسير) والباحة، حيث كان الرجال يخضبون أيديهم وأرجلهم مثلهم مثل النساء في مناسبات الأعياد والزواج وغيرها[١]. كما ذكر عن السرويين بعض العادات في الجنائز فقال: **((وأهل السراة يرثون البنت عند الموت... وللقوم عصبية عظيمة، فإذا مات أحدهم لا يحمل جنازته إلا الشبان، ومع ذلك يقولون: سلّم سلمك الله هذا ما وعد الله نعم القاضي! وهم يتداولون بالنعش إلى المقبرة، وهم الذين يحفرون القبر....))**[٢]. ومن أطعمتهم اللحم، والسمن، والخبز، ومن أكثر الأسماء شيوعاً بينهم سالم،

---

(١) ابن المجاور، جمال الدين. صفة بلاد اليمن، مرجع سابق، جـ ١، ٧ ، ٢٧. ومثل هذه العادات لا تزال مألوفة بين بعض سكان مناطق الباحة وعسير في الأجزاء التهامية والسروية، وبخاصة عند كبار السن من الرجال.

(٢) المرجع السابق، جـ ١، ٢٥.

وغانم، وقاسم، ومفرج، ومفرح، وراشد، وناجي، وجابر، ولاحق، وصابر، وسعيد، ومساعد، وظافر، وفاتك، ومالك وغيرها أسماء كثيرة [١]. ومن اهتمامهم بالضيف، أنه إذا أطعم لصّ أو قاتل طعام صاحب البيت، فإنه لا يقتل إلا بعد خروجه من البيت، وبعد مدة من الزمن حتى ينتهي مفعول الطعام الذي أكله [٢]. ويشير ابن المجاور أيضاً إلى بعض عادات السرويين الغامديين والدوسيين ومن جاورهم في الكرم، خصوصاً الذين تغلب عليهم البداوة، ومنها أنهم يؤخرون الغداء أو العشاء من أجل ضيف يقدم عليهم، فإن حصل ذلك ينحر له على قدر مكانته، فقد ينحر له جمل ويقدم له رأسه، وإن كان عابر سبيل تذبح له شاة، ويقسم صاحب الدار الرغيف إلى ثلاثة أو أربعة أقسام يضعها أمام الضيف تكريماً له، ثم يقدم له اللحم المطبوخ بعد أن يثرد عليه الخبز، ويهرق عليه السمن أو المرق، فيشرب بادئ الأمر المرق، ثم يوزع اللحم على الثريد، وقد يطلق أحياناً، على هذا الصنف من الطعام اسم العربية [٣]، ومن عادات السرويين من نجران حتى الطائف أيضاً أن يكون في مخازنهم صنفان من الحبوب، ذرة وقمح، يقدم خبز القمح للضيف، وخبز الذرة للأسرة، وينم هذا السلوك عن إيثار الضيف وتقديمه على الأهل. وما قصة الرجل الذي ينحر بعيره

---

(١) المرجع السابق، جـ ١ ،٦. ومن الأسماء الشائعة عند أهل غامد وزهران في وقتنا الحاضر: عيضة، وعطية، وجمعان، وصالح، ومعيض (الباحث) .

(٢) المرجع السابق، جـ ٢، ٢٣٤.

(٣) المرجع السابق ، جـ ٢، ٢٣٢.

لضيوفه، أو يقدم لهم أفضل ما لديه وهو في حالة الفقر، إلا دليل واضح على أعلى مراتب الإيثار.

وإشارة ابن المجاور إلى أن بلاد تهامة والسراة بما فيها أرض غامد وزهران كانت تحكم بشيوخ القبائل المستقلين بسلطتهم في ديارهم قول نوافقه عليه من حيث المبدأ، ومن حيث المركز الاجتماعي الذي عرف لشيوخ القبائل العربية على مرِّ التاريخ قبل الإسلام وبعده(١)، ولكن الذي عرف في ظل الدولة الإسلامية، وبخاصة بعد انتقال الخلافة من الحجاز إلى بلاد الشام ثم العراق في العهدين الأموي ثم العباسي أن شبه الجزيرة العربية تحولت إلى عدد من الولايات التابعة لمركز الخلافة، ومن أكبر ولايات شبه الجزيرة العربية منطقتا الحجاز واليمن، وبخاصة الأجزاء التي تشمل الحواضر الحجازية واليمنية الكبرى، فيما بقيت منطقة الباحة الواقعة بين المنطقتين السابقتين تابعة في أغلب الأحيان لوالي الحجاز الذي يتخذ مكة المكرمة أو المدينة المنورة مقراً له(٢). ومن الواضح في بعض كتب التراث الإسلامي، خصوصاً كتب الجغرافيا والرحلات، أن منطقة تهامة والسراة كانت مقسمة إلى مناطق أو مراكز حضارية، ويطلق على كل قسم إما مخلاف أو عمل (جمع أعمال)، أو كورة (جمع كور). فاليعقوبي تحت عنوان سماه (مكة وأعمالها) قام بذكر أجزاء عديدة تابعة من الناحية الإدارية لوالي مكة

---

(١) للمزيد عن شيوخ القبائل وسعة نفوذهم من العصر الجاهلي، انظر: جواد علي، المفصل في تاريخ العرب، مرجع سابق، جـ ٤، ٥ – ٢٧١، جـ ٥، ٢٥٣ – ٣٣٣.

(٢) الفاسي، تقي الدين. شفاء الغرام، مرجع سابق، جـ ٢، ٢٦٢ – ٢٦٥؛ العلي، صالح أحمد. " إدارة الحجاز... "، مرجع سابق، ٣٣ وما بعدها.

المكرمة، ومن تلك الأعمال الواقعة إلى الجنوب من مكة والطائف ذكر ما يلي في الأجزاء السروية: ((**تبالة وأهلها خثعم، ونجران لبني الحارث بن كعب، فقد كانت منازلهم في الجاهلية، والسراة (غامد وزهران) وأهلها من الأزد**))[١]. وفي الأجزاء التهامية أشار إلى عشم، وذكر أنها معدن الذهب، وبيش، والسرين، والأحسبة، وعثر، وكل هذه المناطق تقع على ساحل البحر الأحمر ما بين مكة المكرمة شمالاً وجازان جنوباً[٢]. وفي موضع آخر ذكر أن لليمن أربعة وثمانين مخلافاً، وأغلبها حول حواضر اليمن الكبرى، ولكنه أورد بعض الأجزاء التي تقع ضمن مساحة دراستنا، مثل: جرش وتبالة في بلاد السراة، وبيش، وقنونا، ويبه، وضنكان، والعرش من جازان في الأجزاء التهامية[٣]. ويورد ابن خرداذبة بعض الإيضاحات عن مخاليف مكة المكرمة، فيذكر أن الطائف، وعكاظ، وبيشة، وتبالة، وجرش، والسراة[٤]، ونجران في الأجزاء السروية، وضنكان، وعشم، وبيش في الأجزاء التهامية، وجميعها تابعة لإمارة مكة المكرمة أو الحجاز بشكل عام[٥]. ويخالف المقدسي اليعقوبي وابن خرداذبة في بعض ما ذكر حيث يورد أن نجران، وجرش، وتربة، والسراة في الأجزاء الجبلية، وبيش،

---

(١) اليعقوبي، أحمد. تاريخ، مرجع سابق، جـ ٢، ٣١٦.

(٢) المرجع السابق، ٣١٦، ٣١٨.

(٣) المرجع السابق.

(٤) يقصد بكلمة (السراة) هنا: أي بلاد غامد وزهران وما جاورها من السروات بين مدينتي الباحة وأبها.

(٥) أبو القاسم عبد الله بن خرداذبة، كتاب المسالك والممالك، تحقيق: أم. دي. غوي. (ليدن: مطبعة برايل.١٣٠٦ هـ/ ١٨٨٩ م)، ١٣٣.

وعثر، وحلي، والسرين من مخاليف اليمن[١]. ولكن الإدريسي يخالف المقدسي ويتفق مع اليعقوبي وابن خرداذبة فيقول عن بعض مخاليف مكة، وبخاصة الواقعة بين الطائف ونجران ((**ولمكة مخاليف وهي الحصون، فمنها بنجد الطائف ونجران... وتربة وبيشة وجرش والسراة**)) ثم يضيف ضنكان، والسرين، وعشم، وبيش في الأجزاء التهامية [٢]. وبهذه الأقوال نستطيع القول: إن عموم بلاد تهامة والسراة كانت في الغالب تابعة لولاية مكة المكرمة، بل وأثبتت بعض الروايات التاريخية أنَّ والي الحجاز كان في بعض الأحيان يمنح تعييناً من الخليفة يتضمن ولايته على الحجاز واليمن معاً، وأحياناً أخرى تضاف له ولاية بلاد اليمامة إلى جانب المنطقتين السابقتين[٣]. أما المنطقة التي تقع بين الحجاز واليمن، التي أطلقنا عليها اسم (تهامة والسراة) ومنطقة الباحة (غامد وزهران) جزء منها، فمن دون شك أنها كانت تتبع إدارياً لوالي مكة المكرمة من حيث دفع الزكاة إلى بيت مال المسلمين، وبالتالي يكون الولاء للخلافة الإسلامية، لكن الذي لا شك فيه أن ما أشار إليه ابن المجاور من حيث اضطراب الأمن وانتشار الفوضى بين أهل هذه البلاد كان أمراً واقعاً، بل إن شيوخ القبائل كانوا إلى عهد قريب، أقوى عنصر في المجتمع، فكانوا أصحاب الحل والعقد، بل وإليهم تؤول الأمور الخاصة

---

(١) المقدسي،شمس الدين. أحسن التقاسيم، مرجع سابق، ٦٩ – ٧٠، ٨٨.

(٢) محمد بن عبد الله الإدريسي، كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، (بيروت: عالم الكتب، ١٤٠٩ هـ/ ١٩٨٩ م)، جـ ١، ١٤٥.

(٣) الفاسي، تقي الدين. شفاء الغرام، مرجع سابق، جـ ٢، ١٦٢ – ١٦٤.

بأبناء مجتمعاتهم، والخاصة بالعلاقات الخارجية بينهم وبين غيرهم من خارج حدود منطقتهم.

ولم يكن سكان منطقة الباحة أو عموم التهاميين والسرويين منغلقين على أنفسهم، بل كان بعضهم يسافر إلى حواضر شبه الجزيرة العربية، وبخاصة مدن الحجاز الكبرى، فيعملون بالتجارة، ويؤدون الحج والعمرة، بل ويمتلك بعضهم الدور والعقار [١]. وقد حفظ لنا الجغرافيون والرحالة المسلمون الأوائل بعض المعلومات القيّمة التي تؤكد ذهاب أعداد كبيرة من السرويين مثل (أهل غامد وزهران) إلى مكة المكرمة من أجل أداء واجباتهم الدينية، والمتاجرة في بعض سلعهم التي يجلبونها معهم من بلادهم إلى أسواق مكة أثناء مواسم العمرة في رجب ورمضان وفي موسم الحج، وأول من شاهدهم ودون لنا ملاحظاته عنهم في أسواق مكة المكرمة، الرحالة الفارسي ناصر خسرو خلال القرن الخامس الهجري (الحادي عشر الميلادي)، حيث أشار إلى كثرتهم في مكة في أول رجب من كل سنة، وفي عيد الفطر، وفي موسم الحج[٢]. وفي القرن السادس الهجري وبداية القرن السابع زار مكة المكرمة رحالة أندلسي، هو محمد بن جبير، فوصف أحوال السرويين الذين يأتون من بلاد الباحة وما حولها إلى مكة المكرمة ومعهم قوافل الأرزاق، والفواكه، والسّمن، مبدياً سروره وإعجابه بذلك،

---

(١) محمد أحمد بن جبير، رحلة ابن جبير، (بيروت: دار الكتب، د. ت)، ١٠٢ – ١٠٤.

(٢) أبو معين ناصر خسرو. سفر نامة، (رحلة ناصر خسرو)، ترجمها من الفارسية: أحمد خالد البدلي. (الرياض: جامعة الملك سعود، ١٩٨٣ م)، ١٤١.

ووصف أولئك القوم البسطاء ـ حسب ما شاهدهم ـ بالشجاعة، والنجدة، والمروءة[١]. ويؤكد الرحالة ابن المجاور ما ذكره كل من ناصر خسرو وابن جبير، فيشير إلى أن سرويي منطقة الباحة وما جاورها من السروات الممتدة من اليمن إلى الحجاز إذا دخلوا مكة المكرمة ملؤوها من الحنطة، والشعير، والسويق، والعسل، والذرة، والدخن، والزبيب، واللوز، وما يشابه ذلك، ولذلك يقول أهل مكة: **((حاج العراق أبونا نكسب منه الذهب، والسرو أمنا نكسب منه القوت))**[٢]. وعندما زار ابن بطوطة مكة المكرمة في القرن الثامن للهجرة (الرابع عشر الميلادي)، شاهد السرو من أهل غامد وزهران وغيرهم من بلاد تهامة والسراة في أسواقها يبيعون ويشترون، وشاهدهم يطوفون حول الكعبة يؤدون الحج أو العمرة، وقد أورد في رحلته نبذاً مما شاهده في حياتهم الاجتماعية والاقتصادية والدينية، فقال:

((.... ويجلبون إلى مكة الحبوب والسمن والعسل والزبيب واللوز فترخص الأسعار بمكة، ويرغد عيش أهلها وتعمهم المرافق. ولولا أهل هذه البلاد ـ ويقصد أهل السراة ـ لكان أهل مكة في شظف من العيش. ويذكر أنهم متى أقاموا ببلادهم، ولم يأتوا بهذه الميرة أجدبت بلادهم، ووقع الموت في مواشيهم، ومتى أوصلوا الميرة أخصبت بلادهم، وظهرت فيهم البركة ونمت أموالهم. فهم إذا حان وقت ميرتهم وأدركهم كسل عنها،

(١) ابن جبير، أحمد. رحلة، مرجع سابق، ١٠٢ – ١٠٥.

(٢) ابن المجاور، جمال الدين. صفة بلاد اليمن، جـ ١، ٢٧.

اجتمعت نساؤهم فأخرجنهم، وهذا من لطائف صنع الله تعالى وعنايته ببلده الأمين. وبلاد السرو مخصبة كثيرة الأعناب وافرة الغلات، وأهلها فصحاء الألسن لهم صدق نية وحسن اعتقاد. وهم إذا طافوا بالكعبة يتطارحون عليها لائذين بجوارها، متعلقين بأستارها، داعين بأدعية تتصدع لرقتها القلوب، وتدمع العيون الجامدة فترى الناس حولها باسطي أيديهم، مؤمّنين على أدعيتهم، ولا يمكن غيرهم الطواف معهم، ولا استلام الحجر لتزاحمهم على ذلك. وهم شجعان أنجاد ولباسهم الجلود، وإذا وردوا مكة هابت أعراب الطرق مقدمهم، وتجنبوا اعتراضهم، ومن صحبهم من الزوار حمد صحبتهم))[١].

وليس ابن بطوطة هو الذي انفرد بهذه التفصيلات، بل ذكرها بالإضافة إليه بعض المؤرخين والجغرافيين والرحالة فأثنوا على خصوبة تربة السراة وكثرة خيراتها، وعلى ما تحلّى به أهلها من الشجاعة والسلوك الجيد والقيم الطيبة[٢].

---

(١) أبو عبد الله محمد بن بطوطة، رحلة ابن بطوطة، المسماة تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، تحقيق: علي المنتصر الكتاني، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٠٥ هـ/ ١٩٨٥ م)، جـ ١، ١٥٢.

(٢) للمزيد عن توافر الحبوب والخيرات في بلاد الباحة وما جاورها من البلاد التهامية والسروية، انظر: عرام بن الأصبغ السلمي. كتاب أسماء جبال تهامة وسكانها، تحقيق: عبد السلام هارون. (القاهرة: مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٣٧٤ هـ/ ١٩٥٥م)، ٤١٧، ٤٢٠ ـــ ٤٢١؛ القزويني، زكريا محمد. آثار البلاد وأخبار العباد، مرجع سابق، ٨٩؛ ابن جبير، محمد أحمد. رحلة، مرجع سابق، ١٠٤؛ ياقوت، شهاب الدين. معجم البلدان، مرجع سابق، جـ ٣، ٢٠٥؛ ابن المجاور، جمال الدين. صفة بلاد اليمن، مرجع سابق. جـ١، ٢٦ ـــ ٢٧.

وسكان بلاد غامد وزهران كانوا يتأثرون ويؤثرون فيما حولهم من بلاد تهامة والسراة، أو في بلاد الحجاز التي كانوا على صلات سياسية وحضارية بها منذ العهد الجاهلي وخلال العصور الإسلامية المختلفة. وربما كان موقع بلادهم الواقعة على الطريق التي تربط بين اليمن والحجاز من الأسباب الرئيسة التي جعلت سكان هذه البلاد يكونون على علم بما يدور من أحداث في الحواضر الكبرى من شبه الجزيرة العربية مثل: مكة المكرمة والمدينة المنورة وصنعاء وغيرها [١].

خامساً ـ الخاتمة : النتائج وتوصيات الدراسة :

ونخلص في نهاية هذه الدراسة إلى العديد من النتائج والتوصيات التي نذكرها في النقاط التالية :

أ - البحث في التاريخ الإسلامي وبخاصة عن مناطق أو مواضع تفتقر إلى المادة العلمية، قد تضع الباحث في حرج شديد للإجابة على كثير من الأسئلة. وبلاد الباحة من البلاد الغنية برجالها وخيراتها على مر التاريخ الإسلامي المبكر والوسيط والحديث ، ولكن موقعها بين منطقتين كبيرتين

---

(١) وللمزيد عن بعض الكتب التي تفيد الباحث والقارئ عن بلاد تهامة والسراة ، والتي منطقة الباحة جزء منها ، وكذلك اليمن والحجاز وعلاقتهما بسروات غامد وزهران وما جاورها انظر ، حسن بن ابراهيم الفقيه . مخلاف عشم ، (الرياض : مطابع الفرزدق ، ١٤١٣ هـ / ١٩٩٢ م) ، ٧٩ وما بعدها ، أحمد الزيلعي . نقوش إسلامية من حمدانة بوادي عليب (الرياض : مكتبة الملك فهد الوطنية ، ١٤١٥ هـ / ١٩٩٥ م) ، ٣٠ وما بعدها ، ابن جريس ، غيثان . دراسات في تاريخ تهامة والسراة ، مرجع سابق ، جـ ١ ، ٢٣ وما بعدها .

هما :ـ الحجاز واليمن جعل المؤرخين وأرباب القلم لا يذكرونها إلا قليلاً ، وأحياناً كثيرة ترد أسماء بعض مواقعها أو أعلامها مروراً سريعاً بين طيات السطور ، دون أن يخرج القاري بفائدة كبيرة لما يقرؤه عن هذه الديار .

ب - نلحظ ذكر تاريخ سكان منطقة الباحة (غامد وزهران) معلوماً إلى حد ما خلال عصري الرسول (صلى الله عليه وسلم) والخلفاء الراشدين ، مع أن هناك جوانب كثيرة لازلنا نبحث عن إجابات لها أثناء تلك الفترة أما عصور بني أمية وبني العباس حتى بداية العصر الحديث فلا زلنا نواجه عقبات كبيرة جداً لمعرفة تاريخ هذه الأوطان . وإذا نظرنا في عموم المصادر الإسلامية، تاريخية وأدبية ، ولغوية ، ورحلات ، وغيرها فاننا لا نجد ضالتنا عن تاريخ بلاد غامد وزهران وما جاورها من أرض تهامة والسراة . وبالتالي فإنني أرى الأتي :

١ - عدم اليأس في الحصول على صورة تاريخية شبه واضحة عن هذه البلاد، وبإمكاننا معرفة بعض الشيء من خلال المصادر التي كتبت عن الحجاز واليمن على مر التاريخ الإسلامي المبكر والوسيط ، وهي كثيرة ، ثم مقارنة ما ورد بها مع تركيبة المجتمع الغامدي والزهراني والاستنتاج بأن هناك الكثير من المتشابهات وبخاصة في الجوانب الحضارية المختلفة ، وكذلك السياسية والفكرية التي قد تحدث في اليمن والحجاز وتتخذ من

بلاد تهامة والسراة طريقاً لها أثناء الذهاب والإياب بين مكة وصنعاء .

٢ - لازلنا نشاهد في منطقة الباحة الكثير من النقوش والرسوم القديمة والتي بعضها يعود إلى فترات سابقة للإسلام، وبالتالي فإن الدراسات الأثرية هي من أفضل المصادر التي قد تفيدنا في إيضاح كثير من الصور عن تاريخ هذه الأرض ذات الموقع الإستراتيجي والتي تربط بين شمال الجزيرة العربية وجنوبها . وأنادي جميع الأقسام العلمية الأكاديمية وكذلك المقتدرين مالياً إلى تشجيع ودعم الدراسات الأثرية القيمة التي تخدم تراث هذه البلاد وغيرها من أجزاء شبه الجزيرة العربية الغنية بموادها الآثارية المختلفة .

جـ . الغالب على طبيعة بلاد غامد وزهران سيادة الطابع القبلي في نظمه وأعرافه وعاداته وتقاليده ، ولهذا فالقبيلة بعشائرها وبطونها كانت ولازالت إلى وقت قريب في الجزيرة العربية هي صاحبة السيادة ، وشيوخ القبائل وأعيانها ووجهائها هم الذين لهم الكلمة الفصل بين أفراد قبائلهم وعشائرهم . وإذا كان هناك قوى خارجية في الحجاز أو اليمن أو في بلاط الخلافة الإسلامية ترغب الاتصال بأهالي الباحة (الغامديون والزهرانيون) فإن ذلك لا يتم إلا عن طريق أولئك الشيوخ والأعيان . ومن المؤسف حقاً أننا لا نجد في المصادر الإسلامية المبكرة والوسيطة صورة واضحة تؤكد أقوالنا ، لكننا على يقين مما نقول ، لأن أمراء الحجاز ، أو خلفاء بني أمية وبني

العباس ومن جاء بعدهم من الأمم ، كانوا في بادي الأمر يبحثون في جميع ولاياتهم عن الوجهاء والشيوخ والأعيان كي يقربوهم ، وبالتالي يعينونهم على تطبيق سياسة الخلافة أو الإمارة في بلادهم .

د ـ نقول للباحثين والمتخصصين والأقسام العلمية والأدبية ومراكز البحث العلمي وأرباب الثروات والمقتدرين أننا بحاجة إلى دراسات وأبحاث علميه جادة عن منطقة الباحة وغيرها من مناطق بلادنا الغالية ، ونحن للأسف لازلنا نلمس القصور العلمي الذي يوجد في مراكزنا ومكتبتنا العلمية ، ولا يمكن سد هذا النقص إلا بتظافر الجهود ، وتشجيع الباحثين الجادين والمراكز العلمية البحثية الجيدة كي تعكف على دراسة تراثنا وتاريخنا وفكرنا ومعتقداتنا وثرواتنا وفلكلورنا وكل ماله فائدة علمية وثقافيه لبلادنا ومجتمعاتنا .



الدراسة الخامسة

تنبيهات حول تاريخ منطقة الباحة (*)

إعداد

د. جمعان بن عبد الكريم الغامدي (**)

(*) هذه الدراسة زودنا بها الدكتور / جمعان بن عبد الكريم الغامدي بناء على طلبنا ورغبتنا في نشرها ضمن إحدى مؤلفاتنا التي تتحدث عن تاريخ وحضارة جنوب البلاد السعودية . وقد زودنا مشكورا بهذه الدراسة ، وبخطاب بخط يده في تاريخ (١٤٢٧/١٢/١٥هـ) يخولنا بنشرها ، ونحن ننشرها ، كما وعدناه ، في هذا المجلد الذي بين أيدينا .

(**) الدكتور / جمعان الغامدي من مواليد الرياض عام (١٣٩٠ هـ/ ١٩٧٠م) ، تلقى تعليمه في المراحل التعليمية الأولى بمدينة الباحة . حصل على درجة البكالوريوس في اللغة العربية من جامعة الامام محمد بن سعود – فرع أبها عام (١٤١٢ هـ/ ١٩٩٢ م) ، وعلى درجة الماجستير عام (١٤١٩ هـ/ ٢٠٠٠م) ، ثم الدكتوراة من جامعة الملك سعود ، كلية الآداب ، عام (١٤٢٧ هـ/ ٢٠٠٧ م) . له بعض الدراسات المنشورة مثل : (١) لهجة أزد السراة في عصر الاحتجاج اللغوي . (٢) إشكالات النص المداخلة أنموذجاً .

محتويات الدراسة الخامسة

م	العنوان	أرقام الصفحات
أولاً	مقدمة	١٩٤ — ١٩٥
ثانياً	تنبيهات حول التاريخ القديم :	١٩٥ — ٢١٤
	١- تسمية المكان	١٩٥
	٢- آثار منطقة الباحة	١٩٨
	أ - صنم ذي الخلصة	٢٠٣
	ب - ألآثار المدمرة	٢٠٥
	ج - آثار لم تسجل حتى الآن في الباحة وما جاورها	٢٠٧
	٣- تحقيقات في النسب القديم.................	٢١٠
ثالثاً	تنبيهات حول التأريخ الإسلامي من القرن (١- ٤هـ / ٧- ١٠م) .	٢١٤ — ٢٢٠
	١- الصحابة الكرام (رضوان الله عليهم)..	٢١٤
	٢- وفود غامد أربعة وليسوا اثنين	٢١٦
	٢- قصة الغامدية	٢١٦
	٤- قضية الردة	٢١٧

م	العنوان	أرقام الصفحات
رابعاً	تنبيهات حول الفترة الغامضة من تأريخ ما يسمى الآن الباحة ق (٤- ١٢هـ / ١٠- ١٨م).	٢٢٠ – ٢٢٥
خامساً	تنبيهات حو التاريخ الحديث من (ق ١٢- ١٤هـ / ١٨- ٢٠م).	٢٢٥ – ٢٥٠
	١- التسميات	٢٢٦
	٢- تحقيقات في النسب الحديث	٢٢٩
	٣- الأحداث التاريخية	٢٣٥
	٤- لمحات من الحركة الفكرية والعلمية في منطقة الباحة	٢٤٣
	٥- بعض المقابلات التي أجريتها	٢٤٦

أولاً : مقدمة :

لابد في مفتتح هذه التنبيهات من التذكير بأمر جد مهم يتمثل في أن الكتابات التأريخية التي كانت تؤرخ للمنطقة الجنوبية الغربية من الجزيرة العربية فيما بين الحجاز شمالا واليمن جنوباً وتسمى في الكتب القديمة " **السروات** " لم تتوافر فيها دراسات تأريخية مستقلة إلا في العصر الحديث ، ويلحظ على أغلب تلك الدراسات التي تناولت هذا الجزء أن التناول لها كان تناولا عرضيا ، ناهيك عن الفقر الشديد في المعلومات حول تأريخها ، ولم يكن في مجمله تأريخاً صحيحاً ودقيقاً لإنسان السروات ولأحداثه هو ، وموقفه مما يحيط به من أحداث تأريخية بصفة المشارك الفاعل لا المشارك السلبي الهامشي . ولا يكاد الناظر في هذا الأمر يستثني حتى الكتب المؤلفة حديثاً ...

إن المؤمل في أساتذة التأريخ لهذا الجزء وخصوصا منطقة الباحة أن يدركوا خطر الناحية الإبستمولوجية التأسيسية حينما يقومون بتأريخ هذا الجزء المهم وأن تكون كتابتهم التأريخية تمثل وجهة نظر ساكن السراة الحقيقية مهما كانت سواء أكانت منقصة أم محمدة ، مفخرة أم مثلبة ، فالتأريخ دروس للحاضر كي يبنى بها المستقبل بناء أحكم وأقوم .

أما طبيعة هذه التنبيهات فلاداعي فيها لاستعراض كل ما ورد في الكتب القديمة أو الحديثة ؛ فذلك مبسوط في مظانه ولكن هذه التنبيهات تقف عند بعض الأحداث أو الاختلافات أو الأمور التي كانت مهمشة أو منسية أو الأمور التي لي فيها رأي خاص اعتمدت فيه على مقارناتي بين

الكتب القديمة وعلى بعض المخطوطات المصورة لدي ، وعلى روايات شفهية ، ومشاهدات ، وزيارات وصور لبعض الأماكن التي اندثر بعضها ، وخُرب بعضها الآخر .

ثانياً : تنبيهات حول التأريخ القديم :

١- تسمية المكان :

تعد تسمية الباحة بهذا الاسم تسمية حديثة ، وكانت تسمى في التقسيم الإداري للمملكة العربية السعودية بمنطقة " **بلاد غامد وزهران** " نسبة للقبليتين اللتين تسكنان معظم أرجاء المنطقة . والباحة كانت قرية صغيرة تقع في الطرف الشمالي لقبيلة غامد ولاتبعد عن قبيلة زهران سوى عشرة أكيال وهي تعود لقبيلة بني عبدالله من غامد وقد كانت المنطقة إدارياً مقسومة في البداية بين بيشة والطائف فلما استقلت كانت الإمارة في الظفير وكادت تنقل إلى بلجرشي . ولكن موقع الباحة المتوسط جعلها أفضل الأماكن بعد أن خرج مقر الحكم السعودي من الظفير وليست أسباب هذا الخروج من الظفير (التي يقال : إنها كانت مقرا لحكام آل عائض فترة قصيرة) معروفة على وجه الدقة ؛ فالظفير والباحة متجاورتان وهما لبني عبدالله وقد أصبحت الظفير حياً من أحياء الباحة الآن وإن كان اسم المنطقة في بعض الخرائط الجغرافية القديمة مايزال بمسمى الظفير .

وقد كادت المنطقة تسمى برغدان لو انتقل مقر الحكم إليها ولكن أهالي رغدان كما يقال في الروايات المتناقلة رفضوا ذلك على الرغم من أن

رغدان كانت مقراً للحكم التركي للمنطقة وفيها كانت نهايته . ولشهرة رغدان في بعض الوثائق التأرخية وبعض الكتب كانت تضاف إليها الباحة فيقال " **باحة رغدان** " وهذا غير صحيح فرغدان قرية كبيرة جداً وتتبع قبيلة بني خثيم وكان فيها أكبر سوق من أسواق المنطقة الأسبوعية وكانت مقراً للأتراك و الأشراف والأدارسة في حكمهم للمنطقة .

أما أسباب رفض الأهالي وجود المقرات الحكومية في رغدان وربما في غيرها من القرى فيعود إلى ما كان يمارسه بعض الأفراد التابعين للحكم من ظلم وتطاول على الناس وعلى حقوقهم إضافة إلى طبيعة الحكم المتسلطة التي كانت تخوف الناس وترهبهم كوسيلة لضمان بقاء ولائهم في الأزمنة الماضية .

ولفظ " **الباحة** " ليس موجوداً في كتب المعاجم الجغرافية واللغوية فلا تكاد تذكر أنها اسم لموضع ، ومع ذلك فهناك باحة ربيعة في بلاد عسير ، وهناك الباحة لموضع في اليمن ، وعلى ذلك فيمكن أن يكون الاسم قديما اجتلبه معهم الأزد من موطنهم في اليمن كما اجتلبوا أسماء بعض المواضع الأخرى كجبل أثرب ، وكقرية الطويلة . أو أن الباحة اسم اشتق للبلدة من طبيعة المكان .

ولكن الروايات الشفهية التي ترد أصول سكان قرية الباحة إلى بني سِيْد بكسر السين وإسكان الياء في روضتهم المشهورة بروضة بني سيد بعد إجلائهم منها هم وبعض القرى الأخرى وهي " **مسب ، وجدرة ، ودار الرمادة ، والحمران** " تدل على أنهم لم يسكنوها إلا متأخرين إذ من المرجح

أن وقعة روضة بني سيد متأخرة الزمن لا كما يذهب الأستاذ السلوك أنها في القرن السادس الهجري ، فهو لم يذكر دليلاً على كلامه ، ولكن اشتهار الأمر عند العامة وكون القبائل المشاركة في الوقعة مازالت بأسمائها الحديثة التي لم تكن في سلسلة النسب القديمة ، وأسباب الوقعة ومادار فيها من قصص يدل على جدتها ؛ ولذلك فهي ربما وقعت في القرن العاشر أو أواخر القرن التاسع الميلادي .

فهل كان هذا الاسم موجودا أو هم استحدثوه ، أوهل كان الموقع لقبيلة أخرى فطردت من هذا الموضع لا أحد يدري على وجه التحديد

ومن الملفت للنظر أن موقع الباحة قديم جديد كموقع سكني فقد وجدتُ في جبل الباهر المطل على الباحة وتحديدا في جبل " غيب " نقوشا ثمودية قديمة قامت البلدية بجرف أكثر معالمها حيث وزعتها في المخطط السكني في الجبل ويظهر أن البقية ستجرف وقد قمت بتصويرها جميعاً .

وهذا الأمر ينطبق على بعض الأماكن القريبة جدا من الباحة كموقع سفح الكتاب في الغمدة وكموقع المفارجة إذ تعرضا للتخريب من البلدية أيضاً .

ولأجل ما استحدث من شوارع في مدينة الباحة وأسواق فقد اختفت القرية القديمة بجميع معالمها . وهي القرية الوحيدة التي اختفت بهذه الطريقة في المنطقة وذلك يدل على جهل القائمين على التخطيط للمدينة في تلك الفترة .

والباحة هي إحدى القرى التي تم إحراقها في إحدى الغارات عليها من قبل الأطراف المتنافسة على حكم المنطقة كما أخبرتني بذلك جدتي لأمي وهي من قرية الحبشي ، وقد تأكدت من صحة معلومتها حينما طالعت تأريخ المنصوري إذ ذكر ذلك في حوادث سنة (١٢٤٩ هـ) وكان الذي أحرقها الشريف محمد بن عون بعد أن قتل أهل غامد من المغاربة " **المصريين** " ثلاثين وغنموا خمسين من خيولهم .

ويجب أن يكون من المعلوم أن منطقة الباحة لما حدث من تنازع سياسي حولها بين الأشراف وآل عائض وقبلهم الأتراك ثم آل سعود كانت تمثل مفتاحاً لكل المنطقة الجنوبية فضلا عن كونها مركز تمويني لمكة منذ القدم كما حكى ذلك ابن بطوطة وابن جبير وهي إلى الحجاز أقرب وأهلها أكثر اتصالا بمكة من بقية أجزاء المنطقة الجنوبية ولهم في الطائف ومكة حضور بارز وكان يطلق على واحدهم "**حجازي** " امتدادا للتسمية القديمة التي تسمي جبال السروات " **حجازاً** " وهذا يذكرنا بأن هذه المنطقة قد اختصت باسم قديم يميزها عن باقي جبال السراوات وهو " **الحجاز الأسود** " إما لسواد حراتها الشرقية أو لشدة خضرة غاباتها في الجهة الغربية .

٢ ـ آثار منطقة الباحة :

لقد أهملت آثار المنطقة إهمالا مؤسفاً مما دفعني إلى القيام بالبحث في هذا الأمر واستمر بحثي مدة جاوزت ثمان سنوات ، **وقد قمت بتسليم الدكتور غيثان بن علي بن جريس جزءا من ذلك البحث** ، ولن أستعرض

ما فيه جميعا لكن بعض المعلومات المهمة يجب الإشارة إليها إضافة إلى أن بعض المعلومات قد جدت لدي بعد كتابتي لذلك البحث .

أ - يظهر من نقوش سفح الكتاب والباهر أن سكنى منطقة الشفا من الجبال قديمة قدم التأريخ ، وليس كما يتوهم البعض بأن سكنى المنطقة العالية من الجبال حديثة نسبياً وأنها كانت غابات وأدغال موحشة ، بل يبدو أن الصلات بين أسفل هذه الجبال من جهة تهامة " **الأصدار** " والجبال كانت قديمة أيضاً يدل على ذلك نقوش قرية الحنجور التي قمت باكتشافها وقد سجلها بعضهم فيما بعد في بعض الكتب المصورة عن المنطقة باسم نقش في ذي عين وهذا خطأ ، كما أن بعض الجبال المحيطة بالحنجور كما أخبرني أحد كبار السن من الحنجور فيها بعض النقوش والحنجور قريبة من شفا الغمدة .

وعلى ذلك فربما كانت معظم هذه القرى الحجرية القديمة البناء في أغلب قرى غامد وزهران من قبل الإسلام . ويحتاج الأمر إلى فحص آثاري دقيق لمعرفة تأريخها وهذا ما لم تقم به الجهة المسؤولة عن الآثار حتى الآن .

ب - نظرية كمال الصليبي حول سكن اليهود في هذه المنطقة ، ثم زياد منى في كتابه : **جغرافية التوراة مصر وبنو إسرائيل في عسير** ، ومن بعدهما أحمد داود في كتابه :**العرب والساميون والعبرانيون وبنو إسرائيل واليهود**، الذي ركز النظرية في منطقة الباحة . ولم يكتب إلى هذه اللحظة بحث علمي يناقش هذه النظرية من قبل سكان المنطقة ،

ويعتمد على النقوش والآثار ، وتأريخ أسماء المواضع وطريقة نطقها كما ينطقها أبناء المنطقة ومقارنتها بأسماء المواضع في التوراة ، إلا أن هناك بعض الإشارات المهمة في هذا السياق وهي :

١ ـ لم أجد خلال بحثي الذي دام أكثر من ثمان سنوات أي نقش عبري وكانت النقوش التي وجدتها إما مخربشات غير واضحة المعنى وإما نقوشاً ثمودية وهي الأكثر ، بالإضافة إلى نقش واحد فقط بخط المسند .

٢ـ تتناقل الروايات أن خرائب معشوقة قد كان يسكنها قوم من اليهود ، ومازال هناك بالقرب منها موقع يدعى شعيب "**عزرا**" بالقرب من الغتامية ، ثم إن البعض يذكرون أن بعض الأسر في المنطقة تعود إلى أصول يهودية ، إضافة إلى أن في مدينة بلجرشي موضع يدعى " **قاع اليهود** " والقاع هو المقابل للجيتو في أوروبا أي المكان المخصص لليهود . وهذا يدل على الآتي :

- أن خرائب معشوقة في وادي أبيدة قد بنيت قبل الإسلام يرجح ذلك اختلاف طريقة بناء الأحجار عن الطريقة الموجود في القرى الحالية حيث توجد مادة الملاط بين الحجارة وهي الطريقة التي اكتشفها اليمنيون قبل الإسلام . ثم إن تقسيمات البناء الداخلي في تلك البيوت تقسيمات متميزة إذ هي عبارة عن غرف صغيرة جدا في بعض تلك الخرائب حتى إن بعضهم يشبهها بمرابط الخيل ، ومما

يلفت النظر في قبور هذه الخرائب أنها ليست متجهة إلى القبلة ويروي لي سعيد بن منسي من الزُهران من غامد أن الذين دخلوا إلى هذا الوادي من غامد وجدوا في بعض البيوت جلود أبقار مكتوب فيها كتابات غير مفهومة وقد أتلفت تلك الجلود .

ويروي الصحاري في كتاب: الأنساب، أن تجمع الأزد حينما خرجوا من اليمن كان بهذا الوادي وحول جبل قملى القريب منه ثم تفرقوا منها :

يقول الشاعر :

أبلغ أبيدة أني غير ساكنها

ولو تجمع فيهـا المـاء والشجر

ولا أقيم بقملى لا أفارقها

كما يناط بجنب الراكب الغمر

ويبدو أن بعض يهود اليمن قد رافقوا الأزد في هجرتهم وإن لم تشر إلى ذلك المصادر التأريخية القديمة أو أن في الأزد من دان باليهودية في الجاهلية حينما قوي أمرها باليمن يدل على ذلك أن الفطيون الملك اليهودي في يثرب كان من بني عمرو بن مزيقياء كما تروي ذلك بعض كتب النسب، ثم انتقلت جموع اليهود من هذا الوادي للحاق بإخوتهم في

المدينة . فيهود المدينة لم يأتوا من شمالي الجزيرة العربية فقط بل أتوا من جنوبيها أيضاً .

ومما يلفت النظر أن أسفل الوادي يسمى بطحان كالوادي الموجود في المدينة وبالقرب من أبيدة نجد وادي العقيق الذي انتقل اسمه إلى المدينة فهل نقل الأوس والخزرج التسميتين من هنا ؟ ربما كان ذلك .

والرواية الشعبية عن خرائب معشوقة أنها لبني هلال كالعادة في كل أثر قديم ، وبعضهم يقول إنها لأناس كانوا يعيشون في رخاء وتجبر ووصل بهم الحال أن يسكبوا السمن في أفلاج الوادي فأهلكهم الله ، وبعض الرويات الشفهية تنص على أنهم من اليهود .

أما قاع اليهود وما يشاع عن بعض الأسر فذلك يشير في فترة ما إلى خروج بعض يهود اليمن في العصر الحديث إلى بعض نواحي السراوات بما في ذلك منطقة الباحة وإقامتهم بها ، وقد كانوا أفرادا قليلين ثم هاجروا إما بالعودة إلى اليمن أو الذهاب إلى جهات غير محددة أو إلى فلسطين .

- وجود أخطاء في تحديد المواضع لدى أحمد دواد الذي اهتم بتحديد مواضع الأماكن وذكر طبيعتها الجغرافية ، وحدودها ولم يكتف بالتشابه بين الأسماء كما هي الحال عند الصليبي مما يستدعي مراجعة النتائج التي توصلت إليها الدراسة .

أ - صنم ذي الخلصة :

صنم ذي الخلصة من الأصنام الجاهلية المشهورة ، وقد كثرت المرويات الشفهية أن الإخوان قاموا بهدمه أخيرا سنة (١٣٤٣هـ) . وقد قمت في بحثي عن الآثار بنفي أن يكون صنم ذي الخلصة في دوس بعد زيارات متعددة للموقع ، وبعد نزولي حتى في أسفل الجبل من جهة الحجرة في تهامة للبحث عن البقايا المزعومة للصنم فلم أجد شيئاً ؛ وعلى ذلك فالأمر لم يعد كونه تشابها في اسم الوادي اقترن بجهل وتعصب عند الغلاة من الإخوان وسوء استدلال بالحديث الشريف حول نساء دوس وصنم ذي الخلصة . وربما كان المكان سقيفة يسكنها رجل صالح قام الإخوان بهدمها أو مكيدة لإبعادهم عن العسف بالأهالي وظلمهم ؛ إذ إن أهالي هذه المنطقة مشهورون بالدهاء فأعطوا جهلة الإخوان ما يرضيهم ويدلهم على مبتغاهم لأنهم كانوا يعتقدون أن الناس ماعداهم مشركين .

ومن الأدلة الأخرى غير ما ذكرت في بحث الآثار ما يلي :

- أن ابن بشر يذكر في تأريخه ص (١٨٢) عن تبالة ما يلي : " **تبالة وهي البلد التي هدم المسلمون فيها (ذا الخلصة) زمن عبد العزيز بن محمد بن سعود ، وهو الصنم الذي بعث إليه النبي ﷺ جرير بن عبد الله البجلي فهدمه فلما طال الزمان أعادوه فعبدوه**" .
- أن موقع الصنم المزعوم لا يساعد على طواف الناس به إذ هو على الشفا المطل على تهامة مباشرة .

❖ أن قبيلة دوس من القبائل العربية التي ثبتت على الإسلام عند ارتداد العرب ويظهر ذلك من اشتراك زعمائها في معركة الحديقة باليمامة واستشهاد الطفيل بن عمرو الدوسي في المعركة نفسها . والطفيل الذي قام بهدم ذي الكفين أما كان الأولى أن يقوم بهدم ذي الخلصة .

❖ أن اضطراب إليات نساء دوس يدل على ثراء أولئك النسوة وهو ينافي تكوين نساء أعالي السراة التي يمتزن بالنحف والرشاقة لكثرة ما يعملن في الحقول وفي الرعي وفي الاستقاء وحمل الحطب ، وبناء على ذلك فهو لنساء ثريات يعشن في عاصمة مهمة كتبالة وقد حدث ذلك الاضطراب في زمن الردة وانتهى وكان من نسوة دوس ، لأن النساء يغلب عليهن التمسك بالمألوف من العادات فهو خاص بالنسوة أما رجال دوس فقد كانوا حصنا حصينا للإسلام . وتخصيص الرسول لنساء دوس يدل فيما يدل عليه على أن ذلك الأمر عجيب من هذه القبيلة وعجيب من نسائها كذلك ، ولكنه سيحدث وقد حدث وانتهى . أما وجود إشاعات بذكر أنه لم يزل قوم يعبدون صنماً هنا أو شجرة هناك فهو أمر غير صحيح وفيه تكذيب للرسول ﷺ الذي أخبر بعدم رجوع جزيرة العرب إلى عبادة الأصنام .

هذا ، ويؤكد تفرق قبيلة دوس في جبال السراة وتهامة إضافة إلى ما ذكره عرام بن الأصبغ من وجود عدة قبائل في وتبالة ورود روايات

في الأغاني تشير إلى سكنى بعضهم في وادي قنونا بتهامة وهي تبعد عن مواضعهم الحالية أكثر من مائتي كيلاً .

- أن المشهور في المرويات القديمة أنه ليس صنما بل بيت . والروايات تذكر أنه لدوس ولغيرها من القبائل ، لكنها حينما تحدد موضعه تجعله في تبالة .
- أن المخربشات التي يذكر السلوك أنه شاهدها في صخرة قد تكون من مخربشات الأطفال في الصخور أو تكون من آثار هدم السقيفة وقد وجدت آثار نقش تشبهها في عتبة بيت قديم بأصدار المعرق .

ب ـ الآثار المدمرة :

توجد في المنطقة بعض الآثار المدمرة والتي لم يعد لها أي أثر ، ومن تلك الآثار مسجد علي بن أبي طالب في قرية المسيد ببني كنانة وأحتفظ بوصف لهذا المسجد أخذته من فقيه قرية المسيد بواسطة أحد طلابي ويدل الوصف على أنه مسجد مميز وكبير وبه أماكن للوضوء إضافة إلى كون الناس كانوا أحيانا يأتون إليه من أنحاء المنطقة للصلاة فيه يوم الجمعة على الرغم أن هذه المنطقة هي منطقة شافعية منذ القدم وليس فيها تشيع .

وقد أقيم في مكان المسجد مسجد حديث غير أنه لا يختلف عن بقية المساجد التي بنتها الأوقاف ولم يسمح بتسميته بمسجد علي بن أبي طالب أو تسمية الحلقة التي فيه بهذا الاسم كما أخبرني إمام المسجد .

واستبعاد أن يكون علي بن أبي طالب بهذه الناحية غير صحيح فهو كان عاملاً للرسول صلى الله عليه وسلم على اليمن فاحتمال مروره بهذا المكان والصلاة فيه أمر وارد .

ومن تلك الآثار مسجد أبي هريرة في قرية الجبور وهي من قرى دوس بني فهم ، وقد ذهبت إلى موضعه أكثر من مرة ووجدته مسورا بسور حديث وبداخله حصن أثري يسمى حتى الآن حصن أبي هريرة ، وقد أخبرني أحد كبار السن بكيفية هدم المسجد وإزالة آثار قبر بجانبه كان يدعى الناس أنه قبر أبي هريرة وكيف خيم إبن سعود أياما هناك إلى أن فرغوا من عملية الهدم .

ولا يستبعد أن يكون المسجد قد بناه أبو هريرة في ديار قومه أما وجود قبره في هذا الموضع فيحتاج إلى تحقيق وتقصي ، لأن الثابت أنه توفي بالمدينة المنورة .

ومن تلك الآثار سور بلجرشي الذي يضم داخله ثلاث قرى كانت تدعى قرى السوق ، وتكاد أن تكون بلجرشي هي البلدة الوحيدة الحديثة التي كان يحيط بها سور في بلاد السراة ، ولم يذكر هذا الأمر المهم أحد من المؤرخين الذين تناولوا تأريخ المنطقة حتى الآن . ونقل لي الباحث خضر بن سند أن الشيخ محمد بن سعد البركي قد قام بتحديد موضع السور ولديه بحث حول هذا الموضوع ...

ويشبه سور بلجرشي وجود آثار لجدار يمتد مسافة طويلة كأنه سور ويقع على يمين الطريق الموصلة إلى **"صخوان"** بعد أن يترك الطالع من الطريق قرى بني كبير التي في الوادي ، ويظهر أن هذا أثر مغرق في القدم ويحتاج إلى

تنقيب آثاري لمعرفة المزيد عنه وقد وجدت بالقرب منه نقش إسلامي بالخط الكوفي .

ج - آثار لم تسجل حتى الآن في الباحة وما جاورها .

هذه مجموعة من الآثار التي لم تكتشف وقد كان بعضها مكتوباً في قصاصات متفرقة ولم أجدها إلا حديثا ، وبعضها اُكتشف بعد كتابة بحثي حول الآثار في مسودته التي يملك نسخة منها الدكتور ابن جريس لذلك فهو يعد إضافة إلى الآثار غير المكتشفة في ذلك البحث .

- نقوش قرشع وهي مجموعة من النقوش الثمودية التي تقع في المنزل من قرشع بالقرب من أحد الكهوف جنوبي الداحون .
- نقش قبور الزينات وهو النقش الوحيد بالخط المسند الذي وجدته في المنطقة. وقبور الزينات في بني كبير وتشبهها قبور أخرى في مواضع من وادي قرشع ، وما كان يسمى بقبور البنات في بالشهم هي قبور مبنية على وجه الأرض ومزينة بالمرو وهي تشبه القبور التي أشار إليها الدكتور غيثان في وادي ترج وتحتاج إلى مزيد عناية لمعرفة تأريخها الحقيقي .
- نقش شعب آل عيسى وهو نقش إسلامي يقع في قرية الجادية وتحديداً في شعب آل عيسى حيث يوجد في إحدى قمم الجبل الفاصل بين شعب آل عيسى والحازم .

- نقش صدر المعرق في عتبة بيت قديم من البيوت التي تقع في أسفل عقبة الباحة وهو يشبه المخربشات التي صورها السلوك على الصخرة التي يزعم أنها من بقايا ذي الخلصة .
- الفرش موقع شرقي قرية بني مشهور ويظهر أنها قرية موغلة في القدم وبه آثار سوق والقرية على شكل غرف صغيرة تشبه بعض ما هو موجود في معشوقة .
- نقش ثمودي في بئر في رباع ببلاد زهران ولست متأكدا منه بل نقله إلى ناقل .
- رسومات جبل الهريتة في نيرا وبه مخربشات ورسوم ملونة . ويقال أن هذا النقش قد صور قبل فترة من الزمن من قبل بعض الباحثين ولكنه غير موجود في قائمة آثار الباحة المكتشفة .
- قبر لقمان وهو قبر قديم في بلجرشي وربما كان حوله بعض النقوش ولم أستطع الوصول إلى موضعه ، ومن المحتمل أن يكون الموضع له علاقة بلقمان الحكيم .
- مخربشات وادي منحل وفيه رسوم لأوعال ورجل راكب فوق الخيل عارضا رمحه ونقش مكتوب فيه : " **اللهم اغفر يارحيم (كلمات غير واضحة) لسعيد (كلمات غير واضحة)** " وهو بخط كوفي .
- نقش بخط كوفي إسلامي في درب الفيل شمالي جرب .
- نقش مذود وهو نقش قصير يقع في وادي مذود وكلماته غير واضحة

- عقبة ذي منعا تعتبر هذه العقبة أقدم عقبة ورد لها ذكر باسمها في المصادر التاريخية وذلك في قصة إسلام الطفيل بن عمرو الدوسي ذي النور . وقد أهملها الدكتور ابن جريس في أحد كتبه وهو يعدد أهم العقبات في جبال السراة . وموقع هذه العقبة التأريخي يحتاج إلى تحقيق إذ تذكر الروايات أن الناس كانوا ينظرون إلى النور في طرف سوط الطفيل وهو صاعد من العقبة ولكن العقبة الحالية في موضع بعيد عن القرى وليس ما يدل على أن هناك بقايا آثار في أعلى العقبة .
- نقوش في الجبال المحيطة بالحنجور ، ولم يتح لي الوصول إليها .
- نقوش جبل أثرب والجبال المحيطة به لم أستطع الوصول إليها .
- نقش وادي شواص وهو نقش إسلامي في صخرة في وادي شواص بالقرب من بيت محمد العرياني .
- نقش حباشة ، وقد زرت موضع حباشة أكثر من مرة في الموضع الذي يدعى الحواري وكتبت كتابة مفصلة عن هذا السوق ، ومما يجب التنويه به أنه يوجد بالإضافة إلى آثار الحوانيت كالتي رأيتها في سوق العبلاء الجاهلي بوادي رنية . وبعض قطع الفخار وبعض الرحي. يوجد نقش إسلامي ورسومات في أعلى الجبل المطل على السوق من الناحية الشمالية ولا أدري أذكر ذلك النقش عبدالله الرزقي في بحثه عن سوق حباشة أم لم يذكره غير أن الذي دلني على موضع السوق من أهل المنطقة عندما أريته النقش والرسم قال إن هذه المرة الأولى التي يرى فيها ذلك .

وعلى الرغم من أن تأكيد الشيخ حسن الفقيه أن سوق حباشة بهذا الموضع وميلي إلى تأييد ذلك ، إلا أن في النفس لما تزل شكوك حول الموضع الصحيح إذ تجمع الرويات أنه في صدر قنونا . وهذا المكان لايعد صدرا للوادي في عرف الأقدمين إذ الصدر ما قرب من الجبال ومازالت الأصدار اسم يطلق على أسافل الجبال حتى الآن ، ثم إن الشاعر يعلى بن الأحول الأزدي يقول عن نباتات صدر الأودية التهامية :

بواد يمان ينبت السدر صدره   وأسفله بالمرخ والشبهان

- وصدر وادي قنونا يتمثل فيما يدعى الآن بوادي الخيطان حيث ينمو السدر في المنطقة القريبة من الجبال وقد تواترت الروايات الشفهية أن بوادي الخيطان سوق قديم مندثر ، ولأجل ذلك فأزعم أن مسألة تأكيد موضع سوق حباشة تحتاج إلى تحقيق أكثر .

٣ - تحقيقات في النسب القديم :

- ترجع معظم القبائل التي تسكن الباحة وما حولها إلى أزد السراة وأود أن أدل القارئ على تحقيق نسب أزد شنوءة الذي اختلف فيه كثير من النسابين ، **حيث قمت بتحقيق ذلك النسب في تمهيد بحثي العلمي حول لهجة أزد السراة فليرجع إليه** ، ولكن ما أشير إليه هنا هو ماورد في بعض كتب الحديث الصحيحة من تشبيه موسى عليه السلام بأزد

شنؤة إذ يقول الرسول ﷺ عن موسى أنه رجل طوال آدم كأنه من أزد شنؤة . إذن فالصفة الأصيلة لهذة القبيلة هي الطول الفارع والأدمة أي السمرة ، وتغير اللون إلى السمرة هو من آثار التعرض لشمس الجبال فيصبح الوجه ملوحاً مائلاً إلى الاسمرار .

ثم إن البحث اللهجي الذي قمت به يؤكد وجود بقايا كثير من اللهجات المنسوبة إلى أزد السراة أو أزد شنؤة حتى الآن وهذا دليل لغوي يشير إلى عراقتهم وصحة أصولهم .

كما أدل القارئ على الخلاف الذي جرى بيني وبين الدكتور أحمد قشاش حول اندثار قبيلة شكر الأزدية السروية وعدم وجود بقايا لها الآن ، **ويوجد على حلقات مسلسلة في ملحق التراث بجريدة البلاد السعودية س (٦٩) ع (١٥٧٥٦) في (٢٩جمادى الأولى ١٤٢٠ هـ).**

أما قبيلة لهب المشهورة فيظهر أنها كانت تسكن بالقرب من غامد التي أجلتها من أراضيها في " **نيرا** " فرحل بعض هذه القبيلة وسكن بالقرب من قبيلة بلحارث جنوبي الطائف تبعد عنها حوالي سبعين كيلا ويشتركون في بعض قراهم مع قبيلة ربيع في حين رحل بعضها الآخر وسكن الخبت من تهامة .

وينبغي التنبه في هذا المجال أن هناك بطن من غامد هم بنو اللَهبَة وقد يتغير ضبط الشكل مع طول تغيرات الزمن ثم إن اللِهب هو الشق في الجبل كما تقول معاجم اللغة فيحتمل أن يكون اللهب في نير اسم للمكان وطبيعتها توحي بذلك ؛ لذا فإني لا أرجح دخول بني لهب في

بني عبد الله من غامد كما يذهب لذلك الشيخ حمد الجاسر ؛ إذ يروي أبو علي الهجري في مؤلفه النفيس أن الغارات بين هاتين القبيلتين أعني لهب وغامد كانت مستمرة وقوية مما يضعف احتمال دخول لهب في غامد .

- نسب الشنفرى ، تكاد تجمع معظم الرويات أن الشنفرى من الأواس ابن الحجر ويستثنى من ذلك جمهرة أنساب العرب لابن حزم الذي نسبه لبني سلامان بن مفرج بن زهران . ومعظم الأماكن التي ذكرها في شعره هي في ديار زهران في هذا الزمان وذلك الأمر قد يؤيد قول ابن حزم في نسبه إلى زهران . ولانكاد نجد خلافاً في قضية نسبه اللهم مانجده عند الصحاري الذي ينسبه إلى بني زِمان من سلامان بن مفرج بن عوف بن ميدعان بن مالك بن نصر بن الأزد . وربما يكون هذا هو الصواب حيث أن بعض قبائل الأزد التي يذكر النسابون أنها في السراة دخلت في قبيلة زهران المسمى الكبير ويرجح أن منها ميدعان بفروعها المتعددة .

ويجب أن يكون من المعلوم أن هناك روايات متعددة تنفي أن يكون الشنفرى من أغربة العرب ويساعد على ترجيح ذلك سياق قصته مع قومه من بني سلامان .

أما قتل الشنفرى وورود قاتله باسم أسيد بن جابر السلاماني مرة وأسيد بن جابر الغامدي مرة أخرى في بعض المصادر الموثوقة كالمفضليات ، فتفسيره لدي أن هناك سلامان أخرى في غامد وقد

وجدت سلسلة سلامان هذه في نسب بعض أعلام غامد ثم أن بني الرمداء من غامد أرسلوا في أثره بعض كلابهم فربما كان بنو الرمداء بطنا من سلامان غامد . ويذكر الصحاري أن غامداً تعد جمرة من جمرات العرب لم تحالف غيرها من القبائل ولم يهاجر منها أحد إلى عمان .

ومن عزيز النسب في هذا الخصوص أن بعض قبائل قيس يرجعون في خؤولتهم لغامد ، إذ إن ضبينة بنت سعد مناة بن غامد هي أم ابني جعدة بن غني (عبس وسعد) كما يذكر ذلك الكلبي .

أما ما يتناقله بعض العامة وبعض أنصاف المتعلمين في المندق وفي دوس أن القرية التي تدعى سلامان في قبيلة دوس هي موضع مقتل الشنفرى وبها قبره فإن ذلك من التخليط واشتباه الأسماء ، فسلامان كانت تسكن في أبيدة كما يذكر البكري وكل الكتب التي تذكر موضع مقتل الشنفرى تجعل ذلك في أبيدة ومازال الناصف من أبيدة الذي قتل به الشنفرى حتى الآن بالاسم نفسه وقد زرته أكثر من مرة وهو ناصفان الناصف الأعلى وبه موضع فيه قبور دائرية الشكل مكومة الحجارة وهناك ما يشبه آثار دائرة من الأحجار المبنية على شكل سور كبير يزعم أهل المكان أنها حلبة الخيل والظاهر أن لها علاقة بموضع قتل الشنفرى . أما الناصف الأسفل ففيه بعض الحسي والكظائم التي يرجح بعض الأهالي أن الشنفرى قبض عليه عند أحدها. وكان الشنفرى يغير عليهم هناك ولم يذكر أنه أغار على دوس قط . ثم إن سلامان الحالية في دوس اسم قرية وليست اسم القبيلة القديمة المندثرة التي ينسبها بعض المؤرخين إلى زهران من غير وصلها بدوس وينسبها بعضهم إلى ميدعان فما الذي

جعل سلامان في دوس الآن وجعل أهل تلك الناحية يؤكدون أن بني سلامان هم قتلوا الشنفرى وأنهم دوسيون إلا لقلة بضاعة من يحمل العلم حيث أن مرحلة ما أسميه "**الحبو التأليفي**" لها آثار سلبية في قلب كثير من المفاهيم والحقائق والوعي الثقافي في المنطقة مازال رهينا لهذه المرحلة البعيدة عن العلمية ، ويضاف إلى ذلك سبب آخر جعل الدوسيين يشيعون هذا الأمر بوعي أو بدون وعي ألا وهو جعل الناس ينسون ما يشاع عنهم أن صنم ذي الخلصة كان عندهم وكانوا يعبدونه ، وذاك غير صواب البتة .

ومن الأمور المهمة التي ينبغي التنويه عليها أن قبائل الأزد وخصوصا قبيلة غامد تصدت لأبرهة الأشرم بقيادة عبد شمس بن مسروح الأزدي حيث أرسل إليهم خيلاً فهزموا خيله . والخبر بتمامه في كتاب المنمق لابن حبيب ص(٧٤).

ثالثاً : تنبيهات حول التأريخ الإسلامي من القرن الأول الهجري إلى القرن الرابع الهجري (ق ٧ – ق ١٠ م) .

١- الصحابة الكرام (رضوان الله عليهم).

يكثر الصحابة الذين ينتسبون إلى قبيلتي زهران وغامد القاطنتين في السراة مما يجعل منطقة الباحة أكثر الأجزاء في السراوات عمقا تأريخياً و مجداً لا ينازعه أي موضع آخر في الجزيرة العربية سوى مكة والمدينة ويظهر أن قبيلتي غامد وزهران اللتين تعودان لأزد شنؤة كانتا من القبائل المتميزة منذ الجاهلية ؛ فالرسول ﷺ بعد أن يرد لأعرابي ست بكرات عوضاً عن هديته

فيتسخطها ، يخطب في الناس ويقول هممت ألا أقبل هدية إلا من قرشي أو ثقفي أو دوسي .

والطفيل بن عمرو الدوسي يسلم قديما في مكة ويعرض على الرسول ﷺ الهجرة إلى ديار دوس ، وأبوظبيان الأعرج يسلم في مكة قديماً ، وأبو هريرة راوية الإسلام الذي يذكر د. محمد عبده يماني أنه لم ينفرد من الأحاديث إلا بسبعة أحاديث فقط في حين يذكر محمود المراكبي وهو مختص في البرمجيات أنها مائتا حديث التي انفرد بها فقط ، وأميل إلى قول المراكبي لأنه متخصص في الحاسوب . وذلك يرد على كثير من المشككين في صدقه رضي الله عنه .

وعدد الصحابة المترجم لهم من القبيلتين يفوق أي قبيلة قحطانية الأصول على وجه العموم سوى الأوس والخزرج ، ثم إن من القبيلتين كثير من التابعين المشهورين أيضاً هذا ، فضلا عن من يكون من القبيلتين وترجم له بالنسب للأزد عموماً .

ومما يميز المترجم لهم من كلا القبيلتين الشجاعة والعلم ، فجندب بن زهير الغامدي رضي الله عنه كان هو والأشتر النخعي أشجع العرب في زمانهما ، وقبلهما أبو ظبيان الأعرج . أما لوط بن مخنف فكان من أوائل المؤرخين العرب ، والخليل بن أحمد الفراهيدي على رأي ابن حزم الذي يجعل بني شبابة بن فهم الذين منهم الخليل في السراة وفي البصرة هو عالم العرب غير مدافع ، والحديث هنا يطول ...

ومن الأمور التي قرأتها عن تأريخ الأزد أن شعارهم الذي تابعوا فيه الصحابي الجليل الطفيل بن عمرو ﷺ هو كلمة " يامبرور " أما رايتهم أو راية بعضهم فهو سوداء اللون وفيها هلال .

٢- وفود غامد أربعة وليس اثنين .

يظن كثير من الباحثين أن غامد لم يفد منها إلى الرسول ﷺ إلا وفدين . والصحيح أن غامد وفدت إلى الرسول ﷺ أربع مرات : المرة الأولى بمكة حينما وفد إليه أبو ظبيان ﷺ والمرة الثانية العشرة الذين وفدوا إلى المدينة وتركوا صبياً عند رحالهم في البقيع ، والمرة الثالثة كان عددهم أربعين ـ وقد كتبت معلومات حول هذا الوفد في جزازة وأضعتها لذلك فأنا لست متأكدا من صحتها حتى الآن ـ ، والمرة الرابعة كانت لبني البكاء من غامد كما ذكر ذلك أصحاب التواريخ والتراجم المشهورة.

٣- قصة الغامدية .

من القصص المشهورة في كتب أهل الحديث ، واسمها سبيعة الغامدية وقيل آمنة (رضي الله عنها) ، ومعظم الكتب التي تناولت القصة بالشرح ترد نسبها إلى الأزد . لكن المشكل هو بعد ديار غامد عن المدينة المنورة إذ تبعد عنها بما يقارب ثمانمائة كيلاً فكيف أتت للرسول ﷺ من قومها ، وكيف راجعته أكثر من مرة ؟ يمكن حل هذا الإشكال بترجيح كون الغامدية من غامدة التي هي بطن من جهينة علما أن بعضهم جعل جهينة

بطنا من غامد . ولكن الأصوب هو احتمال أن أسرة أو بيوتاً من غامد جاورت أبناء عمومتهم من الأنصار وكانت هذه الغامدية منهم والله أعلم .

٤- قضية الردة .

قضية ارتداد القبائل العربية قضية تأريخية مهمة جداً وقد أثار هذه القضية حديث د. غيثان بن جريس في ملتقى عقد في الباحة مؤخراً [١] ، حيث ذكر أن بعض هاتين القبيلتين ارتد عن الإسلام مما أثار حفيظة كثير من مثقفي المنطقة وكثير ممن بلغهم الخبر .

وعند العودة إلى تلك الفترة العصيبة من التأريخ العربي نجد بعض الروايات تقول إن قبائل العرب قد ارتدت جميعاً ـ على اختلاف في نوع الردة ـ ما عدا قبيلتين هما قريش وثقيف . وهذا تعميم خاطئ وتخصيص خاطئ أيضاً بل إن في تخصيص القبيلتين السابقتين نوعا من الادعاء لجلب بعض الفخر لهما كونهما من آخر القبائل إسلاما إضافة إلى أنه لم يشر إلى الأوس والخزرج بإشارة مما يفهم منه ارتدادهما كبقية القبائل ، وذلك غير صحيح البتة .

(١) هذا الحديث عبارة عن محاضرة قدمها ابن جريس في الملتقى الأدبي الذي عقده نادي الباحة الأدبي في الفترة الممتدة من (١٦ – ١٤٢٧/١٠/٨ هـ الموافق ٧ – ٩–٢٠٠٦/١١ م) . وكان عنوان هذه المحاضرة هو : " بلاد الباحة (غامد وزهران) خلال القرون الإسلامية المبكرة والوسيطة " ، وقد أجري عليها بعض التعديلات ونشرت في موسوعة المملكة العربية السعودية ، وفي المجلد الخاصة بمنطقة الباحة ، مج (١٦)، وكذلك في هذا الكتاب (انظر الدراسة الرابعة) .

ولأجل ذلك لابد من التثبت عند وصف قبيلة ما بأنها ارتدت أو ثبتت على الإسلام وتوخي الحقائق التأريخية للوصول إلى الحقيقة مجردة بعيداً عن التعصب والأهواء .

فبعض القبائل كما يبدو قد ارتد جمهورها وبقيت منها قلة على الحق وبعضها ثبت جمهورها على الحق وارتد منها قلة قليلة . في حين أن بعض القبائل ارتد منها كثير وبقي منها على الحق كثير وهذا هو الحال لأغلب القبائل العربية فكيف كان حال هاتين القبيلتين في تلك القضية .

أول ما يلفت النظر هو استشهاد الطفيل بن عمرو الدوسي ﷺ في اليمامة وهو يقاتل المرتدين هناك ، وقد كان سيد قومه ولا ريب أن قومه قد رافقوه في هذه المعركة ، وفي ذلك دليل على ثبات قبيلة دوس على الحق .

ثم إن الروايات التي تذكر أن الأسود بن الأفكل الأزدي كان قائدا للأسود العنسي تذكر أن المبعوث لقتل الأسود هو وبر بن يحنس الأزدي على خلاف في نسبه وفي اسمه وبعضهم يجعله من أقارب الأسود مما يوحي بأنه قد يكون هو والأفكل من الأزد الذين سكنوا بالقرب من نجران .

ورواية الطبري تجعل المرتدين تجمعوا بشنوءة علم لمكان وهو لم يزل إلى اليوم في بلاد بني مالك عسير ، وتجعل المجتمعين أخلاطاً من الأزد وبجيلة وخثعم وتجعل قائدهم حميضة بن النعمان وتذكر هزيمتهم وتفرقهم عن حميضة الذي هرب في البلاد ، وهذا يوحي بقلتهم وأنهم من قبائل متفرقة من الأزد وغيرهم . وهنالك في الطبري نص آخر مهم يذكر خروج سعد بن أبي وقاص من المدينة في أربعة الآف ثلاثة الآف ممن قدم عليه من اليمن

والسراة ، ويذكر أن أهالي السروات عليهم حميضة بن النعمان بن حميضة البارقي وهم بارق وألمع وغامد وسائر أخوتهم في سبعمائة من أهل السراة وأهل اليمن ألفان وثلاثمائة .

وهذا النص يؤكد التفريق بين أقليم اليمن وأقليم السراة منذ القدم وكما تذهب لذلك معظم الكتب التي اهتمت بتحديد المواضع ، ثم إنه يجعل قائد المجاهدين من أهل السراة في القادسية هو نفسه قائد المرتدين مما يثير عدة أسئلة حول صحة الخبر الأول أو الخبر الثاني حول هذا القائد أما الأمر المهم فهو إشارة النص إلى نسبة الإسهام العددي بين السراة واليمن مما يوحي بأهمية هذا الأقليم منذ القدم .

وخلاصة الأمر أنه ليس هناك من الروايات ما يثبت ارتداد غامد أو زهران بهذا الاسم أو مايثبت ارتداد أزد شنؤة التي تنتمي إليها هاتان القبيلتان ، بل إن المرجح هو ثبات قبيلة دوس كافة من زهران يضاف إلى ذلك أن قائد المرتدين تحوم حول شخصيته الشكوك بيد أن المرتد من أهل السراة بما فيهم الأزد كما يبدو قليل جداً وقد عادوا سريعاً إلى الإسلام . ولكنهم لم يخصوا بقبيلة معينة من قبائل الأزد . بل إن بعض الروايات نصت على أن المرتدين اجتمعوا في سراة عنز أي ما يعرف اليوم بقبيلة عسير التي تحيط بأبها ، وهذا الموضع بعيد جدا عن سراة غامد وزهران .

وبمراجعة كتب المعارك الإسلامية في العراق والشام نجد سير أبطال وشجعان كثر أسهموا في دخول هذه البلاد إلى الإسلام بل استوطن كثير منهم فيها كالبصرة والكوفة والمدائن والموصل وكمدينة حمص التي ما تزال

تحتفظ بقبور كثير من الصحابة ومنهم سفيان بن عوف الغامدي الذي كاد يفتح القسطنطينية .

ويستطيع من أحب الاطلاع على جهود قبيلتي غامد وزهران ودورهما التاريخي في الدولة الأموية والدولة العباسية مراجعة ذلك الأمر فهو متوفر ومتاح .

لأجل ذلك فقد ذكرت في ورقة موجزة قدمتها إلى الدكتور غيثان أن ما يعرف بمنطقة الباحة الآن قد يكون من أكثر أجزاء السراة أهمية وثقلا تأريخياً .

ويمكن أن يكون من ملامح الحياة في عصر بني أمية زيادة الترف وانتشار الغناء يدلنا على ذلك بيت يعلى بن الأحول الشكري :

وعزف الحمام الورق في ظل أيكة   وبالحي ذي الروذين عزف قيان

ولا غرابة في ذلك فكثير من جيوش الفتح هم من هذه المنطقة ولاريب أن بعضهم أثرى مما حصل من غنائم علاوة على ذلك فإن الغناء انتشر في الحجاز وهذه المنطقة أقرب مناطق الأزد إلى مكة والمدينة .

رابعاً : تنبيهات حول الفترة الغامضة من تأريخ ما يسمى الآن الباحة (ق ٤ – ١٢ هـ/١٠ – ١٨ م)

تعد الفترة الممتدة من أواخر القرن الرابع الهجري إلى أوائل القرن الثالث عشر الهجري من الفترات التي شحت فيها الأخبار عن بلاد السروات بما فيها سراة غامد وزهران ، وهي فترة يكاد الناظر فيها يجزم بأن الجزيرة العربية على وجه العموم قد أوشكت على الاختفاء من خريطة

الأحداث وكأنها خارج التأريخ لولا اهتمام بتأريخ بعض أجزائها كاليمن والحجاز وعمان أما بقية الأجزاء فأخبارها نزرة قليلة .

وتكاد تكون الجزيرة العربية في هذه القرون المتطاولة عبارة عن قبائل وإمارات صغيرة لا وزن لها ولا تأثير حيث ازدادت رقعة الجهل فيها ، وغلب على أهلها حياة البدو أو حياة أهل القرى الصغيرة وإن كان التأريخ يحكي عن العرب المجاورين للعراق ومالهم من أثر في الأحداث هناك أو يحكي عن تحول بعض أعراب الحجاز إلى قطاع طريق تخصصوا في قطع طريق الحاج أو يحكي عن دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب وتحالفه مع محمد بن سعود في الدرعية . أما منطقة البحث المعروفة الآن بمنطقة الباحة فيمكن تسجيل بعض الأمور عنها على النحو الآتي :

(١) : وصفُ بعض الرحالة لأهالي السراة كالهمداني وناصر خسرو وابن المجاور وابن جبير وابن بطوطة ، وذلك الوصف معروف ومشهور ولكن يمكن للمؤرخ أن يستنتج منه أن تلك البلاد كانت مستقلة تتبع لشيوخ القبائل وأنها كانت بلاداً وافرة الخيرات تمد بلاد الحجاز بالمؤن ، كما يمتاز أهلها بالشجاعة وبالفصاحة وبالكرم . ومن الكتب المهمة التي تناولت تأريخ السراة وقلما التفت إليها الباحثون كتاب التعليقات والنوادر لأبي علي الهجري فهو ليس كتاب أدب ولغة فحسب بل هو كتاب تأريخ أيضاً وفيه معلومات لا توجد في غيره من الكتب .

(٢) : تقول بعض الروايات الشفهية أن بعض أهالي المنطقة قد شاركوا صلاح الدين في حروبه ضد الصلبيين وتخص بني ثعفل حيث يرى بعضهم أنهم كانوا جزءا من بعض القبائل التي شاركت صلاح الدين في غزواته وأنهم لما وصلوا إلى بعض الأجزاء من بني ظبيان استقروا بها . وهذه إحدى الروايات في أصل هؤلاء القوم مع روايات أخرى غير هذه . بل إن في الأسر المقدسية من ينتسب إلى غامد وزهران حتى اليوم ، كما أخبرني بذلك أحد الأكاديميين في كلية الآداب بجامعة الملك سعود.

(٣) : تتميز المنطقة المعروفة الآن بمنطقة الباحة بأنها الجزء الوحيد الذي قامت فيه إمارات أو سلطنات أزدية خالصة . فإذا كانت كتب الرحالة قد وصفت أحوال السراة السياسية بأنها مجرد قبائل أو قرى صغيرة مستقلة تتبع لشيوخ القبائل ، وإذا كانت الفترات السابقة لهذا الفترة التأريخية الغامضة من التأريخ الإسلامي قد جعلتها تابعة لعمل مكة المكرمة . والفترات اللاحقة جعلتها منطقة نزاع مستمرة بين أناس ليسوا من أهلها الأصليين وإنما وفدوا إليها كالأدارسة وآل عائض وبعض الأشراف وبين حملات خارجية قام بها أشراف مكة والأتراك ومحمد علي باشا وآل سعود .

إذا كان كل ذلك معروفاً فإن الجديد الذي أظهرته الكشوف الأثرية الأولية في عشم والأحسبة هو قيام إمارات وسلطنات أزدية مستقلة ففي عشم ووداي الأحسبة نجد أسرة آل عويد ، وقد ذكر

الأستاذ حسن إبراهيم الفقيه في كتابه : **مخلاف عشم** أن هذه الأسرة لها مقبرة مستقلة في عشم وقد تصدرت أسماء بعضهم لقب " **الأمير** " أو " **السلطان** " ص (٧٢).

ورغم أهمية الكتاب الذي ألفه الفقيه عن مخلاف عشم إلا أن معلومات التنقيب الأثرية ستمدنا بأضعاف أضعاف المعلومات التي ذكرها الفقيه وقد توجهت إلى كثير من المسؤولين في وكالة الآثار بالإسراع في تنقيب مدينة عشم لأنها عرضة لنهب السيول التي نقلت آثارها إلى الوادي المجاور قبل أكثر من سبع سنوات ولكن إلى الآن لم يتم شيء .

ويؤكد الزيلعي في كتابه: الخلف والخليف ص(٣٠)حيث يقول : " **ووجد في الأحسبة الجنوبية ، على بعد حوالي ثلاثين كيلو متراً إلى الجنوب الغربي من بلدة المخواة ، عدد من النقوش لمتوفين ينسبون إلى الخليف ، وإلى بني سليم من زهران تلقبوا بألقاب سلاطين** " .

والمعلومات التأريخية في المصادر المكتوبة لاتمدنا بشيء يذكر عن حدود تلك السلطنات والإمارات وعن تنظيماتها الإدارية والحضارية وعن نهاياتها ، ولكنها تشير إلى تطور التنظيم السياسي والحضاري في تهامة وتقدمه على السراة التي كانت إلى البداوة والتنظيم القبلي أقرب ولم تقم فيها إمارات مستقلة بل إن تكافؤ القبائل السروية في القوة وغلبة العصبية والجهل إضافة إلى وعورة

مسالك الجبال وقلة الاتصال بالعالم الخارجي في مكة واليمن رسخت القبلية فيها وإن اشتركت تلك القبائل في أحلاف ومعاهدات مع بعضها أو مع قبائل من خارج السراة كالحلف الغامض الذي انقسمت فيه بعض القبائل الحجازية والنجدية قسمين هما خندف الذي دخلت فيه غامد وشبابة الذي دخلت فيه زهران . هذا وتشير تسمية الحلف بهذين الاسمين إلى سلسلة النسب المغرقة في القدم للقبائل العربية خصوصاً " **خندف** " أما شبابة فهناك شبابة الأزد وشبابة قيس . والعجيب أن الحلف ضم قبائل مختلطة الأصول ما بين قحطان وعدنان . والمعلومات عن هذا الحلف لا تشف غلة و لكن الحلف بهذا التكوين الضخم يشير إلى مشاكل كبرى كانت تعصف بالجزيرة العربية في فتراتها الغامضة والراجح أنها حروب داخلية فيما بين القبائل .

فمن المرجح على سبيل المثال أن قبائل بني هلال ومن تحالف معهم قد ملكوا في تلك الفترة الغامضة أجزاء واسعة من الجزيرة العربية قبل رحيلهم إلى المغرب العربي يدل على ذلك بقاء صيتهم في جميع ما خلف من آثار إذ ترجعه عامة الناس لبني هلال إضافة إلى تفرق بطون صغيرة منهم في أرجاء الجزيرة العربية ماتزال تنسب إليه ـ وإن لم أجد أحداً من المؤرخين ذكر ذلك ـ وعلى ذلك يمكن تفسير ما تتفوه به عامة الناس من كبار السن في رد كل ما حولهم إلى بني هلال فيما يعرف بمنطقة الباحة أو غيرها من المناطق .

(٤) لا نكاد نجد أخباراً مهمة عن الحركة العلمية إلا ما نجده في الخلف والخليف وعشم . وأذكر أن أحد المحدثين الكبار كان من السراة وقد نسيت الكتاب الذي قرأت فيه ذلك .ولكن كثرة شواهد القبور تشير إلى معرفة كثير من أهالي السراة القراءة والكتابة .

وينبغي في هذا المجال الحذر من أنصاف الباحثين الذين يلحقون أي علم أو عالم أزدي أو غامدي أو دوسي أو زهراني بالمنطقة بغض النظر عن المكان الذي عاش فيه حتى وإن كان فيما وراء بلاد النهر فتأريخ المنطقة شيء وتأريخ القبيلة شيء آخر . وهنا تأتي مسألة إتقان مهارات البحث العلمي ومتابعة المنهج العلمي الصارم في التأليف ، ونادرة كالكبريت الأحمر هي تلك الأبحاث التي تشفي الغليل فيما يكتب من كتابات تأريخية حول المنطقة وما حولها من المناطق ، وهذا الأمر يحتاج إلى بحث مستقل لتقييم المؤلفات في التأريخ والأنساب في المنطقة وما جاورها من المناطق ، إذ إن معظمها كتابات بعيدة عن المنهج العلمي ناهيك عما فيها من أخطاء في المعلومات ، وقد أطلقت (سابقاً) على تلك البحوث " **مرحلة الحبو التأليفي** " .

خامساً : تنبيهات حول التأريخ الحديث (ق ١٢ – ١٤ هـ/ ١٨ – ٢٠ م) :

يعد التأريخ الحديث في مجمله امتداداً للفترة الغامضة إلى ما قبل توحيد المملكة العربية السعودية على يد الملك عبد العزيز آل سعود ؛ إذ

المعلومات التي تصلنا تتصف بالقلة والاضطراب ، بل إن بعض الكتب التي تروي أحداثاً في هذه الفترة جرى التشهير بها واعتبار ما فيها أكاذيب وأباطيل وحرم الاعتماد على المعلومات الواردة فيها ...

وستدور التنبيهات في هذه الفترة الزمنية حول الأمور التالية :

١- التسميات :

من المواضع المهمة التي لها ذكر في التأريخ ما يلي :

أ. الثلاث الغامديات : ثلاثة جبال ترى من الجنوب بثلاث قمم متساوية وكأنها أهرامات ، وهي تبعد عن الطائف مسافة أربعين كيلاً جنوباً ، وقد تضاربت الرويات الشفهية حول تسمية هذه الجبال بالثلاث الغامديات ، فبعض الروايات الشفهية تجعل قبيلة غامد وصلت إلى هذا المكان وجرت بينها وبين قبيلة عتيبة معركة كبيرة انتصر فيها الغامديون ، في حين بعض الروايات تجعل المعركة بين غامد وبلحارث . وقد وقفت على هذه الثلاث الجبال بنفسي ووجدت بها آثاراً موغلة في القدم حيث تتناثر رسوم الوعول وبعض المخربشات لذا فمن المرجح أن التسمية قد تعود إلى فترة قديمة جداً وقد اندثر خبرها الآن .

ب. شمرخ : جبل عظيم شمالي منطقة الباحة وقد قرأت في بعض كتب الفرق أن بعض فرقة الكيسانية يعتقدون أن غيبة الإمام محمد بن الحنفية هي في هذا الجبل وسيظهر منه آخر الزمان .

جـ . يرحرح : بلدة مهمة في دوس بل تكاد تكون أهم بلدان قبيلة دوس الآن ، وقد وردت في الأغاني يزحزح بياء وزاي وهو خطأ .

د . جعاليف أبيدة : هكذا وردت في الأغاني في قصة الشنفرى وذلك خطأ والصواب (جنى أليف أبيدة) ؛ إذ أليف واد أسفل بيدة وينطق ليف كما تنطق أبيدة : بيدة .

هـ . صفا العجلان : وهذا الموقع في داخل مدينة الباحة ويقع شمالي غرب فندق الزلفان مجاوراً لإشارة المرور الضوئية من ناحية الشمال ويقع الآن في موضعه سوق حديث ، وقل من يعرف هذا الموقع أو من يشير إليه وقد وقعت فيه الموقعة الفاصلة بين الترك وقبيلتي غامد وزهران . وهنا يجب ملاحظة تسميات الشوارع التي نفذتها أمانة منطقة الباحة ؛ إذ إن أكثرها لاعلاقة له بتأريخ المنطقة أو برجالاتها ، بل إن إهمال الآثار والتعدي عليها من أمانة منطقة الباحة نفسها بسبب الجهل يمثل كارثة علمية كبرى .

و . بلجرشي : جرى خلاف حول مدينة بلجرشي ، وجرش أدى ببعضهم إلى القول أن بلجرشي هي المدينة التي وجه الرسول ﷺ لقتال أهلها . وذلك غير صحيح ولاداعي للتفصيل في الأمر ، فجرش ماتزال إلى الآن بمسماها القديم في جنوبي إمارة عسير والأدلة على أنها المقصودة واضحة وضوح الشمس في رابعة النهار .أما تفسير مسمى مدينة بلجرشي فهو آت إما من اسم القبيلة القاطنة في المكان إذ اسمها " قريش " ثم قيل : بلقرشي

أي ابن القرشي أو بنو القرشي ، وأبدلت القاف جيماً فقيل بنو الجرشي ثم جرى نطقها بحذف النون والواو أو الياء على طريقة الأزد في هذا الحذف فقيل : بلجرشي ، ويرجح وقوع هذا إبدال القاف جيماً مسمى القبيلة نفسها .أو يكون بلجرشي نسبة إلى أحد التابعين من غامد واسمه : عبد الرحمن الجرشي الحاري بن الحارث الغامدي على اضطراب في اسم هذا الرجل ذكرته كتب الحديث .

وبمناسبة التسميات ينبغي الإشارة إلى أن الهمداني لم يذكر مسمى زهران حينما مر بهذه السروات وإنما ذكر غامد والنمر بن عثمان ثم دوس ، والنمر بن عثمان هم قبيلة من قبائل زهران القديمة ، ويستنتج من ذلك أن قبائل زهران الحاضرة هي مجموعة قبائل متحالفة تعود إلى زهران القديمة سواء التقت في النسب من قريب أو من بعيد .

كما يلحظ في بعض تسميات القرى أنها تشبه بعض التسميات في اليمن أو في الأردن كالطويلة التي تطلق على أكثر من موضع في اليمن وكالزرقاء والجادية التي تطلق على مواضع في الأردن وهذا من التأثيرات الأزدية إذ ربما نقلت تلك المسميات معهم بعد هجراتهم المتعددة ، أما رغدان التي تطلق على بعض القصور في الأردن ، فيقال إن ذلك بسبب زواج بعض الأشراف من قرية رغدان أو دليل على وصول نفوذ الأشراف إلى هذه القرية إذ إن ما يسمى منطقة الباحة الآن قد خضع للأشراف أكثر من أي طرف من الأطراف المتنازعة عليه .

وقد أخبرني الأستاذ محمد ربيع الذي يقال إنه لديه موسوعة تأريخية حول منطقة الباحة أن لديه مخطوطاً لمحمد بن جلال الغامدي يذكر فيه سبب تسميات كثير من المواضع في منطقة الباحة بأسمائها الحالية .

٢ - تحقيقات في النسب الحديث :

على الرغم من أن قبائل السراة عموماً من أصرح القبائل العربية نسباً ، ولم تتغير مسمياتها القديمة كما حدث في معظم أرجاء الجزيرة العربية ، ناهيك عن بقاء ميزات الجنس العربي جلية واضحة في السراة ، فإن هناك بعض ملابسات في قضية النسب تتمثل في الآتي :

فقدان بعض حلقات النسب المتصلة بشجرات النسب القديمة فعند الرجوع إلى مشجرات النسب القديمة نجد بعض الفروع مازالت بسمياتها ، وبعض الفروع الأخرى اختفت أو تغيرت مسمياتها ، وهذا الأمر يحتاج إلى تحقيق في النسب أكثر بالاعتماد على ما يسمى بالعزوة أو أجداد القرى والبطون أو بالرجوع إلى القصائد الشعبية الأكثر قدما التي فيها إشارات إلى الأنساب .

فعلى سبيل المثال لا نجد قبيلتي بني عبد الله وبني خثيم في مشجرة غامد القديمة لكنا نجد في إحدى القصائد الشعبية القديمة قول الشاعر : " **حي قيف الثعلبي** " يقصد بها القبيلتين ويتردد عند كبار السن والشعراء أن القبيلتين من بني ثعلبة وعند الرجوع إلى مشجرة نسب غامد نجد ثعلبة بن الدول بن سعد مناة بن غامد فتلحق به القبيلتان .

لكن الأمر قد يكون بالعكس في قبيلة بني كبير التي هي موجودة في سلسلة النسب مباشرة إلى غامد ولكن أهلها يرفعونها هي وقبيلة الرهوة إلى جد غير مذكور في السلسلة وهو " **قابوس** " فيقولون : نحن بنو قابوس . ويظهر أنه أحد الأجداد الأدنين أي أنه من أبناء " **كبير** " الذين سقطوا في الشجرة غلب على التسمية ولذلك فأرجح أن الرهوة وبني كبير هما قبيلة واحدة ترجع إلى " **كبير**" .

وهناك قبائل من غامد كغامد الزناد وقبيلة بالشهم التي يقال إن بينهما قرابة لم أصل إلى وصلها بشجرة غامد الأم حتى الآن ، وينطبق الأمر على بعض قبائل بادية غامد التي يمكن وصل بعضها عن طريق " **طلق** " ولا يمكن وصل بعضها الآخر

أما زهران فيرجعون قبائلهم التي تزيد على سبع وعشرين قبيلة إلى أربعة جذم كبيرة هي أوس ، ودوس ، وسليم ، وعمر . ويضيف إليهم حمد الجاسر قبيلة بلحارث الطائف .

ويمكن وصل دوس وفروعها المتعددة الآن بسهولة إلى مشجرة نسب زهران القديمة أما بقية القبائل فربما وجد المرء صعوبة في ذلك فعلى سبيل المثال قبيلة " **بيضان** " نجد في بعض الكتب القديمة أن " **بيضان** " جبل لغامد .

وفي المقابل نجد في الكتب القديمة أن في زهران بطن يدعى " **بنو فاحش** " لكننا نجد فاحشاً اسم جبل يطل على قرية مراوة في قبيلة بني حسن .

أما بني عمر زهران فنجد مجموعة من قبائل سراة زهران تنتمي إلى عمر ونجد في الوقت نفسه قبيلة بني عمر في تهامة الذين ينقسمون الآن قسمين من يتبع الشيخ ابن موالا مازلوا يصرون على أنهم من زهران وهم ينتشرون في وادي راش والمعرق وأصدارهما وممنا وغيرها من الأماكن حتى بلدة المخواة ثم يبدأ قسم بني عمر العلي ويتبعون الشيخ محمد بن علي ويرفضون أن يكونوا من زهران ولكنهم لايدرون فيمن ينتسبون وراء عمر . وهناك من أخبرني أن القبيلتين أي بني عمر الأشاعيب التابعين لابن موالا وبني عمر العلي كانتا قبيلة واحدة في السابق تتبع ابن موالا ثم انفصلتا في حين هناك من يؤكد أنهما منفصلتان منذ القدم بل إن من السهولة التفريق بين القبيلتين في ملامحهما مما يدل أن لاعلاقة بينهما

وعموما فإن وادي الأحسبة هو منذ القدم حتى الآن لايخلو قاطنوه من كونهم من إحدى القبيلتين غامد أو زهران كما تدل على ذلك المرويات القديمة .

وخلاصة الأمر أن تحقيقات النسب في بعض بطون المشجرات القديمة تحتاج إلى جهد خاص وكنت ندبت نفسي مع أحد الإخوة من زهران لذلك لننتهي في وقت معلوم قبل أكثر من سنتين وعلى الرغم من غزارة معلوماته فإنه لم يقم بالعمل مما ثبط الهمة لدي أيضاً .

ومما يجب التنبه له في هذه القضية هو وقوع التصحيف والتحريف في بعض كتب النسب القديمة ، فقد وقع مثلاً في غامد الذي نجده في بعض المشجرات القديمة "**عامر**" كما وقع في بني كبير الذي تصحف إلى كثير في

بعض كتب النسب بينما نجدها " كبير " في الكتب الأكثر ضبطاً ونجدها كبير أيضاً في كتب أدب وتأريخ وليس كتب نسب فحسب ولعل من أقدم الكتب إلي ذكرتهم بمسمى " كبير " كتاب النبات لأبي حنيفة الدينوري في القرن الثالث الهجري ، فينبغي أخذ الحيطة في مسألة التصحيف والتحريف ومعرفة قيم الكتب القديمة وأيها الناقل وأيها المنقول منه . ومثل هذا التصحيف الذي يكون في الكتابة فقط يدعو المرء للعجب من صنيع د. سعيد بن فالح الغامدي الذي يجزم بأن الاسم تغير من كثير إلى كبير بعد انضمام بني والبة وشكر إلى القبيلة ولا أدري كيف يتغير اسم كثير إلى كبير وهو تصحيف في الكتابة إلى المنطوق إن الأمر برمته يذكرنا بالنكتة الشهيرة التي تقول : **إن رجلاً سمع كلمة إنجليزية من اليسار إلى اليمين** .

والنكتة ذاتها تتكرر مع بعض أنصاف المتعلمين حينما يقولون عن شخصية تأريخية مثل أبي ظبيان الأعرج أنه من قبيلة بني ظبيان لتشابه الأسماء ، أو كما يدعي بعضهم أنه من بني كبير بدليل قول بعض الروايات التاريخية أنه كان في ألفين وخمسمائة من العطاء . حيث يقول إنه من قبيلة آل عطا من بني كبير البادية . مع أن المقصود في جميع الروايات هو العطاء أي ما يعطيه الخليفة لكبار الصحابة . وكل كتب النسب ترد هذا الصحابي الجليل إلى بني ثعلبة بن الدول . ثم إن آل عطا مسمى حديث ليس له وجود في كتب النسب القديمة قط.

أما بنو والبة فقد دخلوا الآن في بني كبير وهم من أبناء عمومتهم وتداخل بطون غامد أو زهران موجود ومعروف لكن ينبغي التفريق بين

مسمى القرية أو مسمى الموضع ومسمى البطن . ولأجل ذلك فلايمكن رد بعض مسميات القرى إلى مسمى قبيلة إلا بعد أدلة ومرجحات كثيرة وقد عرض لي الأمر مع ابن شائق شيخ حوالة حينما أتاني يسألني حول اسم قبيلته وكنت قد وضعتها كقبيلة مستقلة فقد نصحته بإبقاء الحوالي كمسمى نسب دون القطع أنهم من حوالة القديمة أو من العوامر أو من خثعم أو من شمران أو من غامد إلا بعد أدلة قاطعة لأن مسمى القرية شيء ومسمى القبيلة شيء آخر وينبغي ألا تدخل الأهواء في هذه المسألة إذ إن اللعنة تطال من ينتسب إلى غير أبيه . فهل يمكن في الوضع ذاته أن يقال : إن قرية بني سعد تنسب إلى بني سعد الطائف أو غيرهم . إن مشكلات مشجرات النسب في هذا العصر أضحت من المشتبهات التي لا يعلمها كثير من الناس وينبغي التوقف فيها أو ردها إلى أهل العلم .

ومن هذا القبيل وجود مسمى قريش في غامد التي هي قبيلة بلجرشي ووجود مسمى قريش في زهران التي هي قريش الحسن وهذا المسمى ينتشر في بعض القبائل الجنوبية الأخرى كبني شهر وبلقرن ، فهل هذه القبائل تعود إلى قبيلة قريش ؟

إن التشابه في الاسم جعل بعض أنصاف المتعلمين وبعض من يستشعرون النقص يسارعون في إلحاق أنفسهم بقريش دون أدلة واضحة وقوية وقد أشرت فيما سبق إلى قبيلة بلجرشي أما قبيلة قريش الحسن وغيرها فأحب أن ألفت النظر إلى أن اسم " **قريش** " كان من أسماء الأعلام الموجودة في السراة ولقد رأيت أحد المترجم لهم في التعليقات والنوادر اسمه

قريش بن عبد الرحمن العذمي أو عبد الرحمن بن قريش العذمي وهو من رجال الحجر وهذا يدل على أن قريش بني شهر قد يكونون من ذريته ... والأمر يحتاج إلى بحث أكثر .

أما القضية الأخرى في مسألة الأنساب فتتمحور حول نسب بعض شيوخ القبائل وبعض طائفة الفقهاء .حيث يستوقف النظر أن بعض شيوخ القبائل كما هو مشهور بين سكان المنطقة ليسوا من القبائل خصوصا من كان يسمى منهم بشيخ الشمل وقد اعترف لي بذلك منهم على سبيل المثال أحد أفراد أسرة القفعي ، كما أن بعض شيوخ القبائل الصغيرة من أصول إما من خارج القبيلة الصغيرة أو حتى من خارج القبيلة الأم .

ولم يشر إلى هذا الأمر من قريب أو من بعيد الدكتور إبراهيم الزيد في كتابه : **الرئاسة في قبيلة زهران** ،أو حتى يحاول إثارته والرد عليه وذلك لاشك نقص أو كتم لبعض المعلومات التأريخية .وسبب كون بعض الشيوخ من خارج القبائل خصوصاً شيوخ الشمل أنهم كانوا يعينون قديماً من بعض الذين فرضوا سيطرتهم على المنطقة ثم مضى الزمان ونسي الناس أصول أولئك القوم .

ويتحقق الأمر ذاته بالنسبة لطائفة الفقهاء ، إذ إن معظمهم ليسوا من أهل المنطقة الأصليين و يدعي بعضهم أنهم من آل البيت وهي دعوى كثر مدعوها وكثر مزورو أشجارها منذ القدم ومعظم أولئك الفقهاء قدموا من اليمن ، وبعضهم قد يرد أصوله إلى المغرب وعلى العموم فالناس مؤتمنون

على أنسابهم غير أن كثرة من يدعي نسباً إلى آل البيت في القطاع التهامي وفي طائفة الفقهاء يحمل في تضاعيفه شكاً كبيراً حول هؤلاء القوم .

وهناك بعض صور التداخل في النسب بين غامد وزهران أو في إطار القبيلة نفسها وتتم في الغالب بسبب بعض مشاكل القتل أو المشاكل الكبرى المتعلقة بالحروب وغيرها فترى بعض الناس من غامد وأصوله من زهران والعكس صحيح ...

٣ - **الأحداث التاريخية** .

ظل ما يعرف بمنطقة الباحة متنازعة بين الأشراف ، وآل عائض الذين حكموها فترة قصيرة، ثم الأتراك ، ثم الأدارسة الذين حكموها لأشهر وكان الإدريسي حريصا على دخول قبائل السراة في حكمه لأنهم بيضة الإسلام كما يذكر . ثم إننا نجد عنده وصفا لقبيلة غامد بأنها غامد العريضة وهذا قد يكون دليلاً على كثرة هذه القبيلة آنذاك .

و المنطقة الآن في حكم آل سعود الذين امتد نفوذهم إلى هذه المنطقة منذ الدولة السعودية الأولى يقوى ويضعف مابين مد وجزر ، وهي الآن مستتبة تحت الحكم السعودي تنعم بالأمن والرخاء .

بيد أن من المهم أن يدرك المرء أن فترات الحكم السابقة كانت المنطقة تخضع في الغالب اسمياً لتلك الدول بوساطة شيوخ القبائل المحليين الذين كانوا يحكمون داخليا ويملكون سجوناً وبعض الأتباع والعبيد . وكان يتمتع كثير منهم بالحكمة وسداد الرأي ومن ثم يطيعهم أفراد القبيلة طاعة عمياء كما يقال .

ولكن أغلبهم لم يكن يهتم بشأن قبيلته بل كان عاملاً في زيادة تخلفها وفقرها وبقائها على ماهي عليه . وكان هؤلاء الشيوخ يضطرون إلى طاعة تلك الحكومات التي تبعث خطابات تهديد واضحة لهم تدعوهم إلى الامتثال لأوامرها وإخراج الزكاة من القبيلة أو إخراج ما يتوجب عليها من الرجال في إبان الحروب أو ينتظرون الويل والثبور . و قد رأيت صورا لبعض هذه الوثائق والخطابات التهديدية بنفسي . وأحياناً ترسل إليهم الأموال لاستمالتهم خصوصاً الأقوياء منهم أو من كانت قبيلته كثيرة العدد .

إذن الأداة هي شيخ القبيلة الذي يحكم باسم من يستطيع السيطرة على المنطقة .

ويلفت النظر في الأتراك الذين جعلوا المنطقة تابعة لسنجق عسير وتقسيمها ثلاثة أقضية أحدها سموه قضاء غامد ويحكم إلى حدود النماص أنهم هم الذين أشاعوا لفظ عسير للسروات الجنوبية وهو لايصح كمسمى غامد الذي كان في عهدهم يشمل قبائل كثيرة من بينها زهران

لذلك فالتسمية الأصح للمنطقة الجنوبية هي السروات أو الحجاز .

أما أبرز الأحداث التي يمكن الإشارة إليها أو إلى بعض الأمور المهمة حولها ، فهي كالآتي :

أ ـ تصدي غامد وزهران لقوات محمد على باشا بقيادة بخروش بن علاس الزهراني وأخبار ذلك التصدي البطولي معروفة لكن الذي أود الإشارة إليه أن أبرز قائدين في تلك الفترة هما اثنان بخروش بن علاس

وطامي بن شعيب وقد قتل بخروش بن علاس وبعث برأسه مع طامي بن شعيب الذي قتل لاحقاً .

ب ـ أن بعض الذين أسروا ورحلوا إلى الأستانة فيما يعرف عند الأتراك بسنجق عسير بعد أهل أبها ورجال ألمع هم من غامد وزهران .

ج ـ أن أحداث تصدي أهل الجزيرة العربية ممثلين في نجد والسروات للأتراك ومحمد علي باشا هو تصد قدم فيه أهل نجد وأهل السروات بطولات رائعة وتضحيات كثيرة جداً يجب ألا تنسى .

د ـ كنت قد كتبت مقالا قبل فترة من الزمن عنونته " **من أبعاد العلاقة الاستراتيجية بين السراة والدرعية** " وكان يدور حول سؤال مفاده لماذا ذهب محمد علي باشا بنفسه لمقاتلة قبائل السراة في حين أرسل ابنه إلى الدرعية .إن الإجابة تتمثل في كون أهل السراة كانوا هم الشوكة العسكرية القوية التي ساهمت مع غيرها من القبائل في توحيد الجزيرة العربية تحت لواء الدولة السعودية الأولى بل هي من أقوى القبائل وأكثرها أثراً وأعظمها دورا في تلك الفترة ، إضافة إلى كونها مركزاً تموينياً استراتيجياً للحجاز أي للأشراف الذين حرصوا على إخضاعها منذ البداية .

هـ ـ يلفت النظر في مسألة تطور الحياة السياسية أنه وإن كانت سياسة تبعية تهدف إلى الإفادة من خيرات السروات ورجالها عن طريق شيوخ القبائل فحسب إلا أن بعض المصادر تذكر أن آل عائض أقاموا مجلس شورى في أبها كما أقاموا مجلس شورى في الظفير وهي ذات المصادر

التي تحدثت عن إصدار بعض الصحف في عهد آل عائض ، وإن لم يتسن إلى الآن التأكد من صحة هذه المعلومات وما فيها من خطوات تطويرية سابقة لزمانها فإن الناظر للوثائق المتبادلة بين خديوي مصر وبعض آل عائض إضافة إلى أسر بعض أهل عسير وبقائهم في الآستانة فترة من الزمن قد يؤيد تأثرهم بالتطور السياسي في الأستانة ومصر .

و ـ أن خضران الدوسي أحد شيوخ دوس يعد إضافة إلى بخروش بن علاس أهم رجالات القرن الثالث عشر الهجري (التاسع عشر الميلادي) في المنطقة ، إذ يبدو أنه لم يرض عن التبعية لآل عائض مما أدى إلى سجنه ، وهو يمثل نقطة ضوء في تأريخ الشيوخ في تلك الفترات حيث حرص معظمهم على مصالحه مضحياً بمصالح قبيلته ، ثم إن وعيهم بالأحداث التي تدور حولهم لم يكن يرقى كثيراً عن وعي عامة الناس .

ز ـ إن أهم أحداث القرن الرابع عشر في المنطقة تتمحور حول الآتي :

١- موقعة وادي قوب والقضاء على بقايا الأتراك في المنطقة على يد أبناء غامد وزهران ، وتفاصيل تلك الموقعة التي كما استطعت جمعها من عدة روايات شفهية على النحو الآتي :

كانت الموقعة عام (١٣٢١هـ) وبعض الروايات تقول إنها في عام (١٣٢٣هـ) حيث أقبل الأتراك على المنطقة في عدد كبير يريدون الانسحاب من عسير عقب الحرب العالمية الأولى إضافة إلى وجود حامية لهم في رغدان وكانوا قد أرسلوا لابن رقوش شيخ زهران يطلبون تأمين مرور القوات . وتقول بعض الروايات إن السبب

المباشر للحرب هو أن هذه القوات لما وصلت إلى الفرعة قامت بقتل بعض أفراد قبيلة بني حسن وتعليق رؤوسهم في أشجار اللوز ، وكيفما كان الأمر فإن المتتبع لأحداث المعركة يدل على أنها قد خطط لها تخطيطاً عسكرياً محكماً اعتمد على عنصر المفاجأة حيث فأجأ أبطال المنطقة الأتراك في مضيق الوادي عند جبل البراقة وقتلوا منهم مقتلة كبيرة أدت إلى انسحابهم إلى رغدان التي تبعد عن البراقة أكثر من عشرة أكيال تقريباً ، ثم جرت الموقعة الفاصلة في وادي قوب عند صفا العجلان حيث استحر القتل في الجيش التركي حتى تغير لون مياه الوادي إلى الأحمر القاني ففر الأتراك ورجع قائدهم أحمد باشا إلى رغدان مع بعض معاونيه فطارده مجموعة من الأبطال على رأسهم الشاعر ابن ثامرة الذي يقال إنه استطاع القبض عليه وحز رأسه ، وفي رواية أخرى أن أحمد باشا اختبأ في "**سفل**" مع البقر وهم يطردونه مع بعض أعوانه فعرفوا مكانه من أصوات الحيونات فقبض عليه وبدأوا بالرقص والابتهاج فما كان من القائد التركي إلا أن أطلق على نفسه رصاصة من مسدسه قبل أن يقتلوه.

أما بقية الجيش الفار فقد نزل من الجبال ناحية عقبة الباحة يريد تهامة وقد تعقب أبناء غامد وزهران الجيش التركي هناك وأبادوه عن بكرة أبيه في المعرق حيث بقيت جثث ذلك الجيش فترة من الزمن .

هذا ما استطعت أن أجمعه من عدة روايات متعددة لكبار السن وليس من رواية واحدة .

وقد وجدت وأنا طفل صغير قذيفة مدفع من مدافع الأتراك مدفونة في إحدى **"الركائب"** حول بيتنا الذي لا يبعد عن رغدان سوى خمسة أكيال ولدي شبه يقين أنها من الذخائر التي غنمها سكان المنطقة من الجيش التركي .

وكنت أظن أن المشتركين فقط هم من زهران إلى أن سألت علي بن مسلم الخفوي(رحمه الله) عن الموقعة في صفا الجلان فقال : **"اشترك في الموقعة غامد وزهران"** ، ثم وجدت تأكيد كلامه في تأريخ الشيخ محمد بن عبدالله المنصوري الذي حققه الزيد ولكنه يذكر أن بداية الحرب كانت في قرن المغسل عام (١٣٢٠هـ) وأرجح أن ذلك في أواخر ذلك العام وقد اشترك في الوقعة كما يقول غامد الشامية وزهران وقد هزم يوسف باشا قوات غامد وزهران ولكنهم لاحقوه إلى الظفير وأسروا العسكر وغنموا أسلحة منهم ثم ذكر المنصوري قتل المتصرف الكمندار ، ولكن جعاث يذكر الخبر مفصلاً كما يقول الزيد ويسمي القائد التركي أبو ناب ويذكر اسم القائد الكبير وهو أحمد باشا والكمندار إسماعيل باشا وقد رحل الأتراك من ما يعرف بمنطقة الباحة بعد هذه الوقعة في حين أنهم استمروا في أبها إلى عام(١٣٣٧هـ)، وإن يكن أبناء غامد وزهران قد أبلوا بلاء حسناً في هذه المعركة فإن من ذهب

بفخرها هم قبيلة بني حسن من زهران وهي أكبر قبيلة في زهران ، وكان للشاعر ابن ثامرة دور كبير في هذه الحرب وهناك قصيدة مشهورة تؤرخ لهذه المعركة ينسبها أغلب الناس لابن ثامرة وهي ليست له بل لشاعر زهراني يدعى عيفان.

وتعد هذه القصيدة من غرر القصائد الشعبية التي قيلت بطريقة الشقر ولو قيلت هذه القصيدة بالشعر الفصيح لكانت من أهم قصائد التحرر العربي وكانت قصيدة تمثل علامة مهمة في الشعر ليس فقط بموضوعها بل بأسلوبها وقيمها الفنية .

٢- لم يذكر التأريخ الشفهي وقعة بين بعض غامد وزهران إلا وقعة بين بني حسن وبني خثيم وقد شهدها أحد أجدادي وهو طفل ولكن شرارة الحرب أخمدت في بدايتها وكان سببها تعدي بعض أفراد قرية الحمض على حمى الجادية . غير أن هناك وقعة مهمة لها علاقة بالحرب مع الأتراك رواها لي علي بن أحمد بن مسلم رحمه الله في (٩/١/ ١٤٢٠ هـ) في بيته ، حيث ذكر لي أنه كان هناك اتفاق بين غامد وزهران على ضرب مؤن الأتراك وأن ابن قرحان من الأزاهرة كان مع جمال تؤدى إلى الأتراك فأسر مع الجمال عند شبرقة وكان لونه يميل إلى السواد فطالبت غامد بإحضار الفتى الصغير . وقد تم رد الفتى بعد أن سرقه ناس من بدو غامد وأرجعوه إلى أهله . ثم جرى صلح بين غامد وزهران في السكران حيث عسكر من زهران ثمانمائة رجل وذبح لهم (٢٥) جملاً و (٤٠) حسيلا . وانتهى الأمر بالصلح والاستمرار على التضييق على الترك .

٣- قصة دخول القوات السعودية بقيادة خالد بن لؤي المنطقة حيث لم تلق مقاومة تذكر ، وقد وصلت بلجرشي وهناك قامت القوات بإحراق بلجرشي وما تزال آثار الحريق باقية في بعض البيوت القديمة إلى الآن ، ويمكن أن يكون لدى بعض أهل العلم من بلجرشي تفصيلات لهذه الوقعة أكثر تحرياً للدقة لكن الشائع بين المهتمين بهذا الأمر أن بلجرشي سلمت للإخوان في البداية ثم طلب الشيخ عبد العزيز الغامدي أن يعود للشريف لفك بعض الرهائن من غامد عنده وكان ابن لؤي قد اتفق معه الشيخ عبد العزيز الغامدي وأهداه خيلاً ، ولكنه بعد خروجه وشى به بعض الناس وقال : إنه لم يخرج إلا لكي يستنصر الشريف فجرى حرق بلجرشي وتتبع الرجال وقتلهم ثم أسر عبد العزيز الغامدي وأرسل إلى السجن في الرياض .

ومن أهم أحداث معركة بلجرشي أن بعض الإخوان حاصروا جبل حزنة فامتنع عليهم أهل حزنة وصعدوا أعلى الجبل وقاموا بشق بعض قرب الماء أمام الإخوان مما أجبر الإخوان على تركهم وهناك قصائد شعبية تشير إلى ما قام به أهل حزنة في هذه الموقعة .

٤ – دور قبائل غامد وزهران في توحيد الدولة السعودية الثالثة : يتمثل هذا الدور في إخراج أفواج المجاهدين لتوحيد المملكة كلما طلب منهم ولي الأمر ذلك ، إضافة إلى الدور الذي قام به محمد بن

جمل المكي الغامدي في قيادة غامد البادية والحاضرة للمشاركة في توحيد المملكة العربية السعودية ولا تزال أسرته تحتفظ بالبيرق الذي سلمه الملك عبد العزيز لابن جمل المكي حتى الآن ، وقد انخرط بعد ذلك كثير من أبناء غامد وزهران والقبائل الجنوبية في الجيش السعودي منذ بداية تأسيسه ، إضافة إلى أن كثيرا منهم قد هاجر إلى أصقاع المملكة المترامية وأسهموا في تأسيس المشروع الحضاري لهذه الدولة وشاركوا في التعليم والاقتصاد واشتركوا مع غيرهم من أبناء الوطن في دفع مسيرة التنمية إلى الأمام .

٤ - لمحات من الحركة الفكرية والعلمية في منطقة الباحة :

يجب في البداية أن يعرف أن التعليم لم ينقطع من منطقة الباحة وكان التعليم يقوم على نظام الفقهاء الذين يتوزعون في كل قرية وكلما مات فقيه أتى آخر مكانه حيث يقوم الفقيه بإمامة الصلاة وأداء الشعائر الدينية الأخرى ، ومداواة الأمراض ، ويقوم الفقيه بتعليم صبيان القرية في المعلامة ، وهؤلاء الفقهاء كانوا من اليمن في الغالب وبعضهم يدعي أنه من آل البيت وكان الفقهاء يأخذون العشر من كل مزارع إضافة إلى مبالغ زهيدة مقابل التعليم ، وكانوا يعلمون القراءة وخصوصاً قراءة القرآن وربما لا يعلم بعضهم السكان الكتابة لأن مهنة الكتابة تقتصر على الفقهاء الذين يكتبون الحجج والوثائق ، أما الفقهاء الذين من أهل المنطقة نفسها فهم قلة ، وقد حرص أغلب هؤلاء الفقهاء على عدم قيام تعليم صحيح وعلى إبقاء أهل

المنطقة في جهل جزئي ليستفيدوا من الميزات التي يحصلون عليها . وبعض هؤلاء الفقهاء كانوا من الأثرياء وليس كما يشاع أنهم فقراء أو كما كان أهل المنطقة يحقرونهم لأنهم لايعملون في المزارع بأيديهم .

والحديث عن الدور السلبي الذي مارسه الفقهاء لا يعني أنه ليس من إيجابيات لديهم فبعضهم قد أدى أمانة نشر العلم بما تتيحه له ظروف عصره .

أما بداية التعليم الحقيقة في المنطقة فقد كانت بعد أن أسست أول مدرسة حكومية في جنوبي المملكة على الإطلاق وذلك في الظفير سنة (١٣٥٠هـ) ويعد الذين طالبوا الملك عبد العزيز بتأسيسها من أهالي الظفير هم الرواد الأوائل للتعليم في المنطقة وأسماؤهم موجودة لدى الأستاذ صالح بن ناحي .وليس للمدرسة القرعاوية أثر يذكر حيث لم تدم في المنطقة إلا فترة قصيرة جداً .

ومن أهم رواد التعليم في منطقة الباحة محمد بن علي آل جماح حيث أسس المدرسة السلفية الأهلية في بلجرشي في السبعينيات الهجرية وقد قرأ القرآن على والده وختمه في مدة ثمانية أشهر ،ثم أعاده مرة أخرى على أحد المشائخ وقرأ كتباً في التفسير والفقه والحديث والنحو والسيرة النبوية ، وكان الشيخ الذي تلقى عليه العلم يدعى علي بن إبراهيم المداني ، كما رافق بعض علماء الأزهر من أنصار السنة المحمدية وتلقى عليه بعض الدروس في صحيح البخاري في أثناء ذهابه إلى الحبشة حيث كان كثير من سكان المنطقة يهاجرون إلى الحبشة طلباً للرزق.

وفكرة إنشاء المدرسة وفتحها والإشراف عليها الذي استمر(٤٠)سنة هي منقبة لهذا الرجل ، وقد كان لطلاب هذه المدرسة عظيم الأثر في توعية الناس حيث كان يرسلهم إلى القرى لإلقاء المواعظ ولم يكتف بذلك بل أرسل بعضهم إلى عسير ومكة وجدة وقد كان بهذه المدرسة قسم داخلي لإيواء الطلاب المتغربين وقد تخرج في هذه المدرسة كثير من أفذاذ العلماء في المملكة .

ويمكن القول إن ابن جماح يعد أهم شخصية تعليمية في المنطقة وسيكتب التأريخ ماقدمه بحروف لا يمكن أن تمحى . ومن الشخصيات المهمة التي لها دور في تأسيس التعليم في الباحة سعيد أحمد السبالي الزهراني
وبموازنة بين ماتوفر لدي من رصيد ثقافي وحراك أدبي في داخل المنطقة مع استثناء أبنائها المهاجرين أجد الفترة السابقة على تأسيس النادي الأدبي في الباحة أكثر أصالة وأقوى إنتاجاً مع فارق الوسائل والدعم وشيوع الوعي في الفترة المعاصرة .

و لدي مجموعة من المؤلفات المصورة منها المخطوط ومنها المطبوع بالإضافة إلى بعض المعلومات المتفرقة عن الحياة الفكرية والعلمية في المنطقة وقد يضيق المقام عنها في هذه التنبيهات الموجزة التي تنحو نحو المهم والنادر من المعلومات ، ولكني أرجو أن تكون نواة لتأريخ خاص بالفكر والأدب في المنطقة .

وهناك كثير من الكتب المخطوطة في المكتبات الخاصة في المنطقة بعضها ألفها علماء من داخل المنطقة وقد أطلعت على بعض تلك المكتبات

ومازال بعضها مخفياً حتى الآن وكل ما أرجوه من أصحاب تلك النفائس أن يقوموا على الأقل بتصويرها خوفاً عليها من الضياع ومن الآفات .

٥ - **بعض المقابلات التي أجريتها :**

لقد أجريت العديد من المقابلات وفي مخططي أن أجري مقابلات أخرى مع بعض كبار السن خصوصاً من رجالات المنطقة المشهورين وبعض تلك المقابلات دونتها في جزازت وبعضها في دفاتر صغيرة ، وهذان نموذجان لبعض تلك المقابلات .

أ - لقاء مع الشيخ عبد الرحمن بن علي بن عبد الرحيم القحطاني الغامدي (رحمه الله) مرتين في بيته في يوم الجمعة(١/٨/ ١٤١٩هـ)، وفي يوم الأربعاء(٢٧/ ٨/١٤١٩ هـ)

من أهم المعلومات في هذين اللقائين ما يلي :

- عبد الرحمن بن حسين بن محمد تولى القضاء في عهد العثمانيين وكان يقضي ستة أشهر في الظفير وستة أشهر في النماص .
- كتب كثيراً من المخطوطات بخط يده .
- ذكر لي أخبار وقعة بين غامد الزناد وبني بجير وقد أنجدوهم غامد السراة وكان في المقدمة الشاعر المشهور الزبير .
- كان ضنيناً على مخطوطاته وقد أطلعني على بعضها ، ومنها :

" جزء من تفسير فيه احتفاء بأقوال ابن عباس ، كتاب السبتي لأبي بكر أحمد بن عبد الرحمن السبتي القحطاني في الفرائض ، جزء من

مخطوط في النحو ، مخطوط صغير في الحديث ، كتاب أقرب الوسائل بشرح بغية العامل في نظم العوامل لأبي الفرج بن الهادي الجعفري الحتي الشهير بالقربي ، مخطوطة كبيرة في النحو بخط عبد الرحمن بن حسين ، مخطوطين في الفقه ، كتاب إيقاظ الغافلين وتنبيه السالكين بخط عبد الرحمن بن حسين(١٢٧٣هـ)، مجموع فيه : شرح الآجرومية لعبد الرحمن بن حسين بن محمد بن أحمد في(١٢٩٠ هـ)، مخطوط في التجويد ، كتاب تحفة الناسك في أحكام المناسك لعبد الله داود ، وكتاب منية أهل الورع في بيان عدد من يصح بهم الجمعة لأحمد بن محمد المدني الشهير بالقشاش ، كتاب معاني لا إله إلا الله للشيخ محمد بن عبد الوهاب ، قصيدة مسمطة لنشوان الحميري ، قصيدة لعلي بن أبي طالب ، بشرى الكئيب بلقاء الحبيب لجلال الدين السيوطي ، شرح الهمزية للبوصيري ، صفوة الزبد لولي الله أبي العباس أحمد أرسلان والحاشية بعنوان بشرى الإخوان بحل زبد أرسلان بخط عبد الرحمن بن حسين بن محمد الغامدي أو بتأليفه ، وهناك بعض كتب التصوف وكثير من كتب الفقه الشافعي وبعض الكتب الأخرى التي ماتزال عناوينها مكتوبة لدي أما ما لم يطلعني عليه بالإضافة إلى المكتبة كاملة فقد وجدت بعض المخطوطات بدأت تؤثر فيها الرطوبة والأكلة وحاولت إقناعه بإحضار آلة تصوير لتصويرها حتى لا تتلف ولا أدري أصورت المخطوطات أم لا وأنا

أناشد أبناءه بعدم كتمها فهي جزء من تأريخ المنطقة وفي إشاعتها نشر للعلم " .

ب- لقاء مع الشيخ علي بن أحمد بن مسفر بن مسلم الخفوي الغامدي رحمه الله في منزله(٩/١/١٤٢٠ هـ) .

وأبرز الملحوظات في هذا اللقاء ما يلي :

- يتميز بخطه الذي يشبه المخطوطات القديمة وقد تلقى العلم على يد علي بن عبد الرحيم القحطاني .
- هو آخر المتمسكين بالمذهب الشافعي في المنطقة عن علم وفهم وليس تقليداً كبعض كبار السن ، وقد كان رحمه الله معتزاً بشافعيته وإماما لمسجد قريته حريصاً على الجهر بالبسملة في قراءة الفاتحة . وبموت هذا الشيخ الفاضل مات الفقه الشافعي في المنطقة .
- أراني بعض الحجج والوثائق القديمة التي تتعلق بالقرية ويصل أقدمها إلى عام(١٠١٥هـ).ومن تلك الأوراق ورقة في تحديد المهر وورقة في الحظر على الشبك .
- ذكر أن أخاه علي بن سعد المسلم حبس شهراً لعدم خضوعه لآل عائض.
- أخبرني بقصيدتين للشاعر الزرقوي قال الأولى أمام الإدريسي ثم قبض عليه الشريف وقال قصيدة أخرى لمدح الشريف من القاف والاعتذار عما بدر منه فأجزل له الشريف حسين ثم ابنه فيصل العطاء وأصبح

الزرقوي بعد ذلك من الأغنياء ، والقصيدتان مسجلاتان عنده بخط يده .

❖ فهمت منه أنه شارك في الحرب ضد إمام اليمن وكان من الذين دخلوا نجران مع الملك سعود (رحمه الله) .

❖ لم يطلعني على مخطوطات الكتب على الرغم من إلحاحي الشديد .

هذا وهناك من المقابلات المهمة مقابلتي مع الشيخ محمد بن دخيخ وقد أطلعني على كثير من الوثائق التركية والعربية ومنها وثائق فيها معاهدة حماية بين قبيلة غامد وقبيلة الثبتة في الطائف .

ومن ذلك أيضاً لقاء مع الشيخ عيسى القفعي في(٢٥/٣/ ١٤١٨هـ)، ومن ذلك أيضاً لقاء مع الشيخ إبراهيم بن أحمد بن ساعد من الباحة بتأريخ(٢١/٥/١٤١٨هـ) ، إضافة إلى أن بعض آل الشاعر قد اطلعني على بعض المخطوطات المهمة وقد صورت بعضها وهناك قصاصات تحتوي على اللقاء بكثير من كبار السن الذين حدثتهم في تأريخ المنطقة بعضهم توفي إلى رحمة الله وبعضهم مازلوا على قيد الحياة أطال الله أعمارهم ومتع بصحتهم .

وبذلك أكون قد انتهيت من تدوين هذه التنبيهات التي حرصت فيها على الصدق وتوخي الحقيقة ، وما فيها من خطأ فهو غير مقصود ويرجع إلى الذي نقلت منه لا إلي خصوصاً في الروايات الشفهية .

أما الملحوظات والتعليقات فهي اجتهادات مني إن أكن أخطأت فمن نفسي والشيطان وإن أكن أصبت فبتوفيق الله الذي أسأله أن يكون

هذا العمل في سبيله ولإثارة الهمم والعزائم في قومي الذين لهم في نفسي مكانة لا تقل سموا ورفعة عن الثريا .

والدرس المستفاد من كثير مطالعاتي في التأريخ في الفترة الأخيرة هو أن الإنسان إذا عرف الحق وتيقن منه فيجب عليه الوقوف مع الحق مهما كان الثمن .

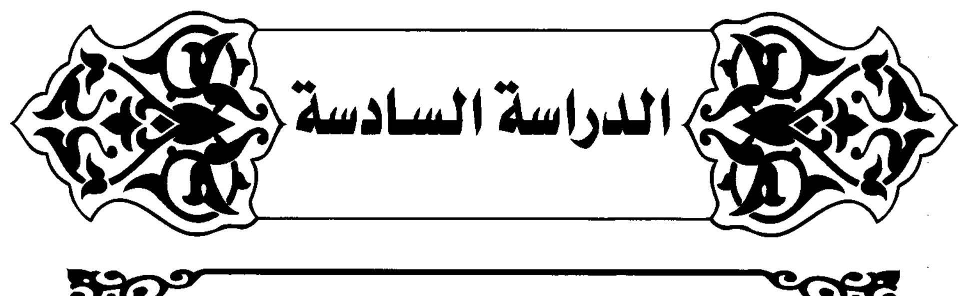
وعلمت أيضاً أن الجزيرة العربية التي ابتليت فيها نجد والسراة بفتن ومعارك وغزوات ومجازر وظلم أظلم خلال القرنين الماضيين تنتظر أن تتحول إلى نهضة وتقدم حضاري وعلمي في القرن هذا وما بعده من قرون يجعل أمتنا العربية ترفع رأسها بين الأمم والسبيل الوحيد هو العلم والإخلاص واستثمار نعمة العقل واتباع صوت الحكمة " **وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب** "

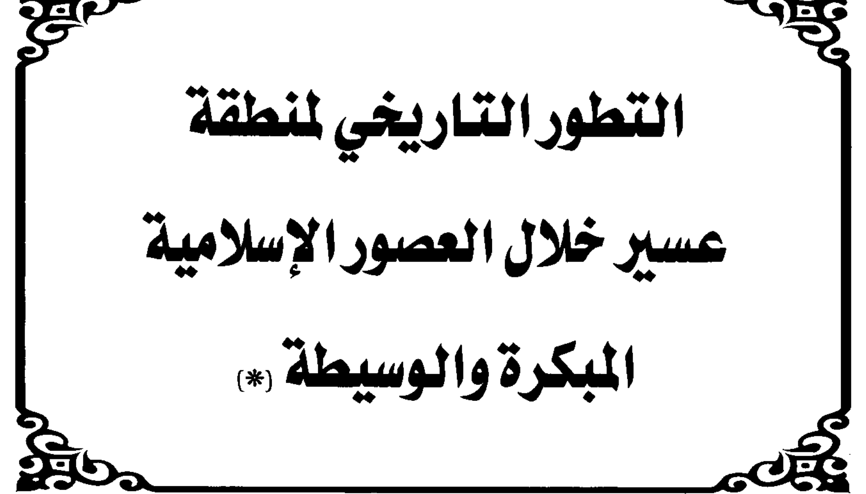
كتبه الدكتور :

جمعان بن عبد الكريم بن عطية بن عبد الله

آل أحمد الخثيمي الغامدي .

في (١٤٢٧/١٢/١٤ هـ)





إعداد
أ . د. غيثان بن علي بن جريس

(*) هذه الدراسة ، الخاصة . بمنطقة عسير ، نشرت لأول مرة في موسوعة المملكة العربية السعودية (المحور التاريخي ، مج (١٠) مكتبة الملك عبد العزيز العامة (الرياض ، ١٤٣١ هـ/ ٢٠١٠ م) .

محتويات الدراسة السادسة

م	العنوان	أرقام الصفحات
أولاً	مفهوم عسير	٢٥٣ — ٢٥٩
ثانياً	نبذة عن الوضع الجغرافي والبشري لبلاد تهامة والسراة العسيرية .	٢٦٠ — ٢٦٣
ثالثاً	بلاد عسير أثناء مرحلة الدعوة المكية	٢٦٤ — ٢٦٦
رابعاً	بلاد عسير أثناء مرحلة الدعوة المدنية	٢٦٦ — ٢٧٨
خامساً	بلاد عسير منذ عصر الخلافة الراشدة حتى أواخر العصر الإسلامي الوسيط .	٢٧٨ — ٢٩٨

أولاً : مفهوم عسير :

رأيت من المناسب أن نقدم للقارئ الكريم نبذة عن مفهوم التسمية لهذه البلاد ، وعن المترادفات لها والمستخدمة في أيامنا هذه ، كإقليم عسير ، أو بلاد عسير ، أو منطقة عسير ، أو عسير قصد الاختصار . والذي يتبادر للأذهان ، هل كانت عسير معروفة للجغرافيين والمؤرخين الأوائل وبهذا الاسم ؟ فإذا كان الجواب بالنفي ، فكيف ظهرت هذه التسمية ، وما الدافع في إطلاق التعميم عليها ؟ وهل حلت محل تسميات سابقة لها ؟ . والثابت في المصادر الجغرافية والتاريخية ، وكتب التراث الإسلامي ، عدم ذكر هذه التسمية وبيان معالمها الجغرافية ، باعتبارها وحدة مستقلة عن الحجاز أو اليمامة أو البحرين أو اليمن ، والتي تعد إدارياً تابعة لدار الخلافة بالمدينة المنورة ، ثم دمشق وبغداد أيام الأمويين والعباسيين .

وفي هذا الصدد يشير الهمداني (٢٨٠ – ٣٣٤هـ / ٨٩٣ – ٩٤٥ م) في كتابه ((**صفة جزيرة العرب**)) إلى اسم عسير ، ويذكر ما نصه : " **ويصالي قصبة جرش أوطان حزيمة من عنز ، ثم يواطن حزيمة ، من شاميها عسير ، قبائل من عنز وعسير يمانية تنزرت ، ودخلت في عنز ، فأوطان عسير إلى رأس تية ، وهي عقبة من أشراف تهامة ، وهي ، أبها وبها قبر ذى القرنين فيما يقال عثر عليه في رأس ثلاثمائة من تاريخ ، الهجرة ، والدارة ، والفتيحاء ، واللصبة ، والملحة ، وطبب ،**

وأتانة، وعبل، والمغوث، وجرشة، والحدبة، هذه، أودية عسير كلها ..." [(١)] ، وفي موضع آخر يذكر الهمداني ما يلي : " والدارة ، وأبها ، والحللة ، والفتيحا ، فحمرة وطبب ، فأتانة والمغوث ، فجرشة ، فالأيداع أوطان من ،عسير من عنز وتسمى هذه أرض الطود... " [(٢)].

والشيء المميز في هذه المعلومات التي أوردها الهمداني ، هو قدمها الذي يعود إلى بداية القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي ، وما عدا ذلك فإنها غير كافية في توضيح تسمية بلاد عسير ، وإنما أوردها ضمن عنوان سماه ((جرش وأحوازها)) وبمعرفة موقعها من سياق الحديث في ذكر المواطن التي أشار إليها الهمداني ، نجدها تشغل مساحة صغيرة من مخلاف أو (إقليم جرش) الذي كان يشمل أغلب أجزاء عسير السروية [(٣)] في وقتنا الحاضر ، ولم تكن عسير في عهد الهمداني تشغل إلا جزءاً بسيطاً ، تمثله المواقع القائمة عليه الآن

---

(١) الحسن بن أحمد الهمداني، صفة جزيرة العرب، تحقيق محمد بن علي الأكوع (الرياض: منشورات دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر ، ١٣٩٧ هـ / ١٩٧٧ م) ، ٢٥٦ .

(٢) المصدر نفسه .

(٣) غيثان بن علي جريس " تاريخ مخلاف جرش (عسير) خلال القرون الإسلامية الأولى . مجلة العصور،٩، جـ١(١٤١٤هـ/١٩٩٤م)، ٦٣-٧٨، للمؤلف نفسه، دراسات في تاريخ تهامة والسراة خلال العصور الإسلامية المبكرة والوسيطة (ق١هـ-ق١٠هـ/ ق٧ م – ق ١٦م) . (الرياض : مطابع العبيكان، ١٤٢٤ هـ / ٢٠٠٣ م) ، جـ١، ٩٣-١٢٦ .

مدينة أبها وما حولها ، أو ما يسمى بمواطن قبائل عسير المعروفة باسم : بني مغيد ، وعلكم ، وربيعة ورفيدة ، وبني مالك [١].

وبعد الهمداني جاء العديد من الجغرافيين والرحالة المسلمين الأوائل فأشاروا لأجزاء من منطقة عسير دون تسميتها بهذا الاسم ،فالبعض منهم ذكر أقسام شبه الجزيرة العربية بما فيها أجزاء من منطقة عسير وضموها إلى بلاد الحجاز ، وأحياناً سماها بعضهم بسلسلة جبال الحجاز [٢]، وبخاصة القسم الجبلي من السلسلة ، وهي جزءٌ من بلاد السراة ، وأحياناً أخرى سماها آخرون باسم السروات التي سميت بتسميات متعددة حسب أقسامها ، منها ، سراة جنب ، وسراة عنز ، وسراة الحجر ، وسراة خثعم ، وسراة دوس . وسراة بجيلة ، ثم استمروا في ذكر سروات أخرى حتى الطائف [٣]، وهذا التركيز من جانب بعض الجغرافيين ، الذين أوردوا مسمى السروات قد أوضح لنا مجموعة أسماء السروات التي تقع في إقليم عسير في عصرنا الحاضر ، وهي سراة جنب (قحطان) ، وسراة عنز

---

(١) غيثان بن علي بن جريس ، أبها حاضرة عسير (دراسة وثائقية) (الرياض : مطابع الفرزدق ، ١٤١٧ هـ / ١٩٩٧ م)، ١٤ – ٨٧ .

(٢) لمزيد من الاطلاع ، انظر ، صالح أحمد العلي ،" تحديد الحجاز عند المتقدمين "، مجلة العرب ، جـ ١ (١٣٨٨ هـ / ١٩٧٨ م) ، ١-٩ ، عبد الله الوهيبي ، "الحجاز كما حدده الجغرافيون العرب " ، مجلة كلية الآداب ، جامعة الرياض ، جـ ١ (١٣٩٠ هـ / ١٩٧٠ م) ، ٥٣ – ٧٠ .

(٣) الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، ١١٩ – ١٢٠ ، ٢٦١ ، ٢٧٩ ، أبو بكر أحمد محمد الفقيه ، كتاب البلدان ، تحقيق أم . دي . غوي . (ليدن : مطبعة بريل ، ١٣٠٢ هـ/ ١٨٨٤م)، ٣١ – ٣٢ ، شمس الدين أبو عبد الله المقدسي ، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، تحقيق ، أم . دي . غوي . (ليدن : مطبعة بريل ، ١٨٧٧ م)، ١٠٤ .

(عسير وشهران) ، وسراة الحجر ، (والمقصود بها بلاد بللحمر ، وبللسمر ، وبني شهر ، وبني عمر) وسراة خثعم (وهي أجزاء من بلاد بلقرن وشمران وخثعم وعليان) ، دون أن يرد ذكر اسم عسير على وجه الإطلاق في التسمية [١] ، وفي روايات أخرى ذكر مصطلح مخاليف أو نواحي ، كأن يقال مخلاف جرش ، أو تبالة (في الأجزاء الجبلية السروية)، ومخلاف بارق أو حلي ، وقنونا وغيرها من المسميات (في الأجزاء التهامية) أو نجران أوحلي أو تهامة وغيرها من المسميات دون ذكر مسمى عسير على تلك النواحي أو المخاليف [٢] .

والواقع أن ما يشتمل عليه مصطلح إقليم عسير الحالي لم يكن معروفاً لدى المؤرخين والجغرافيين الأوائل ، وإنما جميع الولايات الكبرى لشبه الجزيرة العربية (كاليمن ، والحجاز ، واليمامة ، والبحرين) كانت تابعة لدار الخلافة الإسلامية في دمشق ثم بغداد ، وكثيراً ما كانت تشمل الأجزاء الداخلية في بلاد تهامة والسراة ، أو البلاد الواقعة بين مكة المكرمة والطائف شمالاً . وحواضر اليمن الكبرى جنوباً كانت كلها تخضع في بعض الأحيان لسلطة شيوخ القبائل المحليين في تلك الأجزاء ، وقد نستنتج أن بلاد عسير بما حولها من المناطق لم تكن لها حدود سياسية ثابتة وإنما

---

(١) غيثان بن علي بن جريس . " بلاد تهامة والسراة كما وصفها الرحالة الجغرافيون المسلمون الأوائل ق ٣ ، هـ - ق ٨ هـ ". مجلة المؤرخ العربي ، ع ٢ ، جـ ١ (١٩٩٤ م) ٧٣ - ١٠٠ .

(٢) انظر ، أحمد بن أبي يعقوب اليعقوبي ، كتاب البلدان ، تحقيق أم . دي . غوي (ليدن : مطبعة بريل ، ١٨٩١ م)، ٣١٤ - ٣٢٠ ، أبو القاسم عبيد الله بن خرداذبة ، كتاب المسالك والممالك ، تحقيق أم . دي . غوي (ليدن: مطبعة بريل،١٣٠٦ هـ/١٨٨٩م) ، ١٣٣- ١٣٩.

كانت تعتمد على المفهوم الجغرافي ، فعسير لم تكن معروفة كوحدة جغرافية وإدارية خلال العصور الإسلامية المبكرة والوسيطة، لكنها تمتعت باستقلال إداري دون غيرها من مناطق الجزيرة ، وإن كان الأمر يتفق مع وحدتها الجغرافية المتميزة بحسن موقعها ، وصعوبة تضاريسها ، الأمر الذي جعلها في مأمن من الطامعين فيها من قبل حكام الإمارات المجاورة لها والتي أعلنت استقلالها إبان العصور الوسطى ، وقد حاول بعضها بسط سيطرتها عليها ، لكن هذه السيطرة سرعان مازالت بسبب شدة مراس أهلها وأنفتهم، وعدم خضوعهم لغيرهم إلى جانب كثرتهم ، ووعورة المنطقة وصعوبة مسالكها [١] .

لقد ظهر اسم عسير مصطلحاً سياسياً وجغرافياً أواخر القرن الثانى عشر وبداية القرن الثالث عشر للهجرة (الثامن عشر الميلادي) ، وبخاصة عند الكتاب الغربيين ، ومنهم الإنجليز حيث كلفت الإدارة البريطانية القسم الجغرافي والمخابرات البحرية البريطانية، بإعداد بحث عن عسير يتضمن موقعها وحدودها، ومظاهر الطبيعة المختلفة فيها ، وأحوال السكان من حيث العادات وطرق العيش ، إلا أن ذلك البحث لم يوضح حدود قبيلة عسير بالنسبة لبقية القبائل الساكنة في هذا الإقليم ، لكنه أشار إلى أن اسم

---

(١) للمزيد من التفصيلات عن الإمارات التي ظهرت في اليمن والحجاز خلال العصور الإسلامية المبكرة والوسيطة ، ثم محاولة حكامها مد نفوذهم على بلاد عسير : انظر عبد الله بن عبد الكريم الجرافي ، المقتطف من تاريخ اليمن (بيروت :منشورات العصر الحديث ، ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧م)،٩٧-١٥٢،أحمد السباعي، تاريخ مكة ، ط٤ (مكة المكرمة:مطبوعات نادي مكة الثقافي،١٣٩٩هـ/١٩٧٩م)، ١٧٧-٣١٨.

عسير اقتصر على التلال الرئيسة وبخاصة المنطقة التى تعيش فيها قبائل بني مغيد ، وعلكم ، وبني مالك ، وربيعة ورفيدة ، وجميعهم يسكنون حول مدينة أبها بمسافات متفاوتة ، وحتى ذلك الحين لا تعرف تلك القبائل حدوداً معروفة وثابتة لعسير[١] .

وتلى هذه الدراسة، دراسات عديدة ، رسمت صورة أوضح للحدود الجغرافية للإقليم العسيرى ، فبعضها يشير إلى حدود عسير في نطاق محيط القبائل العسيرية الأصلية، وهي بنو مغيد وعلكم وبنو مالك وربيعة ورفيدة ، في حين أن هناك كتابات أخرى أضافت بلاداً أخرى إلى محيط القبائل السالفة الذكر ، وأضاف آخرون بعض القبائل المجاورة والقريبة من بلاد عسير من الشمال فتمتد إلى القنفذة (قنونا) والليث وغامد وزهران وبيشة ، ومن الجنوب إلى ظهران الجنوب ونجران وجازان . وهذا التباين نتج من الأحداث السياسية والعسكرية التي عاشتها منطقة عسير خلال القرون المتأخرة الماضية. فالإمارة في أبها امتد نفوذها إلى مناطق أبعد من المدينة نفسها مما أصبغ عليها وعلى المنطقة المحيطة بها اسم عسير، وبهذا تم تحديدها وتسميتها بهذا الاسم ليشمل المنطقة الممتدة من زهران إلى ظهران الجنوب في المناطق السروية ، ومن جازان إلى القنفذة (قنونا) في النواحي

---

(١) علي أحمد عسيري ، عسير من ١٢٤٩ هـ / ١٨٣٣ م ١٢٨٩ هـ / ١٨٧٢ م (أبها : مطبوعات نادي أبها الأدبي ، ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧ م)، ٣٢ – ٢٦ ، غيثان بن علي بن جريس ، صفحات من تاريخ عسير (الرياض : مطابع العبيكان ، ١٤٢٥ هـ / ٢٠٠٤ م) ، جـ ١ ، ١٥ – ١٧ .

التهامية ، بناء على المفهوم السياسي والتاريخي للمنطقة دون المفهوم الجغرافي [١].

وخلاصة القول أن عسيراً لم تكن معروفة بهذا الاسم في العصور الإسلامية الوسطى وإنما هو مصطلح حديث لم يتجاوز تاريخ ظهوره أكثر من قرنين ونصف القرن .

وفي إطار مفهوم بلاد عسير الحديثة سوف نناقش تاريخها خلال العصور الإسلامية المبكرة والوسيطة، على أنها تسمى فعلاً بلاد تهامة والسراة ، وأحياناً مخلاف جرش . فإذا نظرنا إلى حدودها الجغرافية الممتدة من شمال جازان ونجران جنوباً إلى بلاد غامد وزهران (دوس) ، والقنفذة (قنونا) شمالاً فإنه يطلق عليها مصطلح (تهامة والسراة) [٢]. وإن حصرنا حدودها على ما تم الإشارة إليه لتشمل فقط حاضرتي أبها وخميس مشيط وما حولها من القرى والمدن ، فلم تعرف في كتب التراث الإسلامي إلاّ باسم مخلاف جرش. وكي تتضح الصورة للقارئ الكريم ، فإن الحديث في الصفحات القادمة سوف يدور في محيط التحديدين الآنفي الذكر وذلك ليكون أشمل وأعم .

---

(١) عسيري ، ٣٢-٦٢ .

(٢) إذا أضفنا أحياناً مصطلحات (العسيرية) أو عسير (تهامة وسراة) ، أو العسيريين فإن جميع هذه المصطلحات مجازية ، الهدف من ذكرها تقريب صورة تاريخ عسير في العصور الإسلامية المبكرة والوسيطة إلى أذهان القراء الكرام .

ثانياً : نبذة عن الوضع الجغرافي والبشري لبلاد تهامة والسراة العسيرية :

المقصود ببلاد تهامة والسراة ، الوارد ذكرها في هذا البحث ، تلك المنطقة الممتدة من قرب غامد وزهران شمالاً إلى جازان ونجران جنوباً . وهذه المنطقة لا تشمل كل بلاد تهامة والسراة المشار إليها في كتب التراث ، والتي قد تمتد شمالاً إلى المدينة المنورة أو بلاد الشام ، وجنوباً إلى حواضر اليمن الكبرى . وبين هذا وذاك ، سنركز نحن في هذا البحث على واسطة العقد أي قلب ذلك الإقليم ووسطه ، فنقول سراة الشيء في اللغة أعلاه وظهره ووسطه ، ويذكر عن بلاد السراة أنها سلسلة الجبال المتصلة المشرفة على عرفة والتي تمتد إلى حواضر اليمن [1]. ويشير بعض الجغرافيين المسلمين القدماء إلى أن تلك الجبال الممتدة من حواضر الحجاز الكبرى إلى حواضر اليمن يطلق عليها جبال السروات ، وعلى سكانها أهل السرو أو السرويون ، وربما أطلق على هذه الجبال اسم الحجاز ، لأنها تحجز بين تهامة في الغرب ونجد في الشرق [2] . ويبدو أن حدود جبال السروات أو

---

(١) للمزيد عن بلاد تهامة والسراة ، من حيث حدودها ، وخطوط الطول والعرض بها،وبعض ما قيل عن دورها الحضاري في بعض كتب التراث الإسلامية المبكرة، انظر : الهمداني ٥٨ ــ ٥٩ ، ٩٨ ــ ١٠٠، محمد بن عبد الله الإدريسي ، كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق . (بيروت : عالم الكتب ، ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م) ، جـ١ ، ١٣٦ ــ ١٥٦ ، حمد الجاسر ، في سراة غامد وزهران (الرياض : دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر ، ١٣٩١هـ /١٩٧١م) ٣٥٣ ــ ٣٦٦ . غيثان بن علي بن جريس " بلاد السراة من خلال كتاب صفة جزيرة العرب للهمداني " مجلة الدارة ، ع ٣ ، س ١٩ ، (١٤١٤هـ/١٩٩٣م) ٧٦ ــ ١١١ .

(٢) انظر تفصيلات أكثر في مقالتي . الوهيبي ، ٥٣ – ٧٠ ، العلي ، ١-٩ ، ابن جريس " بلاد السراة ... ، ٧٦ – ١٠٠ .

الحجاز صارت مثار جدل واختلاف عند الجغرافيين المسلمين . والذي يهمنا في هذا الصدد أن بلاد السراة (العسيرية) المعنية هنا ، عرفت باسم السروات ، ومفردها سراة ، وبهذه المنطقة سروات كثيرة . وهذه السروات يسكنها العديد من القبائل والعشائر والأفخاذ ، وبالتالي كانت وما زالت تنسب كل سراة إلى القبيلة أو العشيرة التي تقطنها ، وإن كان معظم سكان تلك السروات يسكنون في المرتفعات أو السروات التي تفصل بين الأجزاء التهامية والنجدية ، إلا أن بعض الأفخاذ والعشائر كانت ترحل عن مواطنها في السروات [١] ، وتنزل الأغوار التهامية في الغرب أو الأجزاء النجدية في الشرق .

وبلاد السراة العسيرية كثيرة الهضاب والوهاد ، وتتفاوت في الارتفاع فقد يصل ارتفاع بعض الجبال في منطقة أبها وما حولها إلى أكثر من ثلاثة آلاف قدم ، ثم تقل إذا ما اتجهنا صوب الشمال وتتخذ شكل المدرجات ، وتميل بشدة نحو البحر في اتجاه الغرب ، بينما تنحدر تدريجياً نحو الهضاب الداخلية في اتجاه الشرق . وتعد مرتفعات عسير السروية بمثابة موزع للمياه بين تهامة في الغرب والهضاب النجدية في الشرق ، ومن أهم الأودية المنحدرة تجاه الشرق وادي تربة ، وهو من الأودية الفحول التي تأخذ مياه قسم كبير من وجه السراة الشرقي ، ويتجه نحو الشرق حتى يلتقي بوادي بيشة . ولوادي تربة العديد من الروافد منها ، ووادي العقيق الذي يسيل من

---

(١) ابن جريس ، دراسات جـ ١، ٢٥ ، للمؤلف نفسه " بلاد تهامة والسراة منذ فجر الإسلام حتى السنة الثانية عشرة للهجرة " المجلة التاريخية المصرية ، ٣٨ (١٩٩١ – ١٩٩٥ م) ، ٤١ – ٦٥ .

سراة زهران ، ووادي بواء ، الآتي من سراة بجيلة ويمر في بلاد بالحارث حتى سراة غامد وزهران (دوس) ، ثم وادي رنية بفتح الراء وسكون النون . وجنوباً يأتي وادي بيشة الذي يعد من أكبر أودية بلاد عسير المنحدرة نحو الشرق ، ويمكن أن يطلق على هذا الوادي وادي خثعم [١] ، لأن جميع البطون القاطنة فيه وعلى معظم روافده من خثعم . ومن روافد هذا الوادي وادي تبالة الذي يسيل من سراة خثعم وبلقرن وشمران ، وأودية ترج ، وترجس ، وعياء من سروات الحجر، وهرجاب من سراة شهران ورفيدة قحطان [٢]. ثم وادي تثليث [٣] إلى الجنوب من وادي قحطان ، وإذا كنا قد أطلقنا على وادي بيشة ، وادي خثعم ، فيمكننا أن نطلق على وادي تثليث ، اسم وادي قحطان ، حيث تنتشر بعض فروع قبائل قحطان على أغلب أجزاء وادي تثليث ، بالإضافة إلى أن بداية مسايل

---

(١) لقد لاحظنا ورود أسماء بعض الأودية دون ذكر أسماء العشائر والقبائل التي أقامت حولها ، مثلما حصل مع قبائل خثعم في وادي بيشة ، وفي اعتقادنا أن السبب في ذلك يعود إلى أن بعض القبائل التي سكنت حول الوديان ، ولم تسم باسمها ، هي قبائل غلب عليها طابع الترحال وعدم الاستقرار ، فلم تكن تمكث طويلاً وتلتصق بالأرض .

(٢) يقصد ببلاد الحجر المنطقة الواقعة بين سراة عسير جنوباً ، وبلقرن وخثعم وشمران شمالاً، ويستوطنها في وقتنا الحالي ، قبائل بللحمر جنوباً يليها نحو الشمال قبائل بللسمر، ثم قبائل بني شهر وبني عمرو . وللمزيد انظر: غيثان بن علي بن جريس . بلاد بني شهر وبني عمرو خلال القرنين الثالث عشر والرابع عشر الهجريين (أبها : مطابع مازن ، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م) ط ١ ، ٩ ـ ١٤ ، الطبعة الثانية (١٤٢٩ هـ/ ٢٠٠٨ م) ص ٢٢ وما بعدها .

(٣) للمزيد عن بلاد تثليث ، انظر : عمر بن غرامة العمري ، منطقة تثليث وما حولها من ٦٥٠ – ١٤١٤ هـ (الرياض : دار الشبل للنشر والتوزيع والطباعة ، ١٤١٤ هـ / ١٩٩٣ م) ، ٩ – ٥٣ .

هذا الوادي من أعالي سراة قحطان [١] ، ومن أكبر روافده وادي العرين الذي يستمد مياهه من سراة عبيدة عند المنطقة المسماه بـ (الفيض) حول ظهران الجنوب .

أما الأودية الغورية المتجهة من مرتفعات السروات العسيرية تجاه الغرب ، فمنها إلى الشمال نحو الجنوب ، أودية تأخذ مياهها من سروات غامد وزهران (دوس) وخثعم وشمران وبلقرن ، مثل : وادي الشواق ثم دوقه ، وقرماء ، وناوان ، والأحسبة ، وجميعها تصب على مقربة من القنفذة . ووادي قنونا الذي يصب من غرب سراة بلاد الحجر حتى البحر عند القنفذة (قنونا) ، ثم وادي حلي الذي يعتبر أعظم الأودية التي سبق ذكرها ، وله رافدان عظيمان هما : واديا بقره والحمض اللذان يأتيان من سراة الحجر ، وبخاصة بلاد بني شهر ، ثم وادي عتود الذي يسيل من سراة عسير ، حتى يصب في البحر عند بلدة الشقيق ، ثم يليه إلى الجنوب وادي بيض ثم وادي بيش اللذان تأتي مياههما من سراة قحطان[٢].

---

(١) من كبرى عشائر قبيلة قحطان في وقتنا الحاضر ، وبخاصة في الأجزاء السروية ، وادعة ، وسنحان ، وبنو بشر ، وعبيدة ، ورفيدة ، والجارمة وخطاب .

(٢) وللمزيد عن أهم الأودية الواقعة بين جازان ونجران جنوباً وبين مكة المكرمة والطائف شمالاً ، انظر: عبد الرحمن صادق الشريف ، جغرافية المملكة العربية السعودية ، إقليم جنوب غرب المملكة (الرياض : دار المريخ ، ١٤٠٤هـ /١٩٨٤م) ، جـ٢ ، ٣٣ وما بعدها ؛ عاتق بن غيث البلادي . بين مكة واليمن (رحلات ومشاهدات) (مكة المكرمة: دار مكة ، ١٤٠٤هـ /١٩٨٤م) ، ١٣ وما بعدها ، وللمؤلف نفسه. بين مكة وحضرموت (رحلات ومشاهدات) (مكة المكرمة : دار مكة، ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م) ، ٩ وما بعدها .

ثالثاً : بلاد عسير أثناء مرحلة الدعوة المكية :

بُعث الرسول ﷺ في مكة المكرمة يدعو الناس إلى عبادة الله وترك عبادة الأوثان ، فتصدت له قبيلة قريش ، وحاربته ، ووصفه القرشيون بأسوأ الصفات ، ثم سعوا إلى تحريض باقي القبائل في شبه الجزيرة عليه وعلى ما جاء به وشجعوهم على المضي في عبادة الأصنام في كل مكان ، ولكن بنصر الله وتوفيقه ، انتشرت رسالة الإسلام وتزايدت أعداد المسلمين حول الرسول ﷺ ، حتى صارت شبه الجزيرة العربية تدين بكلمة التوحيد . ولم يكن سكان عسير (تهامة وسراة) في بداية الدعوة بمعزل عن سير الأحداث في مكة المكرمة ، وإنما كانوا على صلة سياسية وحضارية بأهل مكة والطائف ومن جاورهم [1] . والسؤال الذي يواجهنا في هذا الصدد هو

---

(١) كان أهل تهامة والسراة على علاقات (تجارية ، واجتماعية ، وسياسية) مع الحجازيين . فالقرآن الكريم (في سورة الإيلاف) وكثير من كتب التراث الإسلامي تشير إلى الرحلة الشتوية التجارية التي كان يقوم بها أهل مكة المكرمة ، عبر بلاد تهامة والسراة ، حتى حواضر اليمن الكبرى . ورحلة تجارية متكررة كل عام ، لا بد أن يحدث الاحتكاك الحضاري بين روادها الذين هم من قريش ، وبين أهل الديار التي يمرون عليها من بلاد تهامة والسراة . والأخذ والعطاء لا يكون مقصوراً على الأعمال التجارية فحسب ، وإنما يمتد إلى أمور أخرى عدة ، كالتعاون في توفير الأمن للتجار أثناء عبورهم الطريق التجارية، أو ورودهم بعض الأسواق أو المراكز الحضارية الكبرى للبيع والشراء . ومن المتوقع أن تمتد العلاقات إلى الزواج والمصاهرة ، واقتباس بعض العادات الاجتماعية المتعلقة بحفلات الزواج والختان ، أو عادات الزينة واللباس ، أو الطعام والشراب ، أو بناء الدور وما شابهها. ومن يتجول الآن في بلاد الحجاز ، أو بلاد تهامة والسراة العسيرية المعنية في هذا البحث ، أو بعض أرياف ومدن اليمن يجد هناك الكثير من التشابه في نمط الألبسة ، وطريقة عمل بعض الأطعمة ، أو بناء ونقش وزخرفة المنازل . ومثل هذا التشابه لا يمكن حدوثه من فراغ وإنما ورثه الأبناء والآباء عن الأجداد ، كما أنه نتيجة للاختلاط والانصهار البشري الذي مرت به هذه الديار منذ أزمنة بعيدة .

: ماذا كان موقف أهل عسير أثناء المرحلة المكية ؟ . الواقع أن موقفهم كان سلبياً من الدعوة الإسلامية ، لأن قبيلة قريش في نظرهم كانت المثل الذي يُقتدى به ، ولذا انساقوا وراء قريش في عدائها للرسول ﷺ في مكة المكرمة . ولم نستطع العثور على دليل يشير إلى أن أهل عسير وقفوا موقفاً إيجابياً من الرسول ﷺ ودعوته في المرحلة المكية ، اللهم إلا بعض حالات فردية تمثلت في بعض الشخصيات العسيرية التي تجاوزت الطوق الذي ضربته قريش حول الرسول ﷺ ومن آمن معه في مكة المكرمة . ومن تلك الشخصيات ضماد الأزدي ، من أزد شنؤة ، بسراة عسير حول مدينة أبها ، جاء إلى مكة المكرمة وكان يعالج من مرض الجن ، فاستقبله طغاة قريش ، وحذروه من مقابلة الرسول[1] ، ﷺ ووصفوه بأنه ساحر مجنون ، فلم يسمع ضماد لما قالوا ، وقال : " **لو أني أتيت هذا الرجل لعل الله يشفيه على يدي** " ثم لقيه فقال له : " **يا محمد أني أرقي من هذا الريح فهل لك ؟** " فقال رسول الله ﷺ : " **إن الحمد لله نحمده ونستعينه ، ومن يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمد عبده ورسوله** " فقال ضماد " **أعد عليّ كلماتك هؤلاء** " ، فأعادهن عليه رسول الله ثلاث مرات ، فقال : " **لقد سمعت قول الكهنة ، وقول**

---

(١) لم تكن سياسة قريش في محاربة الرسول (ﷺ) وما جاء به من دعوة ، مقصورة على تحذير الناس من مقابلة الرسول بشكل فردي ، كما فعلوا مع ضماد ، وإنما كان منهجهم إلقاء الخطب على رؤوس القبائل في الأسواق ، وعلى أبواب السكك الداخلة إلى مكة ، وكذلك أيام الحج ، وفي أماكن أخرى عديدة ، يحرصون على التشكيك فيما جاء به الرسول محمد (ﷺ) ويدّعون أنه ضرب من الأساطير والخرافات .

السحرة ، وقول الشعراء ، فما سمعت مثل كلماتك هؤلاء، هات يدك أبايعك على الإسلام " فبايعه [١].

وإذا كان ضماد من بوادر نسمات الخير التي أتت من بلاد سروات عسير ، إلا أن السواد الأعظم من سكان تلك البلاد بقوا على وثنيتهم حتى بعد هجرة الرسول ﷺ إلى المدينة ، بل وبعد حدوث المعارك الكبرى في الإسلام كبدر ، وأحد ، والأحزاب ، ثم فتح مكة المكرمة في السنة الثامنة للهجرة .

رابعاً : بلاد عسير أثناء مرحلة الدعوة المدنية :

بعد هجرة الرسول ﷺ إلى المدينة المنورة ، واتخاذها عاصمة للدولة الإسلامية ، ثم تحول المسلمين من دعاة إلى جند يقاتلون المشركين وأعوانهم . ظل أهل عسير يرقبون تطورات الوضع عند القرشيين ، ويهوون هواهم ،

---

(١) جمال الدين بن الجوزي . صفة الصفوة ، تحقيق محمود فاخوري ومحمد رواس قلعجي (حلب : دار الوعي ، ١٣٨٩ هـ / ١٩٦٩ م) ، جـ ١ ، ٦٠٤ ، ٦٠٥ . ولم يكن ضماد الأزدي هو الوحيد الذي قدم من جنوب الجزيرة على الرسول (ﷺ) وأعلن إسلامه في هذه الفترة المبكرة ، بل كان هناك شخصيات أخرى فعلت مثلما فعل ضماد أمثال :– أبو موسى الأشعري من بلاد تهامة ، وكذلك الطفيل بن عمرو الدوسي من بلاد زهران في منطقة الباحة وغيرها ممن حفظت كتب السير والتراجم والطبقات أسماءهم . أبو محمد عبد الملك بن هشام ، السيرة النبوية ، تحقيق مصطفى السقا وآخرين (بيروت : دار القلم ، د . ت) ، جـ٢ ، ٢١ وما بعدها . للمزيد انظر ، ابن الجوزي ، جـ١ ، ٦٠٠ – ٦٠٤ ، عز الدين علي بن الأثير ، أسد الغابة في معرفة الصحابة (بيروت : دار إحياء التراث العربي ، د . ت) جـ ٣ ، ٥٤ – ٥٥ .

ويتعاطفون معهم ، بحكم الجوار والموقع ما بين مكة والطائف وبين أهل تلك البلاد الذين يجاورونهم جنوباً . ونظراً للأهمية التي تتمتع بها أسواق مكة والطائف من حيث تسويق السلع وترويجها ، وتوفير ما يحتاج الناس لشرائه من الحاجات ، ونظراً لمعتقداتهم الوثنية التي تتفق مع ما كان عليه المشركون في مكة وما حولها ، كل هذا يجعلنا ندرك ما كان هناك من تجاوب بين أهل مكة والطائف وبين أهل عسير (تهامة وسراة) . ولا تذكر المصادر دوراً إيجابياً ملموساً لأهل هذه البلاد ، وبخاصة قبل فتح مكة المكرمة في السنة الثامنة للهجرة وإنما أشارت إلى بعض السرايا التي أرسلها الرسول ﷺ إلى بعض مواقع الجنوب من مكة والطائف نحو منطقة عسير [(١)].

وبدخول الرسول ﷺ الطائف في السنة الثامنة للهجرة علت كلمة الإسلام، الأمر الذي أدى إلى انهيار الشرك في بلاد عسير وغيرها من مناطق شبه الجزيرة العربية . وبعد معركة حنين وحصار الطائف ، قدم وفد من ثقيف على الرسول ﷺ في المدينة المنورة بعد فتح مكة المكرمة ، وتبعته وفود

---

(١) تذكر بعض المصادر أن الرسول (ﷺ) أرسل بعض الدعاة وأحياناً سرايا في رهط من الصحابة إلى كل من تربة ، وبلاد خثعم ، وبيشة ، ودوس وما حولها كي يتصدوا لبعض المشركين هناك ، فيتزلون بهم العقوبات نتيجة كفرهم ومجاهرتهم بالعداء للإسلام والمسلمين . لمزيد من التفصيلات انظر ، محمد بن عمر الواقدي . كتاب المغازي ، تحقيق مارسدن جونس (بيروت : عالم الكتب ، د . ت) ، جـ ٢ ، ٧٢٢ ، خليفة بن خياط . تاريخ خليفة بن خياط ، تحقيق أكرم ضياء العمري (الرياض : طيبة ، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م) ، ٧٨ ، ابن هشام ، السيرة ، جـ ٢ ، ٢١ – ٢٥ ، علي بن الحسين المسعودي . التنبيه والإشراف (بيروت : دار مكتبة الهلال ، ١٩٨١ م) ، ٢٤٣ ، شمس الدين محمد بن القيم . زاد المعاد في هدي خير العباد ، تحقيق شعيب الأرنؤوط وآخرين (بيروت : مؤسسة الرسالة ، ١٤١٠ هـ / ١٩٩٠ م) ، ج ٣ ، ٦٢٤ – ٦٢٨ .

أخرى من حواضر منطقة عسير وعموم بلاد اليمن [١]. ولكن السؤال الذي يطرح نفسه هو : هل دخل سكان عسير في الإسلام زرافات أم وحدانا ؟ وهل قام ممن دخل في الإسلام من أهل هذه البلاد بنشر الإسلام بينهم ؟ وهل بقي بعضهم على وثنيته تأخذه العزة بالإثم ؟

الواقع أن العسيريين لم يدخلوا في الإسلام بشكل جماعي، شأنهم في ذلك شأن غيرهم من القبائل التي دخلت الإسلام بعد فتح مكة المكرمة . ويمكننا القول إن دخولهم الإسلام كان ما بين السنتين السابعة والعاشرة للهجرة. فبعد فتح مكة المكرمة ثم بعد معركة حنين ومحاصرة أهل الطائف، نجد بعض سكان منطقة عسير (تهاميين وسرويين) [٢] كانوا من أوائل من دخل في الإسلام، الأمر الذي أدى إلى استعانة الرسول ﷺ بهم وبغيرهم من الداخلين في الإسلام على محاربة من بقي على عقائد الوثنية في أوطانهم [٣].

---

(١) من الوفود التي وفدت على الرسول ﷺ من بلاد تهامة والسراة وفد الأزد ، وفد بجيلة ، وفد بارق ، وفد خثعم ، وفد ثمالة ، وفد غامد ، وفد دوس ، وغيرها كثير . للمزيد من التفصيلات ، انظر: محمد بن سعد . الطبقات الكبرى (بيروت: دار صادر ، ١٤٠٥هـ /١٩٨٥م) ، جـ١، ٣٢١ ــ ٣٥٩ .

(٢) عندما نقول : تهامة وسراة ، أو (التهاميون والسرويون) فهذا يعني أن تضاريس منطقة عسير تشغل أجزاء جبلية مرتفعة ، وكذلك سهول ومنخفضات تهامية ، ويقطن في جميع هذه النواحي عشائر وقبائل مختلفة يعود تاريخ بعضها إلى عصور ما قبل الإسلام .

(٣) هناك روايات تاريخية تذكر أن الطفيل بن عمرو الدوسي ، وكذلك جرير بن عبد الله البجلي وغيرهما كانا على رأس بعض السرايا التي أرسلها الرسول (ﷺ) إلى سكان السراة من الطائف حتى الباحة ، وبيشة وأجزاء من منطقة عسير ، وذلك بهدف نشر الإسلام بين أولئك الأقوام ، وهدم ما كان في بلادهم من أوثان وأصنام يعبدونها من دون الله ، للمزيد انظر ، الواقدي ، جـ ٣ ، ٩٢٣ ، ابن سعد ، جـ٢ ، ١٥٧ ، ابن هشام ، جـ ٢ ، ٢١ – ٢٥ ، محمد بن إسماعيل البخاري ، صحيح البخاري (بيروت : دار العربية للطباعة والنشر والتوزيع ، د . ت) مج ٣ ، جـ ٥ ، ١٢٣ ، ابن الجوزي ، جـ ١ ، ٦٠٣ .

ولم يكتف الرسول ﷺ بإرسال قادة من أهل السراة الممتدة من الطائف حتى أبها لمحاربة من بقي على الوثنية منهم، بل غيّر وبدّل ، فأرسل قادة من صحابته ليحاربوا المشركين في بلاد بيشة وعسير وما حولها . وتذكر بعض المصادر أن سرية قطبة بن عامر بن حديدة التي أرسلها الرسول ﷺ إلى بلاد خثعم وأجزاء من بلاد بيشة في شهر صفر من السنة التاسعة للهجرة كانت حوالي عشرين رجلاً ، ذهبوا إلى محاربة بعض المشركين ، وعادوا ظافرين [(١)].

أما معظم وفود بلاد عسير على الرسول ﷺ في المدينة فكانت في العامين التاسع والعاشر الهجريين ، وخاصة في العام التاسع الذي كثرت فيه الوفود على رسول الله ﷺ من شبه الجزيرة ، لدرجة أنه سمي عند المؤرخين بعام الوفود . ويبدو أن بعض الوفود قدمت من بلاد السراة قبل هذا التاريخ أمثال الدوسيين بزعامة الطفيل بن عمرو الدوسي وغيرهم فكانوا ندرة ، ولكن بعد فتح مكة المكرمة ، انفتح الباب الذي كان حاجزاً بين أهل عسير (تهامة وسراة) ومعظم بلاد اليمن وبين الرسول ﷺ في المدينة ، وبالتالي تفد الوفود من قبائل متباينة في بلاد تهامة والسراة العسيرية ، وفي أعداد متفاوتة

---

(١) ابن القيم ، ج ٣ ، ٥١٤ ، ابن سعد ، ج ٢ ، ص ١٦٢ .

لكي تقدم إسلامها للرسول ﷺ ثم تعود إلى أوطانها لتنشر الإسلام بين أقوامها ، وتحارب أهل الشرك أو من بقي مصراً على عبادة الأوثان .

وإلى جانب الذين سبق ذكرهم من الشخصيات أو الوفود التي وفدت على الرسول ﷺ وقدّمت إسلامها ، هناك أيضاً وفود أخرى قدمت من منطقة عسير في العامين التاسع والعاشر للهجرة ، ومن تلك ، وفد بارق ، ووفد خثعم ووفد زُبيد من بلاد تثليث لسراة جنب (قحطان) بزعامة عمرو بن معدي كرب الزُبيدي ، ثم وفد الأزد بسراة عنز (عسير) تحت زعامة صرد بن عبد الله الأزدي [(١)].

ومن الملاحظ أن الوفود التي قدمت على الرسول ﷺ من بلاد عسير ، أو من أي مكان في شبه الجزيرة العربية ، كانت دليلاً على انهيار الشرك ، وبالتالي علامة على انتشار الإسلام في البلاد والأقاليم التي وفدت منها . ويتضح من بعض كتب الرسول ﷺ أن البعض من قبائل عسير فعلوا ما فعل الحارث بن عبد شمس الخثعمي ، الذي خرج إلى المدينة المنورة بعد هدم جرير لصنم

---

(١) ابن سعد ، جـ١، ٣٢١ـ ٣٥٩ ، ابن هشام،جـ٤ ، ٢٣٠ ـ ٢٣٤ ، ابن القيم، جـ٣، ٦٢٠ ـ ٦٢١ ، محمد بن جرير الطبري . تاريخ الأمم والملوك ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم (بيروت:دار سويدان،١٣٨٢هـ /١٩٦٢م)، جـ٣ ، ١٣٠ ـ ١٣١ ، ١٣٤ ـ ١٣٦ ، محمد حميد الله ، مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة (بيروت:دار النفائس ، ١٤٠٥هـ /١٩٨٥م)، ٢٤١ ، ٢٩٠ ـ ٢٩١ .

ذي الخلصة [١]، فأسلم وأخذ الأمان لأصحابه من رسول الله [٢]. ويتضح أن بعض العشائر الخثعمية ، خلاف الحارث بن عبد شمس ، قدمت على الرسول ﷺ في رجال من خثعم ، فقالوا ((**آمنا بالله ورسوله ، وما جاء من عند الله ، فاكتب لنا كتاباً نتبع ما فيه ، فكتب لهم كتاباً شهد فيه جرير بن عبد الله ومن حضر**)) [٣].

كذلك قدم من بلاد بيشة إلى الرسول ﷺ بعد فتح مكة المكرمة مطرف بن الكاهن الباهلي ، الذي أعلن إسلامه ، وطلب الأمان من الرسول ﷺ فأمَّنَهُ وأعطاه الرسول كتاباً فيه فرائض الصدقات قال فيه : " **هذا كتاب من محمد رسول الله لمطرف بن الكاهن ، ولمن سكن بيشة من باهله ، أن من أحيا أرضاً مواتاً بيضاء فيها منافع الأنعام ومراح فهي له وعليهم في كل ثلاثين من البقر فارض ، وفي كل أربعين من الغنم شاة ، وفي كل خمسين من الإبل ثاغية مسنة ، وليس للمصدق أن يصدقها إلا**

---

(١) صنم ذي الخلصة كان لدوس وبجيلة ومعظم قبائل أزد السراة (رجال الحجر ، بالقرن ، غامد وزهران) ، وكان يعرف بالكعبة اليمانية ، ويحج إليه أعداد كثيرة من الناس . ابن هشام ، جـ ١ ، ٨٨ ابن الجوزي ، جـ ١ ، ص ٧٤١ ، البخاري ، مج ٣ ، جـ ٥ ، ١١١ – ١١٢ ، مج ٤ ، جـ ٨ ، ١٠٠ . ويذكر أن صنم ذي الخلصة أعيد بناؤه بعد القرن العاشر الهجري (السادس عشر الميلادي) ، وربما من قبل ذلك ، وبقي على حاله حتى زمن الإمام عبد العزيز بن محمد بن سعود ، فيذكر ابن بشر في حوادث (١٢٣٠ هـ) أن رجال الإمام عبد العزيز حاربوا الترك في بلاد بيشة وخثعم ودوس وغامد حتى وصلوا صنم ذي الخلصة فهدموه وأحرقوه . عثمان بن بشر . عنوان المجد في تاريخ نجد (الرياض : مكتبة الرياض الحديثة ، د . ت) جـ ١ ، ١٨١ – ١٨٢ .

(٢) حميد الله ، ٢٩١ .

(٣) حميد الله ، ٢٩١ ، أيضاً وردت هذه المعلومات في جزء من طبقات ابن سعد ، تم طبعه في بلدة أكبر أباد بالهند ، عام (١٣٠٨ هـ) .

في مراعيها ، وهم آمنون بأمان الله "[١]. وكتب الرسول ﷺ كتاباً آخر لنهشل بن مالك من باهلة بيشة قال فيه : " باسم الله هذا كتاب من محمد رسول الله لنهشل بن مالك ومن معه من بني وائل ، لمن أسلم ، وأقام الصلاة ، وآتى الزكاة ، وأطاع الله ورسوله، وأعطى من المغنم خمس الله، وسهم النبي ، وأشهد على إسلامه ، وفارق المشركين ، فإنه آمن بأمان الله ، وبري إليه محمد من الظلم كله ، وأن لهم أن لا يُعشروا ، وعاملهم من أنفسهم..."[٢] وفي كتاب آخر لقبائل خثعم ببلاد بيشة قال فيه : " هذا كتاب من محمد رسول الله لخثعم من حاضر بيشة وباديتها ، أن كل دم أصبتموه في الجاهلية فهو عنكم موضوع ، ومن أسلم منكم طوعاً أو كرهاً في يده حرث من خيار أو عرار تسقيه السماء .... فله نشره وأكله ، وعليهم في كل سيح العشر ، وكل غرب نصف العشر "[٣] وكتاب آخر لأهل بارق قال فيه الرسول ﷺ : " هذا كتاب من محمد رسول الله لبارق ، لا تجز ثمارهم ، ولا ترعى بلادهم في مربع ولا مصيف إلا بمسألة من بارق أو من مر بهم من المسلمين في عرك أو جدب فله ضيافة ثلاثة أيام ، وإذا أينعت ثمارهم فلابن السبيل اللقاط يوسع بطنه من غير أن يقتثم..."[٤].

كما وفد على الرسول ﷺ في السنة العاشرة من الهجرة ، وفد جرش ، وعلى رأسهم صرد بن عبد الله الأزدي في بضعة عشر رجلاً ،

---

(١) ابن سعد ، ط . أكبر آباد بالهند ، ٣٨-٣٩ .

(٢) المصدر نفسه .

(٣) المصدر نفسه ، ٤١ ، حميد الله ، ٢٩١ .

(٤) ابن سعد ، ج ١ ، ٣٥٢ ، حميد الله ، ٢٤١ ، ابن جريس ، بلاد بني شهر ، ٤٤ .

فأسلم وأسلم رجال الوفد، وأمّره الرسول ﷺ بعد إسلامه على قومه، وأمره بالجهاد بمن معه من المسلمين ضد من جاورهم في جرش من المشركين[١].

وتشير كتب التاريخ والسير إلى أن بلدة جرش كانت مدينة مسورة حصينة ، فعندما سمع أهل جرش بإسلام صرد ، وبما تم بينه وبين الرسول الكريم ﷺ سعوا إلى زيادة تحصين مدينتهم ، وانضمت إليهم بعض قبائل خثعم المجاورين لهم ، لمقاومة صرد بن عبد الله الأزدي الذي عاد مسرعاً من المدينة المنورة مصطحباً معه من انضم إلى الإسلام من قومه ، وهاجم بهم مدينة جرش ، فوجدها في غاية المنعة والتحصين ، فحاصرها شهراً كاملاً ، ولما أعياه فتحها رأى أن اللجوء إلى الحيلة أجدى من الحصار، فقوض خيامه كأنه راحل عنها وهو عازم على الخدعة ، وما أن شاهده المحاصرون راحلاً حتى فتحوا باب مدينتهم وخرجوا في أثره ليستأصلوا شأفته فتظاهر أمامهم بالفرار ، وعندما أخذوا في مطاردته عطف عليهم في التفافة بارعة ففتك بهم فتكاً ذريعاً[٢]، وتم له فتحها وبعد الفتح توجه وفد أهلها إلى الرسول ﷺ لإعلان إسلامهم أمامه ، فرحب بهم ، وقال عليه السلام : " **مرحباً بكم أحسن الناس وجوهاً ، وأصدقه لقاء ، وأطيبه كلاماً ، وأعظمه أمانة ، أنتم مني وأنا منكم** " ثم جعل شعارهم مبروراً [٣]، وأمرهم بالعودة إلى

---

(١) ابن الأثير ، جـ ٣ ، ١٧ .

(٢) ابن هشام ، ج ٤ ، ٢٣٤ ، ابن سعد ، ج ١ ، ٣٣٧ – ٣٣٨ ، الطبري ، ج ٣ ، ١٣٠–١٣١ ، ابن القيم ، جـ ٣، ٦٢٠–٣٢١ .

(٣) ابن سعد ، ج ١ ، ٣٣٨ .

ديارهم ، بعد أن حمى لهم حمى حول بلدتهم . ويورد محمد حميد الله ذلك الكتاب الذي كتبه الرسول ﷺ في حمى جرش وينص على : " **بسم الله الرحمن الرحيم . هذا كتاب من محمد النبي لأهل جرش : أن لهم حماهم الذي أسلموا عليه ، فمن رعاه بغير بساط أهله فماله سحت ، وأنّ زهير بن الحماطة فإن ابنه الذي كان في خثعم ، فأمسكوه فإنه عليهم ضامن ، وشهد عمر بن الخطاب ومعاوية بن أبي سفيان** " [١].

وأهمية هذا الكتاب أن الرسول ﷺ أقرّ حمى أهل جرش الذي يحيط بمدينتهم ، وذلك بمنحهم حق الرعي والتملك في بلادهم ، ووضع القوانين الشرعية التي تنظم العلاقات بين الأفراد في شؤون حياتهم المختلفة في ظل أحكام الشريعة الإسلامية [٢] .

وفي رواية للبلاذري ، نقلاً عن الزهري ، تذكر أن أهل جرش أسلموا من غير قتال ، فأمّرهم رسول الله ﷺ على ما أسلموا عليه ، وجعل

---

(١) حميد الله ، ٢٨٩-٢٩٠.

(٢) ويتضح أن الرسول ﷺ حفظ لأهل جرش حماهم بقوله : " فمن رعاه بغير بساط أهله فماله سحت " ، أي فمن رعى حمى أهل جرش ، فلا ضامن على من أهلكه . وقوله عليه السلام : " وأن زهير بن الحماطة ... " والمذكور أن ابناً لزهير ارتكب في خثعم أمراً أوجب الضمان ، فضمنه زهير لهم ، فأمر الرسول ﷺ بامساك زهير أخذاً بضمانه لجريرة ابنه . حميد الله ، ٢٨٩-٢٩٠ . وعن الحمى وأهميته منذ بداية عصر الإسلام ، انظر : صالح أحمد العلي . الحمى في القرن الأول الهجري ، مجلة العرب ، ج ٧ (١٣٨٩ هـ/ ١٩٦٩م) ، ٥٧٧ - ٥٩٥ .

على كل حالم من أهل الكتاب ديناراً ، واشترط عليهم ضيافة المسلمين ، وأرسل أبا سفيان بن حرب والياً عليهم [١].

وهذه الرواية التي ذكرها البلاذري لا تتفق مع الرواية التي ذكرتها كتب التاريخ والسير الأخرى ، فرواية البلاذري تنفي أن أهل جرش اعتنقوا الإسلام بالسيف ، في حين أن رواية ابن هشام ، وابن سعد ، والطبري ، وابن قيّم الجوزية ، وغيرهم تؤكد على حرب صرد بن عبد الله الأزدي لهم حتى دخلوا في الإسلام [٢]. ويمكننا القول إن ما رواه البلاذري يتفق إلى حد ما مع ما جاء عند أصحاب المصادر الأخرى ، وخاصة أن الرسول ﷺ لم يرسل جيشاً معيناً من المدينة المنورة لمحاربة أهل جرش ، وإنما تلك الحرب التي دار رحاها في بلاد جرش وما حولها ، هي حرب جهاد قادها صرد بن عبد الله لكسر شوكة أعداء الدين الإسلامي في المنطقة .

أما إرسال أبي سفيان بن حرب إلى إمارة جرش ، بل إلى عموم سروات عسير ، فقد جاءت بعد تولية الرسول ﷺ لصرد بن عبد الله على أهل جرش وما حولها، مع العلم أن إمارة أبو سفيان كانت مقصورة على جبي الصدقات ، بدليل ما ذكر الطبري ، أن أبا سفيان كان والياً على الصدقات في تلك الأنحاء الممتدة من مخلاف جرش إلى نجران جنوباً ، وإلى زبيد ورمع غرباً . أما الإمارة العامة على تلك الأجزاء فكانت

---

(١) أحمد بن يحيى البلاذري . فتوح البلدان ، تحقيق رضوان محمد رضوان (بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م) ، ٧٠ .

(٢) ابن هشام ، ج ٤ ، ٢٣٣ – ٢٣٤ ، ابن سعد ، ج ١ ، ٣٣٧ – ٣٣٨ ، الطبري ، ج ٣ ، ١٣٠ – ١٣١ ، ابن القيم ، ج ٣ ، ٦٢٠ – ٦٢١ .

لخالد بن سعيد بن العاص الذي كُلف بإمارة تلك النواحي في نهاية الحج للسنة العاشرة من الهجرة [١].

وتذكر بعض كتب السنة نقلاً عن ابن عباس أن الرسول ﷺ كتب إلى أهل جرش ينهاهم أن يخلطوا الزبيب بالتمر [٢]، وهذا الخبر مفاده أن الرسول ﷺ كان على صلة تامة بأهل جرش (عسير) سروية وتهامية، وبمعرفة أخبارهم، الأمر الذي أدى إلى نهي الجرشيين عمّا لا يتفق مع الشريعة ودعوتهم إلى الامتناع عن القيام بما يُخالفها.

وبهذا نرى أن الرسول ﷺ لم يكتف فقط باستقبال الوفود في المدينة المنورة، وإنما عمل ما في وسعه لتوطيد الإسلام بين أقوام تلك الوفود، فأكرم وفادة الوفود القادمة عليه، ثم علّمهم المبادئ الأساسية في الإسلام، وبعدها أذن لهم بالعودة إلى أوطانهم، فعادوا إلى أقوامهم وكلهم إصرار على نشر الإسلام فيما بينهم.

وأحياناً كان يكتب الرسول ﷺ كتباً لبعض الوفود يبين لهم فيها بعض التعاليم الدينية، وتارة أخرى كان يرسل رسائل إلى بعض القبائل والعشائر، يذكر لهم فيها ما يتوافق مع منهج الإسلام، سواء في العقيدة أو الأحكام، أو الأنظمة الاجتماعية، أو غيرها، بل ويحثهم على محاربة

---

(١) الطبري، ج ٣، ٢٢٨، ٣١٨. وإمارة صرد بن عبد الله ربما كانت مقصورة على مخلاف جرش، أما أبو سفيان بن حرب فكان عمله فقط جباية الزكاة من مخلاف جرش وما جاورها من المخاليف الأخرى، كذلك سعيد بن العاص كانت لـه الولاية العامة على جميع النواحي الممتدة من نجران جنوباً إلى مدينة جرش وبيشة شمالاً.

(٢) أحمد بن حنبل، مسند الامام أحمد بن حنبل. (بيروت: المكتب الإسلامي، ١٣٩٨ هـ)، ج ١، ٢٢٤

الفتن والضلالات والنصرة على أهل الشرك وضمان الأمن والبقاء في أوطانهم .

وقد ظهر قبيل وفاة الرسول ﷺ، في أنحاء من شبه الجزيرة العربية بعض الكذابين المدعين للنبوة ، أمثال عبهلة ، الملقب بـ (الأسود العنسي) في بلاد اليمن وما حولها [١] فاتخذ من صنعاء نقطة انطلاق نحو الشمال حتى سيطر على نجران وأجزاء عديدة من بلاد جنب (قحطان) وجرش وبيشة وما حولها ، بل لقد سعى إلى طرد عمال الرسول ﷺ في تلك الأجزاء[٢]. وجاء النبأ، بأفعال الأسود العنسي، إلى الرسول ، فقام عليه السلام، بمراسلة العديد من قبائل وشيوخ أهل اليمن، وتهامة والسراة وحثهم على التمسك بدين الإسلام، والثبات في تصديهم للأسود العنسي، وحذرهم من الارتداد عن دين الله ، بل أرسل جرير بن عبد الله البجلي مع بعض الرجال من أزد السراة [٣] ليتصدوا للمرتدين أو المؤيدين للأسود العنسي في

---

(١) الأسود العنسي رجل من عنس أحد قبائل قحطان ، كان كاهناً تنبأ قبيل وفاة الرسول (ﷺ) ، وتابعه على أمره أقوام عديدة من عرب اليمن وبعض أجزاء بلاد تهامة والسراة ، فخرب ودمر ، وعاث في الأرض فساداً ، حتى هيأ الله له بعض الموالي والعرب ببلاد اليمن فتآمروا على قتله ونجحوا في ذلك . للمزيد من التفصيلات عن حركته وفجوره ، انظر : الطبري ، تاريخ ، جـ٣ ، ص٢٣٠ وما بعدها .

(٢) كان من عمال الرسول ﷺ في بلاد اليمن وتهامة والسراة ، عمرو بن حزم على نجران ، وخالد بن سعيد بن العاص على ما بين نجران ورمع وزبيد ، وكانت إمارته تمتد شمالاً على ديار قحطان وبلاد جرش حتى بيشة ، وكان الطاهر بن أبي هاله على عك والأشعريين في بعض النواحي التهامية .

(٣) أزد السراة : المقصود بها في كتب التراث الإسلامي أي البلاد الممتدة من نجران جنوباً إلى بلاد غامد وزهران شمالاً . انظر ، ابن جريس ، دراسات ، جـ ١ ، ص ٦٤ .

أرض السروات [١] وبعد خروج جرير بن عبد الله من المدينة متجهاً إلى بلاد عسير السروية أتى نبأ وفاة الرسول ﷺ فعاد جرير إلى المدينة دون أن يواصل مهمته ، وربما عاد ليقف على أحوال المسلمين بعد وفاة الرسول الكريم ﷺ، وفي ضوء ذلك الموقف يستطيع أن يتصرف مع بقية صحابة الرسول ﷺ ، ويحتمل أن يكون موت الرسول ﷺ، وهول تلك الصدمة جعلت جرير بن عبد الله لا يواصل هو وأصحابه ما كُلفوا به من قبل الرسول ﷺ فلم يستطيعوا السير قدماً ، وقرروا الرجوع إلى مدينة الرسول الكريم ﷺ.

خامسا : بلاد عسير منذ عصر الخلافة الراشدة حتى أواخر العصر الإسلامي الوسيط :

عندما تولى الخليفة الراشد أبا بكر الصديق (رضي الله عنة) الخلافة ، عزم على مواصلة قتال المرتدين في أنحاء الجزيرة العربية ، ومنطقة عسير من المناطق التي ظهر بها بعض المرتدين المؤيدين لثورة الأسود العنسي ، وكان حميضة بن النعمان بن حميضة البارقي ،ومعاوية بن قيس الجنبي المذحجي وعمرو بن معد كرب الزبيدي [٢] على رأس قيادة المرتدين العسيريين المؤيدين لسياسة العنسي التوسعيه في اليمن وعموم السروات الممتدة من نجران إلى أبها

---

(١) انظر : الطبري ، تاريخ ، جـ٣ ، ٢٣٢ ، ٣٢٢ ، عبد الرحمن بن خلدون . تاريخ بن خلدون ، تحقيق خليل شحادة وآخرين (بيروت : دار الفكر ، ١٤٠١هـ /١٩٨١م)، جـ٢ ، ٤٩٣ .

(٢) للمزيد من المعلومات عن هذه الشخصيات، وبخاصة عمرو بن معد كرب الزبيدي الذي كان نائباً للأسود على المنطقة الممتدة من نجران إلى بيشة ورنية وتربة ،انظر ،الطبري جـ ٣ ، ٢٢٨ وما بعدها ،ابن سعد، جـ١ ،٣٢٨ ،محمد بن عبد الله بن قتيبة .الشعر و الشعراء (بيروت :دار إحياء العلوم ، ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧م)،٢٤٠-٢٤٢، أحمد بن عبد ربه .العقد الفريد ،تحقيق مفيد محمد قميحة وآخرين (بيروت :دار الكتب العلمية ،١٤٠٤ هـ /١٩٨٣م)جـ١ ، ٢٤١، ٣١٨-٣١٩.

وبيشة والطائف [١] . لكن الخليفة الراشد الصديق (رضي الله عنه) اتخذ خطوت عمليه ، فأعاد جرير بن عبد الله البجلي إلى سروات الباحة وعسير من أجل الصمود مع المسلمين ضد المرتدين ، كما أرسل إلى أمراء الطائف و مكة كي يرسلوا من قبلهم من يساعد جرير البجلي (رضي الله عنه) والعسيريين المسلمين هناك . أخيراً أرسل جيشاً عاماً من المدينة تحت قيادة المهاجر بن أبي أمية (رضي الله عنه) فسار عبر بلاد الطائف والباحة حتى التقى بالقوى المسلمة في مرتفعات عسير، ثم ساروا جميعا إلى بلاد قحطان ونجران وصعدة ، ونجحوا في هزيمة المرتدين في هذه البلاد ، وأعادتهم تحت مظلمة الخلافة الراشدة في المدينة [٢] .

وبعد القضاء على المرتدين في بلاد عسير وما حولها، بدأ الكثير من العسيريين يشاركون مع غيرهم في الذهاب إلى المدينة المنورة كي ينخرطوا في منظومة جيوش الفتوحات الإسلامية التي خرجت إلى بلاد الشام ومصر وإفريقيا والأندلس والعراق وفارس ، كما عمل البعض منهم على الاستقرار ونشر الإسلام في تلك البقاع الإسلامية الجديدة ، ثم المساهمة في الكثير من الأنشطة السياسية والحضارية المختلفة [٣] .

---

(١) الطبري ،جـ٢ ، ٢٣٠-٢٣٢، ٣١٨ وما بعدها.

(٢) الطبري،حـ٣، ٣٢٨ـ ٣٣٠،إبن خلدون ،حـ ٢، ٤٩١ . للمزيد انظر محمد بن أحمد العقيلي ، تاريخ المخلاف السليماني (الرياض:منشورات دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر ، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م)حـ١ ، ٧١ وما بعدها ، أحمد بن عمر الزيلعي ، الأوضاع السياسية والعلاقات الخارجية لمنطقة جازان (المخلاف السليماني)في العصور الإسلامية الوسيطة (الرياض:مطابع الفروق،١٤١٣هـ/١٩٩٢م)،٢٥ وما بعدها .

(٣) أبو عبد الله عمر الواقدي ، فتوح الشام (بيروت : دار الجيل ، د . ت) حـ١، ٢٠ وما بعدها ، عبد الرحمن الشجاع ، اليمن في صدر الإسلام (دمشق : دار الفكر ، ١٤٠٨هـ) ، ٢٧ وما بعدها ، ابن جريس ، دراسات ،حـ١ ، ٥٥ ـ ٩٠ .

وإذا بحثنا في أمهات المصادر المبكرة نجدها لا تفصح عن سير الأحداث التاريخية والحضارية في بلاد عسير ، أو مايعرف ب(مخلاف جرش قديما) ، وإنما نجد معلومات عامة عن بلاد تهامة والسراة، وربما أطلق اسم اليمن على كل ما هو جنوبي مكة المكرمة، وأحياناً يرد أسماء لبعض الأقاليم والمخاليف في هذه البلاد الواسعة [١] . وفي اعتقادي أن منطقة عسير لم يتبدل وضعها السياسي و الإداري خلال القرنين الأوليين للهجرة ، لاسيما بعد القضاء على حروب الردة، ثم دخولها تحت مظلة الخلافة الإسلامية في المدينة، ثم في الشام، والعراق . فكان الخليفة هو الذي يولي الأمراء وموظفي الدولة على الولايات، ولم تكن منطقة عسير ولاية مستقلة ،وإنما كانت تابعة إدارياً لوالي الحجاز ، أو مكة المكرمة ، وهذا الوالي هو الذي يعين من قبله من يتولى أحوال البلاد في كلٍ من عسير وما جاورها من البلدان [٢] .

---

(١) فيقال مثلاً :- مخلاف جرش ، أو تبالة و بيشة ، أو نجران وغيرها ، للمزيد انظر ، اليعقوبي ، كتاب البلدان ،٣١٤ وما بعدها ،ابن خرداذبه ، ١٣٣-١٣٩ ،ابن جريس ((بلاد تهامة والسراة كما وصفها الرحالة ...)) ، ٧٣ وما بعدها .

(٢) صالح أحمد العلي، " إدارة الحجاز في العهود الإسلامية الأولى " مجلة أبحاث ، مج ١-٤ (١٩٦٨م) ٣٢-٥٧. تقى الدين محمد الفاسي ، شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام ،(بيروت : دار الكتب العلميه ، د - ت)،جـ٢، ٢٦٢- ٢٦٥ .

Jacob Lassner " Provincial Administrion Under The Early Addasid : The Ruling Family and the Amsir of Iraq "Studia Islamic. 50(1979) 21- 35,J.Lassner "Provincial Administrion Under the Early Abbasid : Abu _ Jafar al-Mansur .and the Governore of the Haramayn " studia Islamica , 49 (1979) , 39 – 54 , S . B . samadi . " some Aspect of the theory of the state and Administration Under the Abbasids " Islamic Culture . 29 , No. 2 (1955) ,120–150, Hugh kennedy' 'Centeral Government and Provincal Elites in The Early Abbasid Calipate "Bulletin of the School of Oriental and African Studies 44(1981),26–38; Ghithan .A.Jrais,"The Governorship in the Hijaz During .The Early Abbasid period (132–232 A.H/749–846) Ages (مجلة العصور) ,7,part.I (1992),13– 21

ومن يقارن أوضاع عسير الإدارية والسياسية في عهد الخلفاء الراشدين (١١ - ٤٠ هـ / ٦٣٣ - ٦٦٠ م)، أو في عهدي خلفاء بني أمية وبني العباس (٤٠ - ٦٥٦ هـ / ٦٦٠ - ١٢٥٨ م) ، فإنه يجد أوضاعها في الفترة الأولى أفضل وأقوى لقربها من عاصمة الخلافة الإسلامية في المدينة ، وكذلك قربها من عصر الرسول(صلى الله عليه وسلم) (١) . أما أحوالها في عصور بني أمية وبني العباس ، فقد أصبحت جزءاً من ولاية الحجاز التي صارت ملئية بالفتن والثورات ، ضد الخلفاء الأمويين والعباسيين، بل أصبحت عسير وعموم بلاد جنوب الجزيرة العربية ميداناً للثورات السياسية والمذهبية ، كما صارت بيئة مناسبة للنزاعات والصراعات القبلية المتنوعة (٢) .

---

(١) كان يوجد في العسيريين من هاجر إلى المدينة وتعلموا في مدرسة الرسول (صلى الله عليه وسلم)ثم عادوا إلى أوطانهم كي ينشروا الإسلام بين أقوامهم ، ويسعوا إلى محاربة الرذيلة والحث على الفضائل وفعل الخيرات . وهذا من الأسباب التي جعلت أحوال عسير جيدة ومستقرة في عصر الرسول(صلى الله عليه وسلم) والخلفاء الراشدين .

(٢) نلاحظ اضطراب الأوضاع في الجزيرة العربية بعد خروج الخلافة الإسلامية من الحجاز إلى الكوفه ثم الشام ، فظهر الكثير من الثورات السياسية والقبلية في عصر بني أمية، ثم برز بعض الدويلات المستقلة السنية والشيعية في اليمن واليمامة خلال عصر بني العباس ، وهذا مما أثر على الوضع السياسي العام في عموم بلاد الجزيرة العربية ، فانتشرت الفوضى وفقد الأمن وتسلطت القبائل بعضها على بعض . للمزيد انظر ، الطبري ، جـ٣ ، ٣٢٠ وما بعدها ، عبد الله بن عبد العزيز البكري ، معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواقع ، تحقيق مصطفى السقاء(بيروت: عالم الكتب ،١٤٠٣هـ /١٩٨٣م) مج٢،جـ٣ ، ٩٦٢، جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام (بيروت: دارالعلم للملايين،١٩٧٠م)،جـ٤، ٥وما بعدها،جـ٥ ، ٢٥٣ وما بعدها، الجرافي،١٠٥-١٠٧،العقيلي، تاريخ جـ١، ٧١ وما بعدها ، الزيلعي ، الأوضاع السياسية، ١٢ وما بعدها .

ونجد الحسن الهمداني من أهل القرنين الثالث والرابع الهجريين (التاسع والعاشر الميلاديين) يحفظ لنا بعض المعلومات السياسية والحضارية عن أجزاء من منطقة عسير ،ونادراً ما نجدها في مصادر أخرى. فيذكر بعض النواحي في مرتفعات عسير ويشير إلى أسماء الأفخاذ والبطون التي تسكنها فيقول ؛ : "...**الرفيد بلد حصون و زروع لعنز... وسعيا، ويسكنها البشريون من الأ زد، وقد يقال :إنهم من بلحارث ثم يصلاها عنقة ، ويسكنها بنو عبد الله بن عامر من عنز ، ثم تندحة ، وهي : العين من أودية جرش ، وفيها أعناب وآبار، وساكنه بنو أسامة من الأ زد، ورأيت بعضهم ينجذب إلى شهران العريضة، والعيباء بلد مزارع لبني أبي عاصم من عنز ،ويليها وادي طلعان كثير المزارع لبني أسد من عنز والقرعاء لشيبة من عنز** " [١]

وأضاف الهمداني إلى ذلك قولة :" **فالرفيد يسكنه حازمة من عنز ، والعوص يسكنه بنو حديد من عنز ، والراكس يسكنه بنو غنم من عنز ، والعين يسكنه بنو العراص من عنز ، وتمنية يسكنها بنو مالك من عنز ، والمسقي لشيبة من عنز**" [٢] وهذه المواطن التي أشار إليها هذا الجغرافي القدير تقع ضمن حاضرة أبها اليوم ،بل إلى الجهات الجنوبية والشرقية من المدينة نفسها [٣] .

---

(١) الهمداني ،٢٥٧.

(٢) المصدر نفسه ، ٢٥٧.

(٣) لمزيد من التفصيلات عن مدينة أبها وما حولها ، انظر ، غيثان بن علي بن جريس ، أبها حاضرة عسير ، ٤ وما بعدها.

كما يذكر أسماء مواطن وبطون عديدة في الجزء الشمالي من منطقة عسير ، وبخاصة سروات الحجر بن الهنؤ الأزدي والتي حاضرتها مدينة النماص ، فيقول : " **بطون الأزد مما تتلو عنز إلى مكة منحدرا : الحجر باطنها التهمة ألمع ويرفي أبنا عثمان في أعالي حلى ، وعشم** (١) ، **وذاك قفر الحجر ، وتنومة والأشجان ، ونحيان ، ثم الجهوة : قرى بني ربيعة من الحجر ،وعاسرة العرق، وأيد ، وحضر، ووراءه قرى لبني ربيعة من أقصى الحجر أيضاً ، وحلباء قرية لبني مالك بن شهر قبيلة الحجر على هذا يمانية مصال لعنز ، ومن شآميها بلد الوس ، والفزع من خثعم ، وشرقها ماجاور بيشة من بلد خثعم ، وأكلب ، وغوريها بلد بارق** " (٢) .

وتحظى بلاد الحجر (بللحمر، وبللسمر، وبنو شهر، وبنو عمرو) من هذا العالم اليمني عناية جيدة فيذكر أسماء بعض القرى والمراكز الحضارية مثل : عبل ، وصبح ، وباحان ، وبني ثعلبة ، وبنى نازلة في سروات بللحمر، كما يواصل ذكر مراكز أخرى في سراة وتهامة بللسمر وبني شهر وبني عمرو فيذكر تنومة ، وسدوان ، والجهوة ، والأشجان، ونحيان، وساقين ،وخاط، والخضراء ، وحلباء،والعرق ،وأيد

---

(١) حلي وعشم كانتا من مخاليف تهامة القديمة ،وهي اليوم تقع ضمن منطقة القنفذة ،مع أنها كانت تتبع منطقة عسير خلال القرون الماضية المتأخرة . للمزيد انظر أحمد عمر الزيلعي ، "المواقع الإسلامية المندثرة في وادي حلي (ت٣-٩هـ/٩-١٥م" حوليات كلية الآداب،جامعة الكويت ،ع٧ (١٤٠٦هـ/١٩٧٦م) ، ١-٧٧، حسن إبراهيم الفقيه ، مخلاف عشم (الرياض:مطابع الفرزدق ،١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م) ،١٩، وما بعدها. .

(٢) الهمداني ، ٢٦٠-٢٦١،للمزيد أنظر ابن جريس ،((بلاد السراة من خلال كتاب صفة جزيرة العرب ...)) ، ٧٨ وما بعدها.

(صدريد) [١] ولايقتصر على ذكر أسماء هذه المواطن، لكنه يشيرإلى أسماء البطون والأفخاذ التي تقطنها ، بل يذكر أحياناً مساحاتها وعدد المنازل أو القرى التي توجد بها ، وما تتوفر في بعضها من زروع وآبار ومصادر إقتصادية أخرى [٢] . ومن رحلات الهمداني بين اليمن والحجاز ، نجده يذكر بعض الولايات المحلية المحدودة في منطقة عسير فيذ كرمدينة جرش وحكامها فيقول : " **جرش هي كورة نجد العليا ، وهي من ديار عنز ويسكنها، ويترأس فيها العواسج من أشراف حمير**" [٣] فدلنا ذلك أن العواسج الحميريين هم حكام جرش، ولكنه حينما سمى بلدة جرش كورة ،فإنه بعد ذلك سمى: الجهوة في سراة الحجر مدينة ،وجعلها أكبر من جرش ،إذ قال : " **الجهوة مدينه السراة أكبر من جرش** " [٤] ، وذكر حاكمها يومئذ بقوله: " **وصاحبها الجابر بن الضحاك الربعي من نصر بن ربيعة بن الحجر من بني أثلة رؤوس**

---

(١) الهمداني،٢٦١، لمزيد من التفصيلات عن هذه المواقع في بلاد الحجر وبخاصة مناطق بني شهر وبني عمرو ، انظر ، غيثان بن جريس ((بلاد بني شهر وبني عمرو خلال العصر الإسلامي الوسيط)) مجلة العرب ،ج٩-١٠،س٢٧(١٤١٣هـ /١٩٩٢م) ،٦٠٧-٦٢٤ ، انظر أيضاً كتاب : بلاد بني شهر (الطبعة الثانية) (١٤٢٩ هـ/ ٢٠٠٨ م) ص ٢٠ – ٤١ .

(٢) لقد قمت ببعض الجولات في هذه البلاد (منطقة عسير) فوجدت أن معظم المواطن التي أشار إليها الهمداني لازالت تحمل نفس الأسماء التي أوردها في مصنفه. وأوصى أن يقوم أحد الباحثين لدراسة كتب الهمداني ، وبخاصة ما ورد فيها عن بلاد تهامة والسراة الواقعة بين اليمن والحجاز،ونحن على يقين أن من يقوم بهذه الدراسة سوف يضيف جديداً للمكتبة العربية والإسلامية.

(٣) الهمداني ، ٢٥٥، لمزيد من الاطلاع على مخلاف جرش (عسير حاليا)، انظر ابن جريس ((تاريخ مخلاف جرش ٠٠٠))، ٦٣ ــ ٧٨ .

(٤) الهمداني ،٢٦١، انظر أيضاً ابن جريس ، بلاد بني شهر وبني عمر وخلال العصر الإسلامي الوسيط ، ص ٦٠٩ وما بعدها ، انظر : كتاب : بلاد بني شهر ، (ط٢) ص ٢١ وما بعدها .

بني نصر بن ربيعة بن شهر بن الحجر" [١] ، وفي سراة الحجر أيضا ذكر الهمداني موضعي :الأشجان، ونحيان ، ولكنه سمى الأول :ـ قرية ، والثاني وادياً، إذ قال:ـ " **ثم الأشجان قرية كبيرة ليس في السراة قريه أكبر منها بعد الجهوة** " [٢] ، وقال :- " **ثم نحيان واد مستقبل القبلة** " [٣] وذكر أن حاكميهما عندئذ هما :ـ " **علي بن الحصين العبدي من بني عبد بن عامر ، وابن عمه الحصين بن دحيم** " [٤] ، وأضاف إلى ذلك قولة " **ووراء الجهوة زنامة العرق وهي لجابر بن الضحاك** " [٥] وقال بعد ذلك " **ثم الباحة والخضراء : قريتان لمالك بن شهر** "[٦] وهذه الأسماء تمثل ولايات القرنين الثالث والرابع الهجريين (التاسع والعاشر الميلاديين)، وبخاصة : جرش ، والجهوة ، والأشجان ، ونحيان ، ويبدو أن هذه الإمارات الصغيرة لم تستمر ، إذ يقال بخراب جرش في أواخر القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي) نتيجة للحروب التي وقعت بين عنز بن وائل ، وبين أهل مدينة جرش من العواسج . [٧] وقيل سنة (٦٥٣هـ/١٢٥٥م) على يد قوات

---

(١) الهمداني ، ٢٦١.

(٢) المصدر نفسه .

(٣) المصدر نفسه.

(٤) المصدر نفسه، لمزيد من المعلومات عن هذه المواقع في بلاد بني شهر من منطقة عسير ، انظر ، ابن جـرس ((بلاد بني شهر وبني عمر و خلال العصر الإسلامي الوسيط)) ٦١١ وما بعدها ، انظر كتاب : بلاد بني شهر (ط ٢) ص ٢٢ وما بعدها .

(٥) الهمداني ،٢١٦.

(٦) المصدر نفسه .

(٧) هاشم النعمي ((عسير قبيلة وبلاداً)) مجلة العرب جـ ٣ـ٤ ، س ٢٧ (١٤١٢هـ/١٩٩٢م) ، ١٩٧، وللمزيد عن مخلاف جرش ، انظر ، ابن جريس ((تاريخ مخلاف جرش ...)) ،٦٥ وما بعدها .

صقر بن حسان اليزيدي [١] ولربما كان التاريخ الثاني أقرب للصواب ، لأننا نجد ذكراً لمدينة جرش ومخلافها في مصادر القرنين السادس والسابع الهجريين [٢] .

أما الجهوة في سراة الحجر فقد قيل بخرابها سنة (٨١٩هـ/ ١٤١٦م) " **عندما طرقت المنطقة جيوش الغز المماليك** " [٣] وقامت على أنقاضها مدينة النماص " **واتخذت مركزاً للمنطقة بعد تدمير مدينة الجهوة التي تقع إلى الشرق منها** " [٤] وربما أن مدن جرش ،والجهوة والأشجان وغيرها في منطقة عسير اختفت ،أو بدأت عليها علامات التدهور والانهيار ، إثر الوباء الشديد الذي وقع في بلاد السراة سنة (٥٩٧هـ/١٢٠٠م) والذي يشير إليها ابن كثير فيقول : " **وقع فيها وباء شديد ببلاد عنز بين الحجاز واليمن ، وكانوا عشرين قرية ، فبادت فيها ثمان عشرة لم يبق فيها ديار ولا نافخ نار ، وبقيت أنعامهم وأموالهم ولاقان لها ،ولا يستطيع أحد أن يسكن تلك**

---

(١) عبد الله أبو داهش، أهل السراة في القرون الإسلامية الوسيطة (٤٠٠ـــ١٢٠٠هـــ) (أبها : نادي أبها الأدبي ،١٤٢٢هـ/٢٠٠١م)،٧٢.

(٢) الإدريسي ، جـ١، ١٤٦، البكري ،معجم ،مج١، حـ١، ٣٧٦. جمال الدين أبو الفتح يوسف بن المجاور ، تاريخ المستبصر ، تحقيق أو سكر لو فغرين (ليدن :مطيعه بريل ،١٩٥١م)حـ١، ١٣،حـ٢، ١٢٦، للمزيد انظر، ابن جريس ،((تاريخ مخلاف جرش ٠٠٠))،١٠٨

(٣) أبو داهش ، أهل السراة ، ٧٢، وللمزيد من التفصيلات عن مدينة الجهوة قديما في منطقة النماص ، انظر ، هاشم بن سعيد النعمي ((مدينة الجهوة الأثرية في سراة الحجر)) مجلة العرب ،ج ١١ـــ١٢ س ٢١ (١٤٠٧هـ/١٩٨٧م)، ٧٣٨ـــ٧٤٦

(٤) النعمى ، المرجع نفسه ،٧٤٠ وما بعدها، وللمزيد من التفصيلات عن مدينة النماص في بلاد بني شهر ، انظر :- غيثان بن علي بن جريس ، القول المكتوب في تاريخ الجنوب (عسير أنموذجاً (الرياض:مطابع العبيكان ،١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م) ، ١٣٥-١٦٨ ، وكتاب : بلاد بني شهر (ط ٢) ص ٢٣٢ وما بعدها .

القرى ولا يدخلها ،بل كان من اقترب إلى شيء من هذه القرى هلك من ساعته نعوذ بالله من بأس الله ، وعذابه وغضبه وعقابه ... "(١).

ونجد بعض مصادر العصور الإسلامية الوسيطة تشير إلى ملامح الأحوال السياسية المحلية في سروات عسير وما جاورها شمالاً وجنوباً من السروات ، وبخاصة مشيخات القبيلة في هذه البلاد ، وما هي عليه من الاستقلال والفوضى والاستبداد. فهذا ابن المجاور في أوائل القرن السابع الهجري (الثالث عشر الميلادي) يصف أحوال هذه البلاد فيقول :

" يحكم على كل قرية شيخ من مشائخها ،كبير القدر ، والسن ، ذو عقل وفطنة ،فإذا حكم بأمر لم يشاركه ولا يخالفه أحد فيما يشيره عليهم ، ويحكمه فيهم ، وجميع من في هذه الأعمال لم يحكم عليهم سلطان ، ولا يؤدون خراجاً،ولا يسلمون قطعة ، إلا كل واحد منهم

---

(١) عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن كثير، البداية والنهاية (بيروت:مكتبة المعارف ، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م)،جـ١٣، ٢٦،للمزيد انظر ،ابن جريس ،دراسات في تاريخ تهامة والسراة ، حـ١، ٢٩٧. ونجد بعض الباحثين المتأخرين يذكرون إمارة آل يزيد في عسير والتي يعود أصولها إلى بني أمية ، ويشيرون إلى امتداد نفوذها في مناطق واسعة من بلاد تهامة والسراة ،كما يؤكدون على ظهور هذه الإمارة منذ القرن الثاني للهجرة وامتدادها عبر مر القرون الإسلامية المبكرة والوسيطة ، وعندما نعود إلى المصادر التاريخية الحولية والمحلية المعروفة ،والتي تعرضت وأشارت إلى تاريخ نواحي عديدة في الجزيرة العربية، فإننا لا نجد ذكراً لهذه الإمارة اليزيدية الأموية ،وهذا مما جعلنا حائرين غير واثقين بما ورد في هذه الدراسات المتأخرة التي أسهبت الحديث في تاريخ هذه الإمارة اليزيدية الأموية في منطقة عسير .لمزيد من التفصيلات انظر ،شعيب بن عبد الحميد بن سالم الدوسري ، إمتاع السامر بتكلمة متعة الناظر (القاهرة : دار النصر للطباعة والنشر ،١٩٨٧م) ٧ وما بعدها ، محمود شاكر، عسير (بيروت:المكتب الإسلامي ،١٤٠١هـ/١٩٨١م)، ١٢١ وما بعدها.

مع هوى نفسه ، بهذا لا يزال القتال دأبهم ،ويتغلب بعضهم على مال بعض ، ويضرب قرابة زيد على أموال عمرو، وهم طوال الدهر على هذا الفن ... وهم في دعة الله وأمانه ، وهم فخوذ يرجعون إلى قحطان وغيرهم من الأنساب " [١].

وقال أيضاً : " **فأما السرو فإنهم قبائل وفخوذ من العرب ليس يحكم عليهم سلطان ،بل مشائخ منهم وفيهم وهم بطون متفرقون** " [٢] .

ومن يستقرئ تاريخ بلاد عسير، ومما سمعنا من الرواة الأوائل يرى صحة أقوال ابن المجاور ،فأعيان القبائل وشيوخها كانوا القوة الرئيسة الحاكمة التي تدير شؤون أفراد قبائلها دون الرجوع إلى حكومة رسمية تتولى أمور البلاد عنهم .وقد بقي هذا الوضع سائداً حتى جاءت حكومة الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل في العصر الحديث فحلت المؤسسات الحكومية محل مشيخات القبائل ، وصار عموم الناس يحتكمون إلى المؤسسات الإدارية الرسمية [٣].

ويستمر ابن المجاور يصف طبيعة سروات عسير حتى الطائف فيقول :-

---

(١) ابن المجاور ،حـ١، ٢٧

(٢) المصدر نفسه حـ١، ٢٦.

(٣) لمزيد من التفصيلات عن قيام المؤسسات الإدارية الحديثة في عهد الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل ، انظر ، عبد الله محمد الشهيل ، فترة تأسيس الدولة السعودية المعاصرة (١٣٣٣-١٣٥١هـ/١٩١٥-١٩٣٢م دراسة تاريخيه تحليلية) (الرياض : دار الوطن ،١٩٨٤م)، ٣٨ وما بعدها ، غيثان بن علي بن جريس . عسير في عصر الملك عبد العزيز (دراسة تاريخية للحياة الإدارية والاقتصادية) (جدة :دار البلاد للطباعة والنشر ،١٤٢٠هـ/١٩٩١م)، ١٩ وما بعدها.

" **جميع هذه الأعمال قرى متقاربة بعضها من بعض في الكبر والصغر ، وكل قرية منها مقيمة بأهلها ، كل فخذ من فخوذ العرب ، وبطن من بطون البدو في قرية ، ومن جورهم لا يشاركهم في نزلها وسكنها أحد سواهم ، وقد بني في كل قرية قصر من حجر وجص ، وكل من هؤلاء ساكن في القرية له مخزن في القصر ، يخزن في المخزن جميع ما يكون له من حوزه وملكه ، وما يؤخذ منه إلا قوت يوم بيوم ، ويكون أهل القرية محتاطين بالقصر من أربع ترابيعة** "[(١)].

وهذه البلاد العسيرية وما جاورها من السروات يراها المشاهد حتى اليوم مزدحمة بالقرى المتقاربة والحصون المتنوعة في أحجامها ومساحاتها وأهداف عمرانها [(٢)] ، وكما قال ابن المجاور " **فيها من الأمم ، والبلاد والمدن ، والقرى ما لا يعد ولا يحصى ، ولا تحويه أقلام الدواوين...** " [(٣)]. ويصف ابن جبير عام (٥٧٩هـ/١١٨٣م) أهالي سروات عسير حتى الطائف فيقول: " **لا ملبس لهم سوى أزر وسخة أو جلود يستترون بها ، وهم مع ذلك أهل باس ونجدة ،لهم القسي العربية الكبار كأنها قسي القطانين لا تفارقهم في أسفارهم** " [(٤)] . وأشار إليهم في هذا الجانب ابن

---

(١) ابن المجاور ، جـ١ ، ٢٧ .

(٢) لمزيد من التفصيلات عن أحوال القرى والهجر والمنازل وأنواع العمارة في منطقة عسير، انظر ، غيثان بن علي بن جريس ، عسير دراسة تاريخية في الحياة الاجتماعية و الاقتصادية (١١٠٠-١٤٠٠هـ/١٦٨٨-١٩٨٠م) (جدة:دار البلاد للطباعة النشر ،١٤١٥هـ/١٩٩٤م)،٣٧ وما بعدها.

(٣) ابن المجاور ، جـ١ ، ٣٨ .

(٤) محمد بن أحمد بن جبير ، رحلة ابن جبير (بيروت :دار صادر ،د.ت)، ١١٢.

بطوطة في القرن الثامن الهجري (الرابع عشر الميلادي) فقال : " **هم شجعان أنجاد لباسهم الجلود ، وإذا وردوا مكة هابت أعراب الطريق مقدمهم ، وتجنبوا اعتراضهم**"[١] ، ثم قال : " **ومن صحبهم من الزوار حمد صحبتهم** " [٢] لما يمتازون به من الصدق والأمانة وحسن الصحبة .

كما وصف الهمداني أهل سروات قحطان وشهران وعسير (جنب، وعنز، والحجر) حتى الطائف بالفصاحة ، فقال : " **ثم الفصاحة من العرض في وادعة فجنب، فيام فزبيد ... فأرض سنحان، فأرض نهد، وبني أسامة ، فعنز ، فخثعم ، فهلال ، فعامر بن ربيعة ، فسراة الحجر ...** " [٣] ويشير هذه الجغرافي إلى الفصاحة عند بعض بطون وقبائل الجزيرة العربية ، ويذكر مستوى كل عشيرة أو قبيلة ، لكنه عندما يأتي إلى الحديث عن سروات عسير ، يذكر أن الفصاحة فيهم[٤] ، ثم يشير إلى " **أن أسافل سروات هذه القبائل ... دون أعاليها في الفصاحة** "[٥]، ولقد أصاب من قال: " **أفصح الناس أهل السروات** " [٦] ،

---

(١) أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن بطوطة ، رحلة ابن بطوطة ،المسماة تحفة النظار في غرائب الأسفار ، تحقيق علي المنتصر الكتاني (بيروت:مؤسسة الرسالة ، ١٤٠٥هـ /١٩٨٥م) جـ١، ١٥٢.

(٢) المصدر نفسه، جـ١ ،١٥٢ ،لمزيد من الإيضاح عن كثير من أوصاف وعادات وتقاليد أهل عسير انظر ، ابن جريس ، عسير(١١٠٠-١٤٠٠هـ)، ٧٤ وما بعدها.

(٣) الهمداني ، ٢٧٩.

(٤) المصدر نفسه.

(٥) المصدر نفسه.

(٦) عبد الرحمن بن زبن المرشدي ((غامد وزهران وبنو عمرو ((مجلة العرب ، ج ٣-٤، س٣٠ (١٤١٥هـ / ١٩٩٥م) ،٢٢٣، أبو داهش ، أهل السراة ، ٩١.

وربما ساعد أهل سروات عسير وما جاورها على ثباتهم في لغتهم أن جبالهم كانت " **أحصن الجبال للدفاع ، ورجالها من صفوة العرب** " [١] ، حيث احتفظ ساكنوها بفصاحتهم لصعوبة أرضهم وقلة الواصلين إليها . [٢] ولقد امتدح ابن جبير لغتهم حينما شاهد رجالاً منهم في موسم الحج ، فقال : " **والقوم عرب صرحاء فصحاء ... لم تغزهم الرقة الحضرية ولا هذبتهم السيرة المدنية** " [٣] وقال : " **أما فصاحتهم فبديعة جداً** " [٤] .

ونجد بعض ملامح حياة العسيريين في شئ من مظاهر حياتهم الحضرية، إذ هم أصحاب رعي ، وزراعة ، وصناعات يدوية، وتجارة . فقد عملوا في مهنة الرعي والاشتغال بها،فالهمداني يذكر بعض مواطن الرعي فيقول: " **والصحن مراع لبني شهر** " [٥] وأشار إلى سراة الحجر فقال : " **في غربيها البقر وأهل الصيد ، وشرقيها من نجد أهل الغنم**

---

(١) إبراهيم بن عبيد أل عبد المحسن ، تذكرة أولي النهي والعرفان (الرياض: مطابع مؤسسة النـور ، د.ت)،حـ٣، ٢١،٢٠، أبو داهش ، أهل السراة ،٩١.

(٢) محمد بن أحمد العقيلي ، نجران في أطوار التاريخ (جدة : دار البلاد)١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م) ، ٥٤.

(٣) ابن جبير ،١١١.

(٤) المصدر نفسه ، ١١٣. من خلال جولاتي في مناطق عسير ، وجازان، والباحة ،والطائف لمدة تزيد عن ربع قرن لاحظت أهل هذه البلاد لازالوا يتكلمون مفردات وعبارات فصيحة وردت في القران الكريم ، وكتب الحديث ، والمعاجم اللغوية . ولو ظهر بعض طلاب الدراسات العليا في جامعاتنـا بدراسة الألفاظ المحلية في هذه الأوطان وإرجاعها إلى أصولها العربية ، فإنه بلا شك سوف يخرج لنا كم كبير من المفردات ذات الأصول العربية الأصيلة.

(٥) الهمداني ٢٦٢.

والإبل " [١] ولقد اشتهر مخلاف جرش بكثرة الإبل والأبقار والأغنام حتى أن الرسول ﷺ حمى لأهل جرش حمى حول بلدتهم [٢] .

أما الزراعة فتكاد تكون من المهن الرئيسة عند العسيريين ، فالهمداني يشير إلى الزراعة بقوله : "... **ثم تندحة وهي العين من أودية جرش ، وفيها أعناب وآبار** " [٣] ، ومن أهم ثمار مخلاف جرش،(عسير حالياً) الزبيب والتمر والدليل على ذلك أن الرسول ﷺ نهى أهل جرش عن خلط الزبيب بالتمر [٤] ، ويعد العنب الجرشي من أجود أصناف العنب ، وقد أثنى على جودته المؤلفون الأوائل ، أمثال : الأصمعي فقال : " **فأما الجرشي فأبيض صغار الحب أول العنب إدراكاً** " [٥] و يشير ابن منظور إلى العنب الجرشي أيضاً فيقول : ضرب من العنب أبيض إلى

---

(١) المصدر نفسه.

(٢) شهاب الدين ياقوت، معجم البلدان (بيروت :دار صادر ،١٤٠٤هـ/١٩٨٤م)،حـ٢، ١٢٦،جمال الدين أبو الفضل بن منظور،لسان العرب ،تنسيق وتعليق علي شيرى (بيروت :دار إحياء التراث العربي ، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م)، حـ٢، ٢٥٠، صالح العلي "الحمى ...))، ٥٧٧ وما بعدها، حميد الله ، ٢٨٩-٢٩٠. ومن يتجول في منطقة عسير السروية والتهامية ،وكذلك الصحراء الشرقية يلاحظ وجود الجبال والأودية ، ذات الغطاء النباتي الجيد والصالح لرعي المواشي والبهائم بأنواعها ، بل إن عموم أهل عسير كانوا يمارسون الرعي إلى أواخر القرن الرابع عشر الهجري (العشرين الميلادي) (الباحث).

(٣) الهمداني ،٢٥٧.

(٤) أحمد بن حنبل .مسند الإمام أحمد بن حنبل (بيروت :المكتب الإسلامي ،١٣٩٨هـ)،حـ١، ٢٢٤، ابن جريس ، دراسات في تاريخ تهامة والسراة ،حـ١، ١٠٩، ١٢٤.

(٥) عبد الملك بن قريب الأصمعي ،كتاب النخل والكرم ،نشرة الأب لويس شيخو اليسوعي (بيروت :المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين ،١٩١٤م)،٧٥.

الخضرة رقيق صغير الحب " (١) ويتفق البكري والإدريسي مع ابن منظور والأصمعي على جودة عنب جرش (٢)

ويشير الهمداني إلى الزراعة بسروات الحجر في عسير فيقول : " **وبسراة الحجر :البر ،والشعير ، والبلسن ،والعتر ، واللوبياء ، واللوز ، والتفاح ، والخوخ ،والكمثرى ، والأجاص والعسل** " (٣) وقال أيضاً " **وبخاط نخلات** " (٤) وفي نحيان " **التفاح ،واللوز ، والثمار** " (٥). كما يشير ابن بطوطة إلى بلاد السراة الممتدة من الطائف حتى أبها في عسير فيصفها : "**مخصبة كثيرة الأعناب وافرة الغلات** " (٦) كما يؤكد الإدريسي على كثرة النخيل في بلاد جرش وما حولها (٧) .

أما المهن والحرف الصناعية . بمنطقة عسير (مخلاف جرش قديماً) فهي متعددة ، ونجد بعض المصادر التاريخية المبكرة تذكر بعضها ، فكتاب الرسول (صلى الله عليه وسلم) إلى أهل جرش في عدم خلط الزبيب مع التمر يدل على أنهم كانوا يجمعون هذين النوعين

---

(١) ابن منظور حـ٢ ، ٢٥٠، جواد على ،حـ٧ ، ٧٣.

(٢) البكري ،مج١،حـ١ ، ٣٧٦، الإدريسي ،حـ١ ، ١٤٦.

(٣) الهمداني ٢٦٢.

(٤) المصدر نفسه.

(٥) المصدر نفسه ،٢٦١.

(٦) ابن بطوطة ، حـ١، ١٨٣.

(٧) الإدريسي ،حـ١ ،١٤٦. والمشاهد لأجزاء عديدة من بلاد شهران وقحطان وعسير اليوم ، والتي كان يشملها مخلا ف جرش قديماً يجدها تحتوي على مؤهلات اقتصادية عديدة ، مما ساعد أهلها على ممارسة الكثير من النشاطات التجارية والزراعية والصناعية المختلفة . (مشاهدات الباحث).

ثم يعصرونهما فيخرج لهم شراب النبيذ أو نوع من أنواع الخمور ، ولهذا فالرسول ﷺ نهاهم عن تلك المهنة [١]. كما ازدهرت دباغة الجلود وخرازتها في مخلاف جرش [٢]، ومما ساعد في نشاط هذه المهنة هو توفر المواد الخام المتمثلة في جلود المواشي ، ومواد التصنيع ، بالإضافة إلى وفرة أشجار القرظ الذي يعتبر من أفضل المواد المستخدمة في الدباغة [٣]. وقد اشتهر الأديم الجرشي حتى صار يصدر إلى خارج الجزيرة العربية [٤].

ومن الصناعات الحربية التي اشتهر بها مخلاف جرش (عسير) صناعة الدبابات والمجانيق والعرادات . والدبابات التي كانوا يصنعونها عبارة عن آلة من مادة الخشب مغطاة بجلود البقر يدخل فيها الرجل ، ويقربونها من الحصن المحاصر لينقبوه ، وهي تقيهم مما يرمى عليهم من حجارة [٥]. أما المجانيق والعرادات فهي من الآت الحصار التي ترمى بواسطتها الحجارة الثقيلة على الأسوار [٦].

---

(١) ابن حنبل، حـ١، ٢٢٤، ابن جريس ،دراسات ،حـ١، ١٠٩، حميد الله، ٢٩٠.

(٢) ابن المجاور ، جـ١، ١٣.

(٣) أحمد فاروق "دباغة الجلود وتجارتها عند العرب في مستهل الإسلام " مجلة العرب ، جـ٧-٨ (١٣٩٦هـ /١٩٧٦م) ، ٥٣٨ وبعدها ، أحمد عمر الزيلعي ، مكة وعلاقاتها الخارجية (٣٠١–٤٨٧هـ) (لرياض:عمادة شؤون المكتبات جامعة الرياض، ١٤٠١هـ ٤٧٨هـ)،١٨٩-١٩١.

(٤) ياقوت ،جـ٢، ١٢٦،جواد علي ،جـ٧، ٥٨٧،الزيلعي، مكة ، ١٨٩ -١٩١.

(٥) ابن منظور ،جـ٤، ٢٧٧.

(٦) المصدر نفسه ،جـ٩، ١٢٣.

ويذكر أن الأغنياء من أهل مكة المكرمة والطائف وغيرهم من حواضر شبه الجزيرة العربية كانوا يذهبون إلى بلاد جرش ليتعلموا بعض الصناعات الحربية ، قصد حماية أنفسهم وأموالهم ، وممن ذهب إلى هناك أيام الرسول ﷺ عروة بن مسعود الثقفي ، وغيلان بن سلمة اللذان سارا إلى جرش وأقاما فيها يتعلمان صناعة العرادات والدبابات أثناء محاصرة الرسول ﷺ لمدينة الطائف .[١] وهذه الرواية وغيرها من الروايات تؤكد ما كانت تحتله جرش (عسير) من مكانة مهنية ، خاصة في المهن الحربية [٢] .

أما الحياة التجارية في عسير فلم تكن أقل من غيرها من الأعمال الأخرى ، ولولا نشاطها التجاري لما راجت فيها الصناعات ذات الإنتاج الحيواني ، والمنتوجات الزراعية التي كانت تفيض عن الحاجة وتصدر إلى أسواق الحواضر الكبرى في اليمن والحجاز ، ونجد مؤلفو العصور الإسلامية الوسيطة يفصحون عن صادرات سروات عسير وما جاورها إلى أسواق الحجاز ، فابن جبير يشير إلى تصديرهم الكثير من الأطعمة والحبوب إلى أسواق مكة ، ثم مقايضتها مع سلع أخرى يحتاجونها في أوطانهم [٣] .

---

(١) ابن هشام ،جـ٤، ١٢١ ،الطبري ،جـ٣ ، ٨١ -٨٢ ،ابن جريس ، دراسات ،حـ١ ، ١١١، ١٢٦.

(٢) كانت منطقة عسير مليئة بالحرف والمهن اليدوية المتنوعة كالنجارة ، والخياطة والصباغة ، والتعدين والصياغة ، وحرف كثيرة يصعب حصرها في هذا المقام ، للمزيد انظر ، ابن جريس ، عسير (١١٠٠ - ١٤٠٠ هـ) ، ١٤٧ وما بعدها .

(٣) ابن جبير ، ١١٠-١١١.

كما يذكر ابن بطوطة رخص الأسعار في أسواق الحجاز عندما يأتي إليها أهالي سروات الطائف حتى عسير بسلعهم المختلفة مثل : الحبوب ، والسمن ، والعسل ، والزبيب ، والزيت ،واللوز [١]، كما يصف أحوال أهل مكة الاقتصادية بسبب وفادة هؤلاء السرويين إليهم فيقول : " **فيرغد عيش أهلها ،وتعمهم المرافق** " [٢]، وأضاف ابن المجاور إلى ذلك قولة " **فإذا دخلوا مكة- يقصد أهل السراة من الطائف إلى أبها – ملاؤها خبزاً من:الحنطة، والشعير ، والسويق ، والسمن ، والعسل ، والذرة ، والدخن ، واللوز ، والزبيب، وما شابه ذلك ...** " [٣].

ومما زاد في النشاط التجاري لمخلاف جرش (عسير) قربه من الطريق التجاري الذي كان يأتي من صنعاء ماراً بشرق مخلاف جرش

---

(١) ابن بطوطة ، حـ١، ١٥٢.

(٢) ابن بطوطة ، جـ ١ ، ١٥٢ ..

(٣) ابن المجاور ،حـ١، ٢٧. وتذكر بعض الدراسات الحديثة في القرن الهجري الماضي تعليقات جيدة على ما ذكر ابن جبير وابن بطوطة وابن المجاور عن أهل السراة من الطائف حتى نجران ، فيقول صاحب الدراسة ((وجبال السراة معروفة ، وسكانها معروفون ، وكثير منهم من قبائل زهران ، وغامد ، وعسير ، وقحطان وغيرهم ، ومنهم أهل منطقة الباحة ، ومنطقة أبها ، وقد شاهدنا في العقد السابع من هذا القرن –يقصد الرابع عشر الهجري – إتيانهم بالميرة من بلادهم إلى : مكة ، والطائف وقوافلهم من الإبل . وكان من هذه الميرة الشيء الكثير من القمح الممتاز)) . للمزيد انظر ، عبد القدوس الأنصاري ،مع ابن جبير في رحلته (م . ن : المطابع العربية الحديثة ، ١٣٩٦هـ/١٩٧٦م)، ١٩٧، ١٩٨.

حتى بيشة ثم الطائف ثم مكة المكرمة [١]، ومن المؤكد أن القوافل التجارية كانت تعرج على مخلاف جرش طلباً للراحة والتزود من سلعها كالحبوب والعنب ،وبعض الصناعات الجلدية ،وبعض المواشي كالإبل وغيرها ، وهذه السلع جميعها في أسواق جرش [٢].

---

(١) لمزيد من التفصيلات عن محطات الطريق التجاري الذي يربط الحجاز باليمن عبر عسير ، انظر ، ابن خرداذبة ، ١٣٤-١٣٦، الهمداني ، ٣٣٨- ٣٤٠، الإدريسي ،جـ١، ١٤٤-١٤٩، المقدسي ، ٨٤ وما بعدها ، الزيلعي ، مكة ، ١٥٥ وما بعدها ، ابن جريس ، دراسات ، جـ ١ ، ص ٣٤٧ وما بعدها .

(٢) لم تكن الطرق التي تخرج من اليمن إلى بيشة حتى الطائف ومكة هي الوحيدة التي تجتاز منطقة عسير ، وإنما كان هناك طرق أخرى ، إحداها تأتي على قمم السروات من بلاد قحطان حتى أنها ثم تواصل شمالاً عبر سروات الحجر وغامد و زهران حتى الطائف . وقد تتفرع هذه الطرق من شمال أبها إلى فرعين ، أحدهما يواصل سيرة عبر السروات إلى الطائف ، والأخر ينحدر غرباً من سروات أبها إلى محائل ثم يواصل سيره حتى يلتقي بالطريق الساحلي الذي يربط جازان بمكة المكرمة . ويوجد هناك طرقاً صغيرة تربط بين الأجزاء التهامية والسروية تسمى (عقبات) ومفردها (عقبة) . وهناك طرق تنحدر من أعالي السروات شرقاً حتى تصل إلى تثليث وبيشة ورنية والخرمة وتربة عند سفوح جبال السروات من الشرق . كما أن جميع هذه الطرق لا تخلو من المحطات التجارية التي تقام فيها الأسواق الأسبوعية وأحياناً الموسمية . كما توجد أسواق أخرى عديدة في قرى وهجر وحواضر منطقة عسير السروية والتهامية . لمزيد من التفصيلات عن الحياة التجارية في بلاد تهامة والسراة بين اليمن والحجاز في العصور الإسلامية المبكرة والوسيطة . وكذلك في منطقة عسير في القرون الماضية المتأخرة ، انظر ، ابن جريس ،عسير ١١٠٠-١٤٠٠هـ ، ص ١٦٣ - ١٨٧) ،للمؤلف نفسه ((ملامح النشاط التجاري لبلاد تهامة والسراة في العصور الإسلامية الوسيطة ((ندوة اتحاد المؤرخين العرب بالقاهرة (٢٥-٢٧/٨/١٤٢١هـ الموافق ٢١-٢٣/١١/٢٠٠٠م، نشر هذا البحث ضمن أعمال الندوة في كتاب : طرق التجارة العالمية عبر العالم العربي على مر عصور التاريخ ، حصاد رقم (٨) (١٤٢١هـ/٢٠٠٠م)، ١٥٧-٢٢٢.

وخلاصة القول : إن إقليم عسير (مخلاف جرش قديماً) كان يمثل حلقة وصل رئيسة بين اليمن والحجاز ، لما يتوفر به من مؤهلات بشرية واقتصادية واجتماعية تجعله يؤثر ويتأثر بما حوله ، مع أن اختلاف تضاريسه من مرتفعات ومنخفضات جعلته إلى حد ما في معزل عن القوى السياسية والإدارية في كل من اليمن والحجاز ، وبخاصة في العصر الإسلامي الوسيط ، فكانت القبيلة هي القوة السياسية التي تحكم أوطانها ، وإن اتصلت ببعض القوى الرئيسة في الحجاز ، أو في بلاط الخلفاء الأمويين أو العباسيين ، فإن ذلك لا يتجاوز فقط الاعتراف بشرعية الخلافة أو الإمارة دون الالتزام بأي تبعات سياسية أو إدارية أو مالية تفرضها السلطة المركزية على هذا الإقليم .



الدراسة السابعة

التطور التاريخي لمنطقة نجران خلال العصور الإسلامية المبكرة والوسيطة (*)

إعداد

أ . د. غيثان بن علي بن جريس

(*) هذه الدراسة الخاصة بمنطقة نجران ، نشرت لأول مرة في موسوعة المملكة العربية السعودية (المحور التاريخي) ، مج (١٥) . مكتبة الملك عبد العزيز العامة (الرياض ، ١٤٣١ هـ/ ٢٠١٠ م).

محتويات الدراسة السابعة

م	العنوان	أرقام الصفحات
أولاً	أصل التسمية	٣٠١
ثانياً	تاريخ نجران في العهد النبوي .	٣٠٣
ثالثاً	تاريخ نجران في العهد الراشدي	٣٢٧
رابعاً	العهدان الأموي والعباسي وما بعدهما :	٣٤٥
	١- الوضع السياسي بعد العهد الراشدي حتى القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي :	٣٤٥
	٢- أحوال نجران السياسية منذ القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي	٣٥٢

أولاً- أصل التسمية :

إن تسمية بلاد نجران تعود إلى شقيْن : شق لغوي ، وآخر نسبي. فالنّجْرُ في اللغة هو القطع فيقال : نجر النجار ، أي قطع العود ونجره. ويقال : النَّجْرُ عمل النجار ونحته ، والنَّجْرُ أيضاً هو نحت الخشبة ، ونجارة العود ، وما أنتجت منه عند النجر ، والنجار صاحب النجر وحرفته النجارة[١].

والنجران : هو الخشبة التي تدور فيها رجل الباب[٢] فيقول الشاعر :

صَبَبْتُ الماء في النَّجرانِ صَبّاً تَرَكْتُ البابَ ليس له صريرُ[٣]

ويقول ياقوت الحموي : إن النجران : هو خشبة يدور عليها رتاج الباب[٤] ويدلل على ذلك شعراً فيذكر البيت التالي :

وصَبْتُ الباب في النَّجرانِ حتى تَرَكْتُ البابَ ليس له صريرُ[٥]

والمقصود بالرتاج ، أي الإغلاق ، فيقول ارتج الباب أي أغلقه إغلاقاً وثيقاً ، وأنشد الشاعر قوله :

---

(١) جمال الدين أبوالفضل بن منظور، لسان العرب، نسقه وعلق عليه ووضع فهارسه : علي شيري، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤٠٨ هـ/ ١٩٨٨م)، جـ ١٤، ٥١.

(٢) المرجع السابق.

(٣) المرجع السابق.

(٤) ياقوت بن عبدالله الحموي، معجم البلدان، (بيروت: دار صادر، ١٤٠٤ هـ/ ١٩٨٤م)، جـ ٥، ٢٦٦.

(٥) المرجع السابق.

ألم تَرَني عاهدْتُ ربي وإنني ‏ لَبيْن رِتاجٍ مُقْفَلٍ ومَقام[١]

وفي الحديث: إن أبواب السماء تفتح ولا تُرْتَجُ، أي تغلق، وفي الحديث أيضاً: جعل ماله في رتاج الكعبة، أي فيها، فكني عنها بالباب [٢].

أما تسمية نجران النسبية فتعود إلى نجران بن زيدان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان، لأنه كان أول من عمرها ونزلها، وإنما صار إلى موضع نجران؛ لأنه رأى رؤيا فهالته فخرج حتى انتهى إلى وادٍ فنزل به فسمي نجران به[٣]، وفي رواية أخرى ورد اسم نجران بن زيد بن سبأ [٤]. وهكذا نجد أن تسمية نجران سواء لغوياً أو نسبياً تكاد تكون مكملة بعضها لبعض، فإذا قلنا إن النجران خشبة تدور (أو) يدور عليها رجل الباب (أو) رتاجه، فهذا صحيح لأن موقع نجران تُعدُّ فعلاً شبيهة بالخشبة التي تدور عليها رجل الباب، وذلك لأهمية موقعها الذي تحتله، وهذا الذي أكسبها ميزة مهمة جعلتها محط التقاء القوافل التجارية بين اليمن والحجاز وأطراف شبه الجزيرة العربية الأخرى، كما أن موقعها أيضاً أكسبها قوة اقتصادية

---

(١) ابن منظور، جمال الدين. لسان العرب، مرجع سابق، جـ ٥، ١٣٠.

(٢) المرجع السابق.

(٣) الحموي، ياقوت، معجم البلدان، دار صادر، مرجع سابق، جـ ٥، ٢٦٦.

(٤) المرجع السابق؛ ولمزيد من التفصيلات عن فروع قبائل اليمن قبل الإسلام بما فيهم أولاد زيد بن سبأ بن يشجب بن يعرب. انظر: عبدالملك بن قريب الأصمعي، تاريخ العرب قبل الإسلام، تحقيق: الشيخ محمد حسن آل ياسين، (بغداد: مطبعة دار المعارف، منشورات المكتبة العامة، ١٣٧٩هـ/ ١٩٥٩م)، ٥٦ وما بعدها.

نتيجة لتنوع محصولاتها الزراعية، ولأن سوقها التجارية تأتي ضمن الأسواق النشطة والمهمة في شبه الجزيرة، وإذا نظرنا إلى الشق النسبي من الاسم نجده جاء أيضاً مكملاً للشق اللغوي حيث صارت المنطقة ملتقى لعدد من القبائل العربية التي نزلتها واستقرت بها منذ أن انتجعها نجران بن زيد (زيدان) بن سبأ، فعرفت المنطقة باسمه لكونه أسهم باستقراره في هذا الوادي في اجتماع هذه القبائل هناك وأسهم - بالتالي - في نهضتها الحضارية.

ثانياً- العهد النبوي:

في أعقاب الهدنة التي عقدها رسول الله ﷺ مع قريش أثناء صلح الحديبية [1]، أخذ يبعث سفراءه إلى الأمصار في الشرق والغرب وإلى الشمال والجنوب يدعوهم إلى الإسلام [2]، ومن هذه الأمصار التي بعث إليها، مدينة نجران، ففي سنة ١٠هـ (٦٣١م) بعث إلى نجران سرية بقيادة خالد بن الوليد قوامها (٤٠٠) رجل، في ربيع الآخر من السنة المذكورة، وكانت السيادة بنجران بيد بني الحارث بن كعب [3].

---

(١) للمزيد عن صلح الحديبية، انظر: عبدالملك بن هشام، السيرة النبوية، تحقيق: مصطفى السقا وآخرين، (بيروت: دار القلم، د. ت)، جـ ٣، ٣٢١ ـــ ٣٢٩؛ محمد بن عمر الواقدي، كتاب المغازي، تحقيق: مارسدن جونس، (بيروت: عالم الكتب، ١٩٦٥م)، جـ ٢، ٥٧١ ـــ ٥٧٣.

(٢) عن سفارات الرسول ﷺ وكتبه إلى ملوك وأمراء الأمصار والمناطق المجاورة انظر: محمد حميد الله، مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة، (بيروت: دار النفائس، ١٤٠٥ هـ/ ١٩٨٥م)، ١٣٥ وما بعدها.

(٣) علي، جواد. المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام. ط٣، (بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٧٨م)، مرجع سابق، جـ ٤، ١٨٨، ١٨٩.

وقد أوصى خالداً بأن يقيم بينهم ثلاثة أيام يدعوهم إلى الإسلام فإن أجابوا أقاموا بينهم ليعلموهم أساسيات ما جاء به الإسلام من تعاليم، مثل: التوحيد والصلاة والصيام، كما جاء في الكتاب والسنة وإن لم يجيبوا حاربهم[١].

وقد وصلت سرية خالد إلى نجران، وصنع معهم كما أمره رسول الله ﷺ، فآمنوا، ولا سيما بنو الحارث بن كعب، وتبعتهم القبائل الأخرى، إلا النصارى فإنهم ظلوا على ديانتهم، وأقام المسلمون بينهم يعلمونهم الإسلام وشرائعه، وأخذوا الصدقات من أغنيائهم وردوها على فقرائهم[٢].

كان بنو الحارث بن كعب قد دخلوا في الإسلام، وكانوا قبل ذلك عازمين على القتال وأعدُّوا له العدة، فلماذا هذا التغير في الموقف. ونرى أن السبب في ذلك يعود لعاملين رئيسين. الأول سياسي، فالدولة الإسلامية في هذه الفترة التي نتحدث عنها، وهي السنة العاشرة للهجرة، قد أصبحت قوة مرهوبة الجانب ولا سيما بعد فتح مكة والقضاء على قريش، فوجد أهل نجران أن من العبث محاربة المسلمين، فدخلوا الإسلام حقناً لدمائهم.

---

(١) خليفة بن خياط، تاريخ خليفة بن خياط، تحقيق: أكرم ضياء العمري، (الرياض: دار طيبة، ١٤٠٥ هـ/ ١٩٨٥م)، ٩٤؛ أحمد بن يحيى البلاذري، أنساب الأشراف، تحقيق: محمد حميد الله، (القاهرة: معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية بالاشتراك مع دار المعارف، د. ت)، جـ ١، ٣٨٤.

(٢) محمد بن جرير الطبري، تاريخ الأمم والملوك، (بيروت: دار سويدان، د. ت)، جـ ٣، ١٢٦؛ غيثان بن علي بن جريس، نجران: دراسة تاريخية حضارية (ق ١ ـــ ق ٤ هـ/ ق ٧ ـــ ق ١٠م)، (الرياض: مطابع العبيكان، ١٤٢٥ هـ/ ٢٠٠٤م)، جـ ١، ٦٣؛ حسين علي المسري، " نجران ودورها السياسي والاقتصادي"، مجلة المؤرخ المصري، ع ٩، (القاهرة: جامعة القاهرة،١٩٩٢م)، ٤١ ـــ ٩٠.

أما العامل الثاني فأسبابه دينية، والمعروف أن الديانة اليهودية ثم المسيحية قد أخذتا طريقهما إلى اليمن ولا سيما مدينة نجران التي توجد بها كعبة نجران، والكثير من الكنائس والأديرة، فكان بها عدد كبير يعتنقون المسيحية، ولا شك أن لهؤلاء تأثيراً على القبائل الوثنية، فحتماً إذا ما قارنا بين عبادتهم للحجارة وبين ما عليه النصارى من ديانة، وقد كانت هذه الفرصة مواتية عندما جاءت الدعوة إلى الإسلام، التي تدعو إلى عبادة إله واحد، فكانت إيذاناً بتحول نجران إلى الإسلام وعبادة الله سبحانه وتعالى، فدخلوا الإسلام في غضون أيام قلائل.

وبعد نجاح خالد بن الوليد في مهمته سلماً وإقناعه أهل نجران بالدخول في الإسلام، بعث بكتاب إلى رسول الله ﷺ يخبره بذلك، وأنه مقيم بينهم تلبية لأوامره يعلمهم شرائع الإسلام، وهو في انتظار الجديد من تعليماته ﷺ[١]، فأجابه الرسول ﷺ برسالة يخبره من خلالها بوصول كتابه الحاوي لنبأ إسلام أهل نجران ويأمره بالعودة إلى المدينة، وبصحبته وفد من مسلمي نجران[٢].

فلما وصل كتاب رسول الله ﷺ إلى خالد بن الوليد، أخبر بني الحارث بن كعب برغبة رسول الله ﷺ مقابلة وفدهم، فشكلوا الوفد من

---

(١) ابن هشام، عبدالملك. السيرة النبوية، مرجع سابق، جـ ٤، ٢٣٩؛ الطبري، محمد بن جرير. تاريخ الأمم والملوك، مرجع سابق، جـ ٣، ١٢٧ ؛ ابن جريس، غيثان بن علي. نجران، مرجع سابق، ٦٤.

(٢) محمد بن سعد البصري، الطبقات الكبرى، (بيروت: دار صادر، ١٤٠٥ هـ/ ١٩٨٥م)، جـ ١، ٣٣٩. الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأمم والملوك، مرجع سابق، جـ ٣، ١٢٦، ١٢٧ .

أشرافهم، ثم جاء خالد إلى المدينة وبرفقته وفد نجران[١]، ويمدنا الطبري بأسماء أعضاء الوفد النجراني وكان عددهم ستة أشخاص هم: قيس بن الحصين بن يزيد بن قنان ذو الغصة[٢]، ويزيد بن عبدالمدان الحارثي، ويزيد بن المحجل، وعبدالله بن قريظ الزيادي، وشداد بن عبدالله القناني، وعمرو بن عبدالله الضبابي[٣]، فلما رآهم الرسول ﷺ قال: **"من هؤلاء القوم الذين كأنهم رجال الهند، قيل يا رسول الله، هؤلاء بنو الحارث بن كعب"**[٤]، وربما شبههم الرسول ﷺ برجال الهند بسبب سمرة بشرتهم أو بسبب ملابسهم وأزيائهم التي يرتدونها، أو بهما معاً.

وعندما وقفوا أمام الرسول ﷺ سلموا عليه، ثم قالوا: **"نشهد أنك رسول الله وأن لا إله إلا الله، فقال رسول الله: وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله، ثم قال رسول الله ﷺ أنتم الذين إذا زجروا استقدموا! فسكتوا، فلم يراجعه منهم أحد"**[٥] ثم أعاد الرسول ﷺ عليهم هذه العبارة

---

(١) الطبري، محمد بن جرير. تاريخ الأمم والملوك، مرجع سابق، جـ ٣، ١٢٧.

(٢) سمي بذي الغصة، لغصة كانت تعتريه في حلقه حين يتكلم، وكان فارساً من ذوي الرباع؛ أي الذين كانوا يأخذون ربع الغنيمة التي يغنمها قومه في حروبهم مع غيرهم حضرها أم لم يحضرها. انظر: ابن هشام، عبدالملك. السيرة النبوية، مرجع سابق، جـ ٤، ٢٤١.

(٣) الطبري، محمد بن جرير. تاريخ الأمم والملوك، مرجع سابق، جـ٣، ١٢٧؛ وللمزيد انظر: ابن سعد، محمد. الطبقات الكبرى، مرجع سابق، جـ١، ٣٣٩؛ المسري، حسين علي. "نجران ودورها السياسي والاقتصادي"، مجلة المؤرخ المصري،مرجع سابق ٤٢ وما بعدها؛ علي، جواد. المفصل في تاريخ العرب، مرجع سابق، جـ٤، ١٨٨؛ ابن جريس، غيثان. نجران، مرجع سابق، جـ١، ٦٥.

(٤) ابن هشام،عبدالملك . السيرة النبوية، مرجع سابق، جـ ٤، ٢٤٠ ، الطبري،محمد بن جرير، تاريخ الأمم والملوك، جـ ٣، ١٢٧.

(٥) ابن سعد، محمد. الطبقات الكبرى، مرجع سابق، جـ ١، ٢٤٠.

أربع مرات، وهم لا يردون عليه، وفي الرابعة قال يزيد بن عبدالمدان: " **نعم يا رسول الله، نحن الذين إذا زجروا استقدموا** "[١]. قالها أربع مرات فقال رسول الله ﷺ: " **لو أن خالد بن الوليد لم يكتب إليّ فيكم أنكم أسلمتم، ولم تقاتلوا لألقيت رؤوسكم تحت أقدامكم**"[٢].

ويتضح من هذا اللقاء الذي حدث بين الرسول ﷺ ووفد نجران، ومن العبارات التي دارت بينهما أن الرسول ﷺ كان غاضباً عليهم وبخاصة ما ورد في العبارة الأخيرة. ولا ندري ما السبب، فإن كان غضب الرسول ﷺ لأنهم كانوا يعملون بالزجر والكهانة، فهذا لم يكن غريباً على الرسول ﷺ الذي كان يعرف أن هذه العادات كانت سائدة عند العرب قبل الإسلام، وإن كان غضبه لأن الوفد لم يتجاوب معه عندما سألهم لأول مرة، ولم يردوا عليه إلا بعد أن سألهم أربع مرات، ليكون ردهم عن سؤاله إجابتهم إياه - صلى الله عليه وسلم- أربع مرات أيضاً، فهذا الأمر حدث مرات عديدة مع الرسول ﷺ، بل كان هناك من عرب الجزيرة من يأتي إلى النبي الكريم- صلى الله عليه وسلم- ويهاجمه بالكلام ويشتد عليه في القول،

---

(١) ابن هشام، عبدالملك. السيرة النبوية، مرجع سابق، جـ٤، ٢٤٠ – ٢٤١، الطبري، محمد بن جرير. تاريخ الأمم والملوك، مرجع سابق، جـ ٣، ١٢٧، ١٢٨؛ ويقصد بالزجر هنا، أي نوع من الكهانة والعيافة، والزجر للطير هو التيمن والتطير منها والتفاؤل بها. انظر: ابن منظور، جمال الدين أبو الفضل. لسان العرب، مرجع سابق، جـ ٦، ٢١، فعل (زجر). وعادة الكهانة كانت من العادات السائدة عند العرب قبل الإسلام، ويتضح من سياق الحديث أنها كانت موجودة عند أهل نجران.

(٢) الطبري، محمد بن جرير. تاريخ الأمم والملوك، مرجع سابق، جـ ٣، ١٢٧، ١٢٨؛ ابن هشام،عبدالملك. السيرة النبوية، مرجع سابق، جـ ٤، ٢٤٠، ٢٤١.

فيما كان الرسول ﷺ ليناً رفيقاً في معاملته وتجاوبه مع مثل أولئك[١].

ونجد ابن هشام، والطبري، وابن كثير يوردون هذا الحوار الذي دار بين الرسول ﷺ وبين وفد نجران، دون أن يذكروا سبب غضب النبي ﷺ[٢]، في حين أن بعض المصادر التاريخية الأخرى قد أشارت إلى سرية خالد بن الوليد إلى اليمن، وإلى هذه المقابلة مع الرسول ﷺ مع تجنب ذكر هذا الحوار الذي يتصف بشدة اللهجة في كلام الرسول ﷺ، وربما أن هذه المصادر شكّت في صحة إسناد هذا الحوار إلى رسول الله ﷺ أو أنها تحاشت ذكره، فاليعقوبي وابن خلدون ذكرا بعض تفاصيل تلك السرية، وذلك اللقاء، لكنهما لم يوردا الحوار الذي دار بين الرسول ﷺ ووفد نجران[٣]. كما لم يشر ابن سعد في (الطبقات) إلى هذا الحوار، مع أنه ذكر أن رسول الله ﷺ أكرم وفد نجران ووزع عليهم الجوائز، فأعطى كل واحد منهم عشر أواقٍ، ما عدا قيس بن الحصين، إذ أعطاه اثنتي عشرة أوقية، وجعله أميراً عليهم[٤]. أما ابن الأثير الذي يعتمد في نقله على الطبري، فقد- تجنب- أيضاً ذكر

---

(١) ونجد القرآن يذكر آيات كثيرة يوضح فيها لين الرسول ﷺ مع المسلمين، أثناء قيامه بالدعوة قال الله تعالى: ﴿ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ ﴾ سورة آل عمران، آية: ١٥٩.

(٢) ابن هشام، عبدالملك. السيرة النبوية، مرجع سابق، جـ ٤، ٢٤٠، ٢٤١؛ أبوالفداء إسماعيل بن كثير، البداية والنهاية، تحقيق:أحمد أبوملحم وآخرون، (بيروت: ١٤٠٥ هـ/ ١٩٨٥م)، مج ٣، جـ ٥، ٨٨، ٨٩.

(٣) أحمد بن أبي يعقوب بن واضح اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، (بيروت: دار بيروت، ١٤٠٠ هـ/ ١٩٨٠م)، جـ ٢، ٧٩؛ عبدالرحمن بن خلدون، تاريخ ابن خلدون، تحقيق: خليل شحادة، وسهيل زكار، (بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر، ١٤٠١ هـ/ ١٩٨١م)، جـ ٢، ٤٧٣.

(٤) ابن سعد، محمد. الطبقات الكبرى، مرجع سابق، جـ ١، ٣٣٩، ٣٤٠.

هذا الحوار مع أنه أشار إلى حديث الرسول ﷺ مع هذا الوفد[١].

وإذا كان الطبري، وابن هشام، وابن كثير هم الذين تحدثوا عن هذا اللقاء والحوار الذي دار بين الرسول ﷺ ووفد نجران[٢] فقد واصل ثلاثتهم بقية الحوار، بعد أن رد عليهم الرسول ﷺ رداً فيه عنف وحِدَّة، فقال يزيد بن عبدالمدان: "**أما والله يا رسول الله، ما حمدناك ولا حمدنا خالداً، فقال رسول الله ﷺ فمن حمدتم؟ فقالوا: حمدنا الله الذي هدانا بك يا رسول الله، قال: صدقتم**"[٣].

وقد عرف بنو الحارث في الجاهلية بالشجاعة والإقدام، وشدة البأس، والصبر في الحروب، فما حاربهم أحد إلا انتصروا عليه، وكذلك اشتهروا بالكرم، والعدالة، وطيب الأخلاق والتعاون فيما بينهم، وكان الرسول ﷺ يعرف ما تواتر عنهم من تلك الصفات فأراد أن يقف على ذلك بنفسه ويعرف سر انتصاراتهم في الحروب، فواصل الحديث معهم بقوله: "**بم كنتم تغلبون من قاتلكم في الجاهلية؟ قالوا: لم نكن نغلب أحداً. فقال رسول الله ﷺ بل قد كنتم تغلبون من قاتلكم، قالوا: يا رسول الله، كنا نغلب من**

---

(١) علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبدالكريم بن الأثير، الكامل في التاريخ، تحقيق: نخبة من العلماء، (بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤٠٥ هـ/ ١٩٨٥م)، جـ٢، ١٩٩، ٢٠٠.

(٢) الطبري، محمد بن جرير. تاريخ الأمم والملوك، مرجع سابق، جـ ٣، ١٢٨؛ ابن كثير، أبوالفداء إسماعيل. البداية، مرجع سابق، مج٣، جـ ٥، ٨٩.

(٣) ابن هشام، عبدالملك. السيرة النبوية، مرجع سابق، جـ ٤، ٢٤٠؛ ابن جريس، غيثان. نجران، مرجع سابق، جـ ١، ٦٧.

قاتلنا، أنا كنا بني عبيد، وكنا نجتمع ولا نتفرق، ولا نبدأ أحداً بظلم، قال: صدقتم"[١].

وفي نهاية المقابلة مع الرسول ﷺ عاد وفد الحارث بن كعب إلى بلادهم نجران في أواخر شهر ذي القعدة من السنة العاشرة للهجرة[٢]. كما رأى رسول الله ﷺ أن أهل نجران في حاجة إلى من يبصرهم بتعاليم الإسلام ويفقههم في أمور الدين، ويفسر لهم ما جاء في الكتاب والسنة من التعاليم وكيفية أخذ الصدقات، وكان الأوفق أن يبعث إليهم من يقوم بهذه المهمة فاختار عمرو بن حزم بن زيد بن لوذان الخزرجي الأنصاري، ويرافقه شخص من بني النجار، وكان عمرو حين بعثه رسول الله ﷺ في السابعة عشرة من عمره[٣]، متمتعاً بالذكاء وسعة العلم بأمور الدين والتفقه فيه، وقد زوده رسول الله ﷺ بكتاب إلى أهل نجران وهو عقد بين رسول الله ﷺ وبينه، يتعهد فيه عمرو أن يعمل بما جاء في هذا الكتاب. ويتضمن هذا الكتاب مجموعة من التشريعات والتنظيمات تتصل بالحياة الدينية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية وواضح أن الهدف من هذه

---

(١) ابن كثير، أبوالفداء إسماعيل. البداية، مرجع سابق، مج ٣، جـ ٥، ٨٩، ٩٠؛ الطبري، محمد بن جرير. تاريخ الأمم والملوك، مرجع سابق، جـ ٣، ١٢٨، ١٢٩.

(٢) ابن هشام، عبدالملك. السيرة النبوية، مرجع سابق، جـ ٤، ٢٤٠؛ الطبري، محمد بن جرير. تاريخ الأمم والملوك، مرجع سابق، جـ ٣، ١٢٨؛ ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل. البداية، مرجع سابق، مج ٣، جـ ٥، ٨٩، ٩٠.

(٣) البلاذري، أحمد بن يحيى. أنساب الأشراف، مرجع سابق، ٥٣٨، ٥٣٩؛ ابن جريس، غيثان. نجران، مرجع سابق، جـ ١، ٦٩.

التنظيمات، أن تكفل حياة كريمة آمنة لمجتمع قبائل نجران[1].

ويبدو أن عمرو بن حزم كان وثيق الصلة برسول الله ﷺ فكان يطلعه حتى على أموره الخاصة، فقد بعث إليه ذات مرة رسالة يخبر فيها رسول الله ﷺ أنه رزق بمولود ذكر سَمّاه "محمداً" تيمناً برسول الله، وكنّاه بأبي سليمان، فرد عليه رسول الله ﷺ بقوله: بل كنِّه بأبي عبدالملك، وظل عمرو بن حزم عاملاً على نجران إلى أن توفي رسول الله ﷺ وهو عليها[2].

ولم يقتصر الرسول ﷺ في دعوة أهل نجران ومن حولهم من قبائل اليمن على تلك السرية التي أرسلها تحت قيادة خالد بن الوليد[3] وإنما حث خالد بن الوليد على أن يتوغل في أرض اليمن الواقعة إلى الجنوب من بلاد نجران، وقد فعل ذلك، واستمر يدعوهم إلى الإسلام مدة ستة أشهر،

---

(1) انظر نص هذا الكتاب عند: ابن هشام، عبدالملك. السيرة النبوية، مرجع سابق، جـ ٤، ٢٤١، ٢٤٢؛ الطبري، محمد بن جرير. تاريخ الأمم والملوك، جـ ٣، ١٢٨، ١٢٩، ابن خلدون، عبدالرحمن. تاريخ ابن خلدون، مرجع سابق، جـ ٢، ٤٧٣، ٤٧٤؛ حميد الله، محمد. مجموعة الوثائق، مرجع سابق، ٢٠٧، ٢٠٨.

(2) الطبري، محمد بن جرير. تاريخ الأمم والملوك، مرجع سابق، جـ ٣، ١٣٠؛ البلاذري، أحمد بن يحيى. أنساب الأشراف، مرجع سابق، جـ ١، ٥٣٨، ٥٣٩؛ علي، جواد. المفصل، مرجع سابق، جـ ٤، ١٩١؛ حميد الله، محمد. مجموعة الوثائق، مرجع سابق، ٢١١؛ ابن جريس، غيثان. نجران، مرجع سابق، جـ١، ٧١.

(3) الطبري، محمد بن جرير. تاريخ الأمم والملوك، مرجع سابق، جـ ٣، ١٢٦، ابن سعد، محمد. الطبقات الكبرى، مرجع سابق، جـ ١، ٣٣٩؛ ابن هشام، عبدالملك. السيرة النبوية، مرجع سابق، جـ ٤، ٢٣٩.

لكنهم لم يتجاوبوا معه، وبقوا على وثنيتهم[١]، فأرسل الرسول ﷺ سرية أخرى بقيادة علي بن أبي طالب إلى اليمن، وأمره بأن يعود خالد بن الوليد ومن معه إلى المدينة، وإن أراد أحد من رجال خالد بن الوليد البقاء مع سريته ـ يقصد علي بن أبي طالب ـ فليتركه[٢]. وعندما سمعت قبائل اليمن بمسيرة علي بن أبي طالب نحوها استعدت لقتاله، وعند وصوله حدود بلاد اليمن، جمع رجاله فصلى بهم، ثم حثهم على قتال المشركين، ومن يحارب الله ورسوله من أهل اليمن، ثم واجه بعض القبائل اليمنية، فأنذرهم، وقرأ عليهم كتاب النبي ﷺ فأسلمت همدان كلها في ذلك اليوم[٣]، فكتب علي بن أبي طالب إلى النبي ﷺ يخبره بإسلام همدان، فحمد النبي ﷺ الله وأثنى عليه، وخرّ ساجداً شكراً لله، ثم جلس وقال:

---

(١) الطبري، محمد بن جرير. تاريخ الأمم والملوك، مرجع سابق، جـ ٣، ١٢٩، ١٣٠، ابن خلدون، عبدالرحمن. تاريخ ابن خلدون، مرجع سابق، جـ ٢، ٤٧٥؛ علي، جواد. المفصل، مرجع سابق، جـ ٤، ١٨٩ وما بعدها.

(٢) الطبري، محمد بن جرير. تاريخ الأمم والملوك، مرجع سابق، جـ٣، ١٣٢؛ ابن الأثير، علي بن أبي الكرم. الكامل في التاريخ،مرجع سابق، جـ٢، ٢٠٥، قال الرسول ﷺ لعلي بن أبي طالب: (مر أصحاب خالد من شاء منهم يعقب معك فليعقب، ومن شاء فليقبل...) ابن كثير، إسماعيل. البداية والنهاية، مرجع سابق، مج ٣، جـ٥، ٩٣.

(٣) للمزيد عن قبيلة همدان ، انظر: هشام بن محمد بن السائب الكلبي، نسب معد واليمن الكبير، تحقيق: ناجي حسن، (بيروت: عالم الكتب، ١٤٠٨ هـ/ ١٩٨٨م)، جـ ٢، ٥٠٩؛ علي بن أحمد بن سعيد بن حزم، جمهرة أنساب العرب، راجعه: لجنة من العلماء بإشراف الناشر، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٣ هـ/ ١٩٨٣م)، ٣٩٢ ـــ ٣٩٥، ٤٧٥؛ الحسن بن أحمد بن يعقوب الهمداني، صفة جزيرة العرب، تحقيق: محمد بن علي الأكوع، (الرياض: منشورات دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، ١٣٩٧ هـ/ ١٩٧٧م)، ٩٦ ـــ ١٠٥.

" **السلام على همدان** " ثلاث مرات[١].

ويتضح لنا من ذلك أن الرسول ﷺ كان حريصاً على أن يتوغل الإسلام في أرض اليمن وغيرها وصولاً لتحقيق عالمية الإسلام، فلم يقتصر على دخول أهل نجران في الإسلام، وإنما كان ذلك بمثابة مرحلة أولى في طريق دخول الإسلام إلى كل أصقاع اليمن حيث نراه يعقب على سرية خالد بسرية جديدة على رأسها علي بن أبي طالب، بعد أن تعسر على خالد إقناع اليمنيين في جنوب نجران بالدخول في الإسلام، فنجحت هذه السرية في إدخال همدان سلماً في الإسلام.

كما أرسل الرسول ﷺ علي بن أبي طالب في مهمة أخرى في السنة العاشرة أيضاً، وكانت المهمة تلك المرة إلى أهل نجران[٢] ليجمع الصدقات

---

(١) الطبري، محمد بن جرير. تاريخ الأمم والملوك، مرجع سابق، جـ ٣، ١٣٢؛ ابن خلدون، عبدالرحمن. تاريخ ابن خلدون، مرجع سابق،جـ٢، ٤٧٥ .ابن كثير، إسماعيل. البداية والنهاية، مرجع سابق،مج٣، جـ٤،٩٤٥.

(٢) ابن هشام، عبدالملك. السيرة النبوية، مرجع سابق، جـ ٤، ٢٤٧؛ ابن خياط، خليفة. تاريخ ابن خياط، مرجع سابق، ٩٧؛ ابن الأثير، علي بن أبي الكرم. الكامل في التاريخ، مرجع سابق، جـ ٢، ٢٠٥؛ كان الرسول ﷺ حريصاً على تزويد عماله بالتعليمات الشرعية الأساسية التي يسيرون عليها، فنجده يزود معاذ بن جبل ببعض تلك النصائح والتعليمات عندما اختاره عاملاً على اليمن، فيقول لـه: (إنك ستأتي قوماً أهل كتاب، فإذا جئتهم فادعهم إلى أن يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، فإن هم أطاعوا لك بذلك، فأخبرهم أن الله فرض عليهم خمس صلوات كل يوم وليلة، فإن هم أطاعوا لك بذلك، فأخبرهم أن الله فرض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم، فإن هم أطاعوك بذلك فإياك وكرائم أموالهم، واتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينها وبين الله حجاب)؛ ابن كثير، إسماعيل. البداية والنهاية، مرجع سابق، مج٣، جـ ٥، ٩٠؛ وللمزيد عن رحلة معاذ بن جبل من حاضرة الدولة الإسلامية (المدينة المنورة) إلى الطائف ثم بلاد السراة إلى نجران حتى دخل صنعاء، انظر: عمر بن علي الجعدي بن سمرة، طبقات فقهاء اليمن، تحقيق: فؤاد سيد، (بيروت: دار القلم، د. ت)، ١٧، ١٨؛ الهمداني، الحسن بن أحمد بن يعقوب. صفة جزيرة العرب، مرجع سابق، ١٤٤؛ ابن جريس، غيثان. نجران، مرجع سابق، جـ ١، ٧٢.

من المسلمين، ويأخذ الجزية من أهل الذمة.

أما نصارى نجران الذين ظلُّوا على مسيحيتهم[(١)]، ولم يدخلوا في الإسلام مع من دخل من أهل نجران، فقد بعث إليهم الرسول ﷺ كتاباً موجهاً إلى أساقفتهم، قال فيه: "**بسم الله، من محمد رسول الله إلى أساقفة نجران: بسم الله، فإني أحمد إليكم إله إبراهيم، وإسماعيل، وإسحاق، ويعقوب، أما بعد ذلكم فإني أدعوكم إلى عبادة الله من عبادة العباد، وأدعوكم إلى ولاية الله من ولاية العباد، فإن أنتم أبيتم فالجزية، وإن أبيتم آذنتكم بالحرب والسلام** "[(٢)]. ويتضح من هذا الكتاب أن الرسول ﷺ بيّن لهم ما يجب عمله، وهو عبادة الله وحده لا شريك له، وترك عبادة ما سواه، فإن لم يرضوا بهذا المطلب النبيل فإن عليهم دفع الجزية عن يد وهم صاغرون، فإن امتنعوا عن هذا أيضاً فليس بينهم وبين المسلمين إلا الحرب حتى يذعنوا لواحد من هذين الشرطين.

وبعد وصول كتاب رسول الله ﷺ إلى نصارى نجران علموا وتأكدوا من جدِّية الرسول ﷺ في مطلبه، فاجتمعوا وتشاوروا فيما بينهم، ووصلوا في

---

(١) يذكر أن المسيحية لم تنتشر في أهل نجران خاصة، وأهل اليمن عامة إلا في قلة من الناس، والدليل على ذلك أن الكتاب المقدس لم يترجم إلى العربية في عصر ما قبل الإسلام، بينما ترجم إلى لغات البلاد التي انتشرت فيها المسيحية انتشاراً واسعاً، وهذا يؤكد على أن كنيسة نجران وغيرها من الكنائس في اليمن استخدمت اللغة العربية، وربما أنها استخدمت السريانية أو العبرية. عصام الدين عبدالرؤوف الفقي، اليمن في ظل الإسلام منذ فجر الإسلام حتى قيام دولة بني رسول، (القاهرة: دار الفكر العربي، ١٤١٤ هـ/ ١٩٩٤م)، ٢٥٣.

(٢) اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب. تاريخ اليعقوبي، مرجع سابق، جـ ٢، ٨١؛ الفقي، عصام الدين عبدالرؤوف. اليمن في ظل الإسلام، مرجع سابق، ٢٥٤.

نهاية اجتماعهم إلى إرسال وفد من أعيانهم إلى الرسول ﷺ ليناقشوه ويعرفوا حقيقة الأمور منه بشكل مباشر(١).

وقد اختلفت المصادر في ذكر عدد أفراد وفد نصارى نجران، فمنهم من قال: إن عددهم أربعة عشر رجلاً من رؤسائهم وأشرافهم(٢) ومنهم من قال: إن عددهم ستون(٣)، وآخرون قالوا أربعون(٤)، فيما يشير ابن خلدون إلى أن عددهم سبعون نصرانياً(٥).

والاختلاف الذي وقع فيه المؤرخون حول عدد أفراد هذا الوفد، غير ذي أهمية، والمهم أنهم جميعاً أجمعوا على خروج وفد نجران النصراني إلى المدينة لأجل مقابلة الرسول ﷺ، بل إنهم قد ذكروا بعض أسماء الوفد، مثل أميرهم العاقب، واسمه عبدالمسيح وهو من قبيلة كندة، وأسقفهم وزعيمهم الروحي أبوالحارث بن علقمة(٦)، وأخوه كرز بن علقمة من قبيلة

---

(١) ابن سعد، محمد، الطبقات، مرجع سابق، جـ١، ٣٥٧؛ علي بن الحسين بن علي المسعودي، التنبيه والإشراف، إشراف وتحقيق: لجنة تحقيق التراث، (بيروت: دار ومكتبة الهلال، ١٩٨١م)، ٢٥٥؛ ابن خلدون، عبدالرحمن. تاريخ ابن خلدون، مرجع سابق، جـ٢، ٤٧٧.

(٢) ابن سعد، محمد بن سعد البصري. الطبقات، مرجع سابق، جـ ١، ٣٥٧.

(٣) المسري، حسين علي. "نجران ودورها"، مجلة المؤرخ المصري، مرجع سابق،ع٩، ٦١؛ ابن جريس، غيثان. نجران،مرجع سابق، جـ ١، ٧٥.

(٤) حميد الله، محمد. مجموعة الوثائق السياسية، مرجع سابق، ١٨٣؛ انظر أيضاً: أبوالفداء إسماعيل بن كثير، تفسير القرآن الكريم، (بيروت:دار المعرفة، ١٤١٢هـ/ ١٩٩١م)، جـ ١، ٣٧٦.

(٥) ابن خلدون، عبدالرحمن. تاريخ ابن خلدون، مرجع سابق، جـ ٢، ٤٧٧.

(٦) ابن سعد، محمد بن سعد البصري. الطبقات، مرجع سابق، جـ١، ٣٥٧، ويذكر ابن خلدون، أن اسمه أبوحارثة بن بكر بن وائل، انظر: ابن خلدون، عبدالرحمن. تاريخ ابن خلدون، مرجع سابق، جـ٢، ٤٤٧.

بني الحارث[١]، وصاحب إدارة شؤونهم المالية، السيد ابن الحارث [٢] وأخوه أوس، وعدد آخر ورد ذكرهم في بعض المصادر التي أشارت إلى هذا الوفد [٣].

ويبدو أن بعض أفراد هذا الوفد كان عالماً بصحة نبوة الرسول ﷺ فهذا هو زعيمهم الروحي أبوالحارث بن علقمة يعترف لأخيه كرز بن علقمة بشكل واضح وصريح بذلك، حيث ترجم له ابن سعد في طبقاته فيقول عنه:

" كان أسقفهم وإمامهم، وصاحب مدارسهم، وله فيهم قدر، فعثرت به بغلته[٤]، فقال أخوه: تعس الأبعد، يريد رسول الله ﷺ فقال أبوالحارث بل تعست أنت، أتشتم رجلاً من المرسلين؟ إنه الذي بشر به عيسى، وإنه لفي التوراة، قال: فما يمنعك من دينه؟ قال: شرّفنا هؤلاء القوم، وأكرمونا، وموّلونا وقد أبوا إلا خلافه[٥]،

---

(١) ابن جريس، غيثان. نجران، مرجع سابق، جـ ١، ٧٦.

(٢) ابن سعد، محمد بن سعد البصري. الطبقات، مرجع سابق، جـ١، ٣٥٧؛ ويذكر ابن خلدون، أن اسمه أيضاً الأيهم، والسيد معاً، انظر: ابن خلدون، عبدالرحمن. تاريخ ابن خلدون، مرجع سابق، جـ٢، ٤٤٧.

(٣) ابن سعد، محمد بن سعد البصري. الطبقات. مرجع سابق، ٣٥٧؛ ابن خلدون، عبدالرحمن. تاريخ ابن خلدون، مرجع سابق، جـ٢، ٤٧٧؛ ابن كثير، أبوالفداء اسماعيل. تفسير القرآن الكريم، مرجع سابق، جـ١، ٣٧٦.

(٤) وهم في طريقهم مع بقية الوفد متجهين إلى الحجاز لمقابلة الرسول ﷺ، انظر: ابن سعد، محمد بن سعد البصري. الطبقات، مرجع سابق، جـ١، ١٦٥.

(٥) يقصد الروم، انظر: ابن كثير، أبوالفداء إسماعيل. تفسير القرآن الكريم، مرجع سابق، جـ ١، ٣٧٦.

فحلف أخوه (كرز) ألا يثني له صعراً حتى يقدم المدينة فيؤمن به[١] ومضى يضرب راحلته ويقول:

إلَيْكَ يَغْدو قَلِقاً وضِينُها مُعْتَرِضاً في بَطْنِهَا جَنينُها

مُخالِفاً دِينَ النّصَارى دينُها [٢]"

ويتضح لنا من النص السابق أن أهل العلم من نصارى نجران يعلمون صحة ما ورد في كتبهم حول صدق نبوة الرسول محمد ﷺ ورغم ذلك لا يستطيعون الدخول في دين الإسلام، وذلك لما لهم من صلات سياسية، وعقدية واقتصادية مع امبراطورية الروم التي نشرت المسيحية في بلاد اليمن عامة، وفي بلاد نجران خاصة، وبالتالي فإنهم جعلوا نصارى نجران مسؤولين عن الدفاع عن النصرانية في بلادهم وما حولها، ومقابل ذلك فإنهم كانوا يغدقون عليهم العطايا والمنح المتنوعة من أجل الحصول على ولائهم، والبقاء تابعين لهم سياسياً وعقدياً، وذلك يتضح في عبارة أبي الحارث، عندما قال عن الروم: " **شرفنا هؤلاء القوم، وأكرمونا، وقد أبوا إلا خلافه**"[٣].

---

(١) انظر: ابن سعد، محمد بن سعد البصري. الطبقات، مرجع سابق، جـ ١، ١٦٤، ١٦٥؛ ابن جريس، غيثان. نجران، مرجع سابق، جـ ١، ٧٦.

(٢) ابن سعد، محمد بن سعد البصري. الطبقات، مرجع سابق، جـ ١، ١٦٥.

(٣) المرجع السابق. وللمزيد عن علاقة نصارى نجران بالروم، انظر: عبدالمجيد عابدين، بين الحبشة والعرب، (القاهرة: دار الفكر، د. ت)، ٤٩، علي، جواد. المفصل، مرجع سابق، جـ ٣، ٤٤٩ وما بعدها.

وهذا كرز بن علقمة، نراه يطلع على ضلال أخيه، أبي الحارث، ومخالفته الفطرة السليمة، فيتركه ويسبقه ووفده إلى الرسول ﷺ فيدخل الإسلام، وربما اكتشف بعض أعضاء الوفد وغيرهم من نصارى نجران تلك الحقيقة التي كان يعرفها أبوالحارث بن علقمة، ما جعلهم يتركون دين النصرانية ويدخلون دين الإسلام، وأكبر دليل على ذلك ما فعله العاقب والسيد اللذان دخلا الإسلام بعد مقابلتهما الرسول ﷺ في المدينة المنورة.

وصل وفد نصارى نجران إلى المدينة بعد صلاة العصر والرسول ﷺ في المسجد، وكان عليهم ثياب الحبرة [١]، وأردية مكفوفة بالحرير، وفي أعناقهم وأيديهم الصليب، ثم أقاموا في المسجد يصلون نحو المشرق، فعزم بعض أصحاب رسول الله ﷺ على منعهم، فقال الرسول ﷺ: دعوهم[٢]. ويذكر ابن سعد أنهم جاؤوا إلى الرسول ﷺ بهيئتهم الآنفة الذكر فأعرض عنهم ولم يكلمهم، فقال لهم عثمان بن عفان: " **ذلك من أجل زيكم هذا** " فانصرفوا ذلك اليوم، وجاؤوا اليوم الثاني وعليهم زي الرهبان[٣].

وكانوا قد اتصلوا ببيت المدارس لليهود، والتقوا ببعض زعمائهم،

---

(١) الحبرة: يقال: إنها ضرب من بُرد اليمن منمر الشكل، وهي نوع من الألبسة الجيدة والغالية الثمن، ابن منظور، جمال الدين أبوالفضل. لسان العرب، مرجع سابق، جـ ٣، ١٦، ١٧.

(٢) اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب. تاريخ اليعقوبي، مرجع سابق، جـ ٢، ٨٢؛ ابن سعد، محمد بن سعد البصري. الطبقات، مرجع سابق، جـ ١، ٣٥٧.

(٣) المرجع السابق، ٣٥٧، ٣٥٨.

مثل: الكاهن اليهودي، المسمى ابن صوريا، وكعب بن الأشرف وقالوا لهم: هذا الرجل ـ يقصدون الرسول ﷺ ـ عندكم منذ كذا وكذا قد غلبكم، احضروا امتحاناً له غداً. معتقدين أن ائتلافهم مع اليهود قد يجعلهم أصحاب الريادة والتفوق عندما يغلبون الرسول ﷺ.

وعند مقابلتهم الرسول ﷺ دارت بينهم مناقشات عديدة حول السيد المسيح عيسى بن مريم عليه السلام، وحول الإسلام، ثم دعاهم الرسول ﷺ إلى الإسلام فقال السيد والعاقب:" **إنا قد أسلمنا قبلك، فقال: كذبتما، يمنعكما من الإسلام ثلاث، أكلكما الخنزير، وعبادتكما الصليب، وقولكما لله ولد، قالا فمن أبوعيسى، وكان الرسول ﷺ لا يعجل حتى يأمره ربه**"[1]، ثم قال: هو عبدالله ورسوله، فقال أسقفهم أبوالحارث: "**تعالى الله عما قلت، وهل رأيت ولداً من غير ذكر**[2]". **ويورد ابن كثير بعض التفصيلات عن هذا اللقاء، ويشير إلى أن الرسول ﷺ صمت ولم يجبهم عندما سألوه من هو أبوعيسى، ويستطرد ابن كثير قائلاً: "فأنزل الله في ذلك قولهم واختلاف أمرهم صدر سورة آل عمران إلى بضع وثمانين آية**

---

(١) أحمد بن يحيى البلاذري، فتوح البلدان، تحقيق: رضوان محمد رضوان، (بيروت:دار الكتب العلمية، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م)، ٧٥، وللمزيد، انظر: ابن سعد، محمد بن سعد البصري. الطبقات، مرجع سابق، جـ ١، ٣٥٧. كما أن هناك بعض الاختلافات البسيطة في ذكر الرواية، اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب. تاريخ اليعقوبي، مرجع سابق، جـ٢، ٨٢؛ ابن كثير، أبوالفداء إسماعيل، تفسير القرآن الكريم، مرجع سابق، جـ ١، ٣٧٦، ٣٧٧.

(٢) اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب. تاريخ اليعقوبي، مرجع سابق، جـ ٢، ٨٢؛ محمود بن عمر بن محمد الزمخشري، تفسير الكشاف، تحقيق: محمد مرسي عامر، (القاهرة: دار المصحف، ١٣٩٧ هـ/ ١٩٧٧م)، جـ ١، ١٧٧، ١٧٨.

منها..."[١] حيث ردّ الله عز وجل سؤالهم للرسول ﷺ بقوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ. إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِندَ اللّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثِمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴾[٢]. إلى قوله تعالى ﴿ فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِن بَعْدِ مَا جَاءكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْاْ نَدْعُ أَبْنَاءنَا وَأَبْنَاءكُمْ وَنِسَاءنَا وَنِسَاءكُمْ وَأَنفُسَنَا وأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَةَ اللّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ ﴾[٣]، ويذكر ابن كثير في تفسير هذه الآيات، أنه لما أتى رسول الله ﷺ الخبر من الله والفصل بينه وبينهم، وأمر بما أمر به من المباهلة[٤]، وملاعنتهم، قالوا للرسول ﷺ: **" يا أبا القاسم دعنا ننظر في أمرنا ثم نأتيك بما نريد أن نفعل فيما دعوتنا إليه، ثم انصرفوا عنه "**[٥].

وتذكر بعض المصادر التاريخية أن اليهود في المدينة كانوا يراقبون تلك المناقشات التي دارت مع الرسول ﷺ، ويشاهدونها عندما طلب نصارى نجران من الرسول ﷺ بعض الوقت ليفكروا في قبول المباهلة أو تركها، بل

---

(١) ابن كثير، أبوالفداء إسماعيل. تفسير القرآن الكريم، مرجع سابق، جـ ١، ٣٧٦.

(٢) سورة آل عمران، الآيتان: ٥٨، ٥٩.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ٦١. انظر: الزمخشري، محمود بن عمر. تفسير الكشاف، مرجع سابق، جـ ١، ١٧٨.

(٤) المباهلة، جاءت من فعل (بهل) والبهل هو اللعن، يقال بهله الله بهلاً أي لعنه، وعليه بهلة الله أي لعنته، ويذكر في حديث أبي بكر الصديق ﷺ أنه قال: من ولي من أمور الناس شيئاً فلم يعطهم كتاب الله، فعليه بهلة الله؛ أي لعنته. والمباهلة هي الملاعنة، ومعنى المباهلة أن يجتمع القوم إذا اختلفوا في شيء فيقولوا: لعنة الله على الظالم منا. انظر: ابن منظور، جمال الدين أبوالفضل. لسان العرب، مرجع سابق، جـ١، ٥٢٢.

(٥) ابن كثير، أبوالفداء إسماعيل. تفسير القرآن ا لكريم، مرجع سابق، جـ ١، ٣٧٧- ٣٧٨؛ ابن منظور، جمال الدين أبوالفضل. لسان العرب، مرجع سابق، جـ ١، ١٧٨.

كانوا فرحين بما وصل إليه الأمر، ويودون هلاك الطائفتين، وفي ذلك يقولون: " **والله ما نبالي أيهما أهلك الله: الحنيفية أو النصرانية** ". ومن هذا يتضح خبث اليهود ومكرهم لذاتهم، فلا يرغبون الحياة والعزة إلا لهم دون سواهم[١].

وبعد ذهاب نصارى نجران من عند رسول الله ﷺ اجتمعوا بالعاقب، وكان صاحب رأي قاطع بينهم فقالوا: "**يا عبدالمسيح، ماذا ترى؟ فقال: والله يا معشر النصارى، لقد عرفتم أن محمداً لنبي مرسل، ولقد جاءكم بالفصل من خبر صاحبكم - يقصد عيسى عليه السلام - ولقد علمتم أنه ما لاعَن نبياً قط فبقي كبيرهم ولا نبت صغيرهم، وإنه للاستئصال منكم إن فعلتم، فإن كنتم أبيتم إلاّ ألف دينكم، والإقامة على ما أنتم عليه من القول في صاحبكم، فواعدوا الرجل، وانصرفوا إلى بلادكم**"[٢].

ويورد اليعقوبي أن وفد نجران قبلوا المباهلة مع الرسول ﷺ، ولما جاء اليوم الثاني، جاء رسول الله ﷺ آخذاً بيد سبطيه الحسن والحسين، تتبعه فاطمة وعلي بن أبي طالب رضي الله عنه، وجاء العاقب والسيد بابنين لهما عليهما الدّر والحلي، وقد التفوا بأبي الحارث، فقال أبوالحارث: " **من هؤلاء معه؟ قالوا: هذا ابن عمه، وهذه ابنته، وهذان ابناه، فجثا رسول الله ﷺ على**

---

(١) والنصارى أقرب في مودتهم للمسلمين من اليهود والمشركين، قال الله تعالى: ﴿ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُواْ الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُواْ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ آمَنُواْ الَّذِينَ قَالُوَاْ إِنَّا نَصَارَى ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَاناً وَأَنَّهُمْ لاَ يَسْتَكْبِرُونَ ﴾. سورة المائدة، آية:٨٢.

(٢) ابن كثير، أبوالفداء إسماعيل. تفسير القرآن الكريم، مرجع سابق، جـ ١، ٣٧٦– ٣٧٧.

ركبتيه، ثم ركع، فقال أبوالحارث: جثا والله كما يجثو النبيون للمباهلة، فقال له السيد: ادن يا أبا حارثة للمباهلة، فقال إني أرى رجلاً حرياً على المباهلة وإني أخاف أن يكون صادقاً، فإن كان صادقاً لم يحل الحول وفي الدنيا نصراني يطعم الطعام" [١].

ولهذا تراجعوا عن مباهلة الرسول ﷺ وقال أسقفهم أبوالحارث للرسول ﷺ: **"لا نباهلك فأنت على دينك ونحن على ديننا"**، فقال رسول الله ﷺ إذاً أبيتم المباهلة، فأسلموا، يكن لكم ما للمسلمين، وعليكم ما عليهم، فرفضوا، فقال الرسول ﷺ إذاً أحاربكم، فقالوا: " **نصالحك على ألا تغزونا، ولا تخيفنا، ولا تردنا عن ديننا، على أن نؤدي إليك كل عام ألفي حلة** [٢]**، ألف في صفر وألف في رجب** ".

فقبل رسول الله ﷺ منهم، وصالحهم على ذلك وكتب لهم كتاباً أوضح فيه شروط هذا الصلح، وقد أشارت مصادر التاريخ إلى هذا

---

(١) اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب. تاريخ اليعقوبي، مرجع سابق، جـ٢، ٨٢- ٨٣. ويورد الزمخشري أن أباالحارث، عندما رأى الرسول ﷺ يوم خرج للمباهلة قال: (يا معشر النصارى إني لأرى وجوهاً لو شاء الله أن يزيل جبلاً من مكانه لأزاله بها، فلا تباهلوا فتهلكوا، ولا يبقى على وجه الأرض نصراني إلى يوم القيامة)، انظر: الزمخشري، محمود بن عمر. تفسير الكشاف، مرجع سابق،جـ١، ١٧٨. ويذكر البلاذري أنه: قال: (أحدهما لصاحبه ـــ يقصد نصارى نجران ـــ اصعد الجبل ولا تباهله، فإنك إن باهلته بؤت باللعنة، قال: فما ترى؟ قال:أرى أن نعطيه الخراج ولا نباهله؛ البلاذري، فتوح، البلدان، مرجع سابق، ٧٥- ٧٦؛ ابن الأثير، علي بن أبي الكرم. الكامل في التاريخ، مرجع سابق، جـ٢، ٢٠٠.

(٢) الحلة تساوي الأوقية، ووزن الأوقية أربعون درهماً من الفضة. البلاذري، أحمد بن يحيى. فتوح البلدان، مرجع سابق، ٧٦.

الصلح ، فبعضهم نقله نصاً بما يعتقد أنه ورد عن رسول الله ﷺ ، ومن هؤلاء اليعقوبي ، والبلاذري ، وابن سعد[١] ، فيما نقله آخرون من المصادر دون التزام منهم بنقل نص هذا الصلح. وإنما اكتفى بنقل ما ورد في هذا الصلح من الشروط ، ومن هؤلاء ابن الأثير ، وابن خلدون[٢].

ففي هذا الصلح أقر رسول الله ﷺ ما اتفق عليه نصارى نجران بدءاً من دفعهم الحلل في شهري رجب وصفر من كل عام ، وهي ألفا حلة ، قيمة كل حلة (٤٠) درهماً من الفضة ، وأن يساعدوا المسلمين إذا ما وقعت حرب باليمن ، بأن يمدوهم بالأسلحة فقط دون الاشتراك معهم في الحرب ، وأن ينصحوا المسلمين ، ولا يؤخذ أحد بخيانة غيره. وحرم عليهم التعامل بالربا ، فمن عمل به بعد هذا الاتفاق ، فقد نقض الصلح ، فتكون ذمة محمد ﷺ منه بريئة[٣].

لقد ارتد البعض من أهل نجران عن الإسلام في عهد رسول الله ﷺ

---

(١) اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب. تاريخ اليعقوبي، مرجع سابق، جـ٢، ٨٣؛ البلاذري،أحمد بن يحيى. فتوح البلدان، مرجع سابق، ٧٦، ابن سعد، محمد بن سعد. الطبقات، مرجع سابق، جـ ١، ٣٥٨. للمزيد من التفصيلات، انظر: حميد الله، محمد. مجموعة الوثائق، مرجع سابق، ١٧٥ ـ ١٧٩.

(٢) ابن الأثير، علي. الكامل، مرجع سابق، جـ٢، ٢٠٠؛ ابن خلدون، عبدالرحمن. تاريخ ابن خلدون، مرجع سابق، جـ٢، ٤٧٧.

(٣) انظر: البلاذري، أحمد بن يحيى. فتوح البلدان، مرجع سابق، ٧٦؛ ابن سعد، محمد. الطبقات، مرجع سابق، جـ ١، ٣٥٨؛ اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب . تاريخ اليعقوبي، مرجع سابق، جـ٢، ٨٣.

واتبعوا الأسود العنسي، الذي ثار في اليمن وادعى النبوة، فقد كان مشعوذاً بارعاً في الكلام [(١)]، فانخدعت به بعض قبائل اليمن ونجران، وكانت بداية ظهوره وادعائه النبوة في السنة الحادية عشرة من الهجرة، بعد حجة الوداع لما علم بمرض رسول الله ﷺ، وهو في طريقه إلى المدينة[(٢)]، وقد تعاطف أهل نجران معه وأيدوه، فلما علم بنو الحارث بن كعب وقبائل مذحج دعوه إلى بلادهم، فقدم إليهم على رأس قوة عسكرية بلغ عددها خمسة آلاف مقاتل جميعهم من قبائل حمير[(٣)]، وتمكن من دخول نجران، وكان عمرو بن حزم عاملاً عليها من قِبل رسول الله ﷺ فخرج منها متوجهاً إلى المدينة[(٤)].

وقد مكث الأسود العنسي أياماً بنجران ثم تحول عنها إلى صنعاء، لأنها أكثر حصانة من نجران، ورحل معه ستمائة فارس من بني الحارث بن كعب مؤيدين إياه ومناصرين، وقد واجه مقاومة عنيفة من الأبناء وهم

(١) انظر: الطبري، محمد بن جرير.. تاريخ الأمم، مرجع سابق، جـ٣، ٢٣،١٨٥؛ مطهر بن طاهر المقدسي، كتاب البدء والتاريخ، تحقيق: س. هورت (باريس: ١٩١٦م)، و(صور مكتبة المثنى، بغداد، د. ت)، جـ ٥، ١٥٤؛ ابن الأثير، علي. الكامل في التاريخ، مرجع سابق، جـ٢، ٢١٥.

(٢) البلاذري، أحمد بن يحيى. فتوح البلدان، مرجع سابق، ١١٣؛ نزار عبداللطيف الحديثي، أهل اليمن في صدر الإسلام، (بيروت:المؤسسة العربية للدراسات والنشر، د.ت)، ١١٥.

(٣) الطبري، محمد بن جرير تاريخ الأمم، مرجع سابق، جـ٣، ٢٣٠ ـــ ٢٣٥، محمد عبدالمنعم الحميري، الروض المعطار في أخبار الأقطار، تحقيق: إحسان عباس، (بيروت: مكتبة لبنان، ١٩٧٥م)، ٥٧٤.

(٤) الطبري، محمد بن جرير. تاريخ الأمم، مرجع سابق، جـ٣، ١٨٥ ـــ ١٨٧؛ ابن الأثير، علي. الكامل في التاريخ، مرجع سابق، جـ ٢، ٢١٥؛ ابن كثير، أبوالفداء إسماعيل، البداية والنهاية، مرجع سابق، مج ٣، جـ٦، ٣١٢.

المسلمون من الفرس[1]، ومن قبائل اليمن التي تمسكت بإسلامها فكذبوا مزاعمه، وقد قاد هذه المقاومة شهر بن باذان، ابن والي اليمن السابق، ولكن الأسود العنسي كان أقوى منه فقضى عليه، واستولى على صنعاء[2].

كما استفحل أمر الأسود باليمن واتسع نفوذه فشمل نجران والطائف وصنعاء وحضرموت وعدن وامتد نحو الشرق حتى شمل البحرين وأجزاء أخرى من الخليج العربي، وقد اضطربت أوضاع المسلمين باليمن وأصابهم الخوف الشديد من بطش الأسود العنسي، فكانوا يتعاملون معه من منطلق مبدأ التقية ليأمنوا على أرواحهم[3]، فكانت حركة الأسود العنسي خطراً جسيماً على الإسلام والمسلمين باليمن، ربما لأنها حدثت في فترة حرجة من تاريخ الدولة الإسلامية، فرسول الله ﷺ قائد الأمة ورئيس الدولة كان على فراش المرض، هذا فضلاً عن الأوضاع المضطربة داخل اليمن، فهناك من لم يدخل الإسلام أو دخله ثم ارتد، وهناك من ظل على إسلامه، وهؤلاء يشكلون العدد القليل إلى جانب أهل الذمة. في ظل هذه الظروف السيئة التي تمر بها الأمة الإسلامية قامت حركة الأسود العنسي، إلا أن هذه الحركة لم

---

(١) الطبري، محمد بن جرير. تاريخ الأمم، مرجع سابق، جـ٣، ١٨٥؛ سليمان بن موسى بن سالم الكلاعي، تاريخ الردة، جزء مقتبس من كتاب: الاكتفاء بما تضمنه من مغازي الخلفاء، اقتبسه وحققه: خورشيد فاروق أحمد (الهند: معهد الدراسات الإسلامية، د. ت)، ١٥١، ١٥٢.

(٢) البلاذري،أحمد بن يحيى. فتوح البلدان، ١١٣؛ المقدسي، مطهر بن طاهر. كتاب البدء والتاريخ، مرجع سابق، جـ٥، ٢٢٩؛ ابن كثير، أبوالفداء إسماعيل، البداية، مرجع سابق، مج٣، جـ٦، ٣١١، ٣١٢.

(٣) الطبري، محمد بن جرير. تاريخ الأمم، مرجع سابق، جـ٣، ٢٣٠؛ ابن كثير، أبوالفداء إسماعيل. البداية، مرجع سابق، مج ٣، جـ ٦، ٣١٢.

يكتب لها النجاح، والحديث عنها سوف يبعدنا عن دائرة البحث، ولكن أشرنا إليها بقدر ما كان لها من صلة بمدينة نجران[١].

وقد تصدى رسول الله ﷺ بحزم وقوة لهذه الحركة، ثم وجه نداء إلى المسلمين المحاصرين بنجران وإلى قادة المسلمين في اليمن يحثهم على الصبر وتوحيد الصفوف ليتمكنوا من قهر عدوهم، والطبري ينقل لنا نص هذه الرسالة: " **إلى أهل نجران، إلى عربهم وساكن الأرض من غير العرب، فاثبتوا وانضموا إلى مكان واحد**" [٢]. ويعني بساكن الأرض من غير العرب المسلمين من غير العرب، وهم الفرس وقد عرفوا بالأبناء[٣].

وكان لهذه الرسالة التي وصلت إليهم من رسول الله ﷺ التأثير البالغ على نفوسهم، إذ أعادت إليهم الثقة والطمأنينة، كما أزالت الخوف والرعب من قلوبهم فتحركوا موحدي الهدف ضد الأسود العنسي، فتمكنوا من دحره والقضاء على حركته.

---

(١) للمزيد انظر: الطبري، محمد بن جرير. تاريخ الأمم، مرجع سابق، جـ٣، ٢٣٠، ٢٣١؛ ابن خلدون، عبدالرحمن. تاريخ ابن خلدون، مرجع سابق، جـ٢، ٤٨٢.

(٢) الطبري، محمد بن جرير. تاريخ الأمم، مرجع سابق، جـ ٣، ٢٣٢.

(٣) الأبناء: من أبناء فارس دخلوا اليمن مع سيف بن ذي يزن الحميري، وأطلق عليهم هذا الاسم — فيما بعد — لأنهم استقروا باليمن وتزوجوا، ثم صار أبناء أبنائهم يطلق عليهم الأبناء، لأنهم من أبناء أولئك الفرس، ولأن أمهاتهم من أجناس غير فارسية، وعندما جاء الإسلام أسلموا وحسن إسلامهم، انظر: ابن منظور، جمال الدين أبوالفضل. لسان العرب، مرجع سابق، جـ١، ٥٠٨، فعل (بني).

ثالثاً ـ العهد الراشدي:

لم يُقْضَ على الردة في نجران بموت الأسود العنسي، وإنما استمرت بعد وفاة الرسول ﷺ، وخلال عهد الخليفة الراشد، أبي بكر الصديق ﷺ ١١ ـ ١٣هـ (٦٣٢ ـ ٦٣٤م) وذلك أن بعض بني الحارث بن كعب في نجران انضموا إلى الأسود العنسي، وبعد مقتله، ومجيء عهد أبي بكر الصديق ظلوا على ردتهم، وهم مترددون في البقاء على الردة، أو العودة إلى الإسلام. وبينما هم على هذه الحال جاءهم مسروق العكي[1]، مع بعض من بقي على إسلامه من أهل اليمن، وكان عازماً على مقاتلتهم في حال رفضهم العودة للإسلام وبدأ أولاً بدعوتهم سلماً لترك الارتداد والعودة للإسلام، فاستجابوا وأسلموا دون قتال، فأقام فيهم يعمل على استتباب الأمور في بلادهم، حتى وصل إليه جيش الخليفة أبي بكر الصديق تحت قيادة المهاجر بن أبي أمية دعماً له في قتال المرتدين[2].

وكان الرسول ﷺ قد أرسل قبل وفاته عدداً من مبعوثيه إلى بلاد السراة، وغيرها من نواحي بلاد اليمن، خصوصاً عندما سمع بظهور

---

(١) الكلاعي، سليمان. تاريخ الردة، مرجع سابق، ١٥٣ وما بعدها، وقد ذكره باسم (الأصفر العكي)، بينما أسمته كتب الطبقات مسروق العكي، ولم تذكر (الأصفر)، ولعل الاسمين لشخصية واحدة، وللمزيد عن جهود مسروق العكي ضد المرتدين في عدة مواطن من بلاد اليمن راجع: الطبري، محمد بن جرير. تاريخ الأمم، مرجع سابق، جـ٣، ٣٢٠، ٣٢١ ـــ ٣٢٦،٣٢٨.

(٢) وللمزيد عن تصدي الخليفة أبي بكر الصديق للردة وعن الجيوش التي أرسلها إلى كل مكان لمحاربة المرتدين، انظر: الطبري، محمد بن جرير. تاريخ الأمم، مرجع سابق، جـ٣، ٣٢٣ وما بعدها؛ ابن خلدون، عبدالرحمن. تاريخ ابن خلدون، مرجع سابق، جـ ٢، ٤٩٢، ٤٩٣؛ ابن كثير، أبوالفداء إسماعيل. البداية، مرجع سابق، مج ٣، جـ ٦، ٣١٥ ـــ ٣٣٦.

الأسود العنسي، ولكن عجلت الأنباء التي وصلتهم بانتقال الرسول ﷺ إلى الرفيق الأعلى بعودة بعضهم إلى الحجاز، وكان جرير بن عبدالله البجلي من بعض الذين عادوا إلى المدينة المنورة، فرده الخليفة أبوبكر الصديق وأمره أن يدعو من قومه، من بني بجيلة، ومن ثبت على دين الله ولم يرتد ثم يذهب بهم إلى أجزاء عديدة من بلاد السروات، جنوب الطائف، فيقاتل من ارتد عن الإسلام، ثم يواصل سيره حتى يصل نجران فيقيم بها حتى يأتيه أمره. ويؤكد الطبري ذلك بقوله: " **فخرج جرير فنفذ ما أمره به أبوبكر، فلم يقر له أحد إلا رجال عدة قليلة، فقتلهم وتتبعهم، ثم كان وجهه إلى نجران، فأقام بها انتظاراً لأمر أبي بكر رحمه الله** "[1].

ومن هنا يتضح لنا أن أبا بكر الصديق ﷺ أراد من جرير البجلي أن يعود إلى بلاد السروات فيحثَّ من بقي على إسلامه على التمسك بشرع الله، ويقاتل معه من خرج عن ملة الإسلام، ويظهر من نص الطبري أنه لم يقابل أعداداً كثيرة من المرتدين في البلاد الواقعة بين الطائف ونجران، وبالتالي فقد واصل طريقه مسرعاً حتى وصل نجران فوجد من بها من

---

(١) الطبري، محمد بن جرير. تاريخ الأمم، مرجع سابق، جـ٣، ٣٢٢؛ ابن الأثير، علي. الكامل في التاريخ، مرجع سابق، جـ٢، ٢٢٩ وما بعدها؛ ابن خلدون، عبدالرحمن. تاريخ ابن خلدون، مرجع سابق، جـ٢، ٤٩٣؛ شهاب الدين أحمد بن عبدالوهاب النويري، نهاية الأرب في معرفة أصول العرب، تحقيق: علي محمد البجادي، (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٣٩٦هـ/ ١٩٧٦م)، جـ ١٩، ١٤٤.

المرتدين قد رجعوا إلى الإسلام على يد مسروق العكي[١].

أما المرتدون في بلاد اليمن، وبخاصة في صنعاء وما حولها وكذلك الأجزاء التهامية من بلاد اليمن، فقد ظلوا يعيثون في الأرض فساداً، بينما استقرت أمور الإسلام في بلاد السراة الممتدة من الطائف حتى نجران لقلة عدد المرتدين وتمسك معظم مسلمي نجران بعقيدتهم، وإصرارهم على محاربة المرتدين، نستدل على ذلك بما ورد في بعض المصادر من إشارات إلى كتاب أرسله أحد زعماء نجران يدعى عبدالله بن عبدالمدان إلى أبي بكر الصديق ﷺ يطالبه فيه بأن يأذن له فيسير في أهل نجران إلى صنعاء ومن حولها لمحاربة المرتدين هناك[٢]. بل نجد كتاباً آخر يرسله أبوبكر الصديق إلى المرتدين من أهل صنعاء، فيذكرهم بدعوة الرسول ﷺ ثم دخولهم في الإسلام وبقائهم عليه إلى أن جاءهم خبر وفاة الرسول ﷺ فارتدوا عن دين الله، ثم كان في نهاية كتابه: " **وقد منعني أن أسلط عليكم ابن عبدالمدان فيمن قبله انتظاراً، وما والله محدث مما لست بآيس منه، فإن تراجعوا الإسلام ترجعوا ديناً طالما نفعكم الله تعالى به، وإن تأبوا فإن لله تعالى حزباً**

---

(١) الكلاعي، سليمان. تاريخ الردة، مرجع سابق، ١٥٦، الطبري، محمد بن جرير. تاريخ الأمم، مرجع سابق، جـ ٣، ٣٢٢؛ ابن خلدون، عبد الرحمن. تاريخ ابن خلدون. مرجع سابق، جـ٢، ص٤٩٣؛ النويري، شهاب الدين. نهاية الأرب، مرجع سابق، جـ١٩، ١٤٤.

(٢) انظر: حميد الله، محمد. مجموعة الوثائق، مرجع سابق، ٣٤١، ٣٤٢، وكان لعبدالله بن المدان موقف مشرف في قومه عندما ارتدوا مع الأسود العنسي، إذ وقف فيهم ينهاهم عن الردة ويحذرهم عاقبة أمرهم؛ شهاب الدين أبوالفضل أحمد بن محمد بن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، (بيروت: دار الكتب العلمية، د. ت) (مصور من النسخة الأصلية المطبوعة عام ١٨٥٣م في بلدة كلكتا بالهند)، مج ٢، جـ ٤، ٩٨.

منصوراً، وجنداً غالباً يقطع دابر القوم الذين ظلموا " [(١)]. ويفهم من هذا الكتاب حزم الخليفة الراشد الأول تجاه المرتدين ومخاطبتهم بصيغة الإنذار وإعطاء فرصة أخيرة للمرتدين من أهل صنعاء للدخول ثانية في الإسلام ويعاود إنذارهم في حالة عدم استجابتهم فإنه سوف يحاربهم بعباد الله الصالحين مثل المسلمين من أهل نجران وما حولهم بزعامة ابن عبدالمدان.

وقد وضح بجلاء هذا العزم من قبل الصديق في التصدي لحركة الردة في جميع أجزاء شبه الجزيرة العربية، فجهز عدداً من الجيوش التي اتجهت إلى نواحٍ عديدة من البلاد، وكان أحدها بقيادة المهاجر بن أبي أمية، وقد أرسله لمحاربة المرتدين في الطائف وبلاد السراة ونجران وصنعاء[(٢)]. ويشير ابن خلدون إلى رحلة المهاجر إلى صنعاء فيذكر أن أبا بكر الصديق ﷺ أمره "**بأن يسير إلى اليمن ليصلح من أمره، ثم ينفذ إلى عمله، وأمره بقتال ما بين نجران وأقصى اليمن ففعل ذلك، ... وسار المهاجر حتى نزل صنعاء وتتبع شذاذ القبائل فقتل من قدر عليه، وقبل توبة من رجع**

---

(١) حميد الله، محمد. مجموعة الوثائق، مرجع سابق، ٣٤٢، وللمزيد عن حركة الردة في صنعاء وما حولها والجهود العسكرية التي بذلها المسلمون في حرب المرتدين وإعادة البلاد إلى حظيرة الإسلام، انظر: البلاذري، أحمد بن يحيى، فتوح البلدان، مرجع سابق، ١١٣، ١١٤؛ الطبري، محمد بن جرير. تاريخ الأمم، مرجع سابق، جـ٣، ٣٢٥ وما بعدها؛ ابن كثير، أبوالفداء إسماعيل. البداية، مرجع سابق، مج ٣، جـ٦، ٣٣٥، ٣٣٦؛ ابن خلدون، عبدالرحمن. تاريخ ابن خلدون. مرجع سابق،جـ٢، ٤٩٢ وما بعدها.

(٢) للمزيد عن إرسال الخليفة أبي بكر الصديق الكتب والجيوش المنظمة إلى القبائل والنواحي المرتدة عن الإسلام،انظر: الطبري، محمد بن جرير. تاريخ الأمم، مرجع سابق، جـ ٣، ٢٤٩، وما بعدها؛ ابن كثير، أبوالفداء إسماعيل، البداية، مرجع سابق، مج ٣، جـ ٦، ٣١٩، ٣٢٠ وما بعدها؛ ابن خلدون، عبدالرحمن. تاريخ ابن خلدون، مرجع سابق، جـ ٢، ٤٩٤ وما بعدها.

إليه، وكتب إلى أبي بكر بدخول صنعاء، فجاءه الجواب بأن يسير إلى كندة..."[١].

يفهم من هذا القول: إن المهاجر خرج من الطائف حتى وصل نجران، ولم يقابل أي عناء في هذه المنطقة الواسعة التي يصل طولها - تقريباً - إلى ثمانمئة كيل، ثم يؤكد عليه فيحارب المرتدين الذين كانوا بين نجران وصنعاء، وفي اعتقادنا أنهم ليسوا كثيرين؛ لأن من بقي من المسلمين هناك مع بعض قادة المسلمين في تلك النواحي أمثال: جرير بن عبدالله، ومسروق العكي وغيرهما، استطاعوا تذليل الصعاب والقضاء على المرتدين[٢]، ويعد مجيء المهاجر بن أبي أمية ومن معه من المسلمين بمثابة توطيد لأوضاع الدولة الإسلامية في هذه البقاع وتأمين لها، وبخاصة في بلاد صنعاء وما حولها، ولو أن الوضع لا يزال خطراً هناك، لما كان الخليفة الصديق أمر المهاجر بالتوجه إلى بلاد كندة حيث لا يزال

---

(١) المرجع السابق، جـ ٢، ٤٩٤.

(٢) انظر: الطبري، محمد بن جرير. تاريخ الأمم، مرجع سابق، جـ٣، ٣٢٨ ـــ ٣٣٠؛ ابن كثير، أبوالفداء إسماعيل، البداية، مرجع سابق، مج٣، جـ ٦، ٣٣٥، ٣٣٦. ويذكر ابن سمرة الجعدي، والكلاعي أن المهاجر خرج حتى وصل نجران، فوجد كلاً من جرير بن عبدالله ومسروق العكي فضمهما ومن معهما من المسلمين إلى جيشه، ثم قسم جيشه في نجران إلى قسمين؛ فرقة تتولى القضاء على فلول الأسود العنسي المتناثرة بين نجران وصنعاء، وكان المهاجر نفسه على هذه الفرقة، أما الفرقة الأخرى فكان على رأسها أخوه عبدالله بن أبي أمية، وكانت مهمتها تطهير منطقة تهامة اليمن من المرتدين، وقد نجحوا في ذلك، انظر: الجعدي، عمر بن علي، طبقات فقهاء اليمن، مرجع سابق، ٣٥؛ الكلاعي، سليمان. تاريخ الردة، مرجع سابق، ١٥٦، ١٥٧.

المرتدون بها يشكلون خطراً وتهديداً على الإسلام والمسلمين هناك[1].

ومع نهاية عهد الخليفة أبي بكر الصديق ﷺ وبداية عهد الخليفة عمر بن الخطاب ١٣ ـ ٢٣هـ (٦٣٤ ـ ٦٤٣م) استقر الإسلام ديناً ودولة في بلاد نجران وجميع البلاد الممتدة من الطائف ومكة المكرمة شمالاً حتى بلاد نجران وصعدة وصنعاء جنوباً، بالإضافة إلى الأجزاء التهامية المنخفضة غرباً عن تلك المواطن السروية الجبلية[2]، وتقاطر سكان تلك البلاد على المدينة المنورة رغبة في الجهاد في سبيل الله، وإعلاء كلمة التوحيد، وذلك عندما نادى فيهم الخليفة أبوبكر الصديق، ثم تلاه الخليفة عمر بن الخطاب، فانخرطوا في جيوش المسلمين التي خرجت في الفتوحات الإسلامية إلى بلاد فارس والعراق، وإلى بلاد الشام ومصر والمغرب والأندلس[3]، وقد تناثرت الأخبار في المصادر الإسلامية المبكرة على اختلافها مشيرةً إلى الدور الفاعل الذي لعبه سكان البلاد الواقعة إلى جنوب حواضر الحجاز (مكة والطائف)

---

(١) للمزيد عن الردة في بلاد كندة، انظر: الطبري، محمد بن جرير. تاريخ الأمم، مرجع سابق، جـ٣، ٣٣٠، ٣٤٢؛ ابن كثير، أبوالفداء إسماعيل. البداية، مرجع سابق، مج٣، جـ٦، ٣٣٤ ـ ٣٣٦؛ ابن خلدون، عبدالرحمن. تاريخ ابن خلدون، مرجع سابق، جـ ٢، ٥٠٦، ٥٠٧.

(٢) عن التحديد الجغرافي لهذه المناطق وما ذكر عنها انظر: عبدالله بن عبدالعزيز البكري، معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، تحقيق: مصطفى السقا، (بيروت:عالم الكتب، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م)، مج١،جـ٨، ١ـ ٩؛ الحموي، ياقوت. معجم البلدان، مرجع سابق، جـ٢، ٦٣، ٦٤،٢٠٢ـ ٢١٨ ؛ الحديثي، نزار. أهل اليمن في صدر الإسلام، مرجع سابق،٩٩-١٤١.

(٣) ابن حزم علي. جمهرة أنساب العرب، ٢٩٤، ٤٤٦، ٤٤٧؛ الحديثي، نزار. أهل اليمن في صدر الإسلام، مرجع سابق، ١٤٥ ـ ٢٠٦؛ غيثان بن علي بن جريس، دراسات في تاريخ تهامة والسراة خلال العصور الإسلامية المبكرة والوسيطة (ق١ ـ ق١٠هـ/ ق ٧ ـ ق ١٦م)، (الرياض: مكتبة العبيكان، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م)، جـ ١، ٥٧ ـ ٩١.

والممتدة إلى حواضر اليمن الكبرى بما فيها نجران وأعمالها في الحياتين العامة والخاصة في المشرق والمغرب في العصر الإسلامي، ولم يقتصر دورهم على الجهاد العسكري فحسب، بل تعدى هذا المجال، فنجد أن كثيراً منهم شارك في البناء السياسي والإداري والعمراني للدولة الإسلامية علاوة على إسهاماتهم المؤثرة في بقية الجوانب الحضارية الأخرى، كالنواحي العلمية والفكرية والحياة الاقتصادية على اختلافها وشتى المظاهر الاجتماعية الأخرى، ومن يتتبع آثارهم وإسهاماتهم في هذه الجوانب فإنه سيجد مادة علمية ثرية لا يكفيها عدد من الأسفار لجمع هذا الجانب الحضاري الخاص بهم(١).

أما الأوضاع المحلية في بلاد نجران وما حولها، فللأسف الشديد، لم تفصح المصادر أو تمدنا بتفصيلات مهمة عن تلك الأوضاع وبخاصة بعد خلافة أبي بكر الصديق، ولكن يمكننا أن نستنتج من سير الأحداث أن الأوضاع الداخلية لبلاد نجران قد استقرت سواء كان ذلك مدنياً أو دينياً خصوصاً بعد وصول المهاجر بن أبي أمية، والتقائه بأهل نجران ومن كان فيها من الصحابة، وجهوده في توطيد الأمن هناك، تلك الجهود التي على إثرها ترك جرير بن عبدالله البجلي والياً على نجران، وذهب في طريقه إلى

---

(١) الحديثي، نزار. أهل اليمن، مرجع سابق، ١٥٠ ـــ ٢٠٢؛ عبدالله بن عبدالكريم الجرافي، المقتطف من تاريخ اليمن. ط٢، (بيروت: منشورات العصر الحديث، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م)، ٨٨، ٨٩؛ أحمد حسين شرف الدين، اليمن عبر التاريخ من القرن الرابع عشر قبل الميلاد إلى القرن العشرين، (القاهرة: ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م)، ١٧١ ـــ ١٧٧.

كندة لإكمال مهمته في القضاء على المرتدين تنفيذاً لأوامر الخليفة الصديق. ثم جاء عهد الخليفة عمر بن الخطاب، فكان أكثر استقراراً بفضل ما عرف عن هذا الخليفة الراشد من حزم في إدارة البلاد الإسلامية، فقد أرسل عماله في أنحاء الدولة الإسلامية، ومن عماله في نجران، يعلى بن أمية الذي كان والياً على أجزاء من اليمن منذ عهد الرسول ﷺ ثم عهدي أبي بكر وعمر، فكان مسؤولاً عن بلاد نجران وما جاورها من بلاد همدان ومأرب والجند، وقد استدعاه عمر بن الخطاب أكثر من مرة لكي يقدم تقاريره الإدارية عن سير أحوال البلاد التي يتولاها واستجوبه في بعض الأمور لأخبار بلغته عنه[١]، ثم أعاده عاملاً على نجران وغيرها من النواحي فظل هناك حتى عهد الخليفة علي بن أبي طالب[٢].

أما عن الدور الذي لعبته نجران في بقية الأحداث السياسية التي ألمت بالدولة الإسلامية في عهد الخلفاء الراشدين، وبخاصة خلال الفتنة الكبرى في عهد الخليفة عثمان بن عفان ﷺ ٢٣ ـ ٣٥هـ (٦٤٣ ـ ٦٥٥م) والصراع بين الخليفة علي بن أبي طالب ﷺ ٣٥ ـ ٤٠هـ (٦٥٥ ـ ٦٦٠م) وبين معاوية ابن أبي سفيان ﷺ فإننا نجد أن سكان نجران، أسوة بغيرهم من سكان شبه الجزيرة العربية، قد انخرطوا - على وجه التأكيد - في هذه الفتن، ومنهم

---

(١) من الشكاوى التي قُدمت في يعلى بن أمية أنه حمى لنفسه في نجران، فعزله من منصبه ثم أعاده بعد مسألته، انظر: ابن حجر، شهاب الدين. الإصابة، مرجع سابق، مج ٣، جـ ٦، ٣٥٣.

(٢) المرجع السابق؛ وللمزيد انظر: الهادي يحيى الحسين، غاية الأماني في أخبار القطر اليماني، تحقيق: سعيد عبدالفتاح عاشور، (القاهرة: دار الكاتب العربي، ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨م)، جـ ١، ٩٣، ٩٤؛ شرف الدين،أحمد حسين. تاريخ الفكر الإسلامي في اليمن، مرجع سابق، ٢١، ٢٢.

من انضم إلى الخليفتين الراشدين عثمان وعلي، ومنهم من كان ضدهما، ونال سكان بلاد السراة الممتدة منطقتهم من الطائف حتى صنعاء، ما نال غيرهم من هذه الفتنة، وبخاصة الذين توزعوا منهم في الأمصار الإسلامية من مصر إلى الشام إلى بلاد العراق وفارس، والمصادر التاريخية تعج بالكثير من الأخبار التي تؤكد انخراط سكان هذه المناطق في خضم الأحداث السياسية التي عاشتها الأمة الإسلامية في عصر الخلفاء الراشدين ﷺ[1].

أما عن تفاصيل هذا الدور الذي لعبته نجران وما يجاورها فلا ريب أنها قد تأثرت كغيرها من بلاد شبه الجزيرة العربية بالفتن التي وقعت زمن الخليفة عثمان بن عفان، وأدت إلى استشهاده ﷺ ثم الصراعات التي وقعت بين الخليفة علي بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان حيث تشير المصادر التاريخية المبكرة التي عالجت أحداث هذه الفترة إلى انتشار هذه الفتن حتى وصل خبرها بل تأثيرها، إلى كل صقع من أصقاع المسلمين آنذاك، ولكنها رغم ذلك لا تخصص الحديث عن دور أهل نجران فيها أو توضح بشكل مفصل مدى تأثيرها على تلك الأنحاء.. بل نلاحظ أنها لا تكاد تذكر في

(١) لمزيد من التفاصيل عن تلك الأحداث انظر: القاضي أبوبكر محمد بن عبدالله بن محمد بن العربي، العواصم من القواصم في تحقيق مواقف الصحابة بعد وفاة النبي ﷺ، تحقيق: محب الدين الخطيب، (القاهرة: المطبعة السلفية، ١٣٩٦هـ)، ٦١ ـــ ١١٠؛ نصر المنقري بن مزاحم، وقعة صفين، تحقيق: عبدالسلام محمد هارون، (القاهرة: المؤسسة العربية الحديثة، مكتبة الخانجي، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨١م)، ١١٧، ١٧١، ١٩٠، ٢٢٧، ٢٦٢، ٤٤٣، ٥١٢؛ أحمد الكوفي بن أعثم، كتاب الفتوح، (بيروت: دار الندوة الجديدة، د. ت)، (مصور من طبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر أباد بالدكن– الهند، د. ت)، ٥٣ ـــ ٦٩، ١٤٠.

بطون هذه المصادر لانشغال مصنفيها بما يجري في الحواضر العربية الكبرى محل هذه الصراعات (المدينة المنورة ـ دمشق ـ الكوفة) ولا يتواتر ذكر نجران ثانيةً ودورها السياسي في أحداث الدولة الإسلامية إلا سنة أربعين من الهجرة حينما وجه معاوية بن أبي سفيان بسر بن أبي أرطاة العامري في ثلاثة آلاف رجل لاجتياح الحجاز في طريقه إلى نجران وبلاد الجند وصنعاء وما حولها. وقد أوضحت المصادر حينئذٍ سبب بعث بسر إلى تلك النواحي، وهو أن معاوية أثناء وجوده بالشام في خلافة علي بن أبي طالب تلقى خطاباً من بعض أهل صنعاء ونجران والجند وقد أظهروا له الموافقة على مطالبته بقتلة عثمان بن عفان، لأنهم استنكروا قتل أمير المؤمنين[1].

وكان غالبية أهل نجران وما حولها من بلاد اليمن قد أعلنوا ولاءهم للخليفة علي بن أبي طالب الذي أرسل إليهم في عام ٣٥هـ (٦٥٥م) عبيد الله بن عباس ليكون والياً عاماً على بلاد اليمن بما فيها بلاد نجران وأعمالها[2]، بينما خالفته فئة قليلة وأرسلت إلى معاوية وأعلنت له الولاء والبراء من علي بن أبي طالب، وعندما عرف والي اليمن عبيد الله بن عباس، بخبرهم استدعاهم وتحاور معهم فبيّنوا له أنهم ما زالوا يرون مجاهدة

---

(١) اليعقوبي، أحمد. تاريخ اليعقوبي، مرجع سابق، جـ ٢، ١٩٧ ـــ ٢٠٠؛ ابن أعثم، أحمد. كتاب الفتوح، مرجع سابق، جـ ٤، ٦١، ٦٥؛ ابن الأثير، علي. الكامل، مرجع سابق، جـ ٣، ١٩٢ وما بعدها؛ الحسين، الهادي يحيى. غاية الأماني في أخبار القطر اليماني، مرجع سابق، جـ١، ٩٦؛ النويري، شهاب الدين. نهاية الأرب، مرجع سابق، جـ ٢، ٢٥٩ ـــ ٢٦١.

(٢) ابن سعد، محمد البصري. الطبقات، مرجع سابق، جـ ٦، ٨٤؛ الحسين، الهادي يحيى. غاية الأماني، مرجع سابق، جـ١، ٩٣، ٩٤.

من سعى على أمير المؤمنين عثمان بن عفان ﷺ. فلجأ عبيد الله إلى سجن بعض رجالهم، فثار لهم أعوانهم خارج السجن وهددوا عبيد الله، إما أن يطلقهم، وإما فلا طاعة له ولا لعلي بن أبي طالب، فرفض عبيد الله، فما كان منهم إلا أن استعصوا وامتنعوا عن دفع زكاة أموالهم لعبيد الله بن عباس[١].

وقد حرص أمير المؤمنين علي بن أبي طالب على استشارة زعماء اليمن الذين يرافقونه في هذه الأحداث التي تحصل في اليمن، وكان من أولئك الرجال يزيد بن أنس الأرحبي[٢] الذي نصحه بأن يكتب لهم كتاباً، فإن استجابوا كان بها، وإلا أرسل إليهم جيشاً، فكتب الكتاب وأرسله مع رجل من همدان[٣]. فلم يؤثر فيهم بل زادهم تمسكاً بموقفهم وكتبوا على إثر ذلك لمعاوية بأن يرسل إليهم أميراً من قِبله فأرسل بسر بن أبي أرطاة في ثلاثة آلاف رجل، وقيل أربعة آلاف مقاتل، وأوصاه بأن يذهب إلى الحجاز، ثم

---

(١) ابن أعثم، أحمد. كتاب الفتوح، مرجع سابق، جـ ٤، ٥٤.

(٢) يذكر أن يزيد كان مرافقاً لعلي بن أبي طالب في الكوفة، وما زال له قوم وعشيرة قوية في بلاد اليمن، لهذا استشاره الخليفة، انظر تفصيلات ذلك في: المرجع السابق.

(٣) قبائل همدان كانت أكثر القبائل سمعاً وطاعة للخليفة علي بن أبي طالب ﷺ، منذ أن ذهب إليهم في عهد الرسول ﷺ حتى وفاته، وبقوا على الولاء لأبنائه وأحفاده،عاتق بن غيث البلادي، بين مكة وحضرموت رحلات ومشاهدات، (مكة المكرمة: دار مكة للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م)، ١٢١، ١٢٢؛ عبدالرحمن عبدالواحد الشجاع، اليمن في صدر الإسلام (دمشق: دار الفكر، ١٤٠٨ هـ/ ١٩٨٧م)، ٣٣٢، ٣٣٣.

بلاد السراة حتى يصل إلى بلاد اليمن، ويكون حازماً شديداً على من يتصدى له[١]، فخرج بسر وجيشه فجاس خلال الديار يقتل ويحرق ويشرد كل شخص أو فئة كانت متشيعة للخليفة علي بن أبي طالب، وعندما علم عبيد الله بن عباس بقدومه خرج هارباً إلى الكوفة، والتقى بالخليفة علي بن أبي طالب هناك، وقبل خروجه من بلاد اليمن خلف عليها عبدالله بن عبدالمدان الحارثي أحد أحفاد يزيد بن عبدالمدان الحارثي، الذي كان ضمن وفد أهل نجران الذين وفدوا على رسول الله ﷺ في السنة العاشرة من الهجرة[٢].

وعند وصول بسر بن أبي أرطاة إلى نجران وجد بها عبدالله بن عبدالمدان فقتله، وقتل ابناً له يسمى مالكاً[٣]، ثم بقي بها يتهدد أهل نجران بالقتل، ثم جمعهم ونادى فيهم قائلاً: " **يا إخوان النصارى، أما والذي لا**

---

(١) انظر: اليعقوبي، أحمد. تاريخ اليعقوبي، مرجع سابق، جـ٢، ١٩٧ وما بعدها؛ ابن أعثم، أحمد. كتاب الفتوح، مرجع سابق، جـ ٤، ٥٤؛ ابن الأثير، علي. الكامل، مرجع سابق، جـ ٣، ١٩٢ ــ ١٩٤؛ النويري، شهاب الدين. نهاية الأرب، مرجع سابق، جـ٢، ٢٥٩.

(٢) اليعقوبي، أحمد. تاريخ اليعقوبي، مرجع سابق، جـ ٢، ١٩٧؛ ابن الأثير، علي. الكامل، مرجع سابق، جـ ٣، ١٩٢ ــ ١٩٤؛ ابن أعثم، أحمد. كتاب الفتوح، مرجع سابق، جـ ٤، ٥٤ وما بعدها.

(٣) وقد أنشد بعض بني عبدالمدان:

فلولا أن أخاف صيال بسر ... بكيت على بني عبدالمدان

ابن أعثم، أحمد. كتاب الفتوح، مرجع سابق، جـ ٤، ٦٣؛ ابن حجر، شهاب الدين. الإصابة، مرجع سابق، مج٢، جـ٤، ٩٨.

إله غيره، لئن بلغني عنكم أمر أكرهه لأكثرن قتلاكم "[١]. ثم واصل مسيره إلى بلاد صنعاء يلاحق الموالين للخليفة علي بن أبي طالب ويقتلهم ويشردهم. ولما بلغ خبر بسر بن أبي أرطاة الخليفة علي بن أبي طالب بعث جارية بن قدامة السعدي في ألفين من الرجال، ووهب بن مسعود الخثعمي بالعدد نفسه، فتوجه جارية حتى أتى نجران فقتل جماعة ممن ناصروا بسر، وهرب ابن أبي أرطاة وأتباعه فطاردهم جارية السعدي ورجاله حتى دخلوا مكة المكرمة وهناك وافت الأخبار جارية بمقتل الخليفة علي بن أبي طالب على يد عبدالرحمن بن ملجم[٢].

أما النصارى في نجران الذين كانوا قد تصالحوا مع رسول الله ﷺ وفق شروط محددة، فإنهم لما علموا بوفاة رسول الله ﷺ أرادوا أن يجددوا العهد مع خليفة رسول الله فبعثوا وفداً إلى أبي بكر الصديق كي يوضحوا له التزامهم بالعهود التي صالحهم الرسول ﷺ عليها وعند مقابلتهم الخليفة أبا بكر سمع منهم وأقرّهم على تلك العهود، وكتب لهم كتاباً قال فيه:

---

(١) اليعقوبي، أحمد. تاريخ اليعقوبي، مرجع سابق، جـ ٢، ١٩٩؛ وورد النص بصيغة أخرى مختلفة عند ابن أعثم الذي يذكر أن بسر خاطب أهل نجران بقوله: (يا إخوان اليهود والنصارى، أما والله لئن بلغني عنكم أمر أكرهه من ولايتكم علي بن أبي طالب، لأرجعن عليكم بالخيل والرجال، ثم لأكثرن فيكم القتل، فانظروا لأنفسكم فقد أعذر من أنذر)، انظر: ابن أعثم، أحمد. كتاب الفتوح، مرجع سابق، جـ ٤، ٦٣.

(٢) اليعقوبي، أحمد. تاريخ اليعقوبي، مرجع سابق، جـ٢، ١٩٨، ١٩٩؛ ابن أعثم، أحمد. كتاب الفتوح، مرجع سابق، جـ ٤، ٥٦، ٥٧، ابن الأثير، علي. الكامل، مرجع سابق، جـ٣، ١٩٢ وما بعدها؛ ابن حجر، شهاب الدين. الإصابة، مرجع سابق، مج٢، جـ٤، ٩٨؛ النويري، شهاب الدين. نهاية الأرب، مرجع سابق، جـ ٢، ٢٥٤، ٢٥٥؛ الحسين، الهادي يحيى. غاية الأماني، مرجع سابق، جـ١، ٩٦.

"بسم الله الرحمن الرحيم. هذا كتاب من عبدالله أبي بكر خليفة رسول الله ﷺ لأهل نجران أجارهم من جنده ونفسه، وأجاز لهم ذمة محمد ﷺ إلا ما رجع عنه محمد ﷺ بأمر الله عز وجل في أرضهم وأرض العرب، إلا يسكن بها دينان، أجارهم على أنفسهم بعد ذلك وملتهم وسائر أموالهم وحاشيتهم، وعاريتهم، وغائبهم وشاهدهم وأسقفهم ورهبانهم وبيعهم حيثما وقعت، وعلى ما ملكت أيديهم من قليل أو كثير، عليهم ما عليهم فإذا أدوه فلا يحشرون ولا يعشرون ولا يغير أسقف من أسقفيته، ولا راهب من رهبانيته ووفى لهم بكل ما كتب لهم رسول الله ﷺ وعلى ما في هذا الكتاب من ذمة محمد رسول الله ﷺ وجوار المسلمين وعليهم النصح والإصلاح فيما عليهم من الحق" [(١)].

ويتضح من هذا الكتاب أن الخليفة أبابكر أقرّهم على وضعهم ما داموا ملتزمين بشروط الصلح الذي عقدوه مع رسول الله ﷺ، كما أوضح لهم موقف الرسول ﷺ من الديانات السماوية، اليهودية والنصرانية، وبقائها في جزيرة العرب، عندما روى لهم الحديث القائل: **" أخرجوا أهل نجران من جزيرة العرب"** [(٢)]، ولكنهم الآن محميون تحت مظلة الاتفاقية التي عقدوها

---

(١) الطبري، محمد بن جرير. تاريخ الأمم، مرجع سابق، جـ ٣، ٣٢١، ٣٢٢؛ حميد الله، محمد. مجموعة الوثائق، مرجع سابق، ١٩١، ١٩٢.

(٢) في حديث رواه أبوعبيدة عن الرسول ﷺ أنه كان آخر ما تكلم به الرسول ﷺ قبل موته أن قال: (أخرجوا اليهود من الحجاز، وأخرجوا أهل نجران من جزيرة العرب)، أبوعبدالقاسم بن سلام، كتاب الأموال، تحقيق: محمد خليل هراس، (القاهرة: مكتبة الكليات الأزهرية، ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨م)، ١٤٤، ١٤٥، وفي رواية أخرى: (لا يبقين دينان في أرض العرب)، البلاذري، أحمد بن يحيى. فتوح البلدان، مرجع سابق، ٧٧.

مع رسول الله ﷺ فلا خوف عليهم، ولهم الأمان[1].

وكانت أعداد النصارى بنجران في تزايد مستمر، وقد شعر الخليفة عمر بن الخطاب بخطرهم على نجران وما حولها من البلاد، ولكنه لا يستطيع فعل شيء، لالتزامه بنصوص الاتفاقية المبرمة معهم منذ عهد الرسول ﷺ التي جددها الخليفة أبوبكر، وفي عام ٢٠هـ (٦٤٠م) علم الخليفة أنهم يتعاملون بالربا، وهذا يعني أنهم قد خرقوا نصاً من نصوص الاتفاقية التي أبرمت بينهم وبين رسول الله ﷺ[2]، فأجلاهم من نجران انطلاقاً من المبدأ القائل **"من نقض عهداً فلا ذمة له"**[3]، بعد أن اشترى منهم عقارهم وأملاكهم فتفرقوا فمنهم من ذهب إلى العراق، وآخرون اتجهوا إلى الشام، فأما الذين سكنوا العراق فقد استقروا في الكوفة وسمي المكان الذي نزلوه باسم (النجرانية)

---

(١) المرجع السابق، ٧٧؛ الطبري، محمد بن جرير. تاريخ الأمم، مرجع سابق، جـ ٣، ٣١٢؛ حميد الله، محمد. مجموعة الوثائق، مرجع سابق، ١٩١، ١٩٢.

(٢) ويذكر أن عمر بن الخطاب ﷺ كتب لهم كتاباً مطولاً قال فيه: (... من عمر أمير المؤمنين إلى أهل رعاش كلهم... أما بعد، فإنكم زعمتم أنكم مسلمون ثم ارتددتم بعد...)، انظر نص الكتاب كاملاً: ابن سلام، أبوعبيد القاسم. كتاب الأموال، مرجع سابق، ١٤٥؛ الهمداني، الحسن بن أحمد. صفة جزيرة العرب، مرجع سابق، ٣١٨، حاشية (١).

(٣) الطبري، محمد بن جرير. تاريخ الأمم، مرجع سابق، جـ ٤، ١١٠؛ البلاذري، أحمد بن يحيى. فتوح البلدان، ٧٧، ٧٨؛ حميد الله، محمد. مجموعة الوثائق، مرجع سابق، ١٩٢، ١٩٣، ويذكر أحد المصادر أن يهود نجران خرجوا معهم يوم ذهبوا إلى الشام والعراق، وكانوا كالأتباع لهم. البلاذري، أحمد بن يحيى. فتوح البلدان، مرجع سابق، ٧٧.

نسبة إليهم[١].

ويبدو أن عمر بن الخطاب قد تعاطف معهم يوم تركوا نجران واتجهوا إلى الشام والعراق، فكتب إلى من قبلهم من أمراء وعامة المسلمين، وذلك وفاء لهم بما كتب لهم رسول الله ﷺ وخليفته أبوبكر فقال: " **أما بعد، فمن مرّوا به من أمراء الشام وأمراء العراق فليوسعهم من حرث الأرض، فما اعتملوا من ذلك فهو لهم صدقة، وعقبة لهم مكان أرضهم لا سبيل عليهم فيه لأحد ولا مغرم. أما بعد، فمن حضرهم من رجل مسلم فلينصرهم على من ظلمهم، فإنهم أقوام لهم الذمة وجزيتهم عنهم متروكة أربعة وعشرين شهراً، من بعد أن يقدموا، ولا يكلفوا إلا من ضيعتهم التي اعتملوا غير مظلومين، ولا معتدى عليهم**"[٢]. وبهذا المكتوب أعطاهم الخليفة عمر فرصة عامين لترتيب أوضاعهم والاستقرار، دون أن يلزمهم بدفع الجزية المفروضة عليهم منذ عهد الرسول ﷺ وبعد انقضاء هذه المدة تعود الجزية كما كانت تفرض عليهم من قبل، أسوة بسائر أهل الذمة من النصارى واليهود[٣].

وهناك رأي آخر في سبب إجلائهم من نجران يرويه لنا البلاذري، إذ

---

(١) يعقوب إبراهيم أبويوسف، كتاب الخراج، (القاهرة: المطبعة السلفية، ١٣٨٢هـ)، ٧٤؛ ابن سلام، أبو عبيد القاسم. كتاب الأموال، مرجع سابق، ٢٧٤، البلاذري، أحمد بن يحيى. فتوح البلدان، مرجع سابق، ٧٧؛ المسري، حسين علي. "نجران ودورها السياسي والاقتصادي"، مجلة المؤرخ المصري، مرجع سابق، ٧٣، ٧٤.

(٢) ابن سعد، محمد البصري. الطبقات الكبرى، مرجع سابق، جـ ١، ٣٥٨؛ البلاذري، أحمد بن يحيى. فتوح البلدان، مرجع سابق، ٧٧، ابن سلام، أبوعبيد القاسم . كتاب الأموال، مرجع سابق، ٢٧٤؛ حميد الله، محمد. مجموعة الوثائق السياسية، مرجع سابق، ١٩٣- ١٩٤.

(٣) المرجع السابق.

يذكر أن نصارى نجران قد تزايدت أعدادهم، وضاقت عليهم المدينة حيث بلغ تعدادهم قريباً من أربعين ألفاً وشاع بينهم التباغض والتحاسد، فرفعوا أمرهم إلى عمر وطلبوا منه أن يجليهم من بلادهم، فاغتنم عمر هذه الفرصة، ولا سيما أنه كان متخوفاً منهم على المسلمين بنجران وما حولها من البلدان فلبى طلبهم وأخرجهم إلى الشام والعراق، وبعد ذلك ندموا على ما فعلوا، فعادوا إلى عمر يسألونه أن يلغي قرار الإجلاء ولكنه رفض وأصر على إجلائهم[(١)].

وفي اعتقادنا أن الرأي الأول هو الأصح في سبب إجلائهم، ولأنهم قد أعطوا العهود على أنفسهم، والتزموا بعدم نقضها، ولكن عندما نقضوها وجدها الخليفة عمر فرصة لإخراجهم، تقيداً بوصية الرسول ﷺ **"لا يبقين دينان في ارض العرب"**[(٢)]. ومن يدقق النظر في هذا الحديث يجد أن عمر بن الخطاب لم يخرج في عهده من الجزيرة العربية إلا نصارى نجران، ويهود خيبر، في حين أنه كان في بلاد اليمن، وهجر، واليمامة، وأرض البحرين، بعض النصارى، واليهود، وأيضاً المجوس، حيث كانوا يعيشون في هدوء وسكينة تحت حماية دولة الإسلام، كذلك لم يتعرض أبوبكر من قبله لتلك العناصر غير المسلمة، وإنما جدد العهد لنصارى نجران حيث لم يجد كل منهما الفرصة لتنفيذ حديث رسول الله ﷺ فيخرجون أصحاب جميع الديانات الأخرى غير المسلمة من جزيرة العرب.

---

(١) البلاذري، أحمد بن يحيى. فتوح البلدان، مرجع سابق، ٧٨.

(٢) المرجع السابق، ٧٧.

"وكان لنصارى نجران في مسألة إجلائهم من بلادهم على يد الخليفة عمر الخطاب أقوال وآراء يغلب عليها الطابع الغيبي، فيذكر ابن سعد أنهم زعموا، كما ورد في كتبهم، أن الذي يخرجهم من أرضهم في نجران رجل بفخذه شامة سوداء، وقد شاهدوا تلك الشامة بفخذ عمر بن الخطاب عندما ركب فرساً فانكشف ثوبه عن فخذه، فقالوا "هذا الذي نجد في كتبنا أنه يخرجنا من أرضنا"[(١)].

وفي اعتقادي أن بعض أولئك النصارى الذين أجلاهم الخليفة عمر بن الخطاب من بلاد نجران إلى الشام والعراق، قد عاد بعضهم إلى أرض نجران، ربما في زمن الدولتين: الأموية والعباسية، وبخاصة أثناء انغماس العالم الإسلامي في كثير من الحروب والصراعات الداخلية والخارجية خلال القرنين الثاني والثالث للهجرة (الثامن والتاسع للميلاد)، ومما يؤكد هذا القول، ما ورد في المصادر عند الحديث عن قدوم الإمام الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين إلى اليمن في أواخر القرن الثالث الهجري(التاسع الميلادي)، واستقراره في صعدة وإشارتها إلى أنه بدأ يوسع دائرة نفوذه شمالاً فاصطدم بسكان نجران ودخل معهم في حروب طاحنة، وكما تشير المصادر فإن أغلب سكان نجران آنذاك كانوا مسلمين فيما عدا فريق منهم كان لا يزال يدين بالنصرانية، وقد عقد معهم عهداً يضمن لهم البقاء في نجران وأن لهم ما تحت أيديهم من العقار والأملاك على أن يدفعوا على ذلك ضريبة[(٢)].

---

(١) ابن سعد، محمد البصري. الطبقات، مرجع سابق، جـ٣، ٣٦٢.

(٢) وللمزيد من التفصيلات عن علاقة الهادي إلى الحق بنصارى نجران، انظر: علي بن محمد بن عبيد الله العباسي، سيرة الهادي إلى الحق، تحقيق: سهيل زكار، (بيروت:١٩٨١م)، ١٠١؛ البلادي، عاتق. بين مكة وحضرموت رحلات ومشاهدات، مرجع سابق، ٢٤١ ــ ٢٤٧.

رابعاً - العهدان الأموي والعباسي وما بعدهما :

١- الوضع السياسي بعد العهد الراشدي حتى القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي :

ساد الاضطراب شبه الجزيرة العربية بعامة، وبلاد نجران بخاصة بعد انتهاء عصر الخلفاء الراشدين، وأهمل ذكرها في طيات المصادر، واستمر ذلك الإهمال والنسيان خلال العصر الإسلامي الوسيط، ولعل ذلك يرجع إلى عدد من الأسباب يأتي في مقدمتها انتقال حاضرة الخلافة الإسلامية، ومركز الثقل السياسي والزعامة من الحجاز إلى خارجه، أي من المدينة المنورة إلى خارج شبه الجزيرة العربية، حيث انتقلت العاصمة أولاً إلى دمشق ببلاد الشام ثم إلى بلاد العراق، وقد أدى انتقال السلطة المركزية، والزعامة السياسية، لخارج الجزيرة العربية، إلى ظهور عدد من المشكلات والعقبات السياسية التي كان لها انعكاسها على النواحي الحضارية، نذكر منها :

تقلص الدور السياسي لشبه الجزيرة العربية التي تحولت أجزاؤها جميعها إلى مجرد ولاية عادية ضمن ولايات الدولة الإسلامية، بعد أن كانت مقراً للسلطة المركزية في عصري الرسالة والخلافة الراشدة، ولم تعد تشكل أهمية عند خلفاء بني أمية وبني العباس، فيما عدا حواضر الحجاز الكبرى، التي ظلت لها مكانتها الدينية والسياسية في هذين العصرين لكونهما (مكة المكرمة والمدينة المنورة) مقرين للحرمين الشريفين بما لهما من مكانة مقدسة في نفوس المسلمين، كما أن السيطرة عليهما، والقيام على خدمتهما وإسباغ

الحماية عليهما، تحوز الرضا والتأييد السياسي والروحي من عامة المسلمين وخاصتهم، فترتفع بذلك مكانتهم، وبالتالي تتحقق المكاسب السياسية لأولئك الساسة لكونهم رعاة المقدسات.

أما أجزاء شبه الجزيرة العربية الأخرى خلاف مدن الحجاز المقدسة، فقد أصبحت منذ عصري بني أمية وبني العباس، وعلى مر القرون الإسلامية الوسيطة، هامشية تحت مظلة تلك الحكومات، فلم تعد لها الأهمية نفسها والقدر الذي كانت عليه في عصري الرسالة والخلفاء الراشدين، وذلك يعود - في رأينا- إلى البعد الجغرافي لمعظم أجزاء الجزيرة العربية عن الحاضرة السياسية للدولة الإسلامية ويرجع - أحياناً- إلى صعوبة التضاريس، ما أثر على سهولة الاتصالات فيما بين تلك البقاع والعاصمة، وهذان السببان نلاحظهما في بلاد اليمن ونجد والسروات التي تعد نجران جزءاً منها.

وإذا ما سعينا لتقديم دراسة تاريخية حضارية لبلاد نجران خلال هذه الفترة، فإننا نجد أن الأمر يزداد غموضاً، لأن العقبات المذكورة أعلاه تكاد تشمل أغلب نواحي شبه الجزيرة العربية، باستثناء بلاد الحجاز إلى حدٍّ ما، فإذا تطرقنا لمحاولة تقديم دراسة عن تاريخ منطقة صغيرة من شبه الجزيرة العربية مثل نجران وما شابهها ، فإننا نقابل بصمت المصادر - تقريباً- عن إفادتنا بأي شيء حيال هذا الأمر، فالعلماء وأرباب القلم لا يذهبون - دائماً وأبداً - إلا إلى المَواطن التي يجدون فيها الدعم والرعاية، حيث تصنع الأحداث السياسية، ويقيم الحكام، ويزداد الثراء الحضاري، وهذا لا

يتوافر إلا في الحواضر الكبرى، فتوافدوا على بلاط خلفاء بني أمية وبني العباس ، ليكونوا قريبين من الأحداث وصنع القرار، فتركز اهتمامهم على التأريخ للدول وشخصيات الحكام دون الاهتمام بالتأريخ لموضوعات متخصصة إلا في القليل النادر، وإن دونوا شيئاً في مصنفاتهم عن تاريخ وأدب وحضارة بلاد بعيدة عن مَواطنهم ومواقع استقرارهم مثل بلاد نجران ، فذلك لا يكون إلا اعتماداً على الرواية الشفهية، أو بالاطلاع على بعض المصادر المحلية لتلك الأوطان وغالباً ما تكون هذه المصادر نادرة أو معدومة، وتزداد الأمور صعوبة على الباحث إذا ما تطرق إلى الدراسات الحضارية حيث يصادف ندرة في المعلومات التي تتصل بعدد من جوانب الموضوع، لتركيز المؤرخين في كتاباتهم على التاريخ السياسي، الأمر الذي جعل الجوانب الحضارية والاهتمام بها يضيع في زحام الصراعات السياسية، فقد يقرأ الباحث دراسات عديدة دون أن يتوصل إلى نص واحد يتناول مظهراً من مظاهر التاريخ الحضاري لمنطقة ما.

فعلى سبيل المثال إذا طالعنا المصادر الإسلامية على اختلافها من تاريخية وجغرافية وأدبية لنرى ما دونته عن نجران في العصرين الأموي والعباسي، فإننا نكاد لا نظفر بطائل، حيث اعتراها الإهمال، ومَرّ المصنفون عليها وعلى ما جرى فيها من وقائع وأحداث، دون أن يتناولوها سواء بإيجاز أو بتفصيل، فإذا حاولنا معرفة طبيعة النظام الإداري هناك، فإن المصادر لا تمدّنا بمعلومات واضحة أو صريحة عن ذلك، فكل ما أشارت إليه في هذا الصدد ذكر أسماء الولاة المعينين من قِبل خلفاء بني أمية، وكذلك

بني العباس على الحجاز أو اليمن أو البحرين دون أن تفصل لنا ماهية الأوضاع الإدارية في تلك الأجزاء الصغيرة [١].

أما بالنسبة ما يخص نجران ـ موضوع هذا البحث ـ فقد تعدى عدم الاهتمام بذكرها، وإهمال وقائعها في بطون المصادر للتاريخ الحضاري، ليشمل تاريخها السياسي أيضاً، فبدءاً من العصر الأموي لا نكاد نجد في طيات المصادر على اختلافها وتنوعها ما يشفي غليل الباحث من المعلومات المتصلة بهذا الإقليم ودوره السياسي والحضاري، وكل ما نعثر عليه لا يزيد على شذرات متناثرة وأغلبها يعالج موضوع الثورات وحركات العصيان السياسي التي شهدتها أرجاء شبه الجزيرة العربية على وجه العموم، والمناطق الغربية والجنوبية الغربية منها بخاصة ونعني بها الحجاز واليمن، التي تأتي نجران وما يجاورها ضمنها، وبالتالي يمكننا أن نرجح أنه قد ساد هذه المنطقة ما ساد غيرها من مدن الحجاز الكبرى وحواضرها من فتن سياسية، وتأثرت بها [٢].

---

(١) تقي الدين محمد بن أحمد الفاسي، شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام، تحقيق: لجنة من العلماء، (بيروت: دار الكتب العلمية، د. ت)، جـ٢، ١٦٦، ١٦٧؛ صالح أحمد العلي، (إدارة الحجاز في العصور الإسلامية الأولى)، مجلة أبحاث، س ٢١، جـ ١، ٢، (١٩٦٨م)، ٣ ـ ٥٧.

Hugh. Kennedy , ((Centeral government and Provincial elites in the early Abbasid Caliphate)) Bulletin of the School of Oriental and African Studies , 44 (1981) , 26 – 38, S.B. Samadi "Some Aspects of the theory of State and Administration Uneler the Abbasids " Islamic culture , 29 (1955) ,120 – 150 , Elie Salem, " Muslim Administration " Islamic Culture ، 33 (1959),19 – 30 .

(٢) لمزيد من التفصيلات انظر الدراسة الرابعة في هذا الكتاب، وانظر أيضاً ابن جريس، نجران، جـ ١، ص ١٠١ وما بعدها.

ونجد بعض الولاة العباسيين وعناصر أخرى غير علوية أثارت بعض الاضطرابات السياسية في بلاد الحجاز واليمن، فقد عزل الخليفة المأمون حمدويه بن عيسى بن ماهان عن بلاد اليمن، واستناب عنه في حكمه عيسى بن يزيد الجلودي[١]، ولما علم ابن ماهان بمقدم الجلودي إلى اليمن رغب في صده عنها والاستقلال بها، فأعد العدة لمنع الجلودي من دخولها، ولكن الجلودي هزم جيش ابن ماهان واستولى على نجران وصعدة، ودخل صنعاء وقبض على ابن ماهان وسجنه وسيطر على البلاد، وعهد إلى عمال من قبله بحكم مخاليف اليمن، ومن بينها نجران، ثم عاد إلى العراق مروراً بالحجاز، وترك على ولاية اليمن إبراهيم الإفريقي الشيباني[٢]، ولكن الاضطرابات عادت من جديد في تهامة اليمن، وبشكل هدد استقرار الأمور هناك، الأمر الذي دفع الخليفة المأمون العباسي للتفكير في فصل تهامة اليمن عن نجدها، ووضع والٍ مستقل عليها، يضبط أمورها، وينشر الأمن والاستقرار في ربوعها، فوجد ضالته في أحد قواده ويدعى محمد بن عبد الله بن زياد فعهد إليه بولاية تهامة وما يتبعها [٣] لتبدأ منذ تلك الفترة النزعة الانفصالية تسري في أنحاء شبه الجزيرة العربية، فبعد أن ظلت المنطقة المذكورة طوال عهد الرسالة والخلافة الأموية حتى أوائل القرن الثالث الهجري(التاسع الميلادي)، تابعة بالكلية للخلافة الإسلامية التي عمدت إلى تقسيمها إلى عدد من الولايات

---

(١) اليعقوبي، أحمد. تاريخ، مرجع سابق، جـ ٢، ٤٤٨، ٤٤٩؛ الخزرجي، علي. الكفاية، مرجع سابق، ٩٩.

(٢) اليعقوبي، أحمد. تاريخ، مرجع سابق، جـ ٢، ٤٤٩.

(٣) الجرافي، عبدالله عبدالكريم. المقتطف من تاريخ اليمن، مرجع سابق، ١٠٥، ١٠٦؛ شرف الدين، أحمد حسين. اليمن عبر التاريخ، مرجع سابق، ١٨٨ وما بعدها.

ليسهل الإمساك بزمامها مثل: الحجاز، واليمن، واليمامة، والبحرين، نجدها منذ السنوات الأولى من القرن الثالث حتى العاشر الهجريين (التاسع حتى السادس عشر الميلاديين)، تتأثر بالنزعة الاستقلالية التي سرت في غالبية أصقاع العالم الإسلامي المترامية الأطراف الذي صعب على الخلافة العباسية أن تسيطر سيطرة مركزية عليه، فبدأت تسمح بظهور دويلات مستقلة عنها سياسياً، وتابعة لها اسمياً وروحياً، وإن كانت بعض الزعامات المحلية قد انتهزت فرصة الضعف الذي أصاب نظام الخلافة العباسي في عصره الثاني، وما صاحبه من تردي شخصيات الخلافة، فاستقلوا سياسياً وإدارياً وبشكل كامل عن العباسيين. وعلى أي حال فقد تأثرت نجران، بل عموم أجزاء الجزيرة العربية بكل تلك التيارات السياسية، فنشأت بها دولة بني زياد ـ كما أسلفنا ـ في تهامة اليمن وما تبعها بدءاً من عام ٢٠٣هـ (٨١٨م) وهي أول دولة مستقلة تنشأ هناك بعد انفصال بعض بلاد اليمن عن الحكم العباسي[1]، وتلتها الدولة اليعفرية في صنعاء عام ٢٢٥هـ (٨٣٩م)[2]،

---

(١) تذكر المصادر أنه في عام ٢٠٣هـ (٨١٨م) شق أهل تهامة اليمن عصا الطاعة على الخليفة المأمون ١٩٨ـ ٢١٨هـ (٨١٣ ـ ٨٣٣م)، فبعث إليهم الأمير محمد بن عبدالله بن زياد وقلده أعمال تلك البلاد لكي يؤدب العصاة، فذهب ابن زياد واستطاع القضاء على المتمردين هناك ثم طمع في الاستقلال بتلك النواحي، واختط مدينة زبيد وأسس دويلة سميت (الدولة الزيادية) استمرت في عقبه مدة قرنين، وتم القضاء، عليها عام ٤٠٢هـ (١٠١١م) على يد بني نجاح. وللمزيد انظر: الجرافي، عبدالله بن عبدالكريم. المقتطف، مرجع سابق، ١٠٥، ١٠٦؛ الفقي، عصام الدين عبدالرؤوف. اليمن في ظل الإسلام، مرجع سابق، ٨١ ـ ٨٩؛ شرف الدين، أحمد حسين. اليمن عبر التاريخ، مرجع سابق، ١٨٨، ١٨٩.

(٢) دولة بني يعفر تعد ثاني دولة نشأت في اليمن واتخذت بلدة شبام، ثم صنعاء مقراً لها، ومؤسسها إبراهيم بن يعفر الحوالي الحميري، وقد استمرت هذه الدويلة تحكم صنعاء وما جاورها من البلدان إلى عام ٣٩٣ هـ (١٠٠٢م)، وللمزيد انظر: الخزرجي، علي. الكفاية، مرجع سابق، ١٠٤ وما بعدها، ١٦٦ ـ ١٦٨؛ الجرافي، عبدالله عبدالكريم. المقتطف، مرجع سابق، ١٠٧، ١٠٨، الفقي، عصام الدين، اليمن في ظل الإسلام، مرجع سابق، ٩٠ ـ ٩٧.

ثم الدولة الزيدية في صعدة عام ٢٨٤هـ (٨٩٧م)[١]، ثم الدعوة الإسماعيلية الأولى وكان علي بن الفضل القرمطي الحميري، ومنصور بن حسن الكوفي هما اللذان قدما إلى اليمن بهدف نشر المذهب الإسماعيلي هناك[٢].

(١) هذه الدولة نسبة إلى زيد بن علي بن زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب، أنشأها الإمام الهادي يحيى بن الحسين بن القاسم عام ٢٨٤هـ (٨٩٧م) الذي كان يعيش بالمدينة المنورة، ثم ترك محل إقامته وذهب إلى صعدة فبويع إماماً بها على المذهب الزيدي الذي لا يزال المذهب الغالب على أهل اليمن، وقد استطاع الإمام الهادي مد نفوذه إلى صنعاء وإلى عدة مواطن من بلاد اليمن، وخلفه عدد من الأئمة استمروا في حكم البلاد إلى القرن الرابع عشر الهجري/ العشرين الميلادي، عندما تحولت الدولة إلى جمهورية، وللمزيد انظر: شرف الدين، أحمد حسين. اليمن عبر التاريخ، مرجع سابق، ٢٤٥ – ٢٦٢؛ الفقي ، عصام الدين . اليمن في ظل الإسلام،مرجع سابق، ص ٣٧٨ وما بعدها.

(٢) الإسماعيلية هي الباطنية نسبة إلى إسماعيل الإمام، ويعتقدون اختفاءه وأنه المهدي المنتظر الذي لا بد أن يظهر يوماً ما وحلول الذات الإلهية فيه، وأن القرآن يمكن تفسيره عن طريق المجاز، وأن الحقيقة الدينية تفسر بالمعنى الذي هو مقصود في المعنى الظاهر. وبداية هذه الدولة أن علي بن الفضل، ومنصور بن حسن قد أرسلا في عام ٢٩١ هـ (٩٠٣م) من قبل عبدالله المهدي لنشر المذهب الإسماعيلي في اليمن، وقد خرجا حتى وصلا إلى اليمن، ثم افترقا، وبدأ كل واحد منهما يبذل جهده لنشر هذا المذهب، لكن علي بن الفضل ضل عن الخطوط العامة لمذهب الإسماعيلية واتبع مذهب القرامطة الذي هو أشد من مذهب الإسماعيلية، وقد جمع من حوله أعداداً كبيرة ثم عاث في الأرض فساداً بعد أن هاجم عدداً من مدن اليمن، ولكن أمراء الدولة اليعفرية تصدوا له حتى تم القضاء عليه عام ٣٠٣هـ (٩١٥م) وبالتالي تمت ملاحقة من كان يعتقد بمذهب القرامطة والإسماعيلية حتى جاء علي بن محمد الصليحي عام ٤٣٧ هـ (١٠٤٥م) فأعاد مذهب الدعوة الإسماعيلية تحت مظلة الدولة الصليحية. انظر : الجرافي، عبدالله بن عبد الكريم، المقتطف، مرجع سابق، ١١١ – ١١٤؛ عبدالواسع بن يحيى الواسعي بن يحيى، تاريخ اليمن المسمى فرجة الهموم والحزن في حوادث وتاريخ اليمن،(صنعاء: الدار اليمنية للنشر والتوزيع، ١٤١٤هـ/ ١٩٨٤م)، ١٦٩ – ١٧١، شرف الدين، أحمد حسين. اليمن عبر التاريخ، مرجع سابق، ص ١٩٧، ١٩٨.

٢- أحوال نجران السياسية منذ القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي :

ورغم سريان النزعة الانفصالية في الجزء الجنوبي الغربي من شبه الجزيرة العربية، إلا أن الأمور لم تهدأ، ولم تستقر أحوال تلك الدول الوليدة، بل تتابعت حركات التمرد والعصيان، وشاعت الحروب، فبعد ظهور الإمام الهادي يحيى بن الحسين في صعدة عام ٢٨٤هـ (٨٩٧م) وتأسيس دولته الزيدية نجده ، ومن جاء بعده من الأئمة الزيدية ، يسعون إلى مد نفوذهم إلى صنعاء جنوباً، ونجران شمالاً، وقد وجدوا في بعض النجرانيين من يعضدهم، ويقف إلى جانبهم ويسهل لهم مهمة السيطرة على بلاد نجران ، ومنذ ذلك الوقت وعلى مر العصور الإسلامية الوسيطة تزايد اهتمام دولة الأئمة الزيدية بمنطقة نجران، وسعى حكامها للسيطرة عليها ووضع الولاة من قِبلهم ليتولوا أمرها، ولكنهم ما إن تنفر جيوشهم منها في طريقها إلى صعدة، حتى تقوم ثورات أهل نجران ضد ولاة الدولة الزيدية، وينجحون في إخراجهم وأنصارهم منها [(١)].

---

(١) للمزيد من التفصيلات انظر ، اسحاق بن يحيى الصنعاني . تاريخ صنعاء ، تحقيق : عبد الله الحبشي ، (صنعاء : مكتبة السنحاني ، د. ت) ٦٦ ، ٧٤ ، ٨٣ ، ١٠٤ وما بعدها ، سليمان بن يحيى الثقفي . سيرة الإمام أحمد بن سليمان (٥٣٢ – ٥٦٦)، تحقيق عبد الغني عبد العاطي (القاهرة : عين للدراسات والبحوث، ٢٠٠٢م) ، ٢٥ ، ٤٠ – ٤٤ ، ٦٠ وما بعدها ، أبو فراس بن دعثم . السيرة الشريفة المنصورة (سيرة الإمام عبد الله بن حمزة ٥٩٣ – ٦١٤ هـ)، تحقيق: عبد الغني عبد العاطي (بيروت: دار الفكر ، ١٤١٤ هـ / ١٩٩٣ م) . جـ١ ، ٣٣ وما بعدها . جـ ٢ ، ٥٠٤ وما بعدها .

وهكذا ظلت الأمور في نجران طوال القرون الإسلامية الوسيطة: قلق واضطرابات وحروب داخلية بين الزيدية، وأهل نجران، ورغم طول المدة وتعدد الحروب والثورات والصراعات بين الأئمة الزيدية وأتباعهم ضد أهل نجران، وإحراز الزيديين عدداً من الانتصارات ضدهم، الاّ أنهم لم يستطيعوا ترسيخ مبادئهم ومذهبهم الزيدي فيها، حيث بقي معظم سكان نجران على المذهب السني الشافعي الذي كانوا عليه من قبل، واستمروا كذلك خلال القرون الإسلامية المبكرة والوسيطة [١].

إن ما أشرنا إليه من فتن سياسية وثورات في هذه الدراسة ، والدراسة الرابعة من هذا الكتاب [٢] كان محلها بلاد اليمن أو الحجاز ضد خلفاء بني أمية أو بني العباس، ثم ظهور الدويلات المستقلة، وما تبع ذلك من اضطرابات، ليست إلا نماذج مختصرة، لنطلع القارئ الكريم على وضع شبه الجزيرة العربية بعد خروج حاضرة الخلافة الإسلامية منها، وبعد أن صارت أجزاؤها ضمن ولايات الدولة الإسلامية التي كانت عاصمتها دمشق في بلاد الشام، ثم بغداد في أرض العراق، وبالتالي فإن عامل البعد للحكومة المركزية جعل السيطرة على أجزاء

---

(١) للمزيد عن تاريخ الأئمة الزيدية في صعدة وما حولها، انظر: العلوي، علي بن محمد العباسي. سيرة الهادي إلى الحق، مرجع سابق، ٧٢ وما بعدها؛ الواسعي، عبد الواسع بن يحيى. تاريخ اليمن، مرجع سابق، ١٧٩ ــ ١٨١، الجرافي، عبدالله بن عبدالكريم. المقتطف، مرجع سابق، ١٦٥، شرف الدين، أحمد حسين. اليمن عبر التاريخ، مرجع سابق، ٢٤٥ وما بعدها.

(٢) للمزيد انظر صفحات سابقة في هذه الدراسة ، وكذلك الدراسة الرابعة في هذا الكتاب.

شبه الجزيرة العربية مثل : الحجاز، وبلاد السراة، ونجران، واليمن وغيرها ضعيفاً، ولم يعد الخلفاء قادرين على السيطرة وقمع أي ثورة تقوم في أي جزء من أجزاء الجزيرة العربية بسهولة ويسر وفي فترة زمنية وجيزة مقارنة بعصري الرسالة والخلافة الراشدة، ولكن عصر بني أمية والقرن الأول من عصر بني العباس كانا أفضل حالاً من القرون التالية لذلك، فكان الخليفة يتمتع بالشخصية القوية الحازمة والقادرة على إرسال ولاة من قبله إلى كل من الحجاز واليمن وغيرهما، بل كانت عنده القدرة على تأديب من يخرج عما رُسم له من قِبل الخليفة وعزله، ولكن منذ القرن الرابع الهجري(العاشر الميلادي) نجد معظم بلاد الجزيرة العربية تخرج عن سلطة الخلافة العباسية في العراق، بل يظهر من لديهم أطماع لتكوين سلطات لهم في جزيرة العرب كما حدث مع دولة آل يعفر وغيرها في بلاد اليمن.

وإذا حاولنا معرفة أوضاع الأجزاء الصغيرة في الجزيرة العربية مثل: نجران وما شابهها في فترة الضعف هذه، فإن الأوضاع تزداد غموضاً عند مدوني التراث، فهم لا يذكرون تفصيلات عن تاريخها والأحداث التي مَرّت عليها، ولا نجد إلا شذرات يسيرة في بعض المدونات المحلية في بلاد اليمن والحجاز [1]، وحتى هذه فإن

(١) الثقفي ، سليمان بن يحيى . سيرة الإمام أحمد بن سليمان ، مرجع سابق ، ٣٢ ، ٤٠ وما بعدها ، ابن دعثم ، أبو فراس . الإمام عبد الله بن حمزة ، مرجع سابق ، جـ١ ، ٦٤ ، ٢٠٥ ، ٤٠١ ، جـ٢ ، ٥٢٨ ، ٧٩٨ - ٨٠٠ ، ٩٠٦ ، ٩٤٢ .

الغموض يكتنفها، ولعل هذا الإهمال والغموض يعود إلى انعدام السيطرة والسلطة المركزية في تلك الأصقاع وتمادي نفوذ القبائل وزعمائها، حتى صاروا هم العناصر المسيطرة والمسيرة لمعظم الأحداث في الجزيرة العربية، ويؤكد ذلك الرحالة ابن المجاور، من أهل القرن السابع الهجري (الثالث عشر الميلادي) في حديثه عن أهل نجران وغيرهم من أهل البلاد الممتدة من صنعاء جنوباً إلى مكة المكرمة شمالاً، فيقول: " **يحكم على كل قرية [عندهم] شيخ من مشايخها كبير القدر والسن، ذو عقل وفطنة، فإذا حكم بأمر لم يشاركه ولم يخالفه أحد فيما يشير به عليهم ويحكم فيهم...** "(١).

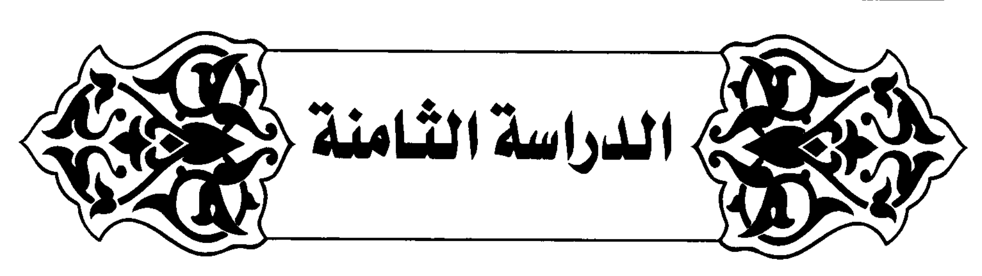
وهكذا كانت القبيلة تمثل قمة الهرم الإداري والسياسي المحلي عند نجران وغيرها من بلدان شبه الجزيرة العربية خلال العصر الإسلامي الوسيط، وقد استمرت الحياة الإدارية بهذه الصورة عند القبائل والعشائر البعيدة عن السلطة الإدارية التابعة للخلافة والموجودة في بعض مدن وحواضر شبه الجزيرة العربية.

وإن ظهرت دويلات هنا وهناك، فإنها لم تكن تجد الولاء المطلق من القبائل المتناثرة في بلاد نجران وغيرها، وإن انضمت بعض القبائل لبعض تلك الدويلات التي ظهرت فإن هذا الانضمام يكون بشكل مؤقت ولمصلحة ذاتية تعود على القبيلة والعشيرة وزعمائها، وأحياناً

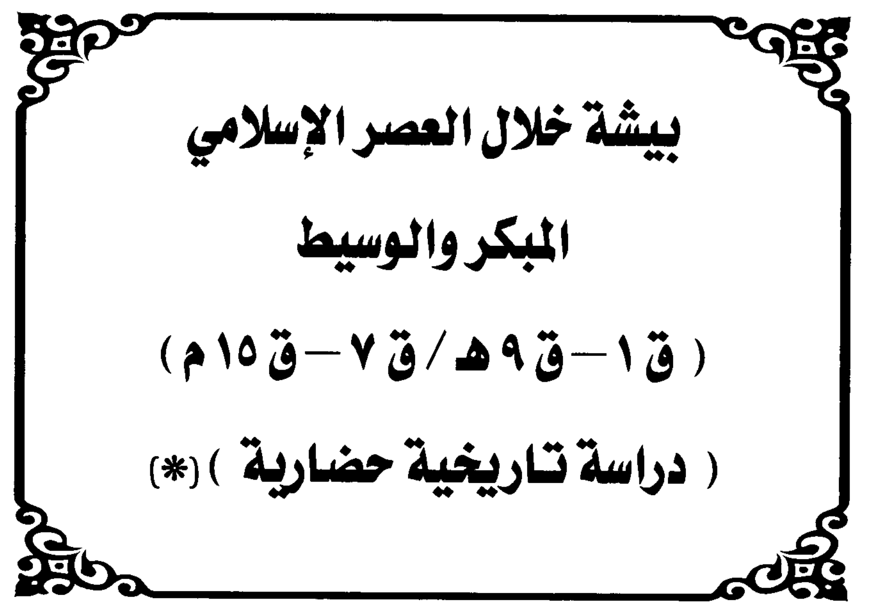
---

(١) ابن المجاور، جمال الدين، صفة بلاد اليمن ومكة، مرجع سابق، جـ ١، ٢٦.

تدخل بعض القبائل والعشائر تحت سلطة حكومة أو دويلة معينة بأسلوب القوة والجبر أو لهدف تقوية جانبها ضد أعداء آخرين يهددون كيانها واستقلالها. وبالتالي فالمؤرخون ومدونو التراث لا يهتمون بتلك الأحداث المحلية اليسيرة ، فهم قد ركزوا جلَّ اهتمامهم على ما يجري في بلاط القوى السياسية الكبرى في العراق وفارس ومصر والشام، وغيرها من الحواضر الإسلامية بزخمها الحضاري والسياسي، تاركين الاهتمام بهذه المناطق الصغيرة ليعتورها الإهمال والنسيان .



الدراسة الثامنة



بيشة خلال العصر الإسلامي المبكر والوسيط

(ق ١ – ق ٩ هـ / ق ٧ – ق ١٥ م)

(دراسة تاريخية حضارية)(*)

إعداد

أ . د. غيثان بن علي بن جريس

(*) هذا البحث نشر ضمن مداولات اللقاء العلمي التاسع بجمعية التاريخ والآثار بدول مجلس التعاون لدول الخليج العربية ، والذي عقد في مدينة جدة بالمملكة العربية السعودية في الفترة من (١٦-١٩/٤/١٤٢٩ هـ/ ٢٢ - ٢٥/٤/٢٠٠٨م) ، ص ٢٩١ - ٣٣٤.

محتويات الدراسة الثامنة

م	العنــــــــــــوان	أرقام الصفحات
أولاً	مقدمة	٣٥٩
ثانياً	الاسم والموقع .... ١- الاسم .... ٢- الموقع	٣٥٩ ٣٥٩ ٣٦٠
ثالثاً	التركيبة السكانية	٣٦٤
رابعاً	بيشة تاريخياً	٣٦٧
خامساً	مظاهر الحضارة في بيشة	٣٧٨
سادساً	الخاتمة : نتائج البحث وتوصياته	٣٩٠
سابعاً	الحواشي والتعليقات	٣٩٩

أولاً : مقدمة :

تعد بلدة بيشة من المواطن الحضارية القديمة وإحدى المحطات التجارية الهامة الواقعة على الطريق الجبلي الذي يربط بين صنعاء ومكة[١]. مما يجعلها جديرة بأن تكون محور حديثنا في هذا البحث ، الذي نستهله بنظرة لغوية في اسمها، ثم بإطلالة جغرافية على ما يحيط بها من المراكز الحضارية الهامة ، ثم إلقاء الضوء على سكانها ، وأوضاعها التاريخية السياسية والإدارية ، وأخيراً ذكر بعض مظاهرها الحضارية المتنوعة، ويقودنا ذلك كله إلى رصد النتائج والتوصيات التي قادتنا إليها هذه الدراسة .

ثانياً : الاسم والموقع :

١- الاسم :

بيشةَ بكسر الباء وياء ساكنة ثم شين مفتوحة وبعدها تاءَ مربوطة ، تعني بالعربية السرور والبشاشة ، يقال : " **بيش الله وجهك وسرجه أي حسنه**[٢]. **ويقال : بيش وبيشة : موضعان** " ووردت بالهمزة " **بئشة** " [٣] والصحيح ذكرها بالياء[٤] . ويذكر أنها تعني بالفارسية " **الغابة** " [٥].

ومن هذا التعريف المختصر يتضح أن اسمها اللغوي ينطبق على واقعها الجغرافي ، فهي أرض غنية بمياهها وخيراتها النباتية ، إذ يوجد فيها المياه العذبة ، ويزرع فيها محاصيل وزروع عديدة ، بالإضافة إلى غناء تضاريسها بالأشجار والنباتات المتنوعة [٦].

٢ - الموقع :

اسم بيشة يطلق اليوم على محافظة بيشة الواقعة في الجزء الشمالي من الإقليم الجنوبي في المملكة العربية السعودية ، وتحدها رنية شمالاً ، وأبها وخميس مشيط وأحد رفيدة (جرش قديماً)[٧] جنوباً ، وطريب والعرين وتثليث شرقاً ، والباحة والنماص وتنومة غرباً [٨]. أنظر الخارطة رقم (١). وأخذ هذا الاسم من واديها الشهير (وادي بيشة) الذي تنطلق منابعه من سروات عبيدة (بلاد قحطان) جنوباً إلى بلاد خثعم وغامد في الشمال ، وله روافد عديدة تنحدر إليه من بلاد قحطان وشهران وعسير ورجال الحجر وبلقرن وخثعم وشمران وغامد[٩]، ويعد من الأودية الكبرى في الجزيرة العربية إذا يبلغ طوله حوالي (٥٠٠) كم من أعالي بلاد السراة حتى يتصل بوادي الدواسر في نجد[١٠]. وتتفاوت روافده في الصغر والكبر ، ومن أهمها وأكبرها من الشمال إلى الجنوب وادي تبالة ، ووادي ترج ، ووادي هرجاب ، وهذه الأودية الثلاثة معروفة بهذه الأسماء منذ العصر الجاهلي[١١]، وجميعها تنحدر من بلاد السروات الممتدة من ديار قحطان وشهران جنوباً إلى خثعم وشمران وغامد شمالاً.[١٢] (أنظر الخارطة المرفقة بالبحث) .

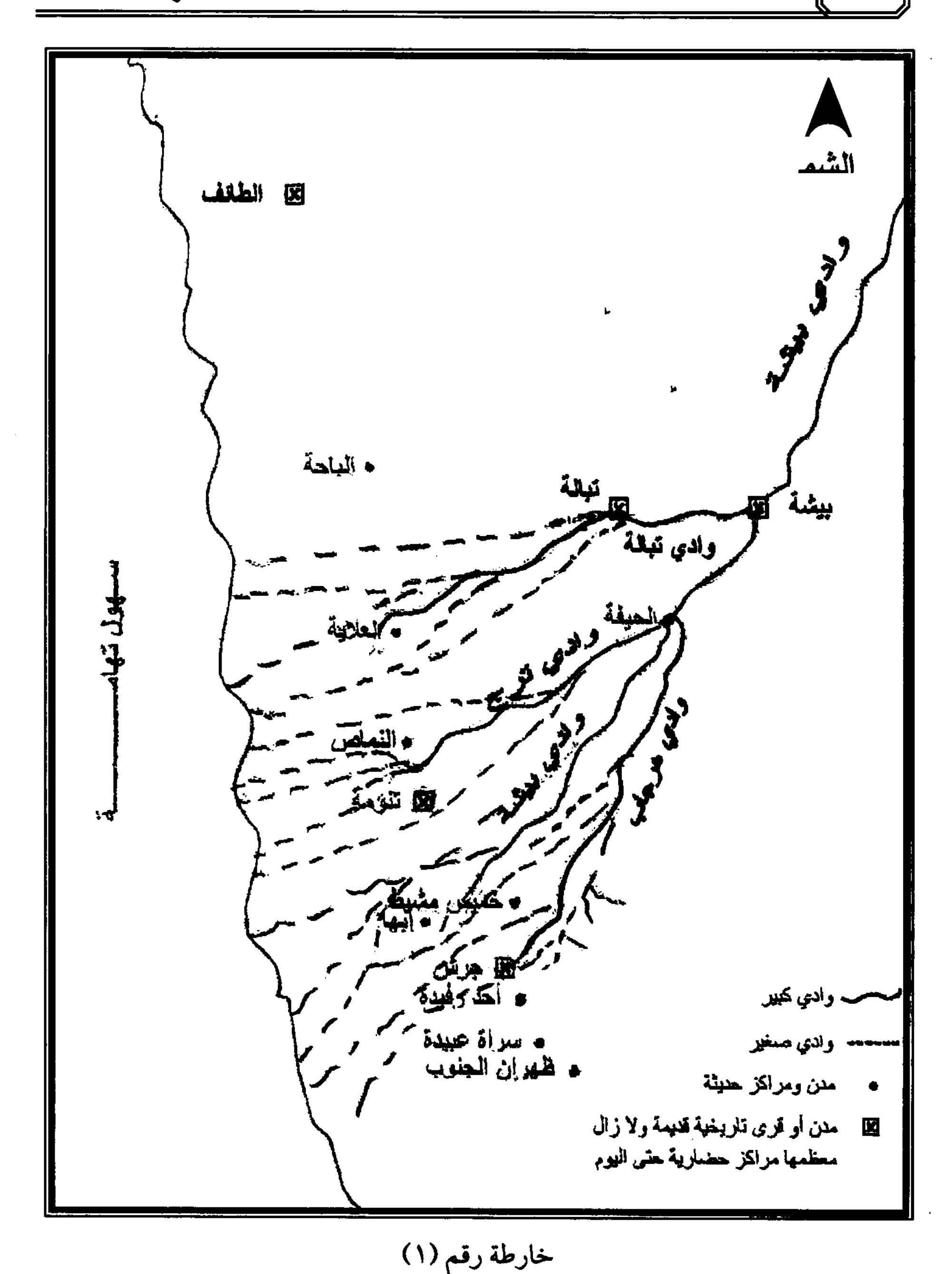
تقع حاضرة بيشة عند الحوض الأدنى للوادي نفسه ، وتشمل مساحة واسعة جداً من الحوض ، وتنحصر بين مركزي تبالة والحازمي ، ونهاية السفوح الجبلية التابعة لبلاد الباحة والنماص وتنومة غرباً ، وشمال محافظة تثليث شرقاً[١٣]. وتضاريس بيشة على هيئة هضبة داخلية يبلغ

عرضها في طرفها الجنوبي نحو(٥٠) كم. ثم يتزايد هذا العرض باتجاه الشمال إلى نحو (١٠٠) كم ، وتمتد طولياً من الجنوب إلى الشمال نحو (١٨٠) كم[١٤]، وتتميز بيشة بموقعها المناسب في وسط سافلة الوادي ، وفي موضع متوسط بالنسبة للهضبة ، وللطرق القادمة من سروات منطقتي عسير والباحة[١٥]، وبالتالي كانت عقدة مواصلات جيدة لطرق القوافل القديمة [١٦].

وبيشة ذات موقع استراتيجي هام على طريق البخور، إذ أنها ملتقى الطرق المتجهة من بلاد اليمن ، وعمان ، ووادي الدواسر ، ونجد ، والحجاز، وعدها العرب مفتاح اليمن[١٧]. كما أشار إليها بعض المؤلفين القدامى كالهجري نقلاً عن الرشاطي، حيث نبه أولهما إلى أهميتها كمحطة تقع على الطريق بين مكة واليمن[١٨] ، وأشار إلى أنها قرية كبيرة [١٩]، وأورد عن أبي حنيفة قوله **"بيشة وادي من أودية السراة يصب في نجد خصب عامر"** [٢٠] ، ثم قال : **"ليست قرية. بل منطقة واسعة يخترقها وادٍ عظيم ذو فروع كثيرة ".**[٢١] بينما أضاف الهمداني إلى **" أن جرش (عسير اليوم) رأس وادي بيشة "** [٢٢].

ويعد ما ذكره الهجري والهمداني ومن جاء بعدهما من المتقدمين متطابقاً مع واقع وادي بيشة الذي يشمل أغلب سفوح سروات عسير الشرقية ، وتأتي حاضرة بيشة عند الحوض الأدنى من هذا الوادي[٢٣].

ويشير ابن عبد ربه والبكري إلى وصف جرير بن عبد الله البجلي " رضي الله عنه " لبيشة عندما قدم على الرسول ﷺ في السنة العاشرة الهجرية



خارطة رقم (١)

خارطة توضيحية لروافد وادي بيشة الرئيسة وأهم المراكز الحضارية على هذا الوادي قديماً وحديثاً

فقال له الرسول ﷺ " **أين منزلك ؟ فقال : بأكناف بيشة** "(٢٤) وفي رواية أخرى أنه سأله عن مكان إقامته في بيشة فقال : " **سهل ودُكداك**(٢٥)، **وسلم وأراك**(٢٦) **وحمض وعلاك**(٢٧)، **إلى نخلة ونخلة ماؤها ينبوع**(٢٨) ، **وجنابها مريع**(٢٩) **وشتاؤها ربيع ، وماؤها يريع**(٣٠) **لا يقام ماتحها**(٣١) **ولا يحسر صاحبها**(٣٢) **ولا يعزب سارحها**" (٣٣) **فقال : الرسول** ﷺ " **خير الماء الشبم**(٣٤) **وخير المال الغنم**(٣٥)**وخير المراعي الأراك والسلم**(٣٦)، **إذا أخلف كان لجيناً** (٣٧)، **وإذا سقط كان دريناً ،وإذا أكل كان لبيناً**"(٣٨). ومما سبق يتضح لنا عدة أمور نذكر منها :

١. أن موقع بيشة يأتي عند مصب العديد من أودية السراة الواقعة بين غامد زهران وقحطان، والناظر في أرجاء هذه البلاد يقف على جميع مقومات الحياة الطيبة من وفرة مياه ومزروعات وحيوانات ، كما يلاحظ توسط هذه البلاد بين اليمن والحجاز وتأثرها بالأوضاع السياسية والحضارية في هاتين الناحيتين.
٢. أن موقع حاضرة بيشة يمتاز أيضاً بالأهمية الإستراتيجية فالقول بأنها مفتاح اليمن قد يكون حكماً قاصراً إذ هي مفتاح لليمن ، ونجد ، والحجاز وسروات الأزد من زهران إلى نجران ، ومن يدرس تاريخ هذه البلاد يجدها منذ العصر الجاهلي وعلى مر العصور الإسلامية تأتي محور ارتكاز لهذه النواحي الأربع فمنها وإليها يذهب ويعود التجار ، وكانت بمثابة حلقة الوصل بين هذه الجهات المتباعدة .

٣ـ أن ما ذكره جرير بن عبد الله البجلي (ﷺ) ينسجم مع واقع الحال فهذه البلاد غنية بمواردها الاقتصادية وخاصة الحيوانية والزراعية ، بل كانت ولازالت أيضاً مقر العديد من الأجناس والعشائر والبطون . وإذا كان الصحابي جرير (ﷺ) وصفها بهذا الوصف الدقيق ، فذلك يدل على معرفته بأحوالها المناخية والاقتصادية ، وهو من قبيلة بجيلة التي كانت تعيش خارج بلاد بيشة[٣٩] ، ولكن جرير (ﷺ) ، كان ساكناً فيها لوفرة خيراتها ، وبقي على صلات ببلاد السراة بعد دخوله الإسلام ، فحارب مشركيها ، وهدم أصنامهم وبخاصة قبيلة خثعم التي كان يسكن العديد من عشائرها على بعض روافد بيشة الشمالية[٤٠].

ثالثاً : التركيبة السكانية :

غالبية سكان حاضرة بيشة من القبائل العربية القحطانية والعدنانية، ومدونو التراث القدماء يذكرون هذه البلدة ويصفون حجمها وسكانها فقدامة يصفها، فيقول هي: " **قرية عظيمة كثيرة الأهل ... مضرية وقيسية**" [٤١] ويشير عرام إلى تبالة التي واديها واحد من روافد بيشة الرئيسة فيذكر بها منبر، ويقول " **أهلها سلول ، وعقيل ، وغامد، وعامر بن ربيعة** " [٤٢]ويضيف قائلاً " **وفي حد تبالة قرية يقال لها بيشة** " [٤٣]ويشير أبو علي الهجري إلى بلدة بيشة فيذكر أنها ذات قرى كثيرة وسكانها أكثرهم من بني عامر بن هوازن ويخالطهم قبائل من خثعم[٤٤] وذكر الإدريسي أنها "**مدينة صغيرة متحضرة** " [٤٥] ويورد الهمداني بعض أسماء البطون الأزدية

التي كانت تسكن على أطراف بيشة الغربية فيقول "**مراع لبني شهر نجديها مما يصالي بيشة**"(٤٦) ويذكر أن شهران وهي فرع من خثعم في سراة بيشة وترج(٤٧) ، ويشير إلى سراة الحجر ثم يقول " **وشرقها ماجاور بيشة من بلد خثعم** "(٤٨) ويذكر ياقوت أن "**ديار بني سلول بيشة** "(٤٩)) ويضيف قائلاً " **بيشة بطون من الناس كثيرة من خثعم، وهلال ، وسواءة بن عامر بن صعصعة ، وسلول، وعقيل ، والضباب ، وقريش وهم بنو هاشم ، لهم المعمل**"(٥٠) ويورد ناصر خسرو تفصيلات عن الأجزاء الشرقية من بلاد السرو بما فيها وادي بيشة فيقول " **في هذا الجزء قرى كثيرة ، وبواد لا تدخل تحت الحصر ، وفي كل بادية حاكم مستبد لا يخضع لأي سلطة مركزية** " (٥١) وذهب ابن المجاور إلى ذكر معلومات أكثر عن قبائل السرو ، وكثرة قراهم ، وهيمنة شيوخ القبائل على ديارهم (٥٢) .

ومصادر أخرى تذكر أن بعض عشائرمن قبيلة باهلة العدنانية كانت تستوطن بيشة ، ونجد الرسول ﷺ يكاتب بعض شيوخ تلك العشائر في حاضرة بيشة وباديتها ، ويحثهم على تطبيق شرع الله في بلادهم . (٥٣) ومصادر أخرى تشير إلى وجود العبيد الذين هم من أصول زنجية ، كانوا قد جلبوا من الحجاز وغيرها لأجل العمل في مواطن الزراعة وبعض الحرف والمهن الأخرى(٥٤) وتذكر بعض الروايات أن الخليفة الأموي هشام بن عبد الملك(١٠٥ـ ١٢٥هـ/ ٧٢٣- ٧٤٢م) أمر والي مكة بإرسال(٢٠٠) زنجي مع نسائهم إلى بيشة كي يعملوا في بعض قطاعات الدولة الزراعية هناك (٥٥). ولكون حاضرة بيشة على طريق الحج اليمني فمن

المؤكد أن التجار كانوا يجلبون معهم العبيد في ذهابهم وإيابهم من اليمن والحجاز(٥٦).

وإن وجد عنصر العبيد وربما الموالي في بيشة ففي اعتقادنا أنهم لازالوا أقلية بين طبقات المجتمع ، والسواد الأعظم من السكان من القبائل التي استوطنت بيشة منذ القدم ، وغالبيتهم من قبيلة خثعم التي تفرعت بطونها واستقرت في أجزاء عديدة من وادي بيشة . ولازالت بطون من هذه القبيلة مثل عشائر شهران العريضة تسكن أجزاء من بيشة إلى اليوم(٥٧). كذلك سكنت سلول العدنانية بيشة منذ القدم وتعيش بطون منها في وسط حاضرة بيشة حتى الآن(٥٨) أما باهلة التي كاتبها الرسول ﷺ فلا نجد لهم وجوداً اليوم في بيشة ، وربما التحقوا بإخوانهم في نجد (٥٩)، علماً بأنهم كانوا من أصحاب السلطة الرئيسة في بيشة في عهد الرسول ﷺ(٦٠) .

والفاحص لروافد وادي بيشة التي تسقط من سفوح السروات الشرقية يجد أن معظم سكان هذه البلاد من الأزد ، ويطلق عليهم في كتب الأنساب والتراث (أزد السراة) ، وبخاصة بلاد الحجر (بللحمر ، وبللسمر، وبني شهر ، وبني عمرو) ، وبلقرن ، وشمران ، وخثعم ، وغامد وزهران ، فهم وإن كانوا ولا زالوا مقيمين في أوطانهم الرئيسة في السروات إلا أن البعض منهم استوطن بيشة من قديم الزمان ولازالوا يعيشون بها ، والسبب الرئيس في استيطانها هو غنى أرضها وكثرة خيراتها (٦١).

رابعاً : بيشة تاريخياً :

تعد بيشة موطناً لعدد من العشائر العربية الجاهلية ، وعند ظهور الإسلام في الحجاز ، امتدت دعوة الرسول ﷺ إلى بلاد السراة ، وكان الطفيل بن عمرو الدوسي من أوائل من دخل الإسلام من تلك النواحي [٦٢] وجاء من بعده الصحابي الجليل جرير بن عبد الله البجلي الذي أسلم وحسن إسلامه في السنة العاشرة [٦٣]. وجرير والطفيل أبليا بلاءً حسناً في نشر الإسلام في بلاد غامد وخثعم وما جاورها ، وسعيا إلى محاربة المشركين وتحطيم أصنامهم وتفريق جمعهم ،[٦٤] وقد امتد جهاد جرير إلى الخثعميين المشركين في وادي تبالة واختار الرسول ﷺ جرير البجلي لمقاتلة خثعم وهدم صنمهم ذي الخلصة ، وهذا الاختيار يعود إلى معرفة جرير بأراضي الخثعميين[٦٥] فكان يستوطن ديارهم من بيشة ، وساعده معرفته بحزونها ومسالكها وعلمه بأهلها وعشائرها في هزيمتهم والانتصار عليهم[٦٦] ويتضح ذلك من قول جرير للرسول ﷺ الذي ذكر عند مقابلته للرسول ﷺ أن الإسلام انتشر في عموم أرض السراة ولم يبق إلا صنم ذي الخلصة في أرض خثعم ، فأرسله النبي الكريم إلى هدمه وقام بالمهمة على خير وجه ، وعاد إلى الرسول ﷺ فقال " **يا رسول الله والذي بعثك بالحق لقد هدمته....وما صدنا عنه أحد** " [٦٧].

وكان عموم سكان وادي بيشة خاصة الخثعميين من المدافعين عن هذا الصنم ، والمرتادين له أثناء ممارسة طقوسهم وعباداتهم[٦٨] ويشير ابن سعد إلى أنه بعد هدم صنم ذي الخلصة وفد عثعث بن زحر وأنس بن مدرك

الخثعمي في رجال من خثعم إلى رسول الله ﷺ فقالوا : " **آمنا بالله ورسوله ، وما جاء من عند الله ، فاكتب لنا كتاباً نتبع ما فيه، فكتب لهم كتاباً**" (٦٩) ، وكان نص هذا الكتاب على النحو التالي : " **هذا كتاب من محمد رسول الله لخثعم من حاضرة بيشة وباديتها ، إن كل دم أصبتموه في الجاهلية فهو عنكم موضوع ، ومن أسلم منكم طوعاً أو كرهاً في يده حرث من خيار أو عرار تسقيه السماء ... فله نشره وأكله ، وعليهم في كل سيح العشر ، وكل غرب نصف العشر**" (٧٠). ويذكر أيضاً أن الحارث بن عبد شمس الخثعمي خرج من أعالي بيشة إلى النبي ﷺ وأخذ لجميع أصحابه الأمان على دمائهم وأموالهم فكتب له الرسول ﷺ كتاباً وأباحهم في بلادهم. (٧١)

وبعد فتح مكة في السنة الثامنة للهجرة جاء مطرف بن الكاهن الباهلي من بيشة حتى قابل الرسول ﷺ في الحجاز فأعلن إسلامه ، فأمنه الرسول ﷺ وأعطاه كتاباً فيه فرائض الصدقات قال فيه : " **هذا كتاب من محمد رسول الله لمطرف بن الكاهن ، ولمن سكن بيشة من باهلة ، إن من أحيا أرضاً مواتاً بيضاء فيها منافع الأنعام ومراح فهي له وعليهم في كل (٣٠) من البقر فارض ، وفي كل (٤٠) من الغنم شاة ، وفي كل(٥٠) من الإبل ثاغية مسنة ، وليس للمصدق أن يصدقها إلا في مراعيها ، وهم آمنون بأمان الله**" .(٧٢) وفي رواية أخرى تذكر أن مطرف بن خالد بن نضلة الباهلي ، قدم على النبي الكريم ﷺ فكتب له كتاباً ولم يروِ نص الكتاب (٧٣) ويذكر أيضاً أن نهشل بن مالك الباهلي استلم كتاباً من رسول الله ﷺ يحثه وقومه على

إقامة شرائع الإسلام ، والالتزام بما جاء فيه ، ثم يقول : " **وإذا فعلوا ذلك فهم آمنون بأمان الله ، وإن لهم أن لا يحشروا ولا يعشروا وعاملهم من أنفسهم** " [٧٤].

ومن هذه الصلات بين الرسول ﷺ وأهل بيشة يتضح لنا أن الإسلام انتشر بينهم ، وأصبحوا على علم بحلاله وحرامه . وإذا كنا لا نجد وفادات أو مكاتبات من قبائل بيشة الأخرى ، لكن المؤكد أن معظمهم دخلوا الإسلام سلماً ، وهذا ما نجده عند البلاذري الذي يذكر إسلام أهل نواحي جرش وتبالة ، القاطنين في أعالي وادي بيشة [٧٥] .فقال : " **أسلم أهل تبالة وجرش من غير قتال ، فأمرهم رسول الله ﷺ على ما أسلموا عليه ، وجعل على كل حالم ممن بهما من أهل الكتاب ديناراً، واشترط عليهم ضيافة المسلمين** " .[٧٦]

وجاءت عصور الخلفاء الراشدين (١١ـ٤٠هـ /٦٣١ـ٦٦٠م) ، ثم خلفاء بني أمية (٤١ـ١٣٢هـ /٦٦٠ـ٧٩٤م)، وبني العباس (١٣٢ـ٦٥٦هـ/ ٧٤٩ـ١٢٥٨م) ، فقل ذكر بيشة ، ولم نعد نسمع عنها إلا شذرات قليلة جداً ، وأحياناً روايات عامة على بلاد واسعة ، وتشكل بيشة أحياناً جزءاً منها مثل : ـ القول :(السراة ، أو السروات، أو جنوبي الطائف، أو اليمن ، أو نجد (اليمامة) ، أو مخاليف (نجران ،وجرش، وتبالة ، والطائف)[٧٧]. وكل هذه المصطلحات أسماء لمواطن تتفاوت في الكبر والصغر ، وجميعها أو معظمها مجاورة لأرض بيشة أو قريبة منها.[٧٨] وقد أخرجنا في العقدين الماضيين العديد من الدراسات الأكاديمية المنشورة في

مجلات وكتب علمية مختلفة.[٧٩]، وذكرنا في تلك الدراسات العديد من المراكز الحضارية الواقعة إلى جنوب الطائف والممتدة إلى اليمن ، وأشرنا أحياناً إلى بيشة حسب ما جاءت في بعض كتب التراث.[٨٠]وفي السنوات الأخيرة نشرنا أيضاً دراستين أكاديميتين مستقلتين عن جرش وتبالة وأوضحنا تاريخ هاتين الناحيتين اللتين تقعان على بعض روافد وادي بيشة.[٨١] فالهمداني يصف جرش قائلاً "**جرش رأس وادي بيشة**".[٨٢] وعرام يقول "**وفي حد تبالة قرية يقال لها بيشة**".[٨٣] وأوردنا في هاتين الدراستين تفصيلات عن الوضع السياسي والإداري والحضاري لتبالة وجرش ، ووجدنا ذكرهما أوسع من ذكر بيشة ، فالعديد من كتب التراث تذكرهما على أنهما ناحيتان أو مخلافان واسعان يمتد نفوذهما إلى ما حولهما من البلاد.[٨٤] وبعض الأمراء والولاة الذين كانوا يرسلون من قبل خلفاء المسلمين الأوائل كانوا يتخذون من هاتين البلدتين مقراً لهم.[٨٥] بل إنه في العديد من الأحداث السياسية ابتداءً بحروب الردة في عهد الخليفة الراشد أبو بكر الصديق ﷺ (١١-١٣هـ/٦٣١-٦٣٣م)[٨٦] ، ثم ظهور بعض الثوار في اليمن أو الحجاز في بعض عهود خلفاء بني أمية وبني العباس ، كانوا يتخذون من تبالة وجرش مواطن انطلاق وميداناً لبعض حروبهم عندما يخرجون ، ذاهبين وآيبين بين اليمن والحجاز.[٨٧]والمتأمل في بعض المصادر الإسلامية المبكرة يلمس حرص معظمها على الإشارة إلى تبعية كل من تبالة وجرش لولاة الحجاز، وفي مرات قليلة جداً يعين عليها الولاة مباشرة من قبل الخلفاء.[٨٨] أما في معظم

الأحيان فكان والي مكة هو الذي يتولى الإشراف عليها ، ويرسل إليها من يرى من رجاله.[٨٩]

ومن الدراستين الخاصتين بجرش وتبالة والمتصلتين ببلدة بيشة من خلال اشتراكهم في واد واحد يحمل اسم (وادي بيشة) فإننا نرى في الدراسة التي بين أيدينا أنه لا داعي لإعادة الحديث عن الأوضاع السياسية والإدارية في بيشة وبخاصة في الأحداث العامة التي تجتمع فيه هذه النواحي الثلاث (جرش، وتبالة ، وبيشة)[٩٠]علماً بأننا سوف نتطرق في سطور قادمة إلى بعض الجوانب السياسية التي لم ترد في هذين البحثين الآنفي الذكر ، ويدفعنا إلى عدم تكرار ما ورد في هاتين الدراستين في ثنايا هذا البحث عدة أسباب أهمها :

١- جاءت بيشة قديماً أقل ذكراً من جرش وتبالة ، فأغلب الأحداث التي حدثت في هذه النواحي الثلاث كانت تذكر على التوالي في جرش ، ثم تبالة وأحياناً بيشة ، وربما وردت الناحيتان الأوليان دون الثالثة . وإذا ورد ذكر تبالة أو جرش وما يدور فيهما من أحداث آنذاك فإن الحديث يشمل بلاد بيشة ، لأن بلدة تبالة وهي وسط المخلاف لا تبعد عن مركز بلدة بيشة تجاه الشمال الغربي إلا حوالي (٥٠) كيلاً ، وبلدة جرش حوالي (١٥٠) كيلاً في الجهة الجنوبية الغربية. والولاة الذين كانوا يرسلون من قبل الخلفاء المسلمين الأوائل إلى هذه النواحي كانوا يتخذون من تبالة أو جرش مقراً لولايتهم ، وهم بدورهم يمدون نفوذهم إلى بيشة.[٩١]

٢- أشارت بعض كتب التراث المبكرة إلى النواحي التابعة لوالي مكة وكانت تبالة وجرش من المخاليف المذكورة والتابعة لأمير مكة.(٩٢) بل ذكرت أن بيشة مخلاف من مخاليف مكة.(٩٣) لكننا لا نجد من خلفاء المسلمين أو أمراء مكة الأول من يرسل والياً على بيشة بخلاف جرش وتبالة التي نقف على أسماء بعض الولاة أو الأمراء الذين تولوا سير الأمور فيهما.(٩٤)

٣- إذا حاولنا التطرق لسرد الأحداث التقليدية في التاريخ الإسلامي المبكر والوسيط ، خاصة في اليمن والحجاز بهدف الإشارة إلى دور أهل بيشة في تلك الأحداث فلن نأتي بجديد ، لأننا ناقشنا ذلك إلى حدٍ ما من قبل، ومن أراد الاستزادة يمكنه الرجوع إلى هاتين الدراستين المنشورتين ، المشار إليهما آنفاً ، فضلاً على أننا بصدد جمع هاذين البحثين مع غيرهما من الأبحاث لتكون في كتاب واحد تحت عنوان : - **دراسات في تاريخ تهامة والسراة خلال العصور الإسلامية المبكرة والوسيطة (ق١- ق١٠هـ/ ق٦- ق٧م) . الجزء الثاني.**(٩٥)

٤- من الواضح أن تبالة وجرش كانت أكثر شهرةً من بيشة قديماً ، ولكن مع مرور العصور تحولت هاتان الناحيتان إلى شيء مجهول ، وبقي وادي بيشة، وبلدة بيشة تحمل الاسم نفسه ، بل أصبح لها تاريخ مدون ومحفوظ وبخاصة في العصر الحديث والمعاصر . وربما أدى غنى واحة بيشة بمياهها وخيراتها وموقعها الاستراتيجي بين اليمن والحجاز ونجد والسروات إلى جعلها تحتفظ بالاسم والتاريخ معاً (٩٦) . أما تبالة

وجرش فلازالت أرضهما من روافد بيشة ، وإن تقلص تاريخ الأولى فأصبح محصوراً في قرية صغيرة تعرف بـ(تبالة) على ضفاف وادي تبالة.(٩٧) أما جرش فقد اختفى اسمها تماماً.(٩٨)

وهناك أحداث سياسية أخرى حول بيشة ، لم ترد في الدراستين الخاصتين بـ (تبالة وجرش) نجملها ونناقش أهمها في السطور التالية : ـ

وردت تبعية تبالة وجرش وما حولهما للحجاز ، وورد ذكر أسماء ولاة تولوا هذه البلاد خلال القرون الإسلامية الأولى.(٩٩) لكننا لا نجد معلومات واضحة تذكر وضع بيشة السياسي والإداري ، ولكن نجد إشارات بسيطة تعكس بعض الملامح السياسية ، منها ما ذكر في مصادر مبكرة ولدينا قناعة لا بأس بها حول صحتها ، وهناك أيضاً إشارات أخرى وردت في مصادر متأخرة جداً ، وسوف نتوقف معها قليلاً ونقول رأينا حول مصداقيتها.(١٠٠)

أورد ياقوت الحموي خبراً عن بعض نواحي بيشة في عصر الدولة الأموية وما تتصف به أرضها من الخيرات الزراعية(١٠١) ، فقال: " **المعمل قرية من أعمال مكة ، قال أبو منصور : ـ لبني هاشم في وادي بيشة ملك يقال : المعمل وكان أول أمر المعمل أنه كان بُنيٌّ من بيشة بين سلول وخثعم فيحفر السلوليون ويضعون فيه الفسيل فيجيء الخثعميون فيزيلون الفسيل ، ولا يزال بينهم قتال وضرب فكان ذلك المكان يسمى مطلوباً (١٠٢) فلما رأى ذلك العجير السلولي تخوف أن يقع بين الناس شر هو أعظم من ذلك ، فأخذ من طينه ومائه ، ثم ارتحل حتى لحق بالخليفة هشام بن عبد الملك**

(١٠٥ـ ١٢٥هـ /٧٢٣- ٧٤٢م) ووصف له صفته ، وأتاه بمائه وطينه ، وماؤه عذب ، فقال له هشام : ـ كم بين الشمس وهذا الماء ؟ قال : أبعد ما يكون بعده ، قال : فأين هذا الطين؟ قال: في الماء وأخبره بما في جوف بيشة ، وبيشة من أعمال مكة ... وأخبره بما في بيشة والأودية التي معها من النخل والفسيل ، وأخبره أن ذلك يحتمل نقل عشرة آلاف فسيلة في يوم واحد ، فأرسل هشام إلى أمير مكة ، أن يشتري (٢٠٠) زنجي ، ويجعل مع كل زنجي امرأته ، ثم يحملهم حتى يضعهم بمطلوب ، وينقل إليهم الفسيل فيضعونه بمطلوب، فلما رأى الناس ذلك قالوا: إن مطلوب معمل يُعمل فيه ، فذهب اسمه المعمل إلى اليوم " .[١٠٣]

وتشير بعض المصادر المبكرة إلى ثورة ابن الهيصم بن عبدالمجيد الهمداني التي ظهرت في اليمن خلال عصر الخليفة العباسي هارون الرشيد (١٧٠ـ١٩٣هـ/٧٨٦- ٨٠٨م) وامتد شررها شمالاً حتى وصلت بلاد بيشة ، لكن لا نجد في المصادر الأولية تفصيلات حول دور أهل بيشة في صد هجمات هذا الثائر ، إلا أن الخليفة هارون الرشيد في عام (١٨٩هـ / ٨٠٤م) أرسل جيشاً بقيادة مولاه حماد البربري لمواجهة هؤلاء الثوار في بيشة وما والاها جنوباً ، واستطاع أن يهزمهم ويقضي عليهم.[١٠٤]

وتذكر روايات أخرى متأخرة قيام دويلة أموية في عسير خلال النصف الثاني من القرن الثاني الهجري / الثامن الميلادي ، وتؤكد هذه المصادر على ظهور بعض رجالات هذه السلطة بالعديد من البطولات التي سيطروا فيها على معظم بلاد عسير وتصدوا لبعض الهجمات التي وصلتها

من الأئمة الزيدية في صعدة وصنعاء ، أو من القرامطة الذين اجتاحوا مناطق عديدة في الجزيرة العربية خلال القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي ، أو من بعض القرى والقبائل المجاورة.(١٠٥)

وكل هذه التفصيلات وردت في مصادر ومراجع صدرت في العصر الحديث، وقد عملنا جاهدين على تقصي مدى صحة هذه الروايات في المصادر التاريخية المبكرة فاتضح لنا : -

١- ما قيل عن قيام دويلة أموية في بلاد عسير امتد نفوذها إلى أرض بيشة وغيرها لا نجد لها ذكراً في أمهات المصادر الأولى ، مع أن المذكورعن هذه الدويلة ، التي يذكر أنها تنتسب إلى الخليفة يزيد بن معاوية (٦١- ٦٤هـ/٦٨٠- ٦٨٣م) قد قوي شأنها واتسع نفوذها ، ولو كان هذا الخبر صحيحاً لما أغفلت كتب التراث المبكرة ذكرها ، والذي نعتقده عدم صحة هذه الأخبار والدليل على ذلك عدم وجود أي خبر عنها في أي مصدر من مصادر التاريخ والتراث الإسلامي المبكر.(١٠٦)

٢- ظهر الأئمة الزيدية في اليمن ، وبخاصة في صعدة وصنعاء وأقاموا دولتهم هناك قروناً عديدة (٢٨٤- ١٣٨٢هـ/٨٩٨- ١٩٦٢م) ، وكانوا يرتادون الطريق بين اليمن والحجاز عبر أرض بيشة ، فالإمام القاسم بن علي العيان ولد في تبالة عام (٣١٠هـ/٩٢٢م) وعاش فيها مع أولاده وأفراد أسرته معظم حياته ، وفي آخر خمس سنوات من حياته (٣٨٨-٣٩٣هـ/ ٩٩٨-١٠٠٢م) ترك مسقط رأسه وذهب ليتولى حكم الدولة الزيدية في اليمن(١٠٧). وجاء بعض أحفاده كالقاسم ومحمد

ابني جعفر بن الإمام القاسم بن علي العياني ، فخرجوا هاربين من أرض اليمن واستقروا في موطن أجدادهم في ترج وتبالة لمدة تسع سنوات.[١٠٨] (٤٥١-٤٥٩هـ/١٠٥٩-١٠٦٦م). وهؤلاء الرجال الذين يدينون بالمذهب الزيدي كانوا على صلات اجتماعية واقتصادية بسكان ترج وتبالة من وادي بيشة ، لكنه لم يذكر لهم أي نشاط ديني أو عقدي ، وربما كان سكان البلاد المحليين لا يتقبلون مذهبهم ، مع أنهم كانوا يقدرونهم ويحترمونهم لأنهم أشراف من سلالة الحسن بن علي بن أبي طالب.[١٠٩]

والروايات المتأخرة والمذكورة في النقطة السابقة تشير إلى حروب دامية وقعت بين أهل عسير ، التي يقودها رجالات بني أمية في هذه الناحية ، وبين القوى الزيدية التي كانت تهاجم البلاد العسيرية . وقد بذلنا الجهد للاطلاع على بعض المصادر الزيدية المبكرة ، فوجدنا القوى الزيدية كانت بالفعل تسعى إلى مد نفوذها إلى نجران وربما إلى بلاد قحطان وشهران شمالاً ، لكننا لا نجد ذكراً لهذه السلطة الأموية المزعومة في بلاد عسير.[١١٠] وربما أشارت بعض المصادر الزيدية إلى أن بعض الأئمة الزيدية في القرون الإسلامية الوسيطة كانوا يتطلعون إلى مد هيمنتهم على ما يعرف اليوم بمناطق نجران وعسير ، ولكنهم وإن نجحوا لبعض الوقت وبخاصة في نواحي نجران ، إلا أنهم لم يستطيعوا إحكام السيطرة على هذه البلاد.[١١١] أما في بلاد بيشة فكانت تقع بعيداً تجاه الشمال عما يدور بين القبائل في نجران وصعدة وما حولهما.[١١٢]

كان ولاء أهل بيشة السياسي والديني لأهل مكة والحجاز عموماً . وجميع خلفاء الإسلام ، وأمراء الحجاز يرون أن بيشة تعد ناحية من نواحي مكة . وهناك بعض المصادر التي تورد أسماء أمراء وولاة أرسلوا من الحجاز إلى مخلاف تبالة الذي تعد بيشة قديماً ناحية من نواحيه.(١١٣) كما أن أهل بيشة ومن يفد عليهم يحرصون على إبلاغ ولاة مكة بما يدور في بلادهم . وأكبر دليل على ذلك ما فعله الشريفان القاسم ومحمد حفيدا الإمام القاسم بن علي العيّاني عندما هربا من سطوة الصليحيين في اليمن عام (٤٥١هـ/ ١٠٥٩م) وعادا إلى مسقط رأس جدهما في وادي بيشة وبخاصة في ترج فقالا : " **لما صرنا بترج ... خشينا أن يلحقنا من الأمير ابن أبي الفتوح عتب إذ لم نتصل به لأن يده كانت تصل البلاد التي نحن بها**" (١١٤) وأرسلا له رسولاً أبلغه بإقامتهم في وادي ترج ومعه بعض الهدايا المرسلة لأمير مكة.(١١٥)

وكان أشراف مكة حريصين على الاتصال بأهل بيشة ، وأحياناً كانوا يرسلون من قبلهم من يسوس أحوال الناس هناك أو يقضي على بعض الفتن والثورات في بلادهم. والمصادر المحلية لتاريخ مكة تذكر بعضاً من هذه الصلات فيذكر أنه في شهر جمادى الثانية سنة (٨٣٧هـ /١٤٣٣م) قاد الشريف رميثة بن عجلان جيشاً "**إلى بلاد الشرق فغاروا على شهران ، وعرب كثير فانكسروا ... ، فقتل هو وجماعة من القواد والعبيد**" (١١٦) ، ويفهم من كلمتي الشرق وشهران أنها منطقة بيشة التي تقع في ناحية الشرق ، وأنها من المناطق الرئيسة لقبيلة شهران العريضة.(١١٧) وفي حديث عن الشريف جمال الدين بن محمد بن بركات بن حسن بن عجلان أنه في

شهر صفر عام (٨٧٥هـ/١٤٧٠م) **"سافر وعياله وعسكره إلى الشرق ... وغاب ببلاد الشرق نحو ثلاثة أشهر وعاد بالسلامة".**(١١٨) وفي شهر جمادى الآخرة عام (٨٨٥هـ /١٤٨٠م) **" جاء قاصداً من عند الشريف ، وأخبر أنه غزا عرب بيشة وقتل منهم جماعة ، وغنم دروعاً وإبلاً وغير ذلك ".**(١١٩)

ويتضح من هذه النصوص أن أشراف مكة كانوا على صلات بنواحي الشرق مثل بيشة وما جاورها ، وذلك من باب شعورهم بالمسؤولية تجاه هذه النواحي وأنها جزء من مناطق نفوذهم) .(١٢٠)

خامساً : مظاهر الحضارة في بيشة :

بيشة من المواطن الحضارية الهامة وبخاصة في الجوانب الاجتماعية والاقتصادية ، فعرام السلمي يصفها قائلاً **"وفي حدِ تبالة...قرية يقال لها بيشة".**(١٢١) ومعظم سكانها من القبائل العربية العدنانية والقحطانية . أما الإدريسي فيشير إلى أنها **"مدينة صغيرة متحضرة جيدة المساكن حسنة البقعة".**(١٢٢) وبيشة ليست قرية ولا مدينة وإنما هي مجموعة من القرى والبوادي الواقعة في أسفل وادي بيشة ، ناهيك عن قرى وبواد أخرى كثيرة على روافد الوادي والمنحدرة من أعالي السروات.(١٢٣) وناصر خسرو من أهل القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي يصف تلك النواحي قائلاً : **" فيها كثير من المدن مثل : نجران ، وبيشة وبها قرى كثيرة وبواد لا تدخل تحت الحصر".**(١٢٤) وفي كل بادية حاكم مستبد لا يخضع لأي سلطة مركزية.(١٢٥) ويضيف أيضاً أنه يوجد بهذه البلاد حصون محكمة ومضائق جبلية وسكانها من الحضر والبادية.(١٢٦) وهذا ما أكد عليه الرسول ﷺ في

كتابه الذي أرسله إلى قبيلة خثعم من حاضرة بيشة وباديتها.[١٢٧] والغالب على حاضرة بيشة وبواديها حتى اليوم أنها تقع في موقع إستراتيجي يجمع بين حياة البادية والحضر.[١٢٨] ، بل بها جميع مقومات الحياة كوفرة المياه ، وكثرة المواشي والمراعي والزراعة ، إلى جانب وجودها على الطريق اليمني الحجازي الذي يعد من أهم الطرق التي تصل اليمن بالحجاز.[١٢٩] وتعدد القرى وهيمنة الشيوخ على مواطنهم تكاد تكون صفة سائدة عند عموم عشائر وقبائل الجزيرة العربية خلال العصور الجاهلية والإسلامية وحتى عهد قريب من تاريخنا الحديث.[١٣٠] ونجد الهمداني وابن المجاور وغيرهما يذكرون ذلك بوضوح[١٣١] ، وأفضل من صور لنا حياة سكان بيشة وغيرهم من القبائل القاطنة في البلاد الواصلة بين اليمن والحجاز هو ابن المجاور الذي أشار إلى تلك النواحي فقال : " **هي قرى متقاربة بعضها من بعض في الكبر والصغر ، وكل قرية منها مقيمة بأهلها ، كل فخذ من فخوذ العرب وبطن من بطون البدو في قرية**".[١٣٢] ويواصل حديثه فيذكر أنهم " **قبائل وفخوذ ، بل مشائخ منهم وفيهم وهم بطون متفرقون**".[١٣٣] ويسرد بعض المعلومات عن طبيعة حياتهم وتعاملهم مع بعضهم البعض أو مع من جاورهم من البطون والقبائل فيذكر أن جميع هذه البلاد "**لا يحكم عليهم سلطان ، ولا يسلمون خراجاً ، ولا يسلمون قطعة ، إلا كل واحد منهم مع هوى نفسه ، ولا يزال القتال دأبهم ويتغلب بعضهم على مال بعض ، ويضرب قرابة زيد على أموال عمرو ، وهم طوال الدهر على هذا الفن ، وهم في دعة وأمان**".[١٣٤]

وغالبية طعام وشراب سكان بيشة من منتوجاتهم الزراعية ، المتوفرة في مزارعهم الكثيرة [١٣٥]. بالإضافة إلى اللحوم والمشتقات الحيوانية التي يحصلون عليها من مواشيهم ، كالأغنام والماعز ، والجمال ، [١٣٦] والصيد البري لبعض الطيور والحيوانات. [١٣٧] ومن الأطعمة المتوفرة في بلادهم البر، والشعير ، واللبن ، واللحوم ، والسمن ، والثريد ، والتمور ، والطماطم ، والعنب ، والرمان ، والبطيخ . أما الألبسة فكانوا يحصلون على بعضها من جلود حيواناتهم أو من منتوجاتهم الزراعية وبخاصة النخيل التي يعملون من سعفها الكثير من المفارش والألبسة. [١٣٨] وهناك ألبسة وسلع أخرى تستورد من اليمن والحجاز وبخاصة عند أهل مكة الذين تتوفر بكثرة في أسواقهم. [١٣٩]

ونجد المقدسي من أهل القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي يصف أهالي وادي بيشة ومن جاورهم من أهل السراة فيذكر أن أشكالهم تميل إلى السمرة ، والغالب عليهم الدقة والهزال ، وكثرة ثيابهم القطن. [١٤٠] وأشار ايضاً إلى بعض عاداتهم الاجتماعية كاستخدام الحناء للزينة عند نسائهم وكان بينهم تعاون وتكاتف في أمور حياتهم من أجل البقاء ومواجهة الحياة. [١٤١] ويذكر ابن المجاور أن للقوم عصبية وأهلاً فإذا مات الميت عندهم لا يحمل جنازته إلى القبر إلا الشباب ويقولون " **سلم سلمك الله هذا ما وعد الله نعم القاضي وهم يتداولون النعش إلى المقبرة ، وهم الذين يحفرون القبر**". [١٤٢]

أما مظاهر الحياة الدينية والعلمية في بيشة ، فكان أهلها يدينون بدين الإسلام ، وقد لاحظنا كتب الرسول ﷺ إلى بعض قبائلها فكانت واضحة صريحة في تحديد أمور حياتهم الدينية وما يجب عليهم إتباعه حتى يكونوا مسلمين آمنين تحت مظلة الإسلام .(١٤٣) وبقوا على إسلامهم ، وساروا مع عموم من جاورهم من أهل الحجاز والسراة على مذهب الإمام الشافعي ، الذي خرج في رحلته من الحجاز إلى السراة واليمن ، وتولى الإمارة والقضاء في بلاد نجران خلال عهد الخليفة هارون الرشيد.(١٤٤) وانتشر مذهبه في عموم هذه البلاد خلال القرون الإسلامية المبكرة والوسيطة . كما عاش بينهم بعض أهل الكتاب مثل اليهود والنصارى وهذا ما ورد واضحاً عندما كاتب الرسول ﷺ إلى أهل تبالة وجرش" **وجعل على كل حالم ممن بهما من أهل الكتاب ديناراً** ".(١٤٥)

وإذا أمعنا النظر في حياة سكان وادي بيشة الدينية والعلمية وجدنا المصادر لا تسعفنا بالشيء الكثير مع أن حاضرة بيشة كانت من المحطات التجارية الهامة بين اليمن والحجاز ويمر بها العلماء والشعراء والأدباء ورجال الدولة ، لكننا لا نجد لهم في المدونات التراثية آثاراً كبيرة (١٤٦) ويصف الهمداني فصاحة السكان القاطنين في الأجزاء العلوية من وادي بيشة فيقول " **الفصاحة من العرض في وادعة... فأرض نهد وبني أسامة فعنز ، فخثعم ، فهلال ، فعامر بن ربيعة ، فسراة الحجر ..** " (١٤٧). ومن هذا النص يتضح أن معظم البلاد المعنية في هذا الوصف هي السروات التي تسقط منها روافد وادي بيشة ، ومنهم من يستوطن أعالي السروات وآخرون يعيشون في

سفوح السروات الشرقية حتى حاضرة بيشة.[١٤٨] وقد بذلنا جهوداً لمعرفة رجال العلم والفكر والثقافة في هذه البلاد فلم نجد ضالتنا وبخاصة إذا قارناها باليمن أو الحجاز ، أو حتى المخلاف السليماني في تهامة.[١٤٩] وإذا رجعنا إلى كتب الطبقات والتراجم ، وأحياناً كتب التاريخ والأدب واللغة نجد ذكر أسماء كثيرة من حاضرة بيشة وأحياناً من سكان بعض روافد واديها . وكان بينهم صحابة وتابعون ومنهم من روى الأحاديث وآخرون برزوا في بعض جبهات الجهاد ، ومنهم أيضاً شعراء خرجت عن بعضهم دراسات متأخرة من خلال جمع شعرهم وترتيبه ودراسته.[١٥٠] ولكن المشكلة التي قابلناها مع هؤلاء الرجال أنهم عاشوا خارج بلاد بيشة فمنهم من ظهر في الحجاز وآخرون خرجوا إلى الأمصار الإسلامية في العالم الإسلامي.[١٥١] وهناك دراسات حديثة جمعت بعضاً من أسماء وتراجم أولئك الرجال ، لكننا لا نجد لهم أي أثر فكري أو علمي أو ثقافي على مواطنهم الرئيسة في بلاد بيشة.[١٥٢] وربما ساهم بعض الشعراء في حياة المجتمع وإن كانوا خارج ديارهم ، إلا أنهم كانوا يعودون إلى بيشة بين الفينة والأخرى ، أو أنهم كانوا يذكرون بلادهم الأولى أو بعض أجزائها في شعرهم وهم خارج وطنهم الأول.[١٥٣] فالهجري ذكر بعض الشعراء الذين في أواخر أسمائهم البيشي مثل : " **أبو محمد البيشي روى عنه شعراً لابن الدمينة**" ، وقال : ـ وأنشدني أبو الجهم البيشي وغيره لابن الدمينة[١٥٤] ، ولم يذكر ما أنشده.[١٥٥] وابن الدمينة ، هو عبد الله بن عبيد الله ، عاش ومات خلال النصف الأول من القرن الثاني الهجري/ الثامن الميلادي وهو

من أهل بيشة ، والمرتادين لها ، وكان مقتله في نواحي تبالة (١٥٦). وقد جمع شعره في ديوان مستقل.(١٥٧)

وله شعر كثير يذكر انتمائه إلى خثعم وإلى بيشة.، ومن ذلك شعر يمتدح فيه معن بن زائدة قائلاً :

لولا رجاؤك لم أسر من بيشة ‏ ‏ ‏ ‏ عرض العراق بفتية ورواحل(١٥٨)

وذكر أبياتاً أخرى يفتخر بقومه خثعم ومنها قوله :

وخثعم قومي ما من الناس معشر ‏ ‏ ‏ ‏ أعم ندى منهم وأنجى لخائف (١٥٩)

والشاعر العجير السلولي من بني سلول في بيشة ، وكان يذهب ويروح ما بين بيشة وحواضر العالم الإسلامي ، وله دور حسن في حل الصراع الذي كاد أن يقع في بيشة بين خثعم وسلول ، وذلك عندما ذهب إلى الخليفة الأموي هشام بن عبد الملك وأخبره بكثرة مياه بيشة ، وكثرة خيراتها الزراعية ، فأرسل الخليفة إلى أمير مكة وأمره بإرسال من يتولى أمر الري والزراعة فيما اختصم عليه بني سلول وخثعم.(١٦٠) وفي ذلك يقول العجير :

لا نوم للعين إلا وهي ساهرة ‏ ‏ ‏ ‏ حتى أصيب بغيظ أهل مطلوب

إن تشتموني فقد بدلت أيكتكم ‏ ‏ ‏ ‏ زرق الدجاج وتجفاف اليعاقيب

قد كنت أخبرتكم أن سوف يعمرها ‏ ‏ ‏ ‏ بنو أمية وعداً غير مكذوب (١٦١)

وإذا كان بعض أئمة اليمن الزيدية لهم علاقات اجتماعية واقتصادية بأهالي بيشة ، إلا أننا لا نجد لهم نشاطاً علمياً أو دينياً ، وربما يعود عدم نشاط الحياة العلمية الفكرية في بيشة إلى أسباب أبرزها :

١- أن تركيبة عموم السكان قبلية بدوية فهم يحصرون نشاطاتهم على كسب أرزاقهم دون أن يسعوا إلى تطوير أنفسهم علمياً وثقافياً . ثم إن معظم سكان وادي بيشة وبخاصة الأجزاء العلوية منه يعيشون في عزلة جغرافية عن من حولهم ، بسبب وعورة تضاريس بلادهم ، وأيضاً رغبتهم في عدم الاحتكاك بالغير إلا في الحالات القصوى مثل : - مشاركتهم في الحروب والصراعات القبلية ، أو ذهاب بعضهم ، وهم قلة ، في بعض التجارات لكسب أقواتهم.(١٦٢)

٢- كانت طبيعة القبائل قديماً الانغلاق على نفسها ، وإذا اضطرت للاتصال بغيرها فذلك من باب التحالف مع عشائر أو قبائل أخرى حتى تقوي نفسها ، وتجد المساعدة من أحلافها إذا اضطرت إلى خوض حروب مع قبائل أو عشائر معادية لها.(١٦٣)

٣- ربما كان في محطة بيشة التجارية التي تجتازها الطريق التي تصل اليمن بالحجاز بعض النشاطات العلمية والفكرية ، وبخاصة أنه يمر عليها علماء وفقهاء ورجال فكر يأتون من الشام واليمن ، ودونت عنهم كتب التراث الشيء الكثير . ونجد بعض الآثار التي تؤكد ذلك ، فهناك الكثير من الرسومات والنقوش والكتابات الصخرية الإسلامية التي تذكر أسماء بعض من اجتاز تلك النواحي ، أو مات فيها . وهناك

العديد من الأسماء والأدعية والعبارات الدينية المدونة على الأحجار والصخور في مواطن عديدة من بلاد بيشة وتحتاج إلى متخصصين في علم الآثار يدرسونها ويحللون كلماتها ومعانيها.[١٦٤]

الحياة الاقتصادية نشطة في نواحي بيشة ومن أهمها : - موقع بيشة كمحطة تجارية على طريق الحجاز واليمن ، وقد أشارت إليها العديد من المصادر المبكرة وبينت وقوعها على طريق البخور المتجه من اليمن إلى شمال وشرق الجزيرة العربية[١٦٥]، واستمرت أهميتها التجارية خلال القرون الإسلامية المبكرة والوسيطة.[١٦٦] وقد صدرت دراسات علمية متأخرة وضحت أهمية هذه الطريق ، ودور المحطات التجارية عليه بما فيها بلدة بيشة.[١٦٧]والباحث عن الطرق التجارية الداخلية ضمن نطاق وادي بيشة لا يجد لها ذكراً في المصادر الإسلامية المبكرة ، لكن من خلال تجوالنا في نواحي هذا الوادي من أعلاه إلى مدينة بيشة في حوضه الأسفل لاحظنا العديد من الطرق القديمة المرصوفة بالحجارة والتي تربط بين القرى بعضها مع بعض ، بل نجد آثار الأسواق القديمة في بعض قرى وادي بيشة.[١٦٨] وسمعنا من بعض أهالي تلك القرى إلى أن بعض المواقع لازالت تعرف باسم سوق الجمعة ، أو الخميس ، أو الأربعاء وغيرها من الأسماء.[١٦٩] وهذه صفة نكاد نلمسها عند الكثير من القبائل في جنوب الجزيرة العربية فيكون السوق في مكان محدد وضمن نطاق قبيلة أو قبائل معلومة تقوم على حفظه وحماية من يرتاده . ولو بحثنا عن وضع المعاملات التجارية في عموم وادي بيشة لا نجد في المصادر المبكرة ما يوضح لنا هذا الجانب.[١٧٠] لكننا نجد العديد من

المصادر المبكرة والدراسات والأبحاث المتأخرة التي توضح نوع العملات المستخدمة في الحجاز واليمن.[١٧١] ، وعن أنواع المكاييل والموازين ، وأساليب التعاملات التجارية في تلك النواحي.[١٧٢] ومن المؤكد أن تلك المعاملات التي كانت سائدة في الحجاز واليمن هي نفسها التي كان معمولاً بها في نواحي بيشة وما جاورها من أرض السروات ، وذلك يعود لأسباب عديدة منها :

١- أن بلاد بيشة حلقة من حلقات الوصل التي تربط بين اليمن والحجاز ، ثم إن طريق الحج والتجارة بين صنعاء ومكة كانت نشطة ومستمرة طوال عصور الجاهلية والإسلام. ومن المعلوم أن نواحي بيشة كانت ناحية صغيرة تتبع ولاية الحجاز ولا يوجد بها حكومة أو سلطة قوية تستطيع أن تسك العملة وتطبق نظاماً تجارياً مستقلاً كما كانت حواضر اليمن والحجاز.[١٧٣]

٢- أننا نجد المصادر الإسلامية المبكرة ، كالأزرقي ، والهمداني ، والمقدسي ، وابن جبير، وابن المجاور ، وابن بطوطة ، وابن فهد، وغيرهم يذكرون العديد من السلع التي كانت تصدر من نواحي بيشة وما جاورها من أرض السروات إلى أسواق مكة ، وكيف كان تجار تلك النواحي يأتون إلى الطائف ومكة من أجل بيع سلعهم أو استبدالها أو مقايضتها بسلع أخرى كالأقمشة والأواني المنزلية وغيرها.[١٧٤]

ومن أهل بيشة من عمل في مهن عديدة كالتجارة والدباغة، والخرازة، والحدادة ، وغيرها من المهن المتنوعة في ممارستها وفي أدواتها الأولية ، وغالباً ما كانت المواد الأساسية لممارسة تلك المهن متوفرة في أرض بيشة فالأشجار المتنوعة توجد في طول وعرض البلاد ، وكثير من تلك الأشجار يستخدم في النجارة ، والدباغة ، والصباغة.(١٧٥) والحدادة والصياغة وصناعة الفخار والتعدين كانت من أعمال بعض البيشيين ، ولازلنا نجد آثاراً لبعض مواقع التعدين في بيشة.(١٧٦) يتحدث الهمداني عن بعض المعادن وأماكن التعدين في بيشة فيذكر أن معدن بيشة بعطان في عهده يأتي رطله بالعيار العلوي ثمانية وتسعين رطل ، وهو صاف في معدنه ، ويذكر أنه لم يكن يعمل في القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي.(١٧٧)

وفي أرجوزة الحج للرداعي قال :

نجاد ثور ضمراً سهوما يجشمن منها المعدن المجشوم

ونجاد ثور هو معدن بيشة بعطان الذي أشار إليه الهمداني ، وآثار هذا المعدن لازالت شاهداً للعيان في شرق بلدة بيشة يميل نحو الشمال.(١٧٨) كما تشير بعض المواطن الأثرية في بيشة إلى مناجم للمعادن وبعض المحاجر التي تستغل في صناعة الأواني الفخارية.(١٧٩)

ومهن الرعي والجمع والالتقاط والزراعة من المهن التي عرفها البيشيون ، وذلك يعود إلى تضاريس بلادهم إذ يتوفر بها السهل والوادي والجبل . وكل هذه المعالم التضاريسية جعلت بعضهم يمارس مهنتي الرعي

والزراعة. وقد شاهدنا في كتب النبي ﷺ لبعض القبائل البيشية توضيح مقادير زكاة المواشي.(١٨٠) وإرسال مثل تلك التعليمات الفقهية يؤكد على ثراء بلادهم في الثروتين الحيوانية والزراعية . وهناك مصادر أخرى تذكر وفرة المزروعات والمياه . فقدامة يذكر أن بلدة بيشة تقع في بطن الوادي ،وهي : " **كثيرة الماء من عيون وآبار**".(١٨١) ويتحدث ابن خرداذبة عن بيشة بعطان فيقول : "**هي كبيرة فيها ماء ظاهر**".(١٨٢) ويتفق الإدريسي مع ابن قدامة وابن خرداذبة ويصفها بأنها "**حسنة البقعة وفيها ماء ظاهر**".(١٨٣) ويشير الهمداني وابن جبير إلى وفرة الثمار والمزروعات في الأجزاء السروية من وادي بيشة.(١٨٤) . ويتحدث المقدسي عن تلك النواحي فيذكر أنها "**معدن الحبوب والخيرات والتمور والعسل الكثير**".(١٨٥)

ويوجد العسل بكثرة في نواح عديدة من وادي بيشة .(١٨٦) وذلك لخصوبة هذا الوادي ، وإلى توفر المناخ المناسب لحياة النحل به . ويذكر ياقوت إلى كثرة شجر النخل في بيشة.(١٨٧) ويوجد في عموم وادي بيشة الكثير من الأشجار المتنوعة ، والحيوانات البرية كالقرود ، والذئاب والنمر والأسد وغيرها. "١٨٨"

وهناك العديد من الشعراء الذين صوروا وادي بيشة فذكروا كثيراً من مزروعاته وأشجاره وحيواناته ، ومن أولئك الشعراء : السمهري الذي ذكر العديد من الأبيات الشعرية التي قال في بعضها :

عديد الحص والأثل من بطن بيشة … وطرفائها مادم فيها حمامها(١٨٩)

وقال رجل من بني هلال يقال له رياح في ذكر ناحية مطلوب من بيشة :

يا أثلتي بطن مطلوب هويتكما لو كانت النفس تدني من أمانيها (١٩٠)

ويقول لبيد في قصيدته :

جفزت وأزيلها السراب كأنها أجزاع بيشة أثلها ورضامها (١٩١)

ويذكرها أبو الحياش الحجري في قصيدته طالباً المطر والاستسقاء :

وتلابت سيول بيشة في أعراضها فهي لجة طخيا (١٩٢)

ويذكر حميد بن ثور الهلالي :-

إذا شئت عنتني با جزاع بيشة إلى النخل من تثليث أو يبمبما (١٩٣)

والمتجول في نواحي بيشة اليوم يجد العديد من آثار الأبار القديمة والتي يعود تاريخها إلى مئات السنين ، وقد اندثر بعضها مع الأيام ولازال بعضها عامراً يستخدم حتى اليوم.(١٩٤) وهناك العديد من الشعراء الذين أشاروا إلى حيوانات بيشة وبخاصة الأسود ، فالشاعر الأحوص يمدح الخليفة عمر بن عبد العزيز ويصفه بالشجاعة فيقول :

عليد الحص والأثل من بطن بيشة وطرفائها مادم فيها حمامها (١٨٩)

ويقول :

حتى كأنك يتقى بك دونهم   من أسد بيشة خادر متبسل [١٩٥]

وتقول الخنساء في رثاء أخيها صخراً :

من أسد بيشة يحمي الخل ذي لبد   من أهله الحاضر الأدنين والبادي [١٩٦]

ويقول حسان بن ثابت في باب الفخر :

كأنهم في الوغى والموت مكتنع   أسد بيشة في أرساغها فدع [١٩٧]

وقال قيس بن الخطيم :

الفيتهم يوم الهيجاء كأنهم   كأسد ببيشة أو بغاب رواف [١٩٨]

وقال محمد المجتهد :

عش بالخداع فأنت في   دهر بنوه كأسد بيشة [١٩٩]

وبالاطلاع على العديد من النقوش والرسومات الصخرية في نواح عديدة من بيشة يستنتج أنها كانت مليئة بالعديد من الحيوانات الأليفة كالأبقار ، والجمال والخيول ، والحمير ، والكلاب ، بالإضافة إلى بعض الحيوانات البرية المفترسة مثل الأسود والذئاب وغيرها. [٢٠٠]

سادساً :. الخاتمة :. (نتائج البحث وتوصياته) :

خرجنا من خلال هذه الدراسة بالعديد من النتائج والتوصيات التي نجمل أهمها في النقاط الآتية :

١ - بيشة اسم يطلق على الوادي والحاضرة معًا ، فإذا نظرنا إلى وادي بيشة وجدناه من أكبر أودية الجزيرة العربية ، ويعيش على روافده العديد من البطون والعشائر العربية التي ينحدر معظمها من أصول أزدية قحطانية ، وهذا الوادي يتصل ببلاد واسعة تمتد من أرض قحطان جنوباً إلى خثعم وشمران وغامد شمالاً .

ورغم عدم مناقشتنا لتاريخ الأجزاء العلوية من الوادي التي تسقط من بلاد السروات ، إلا أننا حاولنا استخلاص بعض الدروس والفوائد التي تفيدنا في حديثنا عن حاضرة بيشة ، والتي تقع عند الحوض الأسفل من واديها ، وذلك بالعمل على معرفة الصلات التاريخية والحضارية بين البلدة نفسها (بيشة) وبين الوادي بشكل عام . مع الحرص على إبراز ملامح الاتفاق ، ومظاهر الافتراق ، تاريخياً وحضارياً ، بين كلٍ من أهل الوادي والبلدة على حدٍ سواء.

٢ ـ تركز جل حديثنا على حاضرة بيشة بمفهومها الواسع ، وتطرق إلى سبب تسميتها بهذا الاسم ، وموقعها ، ونوعية سكانها ، وأصولهم وصلاتهم ببعضهم، وكيفية دخول أهلها إلى حوزة الإسلام ، مع ذكر المراحل التي مر بها البيشيون خلال عهد الرسول ﷺ وما تلاه من عهود الخلفاء الراشدين ، والأمويين ، والعباسيين ، حتى القرون الإسلامية الوسيطة .

٣- لم يقتصر الحديث عن بيشة على التاريخ السياسي والإداري ، إنما امتد إلى ذكر المظاهر الحضارية الأخرى ، كالجوانب الاجتماعية والاقتصادية ، والعلمية والثقافية ، والفكرية .

٤- عُرفت بيشة في العصور السابقة للإسلام ، واكتسبت قدرًا من الشهرة لكونها مركزًا من المراكز التجارية التي تقع على طريق البخور الذي يصل الشمال بالجنوب ، واستمر ذكرها في كتب التراث الإسلامي ضمن محطات طريق الحج الجبلي الواصل بين مكة وصنعاء ، بيد أن الوقوف على دور هذه الحاضرة تاريخياً وحضارياً يحول دونه الكثير من الصعاب التي من أهمها :

(أ) أن الباحث عن دور المراكز الحضارية الواقعة بين اليمن والحجاز وبخاصة في الأجزاء الجبلية ، يلمس مجيء بيشة من أقلها ذكراً في كتب التراث ، بينما نظفر بمعلومات تاريخية متنوعة حول الطائف ، وتبالة ، وجرش ، ونجران ، وصعدة ، ، مع أن مؤهلات بعض تلك المراكز كتبالة وجرش مثلاً لا تكاد تدنو من المؤهلات الجغرافية والاقتصادية التي تحظى بها حاضرة بيشة . وإذا نظرنا إلى ذكر تلك النواحي الثلاث (بيشة ، وتبالة ، وجرش) وجدناها جميعها ضمن روافد وادي بيشة ، إضافة إلى أن بيشة كانت مغمورة تاريخياً وحضارياً ، بعكس جرش وتبالة اللتين كان يقيم فيهما ولاة الخلفاء آنذاك ، ومنهما وإليهما تذهب وتروح

المراسلات ، وتنتظم الصلات بين القوى الإدارية في الحجاز ، أو بلاط الخلفاء الأمويين والعباسيين .

(ب) إن غالبية سكان حاضرة بيشة يعودون في أصولهم القبلية إلى عشائرهم الأم التي استوطنت سفوح السروات الشرقية ، وتعد قبائل خثعم والأزد من أكثر البطون والعشائر المستوطنة في بيشة ، مع أن معظم هذه القبائل تقطن في السروات ، وبخاصة على روافد وادي بيشة الذي تأتي منابعه من غامد وشمران شمالاً ، إلى شهران وقحطان جنوباً . وقد بذلنا جهوداً كبيرة لمعرفة تاريخ هذه النواحي والعشائر وحضارتها ، خاصة في القرون الإسلامية الأولى إلا أننا لم نظفر إلا بشذرات متناثرة لا تقدم صورة واضحة عن تاريخ سكان تلك البلاد وحياتهم ، مع أن المؤكد من خلال وثائق التاريخ الحديث والمعاصر ، أن هيمنة القبيلة على أرضها وسكانها كانت أبرز ملامح الحياة في هذه القبائل وغيرها في الجزيرة العربية ، إذ لم تكن هناك مؤسسات إدارية تسوس أحوال الناس وتشرف على شؤونهم .

(ج) كان من المفترض أن تكون بيشة أكثر شهرة وذيوعًا ، وأوسع ذكرًا وتأريخاً من غيرها في البلاد الواقعة بين نجران والطائف ، وذلك لأهميتها التجارية ، ووفرة خيراتها الزراعية ، ومرور العديد من العلماء والتجار والساسة بها ، والذين كانوا يستريحون فيها أثناء ذهابهم وإيابهم بين اليمن والحجاز ، كما كان لهم فيها بعض

النشاطات الحضارية المختلفة ، ولكن كان لعدم التدوين أكبرُ الأثر في جعلها نسيًا منسيًا ، هي ومثيلاتها من البلاد النائية التي شطت عن أصحاب الفكر والثقافة ، الذين يميلون ـ في الأغلب الأعم ـ إلى الحواضر والمدن أمثال : صنعاء ، ومكة المكرمة ، والمدينة ... وغيرها .

٥ـ ربما يعد عصر الرسول ﷺ أفضل فترات التاريخ الإسلامي المبكر والوسيط الذي نجد فيه ذكراً لبعض عشائر بيشة ، وفي عهود الخلفاء الراشدين ثم الأمويين والعباسيين ، نراها قد أصبحت جزءًا من النواحي أو المخاليف التابعة لوالي مكة . ومع هذه التبعية إلا أن المصادر التاريخية العامة أو المحلية المكية لا تذكر لنا صورة واضحة عن أهل بيشة وتاريخها، إنما تذكرهم أحياناً كجزءٍ من بلاد السروات ، أو ضمن مخلاف تبالة الذي كانت بيشة تتبعه قديماً .

وربما تحدثت بعض المصادر اليمنية عن حاضرة بيشة ، ولكن بشكل غامض لا يتطرق أو يكشف عن تركيبتها السياسية، أو الإدارية، أو حتى الجوانب الحضارية الأخرى .

٦ـ قادتني معرفتي بطبيعة وادي بيشة وسكانه ، وكذلك تجوالي في حاضرته مرارًا إلى ملاحظة تنوع تضاريس هذه البلاد ، ووفرة خيراتها من المياه ، والزروع ، والأشجار ، والنباتات ، والطيور، والحيوانات، بل وقفت على العديد من صور التاريخ والحضارة في هذا الوادي ، ففي بعض جنباته تظهر المقابر المتنوعة في أشكالها ، حتى إن بعض

القبور فيها تصل إلى دورين أو ثلاثة فوق سطح الأرض . وهناك أماكن عديدة للمناجم ، والتعدين ، وصناعة الرحى والأحجار ، وآبار عميقة وقديمة ، بل ترى بعضها محفوراً في الصخر ، فضلاً على قرى ، وحصون ، وكهوف ، ومواطن لبعض الأسواق الأسبوعية القديمة المندثرة ، إضافة إلى آلاف النقوش ، والرسومات الصخرية ، والكتابات المتنوعة ، والمتناثرة على جبال وهضاب ووهاد حاضرة بيشة خاصة ، وعلى فروع ومساقط الوادي . ومثل هذه المصادر الأثرية جديرة بالبحث والدراسة حتى نعرف أزمانها ، وما ساد عصورها من تاريخ وحضارة . ولا يمكن الوصول إلى ما نتطلع إليه إلا بتضافر الجهود المادية والمعنوية ، من الجهات الحكومية الرسمية ، والعلمية الأكاديمية ، وكذلك القطاعات الخاصة التي ربما تستطيع أن تخرج لنا كنوزًا معرفية لا يمكن الوصول إليها إلا بالدراسة الأكاديمية الأثرية المنظمة . ورغم صدور بعض الدراسات المحدودة عن بيشة ، إلا أنه يغلب عليها التاريخ السردي الوصفي ، ويجب أن نتجاوز هذه المرحلة إلى مراحل الدراسات المقارنة والتحليلية والاستنتاجية ، وكذلك الأثرية ، وهذه مسؤولية المتخصصين الأكاديميين ، كل يسهم في مجال تخصصه حتى نطلع على تاريخ تراثنا وواقعه ، في عصور أسدل عليها الستار وضاع أغلب تاريخها .

٧- نرى في بلادنا الكثير من المؤسسات البحثية والتعليمية والأكاديمية، ولا مراء في أن عليها مسؤولية أمام الله عز وجل تجاه أبنائنا وأحفادنا ،

تتمثل في ألا نحجب عنهم تاريخ أبائنا وأجدادنا ، أو أن نقصر في استجلائه ، إنما ينبغي أن نحرص كل الحرص على دراسته دراسة علمية موضوعية أكاديمية نزيهة ، ثم نسلمه إليهم حتى يقودوا سفينة العلم والبحث من بعدنا .

ويوجد اليوم على ضفاف وادي بيشة أو مقربة منه أربع جامعات حديثة هي : جامعات الملك خالد ، ونجران ، والباحة ، والطائف . وعلى هذه الجامعات وغيرها من جامعات دول الخليج مسؤولية وطنية في دراسة بلادها، وتأصيل طرق البحث العلمي في كلياتها ومراكز أبحاثها .

وإنني أوجه دعوة صادقة إلى القائمين على الجامعات الأربع الآنفة الذكر أن يتقوا الله عز وجل في أبنائهم ، وكوادر جامعاتهم الأكاديمية، وكذلك مراكز أبحاثهم العلمية ، فيرعوها حق رعايتها ، إشرافاً ، ودعماً، وتشجيعاً ، وأن يعلموا أن الديار التي تقع في محيط جامعاتهم مليئة بالكنوز العلمية والفكرية ، وهذه بيشة موضوع بحثنا ، وغيرها من المواقع والمواطن ملأى بجميع مقومات البحث العلمي ، بل أراها ميادين غنية لمن يرغب في العكوف على دراستها في أي جانب من جوانب الثقافة والمعرفة .

والمسؤولية ممتدة إلى جامعاتنا الكبرى في الخليج العربي ، وكذلك إلى هيئاتنا ومراكز أبحاثنا العلمية والأكاديمية ، لتقوم بالواجبات المنوطة بها ، وتسعى إلى استقطاب الكوادر العلمية الجيدة

التي ترتقي بمستواها العلمي الأكاديمي ، وكذلك إلى حكومات بلادنا بجميع جهاتها الرسمية، إذ يجب عليها التشجيع والإشراف والمتابعة البناءة للارتقاء بمستوى أفرادنا ومؤسساتنا الثقافية والعلمية والأكاديمية .

٨ـ هناك العديد من العناوين ، والكنوز البحثية العامة الوثيقة الصلة بأرض بيشة، والقمينة بالبحث والدراسة، والأمل معقود على المتخصصين والأكاديميين في جامعاتنا في أن يمنحوها بعض الاهتمام في أبحاثهم العلمية، ويدفعوا بعض طلابهم في أقسام الدراسات العليا إليها ومن تلك الموضوعات والأطروحات :

(أ) حاضرة بيشة خلال القرون الإسلامية الوسيطة (ق٤هـ ق١٠هـ/ ق ١٠ ـ ق١٦ م) (دراسة تاريخية أثرية)

(ب) العلاقات السياسية والحضارية بين بيشة وما جاورها من الحواضر، مثل : جرش ، أو نجران ، أو تبالة ، أو الطائف .

(ج) التاريخ الأدبي لبيشة خلال القرون الإسلامية المبكرة والوسيطة .

(د) دراسة النقوش والكتابات والرسوم الصخرية في بيشة وبخاصة في العصر الجاهلي والإسلامي المبكر والوسيط .

(هـ) العلاقات التاريخية بين بيشة واليمن ، أو بيشة والحجاز وبخاصة في العصور الإسلامية المبكرة والوسيطة .

وفي الختام تحتشد عبارات الثناء والإطراء أمام مآثر حكومة خادم الحرمين الشريفين/ الملك عبد الله بن عبد العزيز آل سعود ممثلة في صاحب السمو الملكي الأمير/ سلمان بن عبد العزيز آل سعود ، أمير منطقة الرياض، ورئيس مجلس دارة الملك عبد العزيز ، فإليها نقدم خالص شكرنا وفائق تقديرنا على استضافة هذا اللقاء العلمي لجمعية التاريخ والآثار لدول مجلس التعاون لدول الخليج العربي . كما نشكر القائمين على عقد هذا اللقاء من الإخوة الكرام في دارة الملك عبد العزيز أو أعضاء مجلس إدارة الجمعية الذين عملوا جميعهم لإنجاح هذا النشاط العلمي، فلهم منا الدعاء بالتوفيق والنجاح . وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

سابعاً : الحواشي والتعليقات :

(١) الحسن بن أحمد الهمداني . صفة جزيرة العرب . تحقيق محمد بن علي الأكوع (الرياض : منشورات دار اليمامة ، ١٣٩٧هـ / ١٩٧٧م) ص ٢٥٦ ، ٣٤٠ ، ٤٢٧ ، هادي صالح ناصر العمري . طريق البخور القديم : من نجران إلى البتراء وآثاء اليمن الإقتصادية (صنعاء : إصدارات وزارة الثقافة والسياحة ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م) ص ٧٤ – ٧٦ . حمد الجاسر " بلاد العرب في بعض مؤلفات علماء الأندلس والمغرب "، مجلة العرب . مج (٥) (مقالة ٧) (١٣٩٠ – ١٣٩١ هـ) ، ص ١٣ .

(٢) جمال الدين بن منظور . لسان العرب . نسقه وعلق عليه علي شيري (بيروت : دار إحياء التراث العربي ، ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨م) ، جـ١ ، ص ٥٠٥ .

(٣) المصدر نفسه . انظر ايضاً : شهاب الدين ياقوت . معجم البلدان .(بيروت : دار صادر ، ١٤٠٤هـ /١٩٨٤م) ، جـ ١ ، ص ٥٢٩ .

(٤) المصدران نفسهما ، وللمزيد انظر : عبد الله بن عبد العزيز البكري . معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع . تحقيق مصطفى السقا (بيروت : عالم الكتب ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣م) ، مج١ ، جـ١ ، ٢٩٣ – ٢٩٤ .

(٥) بحث مكتوب بخط اليد للأستاذ / عبد الرحمن محمد عويد(من أهل بيشة) ، تم إرساله الينا في (١٤١١/١١/٧هـ)حول التعريف ببيشة وموقعها الجغرافي ، ص ١ . ويوجد أصل هذا البحث ضمن أوراق مكتبة الباحث. للمزيد انظر : المجلة العربية ، عدد (١٢٥) السنة (١٢) جمادى الآخر ١٤٠٨ هـ / فبراير ١٩٨٨ م) ، ص ٣٦ .

(٦) حمد الجاسر " من خصائص بعض المدن والقرى في أمثالها ، وما يقال عنها " مجلة العرب . مج(٥) . مقالة (٢) (رمضان ١٣٩٠هـ ١٩٧٠م) ،

ص ٢١٠ ، محمد بن جرمان العواجي . بيشة . (الطائف : دار الحارثي للطباعة والنشر ، ١٤١٨ هـ / ١٩٩٧) ، ص ١٢ وما بعدها .

(٧) لمزيد من التفصيلات عن بلدة جرش التي تقع في أعالي وادي بيشة – كما ذكر الهمداني – وهي توجد اليوم ضمن محافظتي خميس مشيط وأحد رفيدة بمنطقة عسير . الهمداني ، صفة ، ص ٢٥٦ ، غيثان بن علي جريس " تاريخ مخلاف جرش (عسير) خلال القرون الإسلامية الأولى " . مجلة العصور . مج (٩) جـ (١) (رجب ١٤١٤ هـ / ١٩٩٤ م) ص ٦٣ – ٧٨ ، وللمؤلف نفسه . دراسات في تاريخ تهامة والسراة خلال العصور الإسلامية المبكرة والوسيطة (ق ١ – ق ١٠هـ / ق ٧ – ق ١٦ م) . (الرياض : مطابع العبيكان ، ١٤٢٤ هـ / ٢٠٠٣ م) ، جـ١ ، ص ٩٣ – ١٢٦ .

(٨) عبد الرحمن صادق الشريف . جغرافية المملكة العربية السعودية : إقليم جنوب غرب المملكة . (الرياض : دار المريخ ، ١٤٠٤ هـ / ١٩٨٤ م) ، جـ ٢ ، ٤٣١ وما بعدها ، الجاسر " من خصائص بعض المدن ... " ، ص ٢١٠ ، محمد بن جرمان العواجي . الآثار في محافظة بيشة (الرياض : مطابع الحميضي ، ١٤٢٦ هـ / ٢٠٠٥م) ص ٢١ وما بعدها ، وللمؤلف نفسه . بيشة ، ص ١٣ وما بعدها .

(٩) المراجع نفسها ، بالإضافة إلى تجوال الباحث مرات عديدة في نواح متفرقة من روافد وادي بيشة الممتدة من بلاد قحطان جنوباً إلى بلاد خثعم وشمران وغامد شمالاً .

(١٠) الشريف . جغرافية المملكة ، جـ٢ ، ص ٤٣١ – ٤٣٣ ، الجاسر " من خصائص بعض المدن ... " ، ص ٢١٠ .

(١١) الهمداني ، صفة ، ص ٢٥٦ ، ٢٥٨ ، ٢٦١ ، ٣٧٩ ، ٤٢٧ ، ٤٣٠ ، ياقوت ، معجم ، جـ١ ، ص ٥٢٨ ، مسفر بن سعد الخثعمي . موسوعة

الآثار والتراث والمعالم السياحية في منطقة عسير (دراسة توثيقية) . بيشة (جدة : مطابع السروات ، ١٤٢٩ هـ) ، ص ٣٣ وما بعدها .

(١٢) المصادر والمراجع نفسها . جولات الباحث ومشاهداته خلال شهري المحرم وصفر عام (١٤٢٩ هـ/٢٠٠٨م) . وللمزيد انظر :حمد الجاسر . في سراة غامد وزهران . (الرياض : منشورات دار اليمامة ، ١٣٩١ هـ/ ١٩٧١ م) ، ص ٣٦٢ .

(١٣) الشريف ، جغرافية المملكة ، ص ٤٤١ وما بعدها .

(١٤) المرجع نفسه . انظر أيضاً : الجاسر . " من خصائص بعض المدن والقرى ... " ص ٢١٠ ، العواجي ، بيشة ، ص ١١ وما بعدها ، وللمؤلف نفسه . الآثار في محافظة بيشة ، ص ٢١ – ٤٤ .

(١٥) المراجع نفسها . جولات ومشاهدات الباحث لمنطقة بيشة وروافد واديها المنحدرة من أعالي السروات خلال عامي(١٤٢٨ – ١٤٢٩ هـ / ٢٠٠٧ – ٢٠٠٨م) .

(١٦) الهمداني ، صفة ، ص ٣٣٩ ، ٢٥٦ ، ٤٢٧ . ولأهمية أرض بيشة ووقوعها على الطريق التجاري الرئيس الذي يربط الحجاز باليمن ، انظر : أبو القاسم عبيد الله بن خرداذبة . كتاب المسالك والممالك . تحقيق أم . دي. غوي (ليدن: مطبعة بريل ، ١٣٠٦ هـ/١٨٨٩م) ، ص ١٣٣ وما بعدها ، أحمد اليعقوبي . كتاب البدان . تحقيق أم . دي غوي (ليدن : مطبعة بريل ، ١٨٩٢م) ص ٣١٦ وما بعدها ، أبو اسحاق الحربي . كتاب المناسك ، وأماكن طرق الحج ومعالم الجزيرة . تحقيق حمد الجاسر (الرياض: دار اليمامة ، ١٤٠١ هـ ١٩٨١م) ، ٦٤٤ ، العمري ، طريق البخور ، ص ١٠١ وما بعدها.

(١٧) حمد الجاسر . أبو علي الهجري وأبحاثه في تحديد المواضع . (الرياض : دار اليمامة . د . ت) ، ص ٣١٦ – ٣١٧ ، علي بن ابراهيم الحربي . " طريق الحج اليمني في أرجوزة الرداعي . مجلة العرب . ج (٦،٥) س (٣٢) (الرياض ، ١٩٩٧ م) ، ص ٤٠٢ ، فؤاد حمزة . في بلاد عسير . (القاهرة : مطبعة دار الكتاب العربي ، ١٩٥١م) ، ص ٥٣ ،٦١ ، العمري ، طريق البخور ، ص ٧٥ – ٧٦ .

(١٨) انظر هارون زكريا الهجري . التعليقات والنوادر . ترتيب حمد الجاسر (الرياض : د.ن ١٤١٣ هـ/١٩٩٢م)، جـ٤ ، ص ١٦٨٧. حاشية رقم (٣) .

(١٩) المصدر نفسه .

(٢٠) المصدر نفسه .

(٢١) المصدر نفسه . وللمزيد عن وادي بيشة انظر : العمري . طريق البخور ، ص ٧٤ – ٧٦ ، الحربي " طريق الحج ... " ،ص ٤٠٤ ، فهد بن عبد الله السبيعي . " مواضع بين بيشة وتثليث " مجلة العرب . ح (٦،٥) س (٣١) الرياض،١٩٩٦م)، ص ٣٨١ .

(٢٢) الهمداني ، صفة ، ص ٢٥٦ .

(٢٣) مشاهدات الباحث خلال شهري المحرم وصفر عام (١٤٢٩ هـ / ٢٠٠٨ م) للمزيد انظر : الشريف ، جغرافية المملكة ، جـ٢، ص ٤٣١ – ٤٤٦ .

(٢٤) أحمد بن عبد ربه . العقد الفريد . تحقيق مفيد محمد قميحة (بيروت : دار الكتاب العلمية ، ١٤٠٤ هـ / ١٩٨٣ م) ، حـ١ ، ٣٠٧ ، البكري . معجم ، مج١ ، جـ١ ، ص ٢٩٤ .

(٢٥ – ٣٨) الدكداك : ما تلبد من الرمل بالأرض ولم يرتفع كثيرا . الآراك : الشجر له عناقيد كالعنب . العلاك : شجر ينبت بنواحي الحجاز . ماؤها ينبوع : أي مياه نابعة ومتوفرة . وجنابها مريع ، وماؤها يريع : أي أرضها

خصبة ومياهها جارية . لا يقام ماتحها ، ولا يحسر صاحبها ، ولا يعزب سارحها : أي لا يتعب ولا يتوقف المستقي من مياه هذه البلاد لوفرتها وكثرتها ، وكذلك لا يعزب رعاة الأغنام في أماكن رعيهم لوفرة الأعشاب وخصوبة الأرض التي تكفيهم لرعي مواشيهم والرجوع إلى منازلهم. الشبم : البارد . وخير المال الغنم : أي الماشية من الأغنام . والآراك والسلم : أي شجر الأراك والسلم . إذا أخلف كان لجيناً : أخلف ، أخرج الخلفة : وهو ورق يخرج بعد الورق الأول في فصل الصيف . واللجين : الخبط وذلك أن ورق السلم والآراك يخبط حتى يسقط ويجف ، ثم يدق حتى يتلجن ، أي يلتزج . والدرين واللبين : الدرين حطام المرعى إذا تناثر وسقط على الأرض . واللبين ، أي مدراً للبن مكثراً له ، ويقصد بذلك إذا أكلت الأغنام من أشجار الآراك والسلم غزرت ألبانها . للمزيد عن معاني هذه المصطلحات انظر : ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، جـ١ ، ص ٣٠٧ الحواشي (٣ – ٥). انظر ايضاً : لسان العرب ، لابن منظور ، وكذلك ، كتاب النبات ، لأبي حنيفة الدينوري .

(٣٩) للمزيد عن الصحابي الجليل جرير بن عبد الله البجلي وعن قبيلة بجيلة ، انظر : محمد بن جرير الطبري . تاريخ الأمم والملوك . (بيروت : دار سويدان ، ١٣٨٢ هـ / ١٩٦٢ م) ، جـ ٣ ، ٣٦٥ ، ٤٦٠ ، ٤٧١ ، ٥٨١ ، ابن عبد ربه ، العقد ، جـ ١ ، ص ٣٠٧ ، عبد الرحمن بن خلدون . تاريخ ابن خلدون . (بريوت : دار الفكر، ١٤٠١ هـ / ١٩٨١م) ، جـ٣ ، ٥٢٣ .

(٤٠) المصادر نفسها ، وللمزيد انظر: عبد الملك بن هشام . السيرة النبوية . تحقيق مصطفى السقا وآخرين (بيروت : دار القلم ، د. ت) ، جـ١ ، ص ٨٨ ، محمد بن سعد . الطبقات الكبرى (بيروت : دار صادر ، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م) ، جـ١ ، ص ٣٤٧ – ٣٤٨ ، جمال الدين بن

الجوزي . صفة الصفوة . تحقيق محمود فاخوري ومحمد رواس قلعجي (حلب: دار الوعي، ١٣٨٩ هـ/ ١٩٦٩م) ، جـ١ ، ٧٤١ .

(٤١) الفرج قدامة . نبذ من كتاب الخراج وصنعة الكتاب . تحقيق أم دي . غوي (ليدن : مطبعة بريل ، ١٨٨٩ م) ، ص ١٨٨ .

(٤٢) عرام بن الأصبغ السلمي . كتاب أسماء جبال تهامة وسكانها وما فيها من القرى وما ينبت عليها من الأشجار وما فيها من المياه . تحقيق عبد السلام هارون (القاهرة : مطبعة لجنة التأليف والترجمة ، ١٣٧٤ هـ / ١٩٥٥م) ، ص ٤٢١ . وللمزيد عن تبالة ، انظر : غيثان بن علي بن جريس " تبالة وأهميتها التاريخية والحضارية خلال القرون الإسلامية الأولى " بحث منشور في مداولات اللقاء العلمي السنوي الثامن لجمعية التاريخ والآثار بدول مجلس التعاون لدول الخليج العربية ، المنعقدة في مدينة المنامة بمملكة البحرين . (ربيع الآخر ١٤٢٨ هـ / أبريل ٢٠٠٧ م) ، ص ١٧٩ — ٢١٥ .

(٤٣) عرام السلمي ، كتاب أسماء جبال تهامة ، ص ٤٢١ .

(٤٤) أبو علي الهجري ، التعليقات ، جـ ٤ ، ص ١٦٨٧ .

(٤٥) محمد بن محمد الإدريسي . كتاب نزهة المشتاق في إختراق الآفاق (بيروت : عالم الكتب ، ١٤٠٩ هـ / ١٩٨٩م) ، جـ ١ ، ص ١٤٦ .

(٤٦) الهمداني ، صفة ، ص ٢٦١ ، ٢٦٢ .

(٤٧) المصدر نفسه ، ص ٦٢ ، ٢٥٨ .

(٤٨) المصدر نفسه ، ص ٢٦١ . وللمزيد انظر : غيثان بن علي بن جريس " بلاد السراة من خلال كتاب صفة جزيرة العرب " مجلة الدارة . عدد (٣) سنة (١٩) ربيع الآخر والجمادتان (١٤١٤هـ / ١٩٩٤م) ص ٧٦ — ١١١ .

(٤٩) ياقوت ، معجم ، جـ ١ ، ٥٢٩ .

(٥٠) المصدر نفسه .

(٥١) أبو معين الدين ناصر خسرو . سفرنامة (رحلة ناصر خسرو) . ترجمه من الفارسية وحققه أحمد خالد البدلي (الرياض : عمادة شؤون المكتبات، جامعة الملك سعود، ١٩٨٣م) ص ١٤١ – ١٤٢ .

(٥٢) جمال الدين يوسف بن المجاور . صفة بلاد اليمن ومكة وبعض الحجاز المسمى : تاريخ المستبصر . تحقيق أو . لوفغرين (ليدن : مطبعة بريل ، ١٩٥١ – ١٩٥٤م) ، جـ ١ ، ص ٢٦ – ٢٧ .

(٥٣) ابن سعد ، الطبقات ، جـ١ ، ص ٢٨٤ ، ٢٨٦ ، ٣٤٨ .

(٥٤) ياقوت ، معجم ، جـ ٥ ، ص ١٥٨ .

(٥٥) المصدر نفسه .

(٥٦) الإدريسي ، نزهة ، جـ ١ ، ص ١٤٦ ، العمري ، طريق البخور ، ص ١٠١ .

(٥٧) الهمداني ، صفة ، ٢٥٨ ، ٢٦١ ، ٢٦٢ ، لمزيد من الإيضاح عن قبيلة خثعم ،وكذلك العديد من عشائر شهران العريضة الحالية التي تنتسب في تلك القبيلة العربية الماجدة ، انظر: محمد بن جرمان العواجي. تاريخ بني خثعم وبلادهم في الماضي والحاضر.(الطائف : دار الحارثي للطباعة والنشر ، ١٤١٨ هـ / ١٩٩٧ م)، ص ٢٥ وما بعدها .

(٥٨) ياقوت ، معجم ، جـ ١ ، ص ٥٢٩ . زار الباحث العديد من أعيان ووجهاء منطقة بيشة ، والتقى ببعض المتعلمين والمثقفين من أبناء قبائل بيشة ، وحصل على تفصيلات كثيرة عن بطونها وأفخاذها وعشائرها ، وذلك في شهري ذي العقدة وذي الحجة من عام (١٤٢٨ هـ / ٢٠٠٧ م) .

(٥٩) لمزيد من التفصيلات عن قبيلة باهلة / انظر : حمد الجاسر " تحديد منازل القبائل القديمة على ضوء أشعارها " مجلة العرب . مج (٧) ، جـ (١١) السنة (٧) جمادى الأولى ١٣٩٣ هـ / يونيو ١٩٧٣ م) ، ص ٨٢٩ ، المؤلف نفسه

" باهلة ... القبيلة المهضومة القدر " مج (٢١) ، جـ(٨،٧) السنة (٢١) (محرم وصفر ١٤٠٧ هـ/ سبتمبر وأكتوبر ١٩٨٦م) ، ٤٣٣ – ٤٣٧ .

(٦٠) ابن سعد ، الطبقات ، جـ ١ ، ص ٢٨٤ .

(٦١) لمزيد من التفصيلات عن سكان السروات من قحطان إلى غامد وزهران ، وعن البطون العديدة التي تسكن على روافد وادي بيشة ، انظر: الهمداني، صفة ، ص ١١٩ – ١٢٠ ، ٢٥٥ ، ٢٥٧ – ٢٥٨ ، ٢٧٩ ، البكري ، معجم ، مج ١ ، جـ ١ – ٢ ، ص ٣٧٦ ، ياقوت ، معجم ، جـ١ ، ص ١٢٦ . ابن جريس " بلاد السراة من خلال كتاب صفة جزيرة العرب للهمداني " ص ١٢٩ وما بعدها .

(٦٢) ابن هشام ـ السيرة ، جـ ٢ ، ص ٢١ – ٢٥ ، ابن الجوزي ، صفة الصفوة ، جـ ١ ، ص ٦٠٠ وما بعدها ، عز الدين علي بن الأثير . أسد الغابة في معرفة الصحابة (بيروت : دار إحياء التراث العربي ، د . ت) جـ ٣ ، ص ٥٤ – ٥٥ .

(٦٣) للمزيد انظر : ابن هشام ، السيرة جـ ١ ، ص ٨٨ ، ابن سعد ، الطبقات ، جـ ١ ، ص ٣٤٧ ، ابن الجوزي ، صفة الصفوة ، جـ ١ ، ص ٧٤١ .

(٦٤) المصادر نفسها في حاشيتي (٦٢ ، ٦٣) . وللمزيد انظر : محمد عمر الواقدي . كتاب المغازي . تحقيق مارسدن جونس(بيروت : عالم الكتب ، د . ت) ، جـ ٣ ، ص ٩٢٣ ، الجاسر . في سراة غامد وزهران ، ص ٣٢٤ .

(٦٥) المصادر والمراجع نفسها . ولمزيد من التفصيلات عن صنم ذي الخلصة وكيف استطاع جرير بن عبد الله البجلي تدميره انظر : محمد عبد الله الأزرقي . أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار . تحقيق رشدي ملحس (مكة المكرمة : مطابع دار الثقافة ، ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م) ، جـ ١ ، ١٢٤ . وهناك

تعليقات جيدة للمحقق في آخر الجزء الأول ، ص ٣٧٥ وما بعدها . ابن جريس " تبالة ..." ، ص ١٨٣ وما بعدها .

(٦٦) المصادر نفسها . وللمزيد انظر : البكري ، معجم ، مج١ ، جـ ١ ، ص ٢٩٤ ، ابن عبد ربه ، العقد، جـ ١ ، ص ٣٠٧ .

(٦٧) محمد بن إسماعيل البخاري . صحيح البخاري (بيروت : دار العربية للطباعة والنشر، د . ت) ، مج ٣ ، جـ ٥ ، ص ١١١ – ١١٢ ، ابن سعد ، الطبقات ، جـ ١ ، ٣٤٧ – ٣٤٨ .

(٦٨) المصدران نفسهما .

(٦٩) ابن سعد ، الطبقات ، جـ ١ ، ص ٣٤٨ .

(٧٠) المصدر نفسه ، جـ ١ ، ص ٢٨٦ . للمزيد انظر : محمد حميد الله . مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة. (بيروت : دار النفائس ، ١٤٠٥ هـ/ ١٩٨٥م) ، ٢٩١ .

(٧١) المرجع نفسه .

(٧٢) ابن سعد ، طبقات ، جـ ١ ، ص ٢٨٤ .

(٧٣) محمد حميد الله ، مجموعة الوثائق ، ص ٢٩٢ .

(٧٤) ابن سعد ، الطبقات ، جـ ١ ، ص ٢٨٤ ، محمد حميد الله . مجموعة الوثائق ، ص ٢٩٢ – ٢٩٣ .

(٧٥) أحمد بن يحيى البلاذري . فتوح البلدان (بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٤٠٣ هـ/ ١٩٨٣م) ، ص ٧٠ .

(٧٦) المصدر نفسه .

(٧٧) للمزيد انظر : ابن خرداذبة، المسالك ، ص ١٣٣ ، ١٣٦ ، ١٤٧ ، أبو بكر أحمد بن محمد الفقيه . كتاب البلدان . تحقيق أم . دي . غوي (ليدن : مطبعة بريل ١٣٠٢ هـ/ ١٨٨٤ م) ، ص ٣١ – ٣٢ ، شمس الدين أبو عبد الله

المقدسي . أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم . تحقيق أم . دي . غوي (ليدن : مطبعة بريل ، ١٨٧٧م) ، ص ١٠٤ ، ياقوت ، معجم ، جـ ٣ ، ص ٢٠٤ – ٢٠٥ ، ابن المجاور ، صفة بلاد اليمن ، جـ ١ ، ص ٢٦ – ٢٧ .

(٧٨) المصادر نفسها . وللمزيد انظر : الإدريسي ، نزهة المشتاق ، جـ ١ ، ص ١٤٥ ، أبو عبد الله بن بطوطة ، رحلة ابن بطوطة ، المسماة تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار . تحقيق علي المنتصر الكتاني (بيروت : مؤسسة الرسالة ، ١٤٠٥ هـ/ ١٩٨٥ م) جـ ١ ، ص ١٨٣ .

(٧٩) للمزيد انظر : ابن جريس ، دراسات في تاريخ تهامة والسراة ، جـ ١ ، ص ٢١ وما بعدها ، وللمؤلف نفسه . دراسات في تاريخ إفريقيا . والجزيرة العربية خلال العصور الإسلامية (جازان : مطبوعات نادي جازان الأدبي،١٤٢٨هـ/ ٢٢٧ م) ، ص ١٣ وما بعدها . وللمؤلف نفسه . دراسات في تاريخ الحجاز السياسي والحضاري خلال العصر الإسلامي من القرن الأول الهجري إلى القرن العاشر الهجري / السابع الميلادي الى السادس عشر الميلادي (مكة المكرمة : مطبوعات نادي مكة الثقافي والأدبي ، ١٤٢٥ هـ/ ٢٠٠٤ م) ، ص ٢٥٣ وما بعدها . وللمؤلف نفسه . بلاد بني شهر وبني عمرو خلال القرنين (١٣ – ١٤ هـ/ ١٩ – ٢٠ م) . الطبعة الثانية (الرياض : مطابع الحميضي ، ١٤٢٩ هـ/ ٢٠٠٨ م) ، ص ٢٠ وما بعدها .

(٨٠) المراجع نفسها . وللمزيد انظر : ابن جريس ، " تبالة ... " ، ص ١٧٩ وما بعدها ، وللمؤلف نفسه " رسائل الإمام القاسم بن علي العياني الى أهل عثر ونجران في أواخر القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي " بحث منشور في مداولات اللقاء العلمي السنوي السابع لجمعية التاريخ والآثار بدول مجلس

التعاون لدول الخليج العربية . والمنعقد في مدينة المنامة بالبحرين (ربيع الأول ١٤٢٧ هـ/ أبريل ٢٠٠٦ م) ، ص ١٩٨ – ٢٠٥ .

(٨١) ابن جريس . " تاريخ مخلاف جرش ... " ، ص ٦٣ وما بعدها ، وللمؤلف نفسه " تبالة ..." ، ص ١٧٩ وما بعدها .

(٨٢) الهمداني ، صفة ، ص ٢٥٦ .

(٨٣) عرام السلمي ، ص ٤٢١ .

(٨٤) انظر المصادر والمراجع الواردة في الحواشي السابقة (٨١ ، ٨٢ ، ٨٣) .

(٨٥) الطبري ، تاريخ ، جـ ٦ ، ص ٤٢٦ ، ٤٨١ . جـ ٧ ، ص ٢٠ ، ٩١ ، ٢٢٦ . تقي الدين محمد الفاسي . شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام . تحقيق لجنة من العلماء (بيروت : دار الكتب العلمية ، د . ت) ، جـ ٢ ، ص ١٦٦ ، ١٦٧ ، ١٧٤ ، الخثعمي ، بيشة ، ص ٤٢ – ٤٥ ، غيثان بن علي بن جريس . نجران : دراسة تاريخية حضارية (ق ١ – ق٤ هـ/ ق ٧م – ق١٠ م) (الرياض : مطابع العبيكان ، ١٤٢٥ هـ/ ٢٠٠٤ م) ، جـ ١ ، ص ١٣٠ وما بعدها .

(٨٦) للمزيد عن حروب الردة ، انظر ، الطبري ، تاريخ ، جـ ٣ ، ص ٢٤٩ ، وما بعدها .

(٨٧) الطبري ، جـ ٧ ، ص ٣٧٤، ٣٩٣ ، ٥١٧ . جـ ٨ ، ١٩٣ ، ٥٢٨ . جـ ٩ ، ص ٢٧١ ، ابن جريس ، نجران ، جـ ١ ، ص ١٠٣ – ١١٢ .

(٨٨) انظر المصادر والمراجع الواردة في الحاشية رقم (٨٥)، وللمزيد انظر ، غيثان بن علي بن جريس " الإمارة في الحجاز خلال العصر العباسي الأول ١٣٢ – ٢٣٢ هـ/ ٧٤٩ – ٨٤٦ م" بحث باللغة الانجليزية منشور في مجلة العصور . مج (٧) ، جـ (١) (١٤١٢ هـ/ ١٩٩٢ م) ص ١٣ – ٢١ .PP.(14-21)

(٨٩) المصادر والمراجع نفسها .

(٩٠) حاولنا في هذا البحث الابتعاد عن تكرار المعلومات التي وردت في دراستي (جرش وتبالة) وذلك لتقارب هذه النواحي مع بيشة ، بل تقع جميعها على وادي بيشة ، وهي متشابهة إلى حد ما في طبيعتها الجغرافية وتركيبتها السكانية .

(٩١) انظر تفصيلات أكثر عن تبالة وجرش في الدراستين الآنفتي الذكر . انظر أيضاً حاشية رقم(٨١).

(٩٢) ابن خرداذبة ، المسالك ، ص ١٣٣ ، اليعقوبي ، البلدان ، ص ٣١٦ ، المقدسي، أحسن، ص ٦٩ ، ٧٠ ، ٨٨ ، الإدريسي ، نزهة ، جـ ١ ، ص ١٤٥ ، الفاسي ، شفاء الغرام ، جـ ٢ ، ص ١٦٢ وما بعدها .

(٩٣) المصادر نفسها .

(٩٤) المصادر تذكر الولاة الذين كانوا يرسلون إلى تبالة وجرش ، ونجران وصنعاء وغيرها ولا نجد ذكرا واضحاً عن إرسال ولاة الى بيشة ، وفي اعتقادي أن أرض بيشة كانت تتبع إدارياً لوالي تبالة . للمزيد انظر ، البلاذري ، فتوح ، ص ٨٠ – ٨١ ، الطبري ، تاريخ ، جـ ٣ ، ١٣٦ ، ١٤٧ ، ٣٢٩ . جـ ٦ ، ٤٣٣ ، ٤٤١ ، ٥٥٤ ، ٥٦٣ . جـ ٧ ص ١٣١ ، ١٢٤ ، ١٥٥ . الفاسي ، شفاء ، جـ ٢ ، ص ١٦٥ وما بعدها .

(٩٥) سوف يخرج هذا الكتاب (بإذن الله تعالى) في عام (١٤٣١ هـ/ ٢٠١٠م) .

(٩٦) المتجول في نواحي جرش وتبالة وبيشة . يجد أن الناحيتين الأوليين لا زال لهما بعض الآثار ، مع أن الأولى اختفى اسمها ودخلت ضمن محافظتي أحد رفيدة وخميس مشيط ، بل صارت هذه المدينة التاريخية بين العديد من الأحياء السكنية الحديثة في هاتين المحافظتين . أما تبالة فلا زالت تحتفظ باسمها مع أنها صارت مركزا من المراكز التابعة لمحافظة بيشة . للمزيد انظر ،

العواجي ، بيشة ، ص ١٣ وما بعدها ، الخثعمي ، بيشة ، ص ٣٢ وما بعدها .

(٩٧) _ (٩٨) المراجع نفسها . وللمزيد عن تبالة وجرش انظر الدراستين الآنفتي الذكر (لابن جريس) .

(٩٩) المراجع نفسها . وللمزيد انظر المصادر الواردة في حاشية سابقة رقم (٩٤) .

(١٠٠) هناك مصادر موثوقة ومبكرة أشارت إلى تاريخ وحضارة البلاد الواقعة إلى الجنوب من مكة المكرمة والطائف خلال القرون الإسلامية الأولى . وهناك مراجع ثانوية أرخت لتلك الفترة ويشوبها الكثير من الغموض وبخاصة ما ذكر عن الدولة اليزيدية التي استوطنت عسير من القرن الهجري الثاني ، لكننا لا نجد لها ذكراً واضحاً وجلياً في كتب التراث الإسلامي المبكرة . وللأسف جاء بعض الباحثين المتأخرين فأخذوا بتلك الأقوال والروايات المتأخرة عن هذه الدولة المزعومة دون أن يحققوا في مصداقيتها وصحة ما ذكر عنها .

(١٠١) ياقوت ، معجم ، جـ ٥ ، ص ١٥٨ .

(١٠٢) لمزيد من الإيضاح عن المكان المسمى (مطلوب) انظر ، ياقوت ، معجم ، جـ ٥ ص ١٥٠ .

(١٠٣) المصدر نفسه ، جـ ٥ ، ص ١٥٨ .

(١٠٤) الطبري ، تاريخ ، جـ ٨ ، ص ٢٧٢ ، ٣٢٣ . ويذكر أن الهيصم تصدى لجيوش بني العباس وفي النهاية استطاعت القبض عليه في بلاد بيشة ثم ساقوه إلى الرشيد في العراق فضرب عنقه في جماعة من أصحابه . انظر ، القاضي عبد الله الجرافي اليمني . المقتطف من تاريخ اليمن (بيروت : منشورات العصر الحديث ، ١٤٠٧ هـ/ ١٩٨٧ م) ، ص ٩٩ – ١٠٠ . ويذكر الطبري أن الرشيد ولى حماد البربري اليمن ومكة عام (١٨٤ هـ/

٨٠٠ م) ، وفي عام (١٩١ هـ/ ٨٠٦م) استطاع حماد من القبض على الهيصم وإرساله إلى الرشيد . الطبري ، تاريخ ، جـ ٨ ، ص ٢٧٢ ، ٣٢٣ .

(١٠٥) انظر ، شعيب بن عبد الحميد الدوسري ، إمتاع السامر بتكملة متعة الناظر . (القاهرة : دار النصر للطباعة الإسلامية ، د . ت) ص ، ٧ وما بعدها .

(١٠٦) المراجع نفسها . وإذا بحثنا في مصادر التاريخ الموسوعية المبكرة مثل كتب البلاذري ، واليعقوبي ، والطبري ، وابن مسكوية ، وابن الأثير ، وابن كثير ، وابن خلدون فإننا لا نجد ذكراً لهذه الدويلة التي ظهرت على أرض عسير وامتد نفوذها شمالاً وجنوباً حتى سيطرت على نواح عديدة في جنوب الجزيرة العربية .

(١٠٧) لمزيد من التفصيلات عن الدولة الزيدية وبخاصة الإمام القاسم بن علي العياني ، انظر الفقيه القاضي الحسين أحمد بن يعقوب . سيرة الإمام المنصور بالله القاسم بن علي العياني . تحقيق عبد الله محمد الجبشي (صنعاء : دار الحكمة اليمانية ، ١٤١٧ هـ/ ١٩٩٦ م) ، ص ٢٨ وما بعدها .

(١٠٨) انظر ، مفرح أحمد الربعي . سيرة الأميرين الجليلين الشريفين الفاضلين : نص تاريخي يمني من القرن الخامس الهجري. تحقيق رضوان السيد وعبد الغني محمود عبد العاطي (بيروت : در المنتخب العربي للدراسات والنشر والتوزيع، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م)، ص ١٩ وما بعدها ، غيثان بن علي بن جريس " بلاد السراة في كتاب سيرة الأميرين الجليلين الشريفين... من عام (٤٥١ – ٤٥٩ هـ/ ١٠٥٩ – ١٠٦٦ م) (دراسة تاريخية تحليلية) " ، دراسة مقدمة في الندوة العالمية السادسة لتاريخ الجزيرة العربية ، والمنعقدة في جامعة الملك سعود بالرياض في الفترة من (٢٨ – ١٤٢٧/١٠/٢٩ هـ/ الموافق ١٩ – ٢٠٠٦/١١/٢٠م) . وقد نشرت هذه الدراسة في الكتاب

السادس من تاريخ الجزيرة والخاص بالعصر العباسي من القرن الخامس حتى نهاية القرن السادس الهجري ص ١٢٩ – ١٥٦ .

(١٠٩) المصادر والمراجع نفسها الواردة في الحاشيتين (١٠٧ ، ١٠٨)

(١١٠) الدوسري ، إمتاع السامر ، ص ٩ وما بعدها ، وللمزيد عن تاريخ الدولة الزيدية وتوسع نفوذها تجاه نجران وعسير وما جاورها ، انظر ، علي بن محمد العباسي العلوي . سيرة الهادي إلى الحق . تحقيق سهيل زكار (بيروت : د . ن ، ١٩٨١م) ص ٧٢ وما بعدها، عبد الواسع الواسعي. تاريخ اليمن المسمى فرجة الهموم والحزن في حوادث وتاريخ اليمن . (صنعاء : الدار اليمنية ، للنشر ، ١٤١٤ هـ/ ١٩٨٤ م) ، ص ١٧٩ – ١٨١ ، ابن جريس ، نجران ، جـ ١ ص ١١٠ – ١١٢ .

(١١١) المصادر والمراجع نفسها وللمزيد انظر المصادر الواردة في حاشيتي (١٠٧ ، ١٠٨)

(١١٢) المصادر والمراجع نفسها .

(١١٣) الفاسي ، شفاء ، جـ ٢ ، ص ١٦٥ وما بعدها ، ابن جريس " الإمارة في الحجاز ... " ، ص ١٣ وما بعدها .

(١١٤) الربعي ، السيرة ، ص ١٢٤ . الأمير أبو الفتوح : هو شكر بن أبي الفتوح من سلالة الحسن بن علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) حكم مكة المكرمة والمدينة حوالي (١٣) سنة ، ومات سنة (٤٥٣ هـ/ ١٠٦١ م) . انظر الفاسي ، شفاء ، جـ ٢ ، ص ١٩٥ .

(١١٥) الربعي ، السيرة ، ص ١٢٤ .

(١١٦) عز الدين بن فهد . غاية المرام بأخبار سلطنة البلد الحرام . تحقيق فهيم شلتوت (مكة المكرمة : مطابع شركة مكة للطباعة والنشر، ١٤٠٩ هـ/ ١٩٨٩ م) جـ ٢ ، ٤٨٣ ، وللمزيد انظر ، عارف عبد الغني . تاريخ أمراء مكة

المكرمة . (دمشق : مطابع البشائر للطباعة والنشر، ١٤١٣ هـ/ ١٩٩٢ م) ، ص ٦٣٣ .

(١١٧) شهران العريضة : هي القبائل والبطون الشهرانية القاطنة في البلاد الممتدة من خميس مشيط وشعف تهامة شهران حتى حاضرة بيشة . وغالبية سكان هذه البلاد يدعون شهران العريضة ، معظم بطونهم ينتسبون في قبيلة خثعم . مشاهدات الباحث وجولاته في معظم بلاد شهران العريضة خلال عامي (١٤٢٧ – ١٤٢٨ هـ/ ٢٠٠٦ – ٢٠٠٧ م) .

(١١٨) محمد بن محمد بن فهد . إتحاف الورى بأخبار أم القرى . تحقيق عبد الكريم علي باز (مكة المكرمة : مطابع شركة مكة المكرمة ، ١٤٠٨ هـ/ ١٩٨٨ م) ، جـ ٤ ، ص ٥٢٣ ، عز الدين بن فهد . غاية المرام ، جـ ٢ ، ص ٥١٥ .

(١١٩) ابن فهد ، إتحاف ، جـ ٤ ، ٦٥٥ .

(١٢٠) أمراء الحجاز في أواخر العصور الإسلامية الوسيطة كانوا يحرصون على أن تكون الطائف وما يقع جنوبها من الديار حتى تربة ورنية وبيشة وتبالة تحت نفوذهم وذلك لما تحتويه هذه الديار من عقارات ومزروعات وبساتين وأنعام وغيرها ، بالإضافة إلى شجاعة وبسالة رجال هذه الديار والذين قد ينضوون تحت لواء أشراف مكة في ميادين الحروب إذا احتاجوهم وطلبوا منهم المساعدة .

(١٢١) عرام السلمي ، ص ٤٢١ .

(١٢٢) الإدريسي ، نزهة ، جـ ١ ، ص ١٤٦ .

(١٢٣) جولات الباحث في المناطق التي تنحدر منها روافد وادي بيشة ، خلال الشهور الأخيرة من عام (١٤٢٨ هـ/ ٢٠٠٧م) .

(١٢٤) خسرو ، ص ١٤٢ .

(١٢٥) المصدر نفسه .

(١٢٦) المصدر نفسه .

(١٢٧) ابن سعد ، الطبقات ، جـ ١ ، ص ٢٨٦ ، حميد الله ، مجموعة الوثائق ، ص ٢٩١ .

(١٢٨) جولات الباحث الميدانية في نواح عديدة من محافظة بيشة خلال الأشهر الأخيرة من عام (١٤٢٨ هـ/ ٢٠٠٧ م) ، والأشهر الأولى من عام (١٤٢٩ هـ/ ٢٠٠٨ م) .

(١٢٩) المرجع نفسه . للمزيد انظر ، الهمداني ، صفة ، ص ٣٣٨ – ٣٣٩ .

(١٣٠) جواد علي ، المفصل ، جـ ٤ ، ص ١٥٨ وما بعدها . وقد اطلعنا على مئات الوثائق خلال العصر الحديث والمعاصر وهي تؤكد على أهمية القبيلة ومد نفوذها على أرضها وسكانها .

(١٣١) الهمداني ، صفة ، ص ١١٩ ، ٢٥٥ ، ٢٥٨ ، ٢٦٠ ، ابن المجاور ، جـ ١ ، ص ٢٦ – ٢٧ .

(١٣٢) ابن المجاور ، جـ ١ ، ص ٣٧ – ٣٨ .

(١٣٣) المصدر نفسه ، جـ ١ ، ص ٢٦ – ٢٧ .

(١٣٤) المصدر نفسه .

(١٣٥) الهمداني ، صفة ، ص ٢٦١ ، ٢٦٢ ، ٢٧٩ ، ٣٠٢ ، ابن الفقيه ، البلدان ، ص ٣٤ ، العواجي ، بيشة ، ص ٣١ ، صالح بن علي الشمراني . " العوامل الجغرافية التي ساعدت على التوسع الزراعي في وادي بيشة " الندوة الجغرافية الرابعة . جامعة أم القرى (١٤٢١ هـ) ص ٣٢٥ وما بعدها . الشريف ، جغرافية ، جـ ٢ ، ص ٤٣١ وما بعدها

(١٣٦) المصادر والمراجع نفسها . يغلب على تضاريس وأدي بيشة من أعالي السروات إلى حاضرة بيشة تنوعه في الجبال والهضاب والاودية ، والمدرجات

الزراعية ، واحتوائه على الكثير من الأشجار والنباتات والحيوانات والطيور المختلفة . مشاهدات الباحث خلال شهر المحرم وصفر عام(١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م) . الشريف ، جغرافية ، جـ ٢ ، ص٤٣٤ .

(١٣٧) المرجع نفسه .

(١٣٨) ولا زالت بيشة تحتوي على الكثير من مزارع النخيل ، ولا زال بعض أهلها إلى الآن يصنعون من سعف النخيل العديد من المفارش وبعض الأدوات المستخدمة في المنازل . مشاهدات الباحث في أوائل عام (١٤٢٩ هـ/ ٢٠٠٨ م) . انظر أيضاً ، ياقوت ، معجم ، جـ ٥ ، ص ١٥٨ ، العواجي ، بيشة ، ص ١٣ وما بعدها .

(١٣٩) انظر ، محمد بن أحمد بن جبير . رحلة ابن جبير . (بيروت : دار صادر . د . ت) ص ١١٠ – ١١٢ ، غيثان بن علي بن جريس " ملامح النشاط التجاري لبلاد تهامة والسراة في العصور الإسلامية الوسيطة " دراسة قدمت في ندوة اتحاد المؤرخين العرب بالقاهرة (٢٥ – ١٤٢١/٨/٢٧ هـ/ الموافق ٢١ – ٢٣/نوفمبر/٢٠٠٠م) . ونشرت في أعمال الندوة ضمن كتاب : طرق التجارة العالمية عبر العالم العربي على مر عصور التاريخ (حصاد رقم (٨)) . (١٤٢١ هـ/ ٢٠٠٠م) ص ١٥٧ وما بعدها .

(١٤٠) المقدسي ، أحسن ، ص ٩٥ .

(١٤١) المصدر نفسه ص ١٠٤ .

(١٤٢) ابن المجاور ، جـ ١ ، ص ٢٥ .

(١٤٣) ابن سعد ، جـ ١ ص ٢٨٤ ، ٢٨٦ ، ٣٤٨ .

(١٤٤) ابن أبي حاتم عبد الرحمن بن محمد الرازي . آداب الشافعي ومناقبه . تحقيق عبد الغني عبد الخالق (بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٤٠٦ هـ) ، ص ٣٢ وما بعدها ، ابن جريس ، نجران ، جـ ١ ، ص ١٥١ – ١٥٣ .

(١٤٥) البلاذري ، فتوح ، ص ٧٠ .

(١٤٦) بيشة إحدى محطات الطريق التجارية الرئيسة التي تخرج من قعر اليمن إلى الحجاز والشام . العمري ، طريق البخور ، ص ٧٤ ، ابن جريس " ملامح النشاط التجاري ... " ، ص ١٥٨ وما بعدها .

(١٤٧) الهمداني ، صفة ، ص ٢٧٩ .

(١٤٨) المصدر نفسه ، ١١٩ ، ٢٥٥ ، ٢٦٠ .

(١٤٩) نلاحظ أن اليمن والحجاز وكذلك المخلاف السليماني مذكورة بكثرة في كتب التراث ، فهناك تراجم ومدونات عن علمائها وأدبائها وشعرائها بعكس بلاد السراة ونواحيها الشرقية فنجدها فقيرة في حياتها العلمية والفكرية . للمزيد انظر . غيثان بن علي بن جريس . " ملامح الحياة العلمية في بلاد تهامة والسراة خلال العصور الإسلامية المبكرة والوسيطة " دراسة مقدمة في ندوة اتحاد المؤرخين العرب بالقاهرة (١٣ – ١٥ /٨/١٤٢٢ هـ الموافق ٣٠أكتوبر – أول نوفمبر /٢٠٠١م) . ونشرت ضمن أعمال الندوة في كتاب : المراكز الثقافية والعلمية في العالم العربي عبر العصور . حصاد رقم (٩) (١٤٢٢ هـ/ ٢٠٠١م) ، ص ١٩٥ – ٢٥٦ .

(١٥٠) ديوان ابن الدمينة . جمع وتحقيق أحمد راتب النفاخ . تقديم ومراجعة محمود محمد شاكر (القاهرة : دار العرب ، ١٣٧٨ هـ) ، ص ١٤ وما بعدها . انظر أيضاً أخبار ابن الدمينة ونسبه . كتاب الأغاني . لأبي الفرج الأصفهاني (بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٤١٢ هـ/ ١٩٩٢ م) . ط ٢ ، جـ ١٧ ، ص ٩٨ وما بعدها .

(١٥١) المصادر نفسها . للمزيد انظر الأصفهاني ، الأغاني (طبعة بيروت) (١٤١٢ه) جـ ١٣ ، ٦٤ وما بعدها ، محمد بن سلام الجمحي . طبقات

فحول الشعراء (القاهرة : مطبعة المدني ، د . ت)، جـ ٢ ، ص ٥٨٣ ، ٥٩٣ ، ٦٢٥ .

(١٥٢) العواجي ، تاريخ بني خثعم ، ص ١٥٣ وما بعدها .

(١٥٣) انظر المصادر نفسها في حاشيتي (١٥٠ ، ١٥١) .

(١٥٤) الهجري ، التعليقات ، جـ ٤ ، ص ١٦٨٧ .

(١٥٥) المصدر نفسه .

(١٥٦) المصادر في حاشية رقم (١٥٠) . وللمزيد انظر عبد الله بن مسلم بن قتيبة . الشعر والشعراء . (بيروت : دار إحياء العلوم ، ١٤٠٧ هـ/ ١٩٨٧ م) ص ٤٩٢ — ٤٩٣ .

(١٥٧) المصادر نفسها .

(١٥٨) ديوان ابن الدمينة ، ص ٣٥ .

(١٥٩) المصدر نفسه ، ص ٣٧ . ولابن الدمينة أشعار عديدة في كتاب الشعر والشعراء لابن قتيبة ، ص ٤٩٢ .

(١٦٠) ياقوت ، معجم ، جـ ٥ ، ص ١٥٨ .

(١٦١) المصدر نفسه ، جـ ٥ ، ص ١٥٩ . للمزيد انظر ، الجمحي ، طبقات ، جـ ٢ ، ص ٥٨٣ ، ٦١٥ ، ٦٢٥ .

(١٦٢) وهكذا كان ديدن سكان هذه البلاد خلال القرون الإسلامية الوسيطة حتى النصف الأول من القرن الرابع الهجري (العشرين الميلادي) وبعد تطور الأحوال السياسية والحضارية في عهد الدولة السعودية الحديثة تغيرت أحوال الناس وسارت عجلة التنمية وتحسنت أوضاع المواطن في جميع المجالات . للمزيد انظر : غيثان بن علي بن جريس . صفحات من تاريخ عسير (الرياض : مطابع العبيكان ،

١٤٢٥ هـ/ ٢٠٠٤م) جزءان ، للمؤلف نفسه ، بلاد بني شهر ، (ط٢) ص ٤٨ – ١١٠ .

(١٦٣) المراجع نفسها .

(١٦٤) للمزيد عن بعض الآثار في بلاد بيشة ، انظر ، العواجي ، الآثار في محافظة بيشة ، ص ٣٢ وما بعدها ، الخثعمي ، بيشة، ص ٣ ، ص ٥٨ وما بعدها .

(١٦٥) الهمداني ، صفة ، ٢٥٦ ، ٣٤٠ ، ٤٢٧ ، العمري ، طريق البخور ، ص ٧٤ – ٧٦ .

(١٦٦) قدامة ، ص ١٨٨ – ١٨٩ ، ابن خرداذبة ، ص ١٣٤ ، وما بعدها ، الإدريسي ، نزهة ، جـ ١ ، ص ١٤٥ ، ١٤٦ .

(١٦٧) ومن أهم تلك الدراسات دراسة لمحمد الثنيان صدرت باللغة الإنجليزية من وكالة وزارة التربية والتعليم للآثار والمتاحف (الرياض ، ١٤٢٠ هـ/ ١٩٩٩م) . وهي أساساً رسالة دكتوراة حصل عليها المؤلف من جامعة (درم) ببريطانيا عام (١٩٩٣م) وعنوانها باللغة الانجليزية هو
(An Archaeological Study of the Yemeni Highland Pilgrim Route Between Sana and Mecca)

(١٦٨) جولات الباحث في وأدي بيشة خلال شهري المحرم وصفر عام (١٤٢٩ هـ/ ٢٠٠٨ م) .

(١٦٩) المرجع نفسه .

(١٧٠) المرجع نفسه .

(١٧١) المقدسي ، أحسن ، ص ٩٨ ، ٩٩ ، ابن جبير ، ص ٩٨ – ٩٩ ، ابن المجاور ، جـ ١ ، ص ١٢ ، ٨٩ ، ١٤٤ . أحمد الزيلعي . مكة وعلاقاتها الخارجية (٣٠١ – ٤٨٧ هـ) (الرياض : عمادة شؤون المكتبات جامعة

الملك سعود ، ١٤٠١ هـ/ ١٩٨١م) ص ١٦٠ وما بعدها ، ابن جريس ، دراسات ، جـ ١ ، ص ٣٨٣ وما بعدها .

(١٧٢) المصادر والمراجع نفسها . وهناك بعض الأقوال التي تشير إلى بعض الدراهم في بيشة خلال عهدي الخليفتين العباسيين هارون الرشيد (١٧٠ - ١٩٣ هـ/ ٧٨٦ - ٨٠٩ م) ، والطائع (٣٦٣ - ٣٨١ هـ/ ٩٧٤ - ٩٩١م) . مع أننا غير متأكدين من هذه الأقوال . وربما وجدت في بيشة بعض الدراهم العباسية خلال عهد بني العباس ومن المحتمل أن تكون ضربت في الحجاز أو اليمن أو إحدى الأمصار الإسلامية الأخرى . الخثعمي ، بيشة ، جـ ٣ ، ص ٤٤ .

(١٧٣) المصادر والمراجع في حاشيتي (١٧١ ، ١٧٢) .

(١٧٤) للمزيد انظر ، الأزرقي ، جـ ٢ ، ص ٢٦٠ ، الهمداني ، صفة ، ٢٤٨ ، ٢٥٧ ، ٢٦٢ ، المقدسي ، ص ٨٧ ، ابن جبير ، رحلة ، ص ٩٨ ، ٩٩ ، ١١٠ ، ابن المجاور ، جـ ١ ، ص ١٥ ، ٢٧ ، ابن بطوطة ، جـ ١ ، ص ١٧٣ .

(١٧٥) الهمداني ،صفة ، ص ٢٢٦ ، ٣٠١ ، المقدسي ، ص ٨٤ وما بعدها ، ابن جبير ، ص ٩٦ ، ١١٠ ، الزيلعي ، ص ١٥٥ وما بعدها .

(١٧٦) العواجي ، الآثار ، ص ١٣٥ وما بعدها ، الخثعمي ، ص ١٢٨ وما بعدها . حمد الجاسر " المعادن القديمة في بلاد العرب " مجلة العرب (١٣٨٨ هـ/ ١٩٦٨ م) جـ ١١ ، ص ٨٢٩ . مشاهدات الباحث خلال شهر صفر عام (١٤٢٩ هـ/ ٢٠٠٨م) .

(١٧٧) الحسن بن أحمد الهمداني . كتاب الجوهرتين العتيقتين المائعتين الصفراء والبيضاء (الرياض : د . ن) ، ١٤٠٨ هـ/ ١٩٨٧ م) ص ٨٧ .

(١٧٨) الهمداني ، صفة ، ص ٤٢٩ . مشاهدات الباحث خلال شهري المحرم وصفر عام (١٤٢٩ هـ/ ٢٠٠٨م)

D.M. "Sources of Gold Silver in Islam" Studia Islamic. Vol . VIII (1957) pp. 1 –11 .

(١٧٩) العواجي ، الآثار ، ص ١٣٥ وما بعدها ، الخثعمي ، ص ١٢٨ وما بعدها . مشاهدات الباحث خلال شهر صفر عام (١٤٢٩ هـ/ ٢٠٠٨م) .

(١٨٠) ابن سعد ، جـ ١ ، ص ٢٨٤ ، محمد حميد الله ، مجموعة الوثائق ، ص ٢٩٢ .

(١٨١) قدامة ، ص ١٨٨ .

(١٨٢) ابن خرداذبة ، ص ١٣٥ .

(١٨٣) الإدريسي ، جـ ١ ، ص ١٤٦ .

(١٨٤) الهمداني ، صفة ، ص ٢٥٧ ، ٢٦٢ ، ٣٠٢ ، ابن جبير ، ص ١١٠ .

(١٨٥) المقدسي ، ص ٨٦ .

(١٨٦) جولات الباحث ومشاهداته خلال شهري المحرم وصفر عام (١٤٢٩ هـ/ ٢٠٠٨م) .

(١٨٧) ياقوت ، معجم ، جـ ٥ ، ص ١٥٨ .

(١٨٨) العواجي ، بيشة ، ص ٣١ وما بعدها . مشاهدات الباحث خلال شهر صفر عام (١٤٢٩ هـ/ ٢٠٠٨م) .

(١٨٩) ياقوت ، معجم ، جـ ١ ، ٥٢٩ ؟

(١٩٠) المصدر نفسه ، جـ ٥ ، ص ١٥٠ .

(١٩١) ديوان لبيد بن ربيعة العامري (بيروت : دار بيروت) ، ص ١٦٦ .

(١٩٢) الهمداني ، صفة ، ص ٣٧٩ .

(١٩٣) ابن خرداذبة ، المسالك ، ص ١٣٥ .

(١٩٤) جولات الباحث الميدانية خلال شهري المحرم وصفر عام (١٤٢٩ هـ/ ٢٠٠٨م).

(١٩٥) الأصفهاني ، الأغاني ، جـ ٢١ ، ص ١١١ .

(١٩٦) ديوان الخنساء (بيروت : دار بيروت ، ١٤٠٦ هـ/ ١٩٨٦) ، ص ١١ .

(١٩٧) الأصفهاني ، الأغاني ، جـ ١٨ ، ص ٩٢ .

(١٩٨) البكري ، معجم ، مج ٢ ، جـ ٤ ، ص ١٣٧٦ .

(١٩٩) محمد أمين المحبي . نفحة الريحانة ورشحة طلاء الحانة . تحقيق عبد الفتاح الحلو (بيروت : دار إحياء العلوم العربية ، د . ت) ، ص ٣٦٩ .

(٢٠٠) العواجي ، الآثار ، ص ٩٧ ، ٩٩ ، ١٠٣ وما بعدها ، الخثعمي ، ص ٧٤ وما بعدها . كذلك مشاهدات الباحث لكثير من النقوش والكتابات والرسومات الصخرية في نواح عديدة من محافظة بيشة خلال شهري المحرم وصفر عام (١٤٢٩ هـ/ ٢٠٠٨م) .



الدراسة التاسعة

تبالة وأهميتها التاريخية والحضارية خلال القرون الإسلامية الأولى (*)

إعداد

أ . د. غيثان بن علي بن جريس

(*) نشر هذا البحث في مداولات اللقاء العلمي السنوي الثامن لجمعية التاريخ والآثار بدول مجلس التعاون لدول الخليج العربي المنعقد في مدينة المنامة بدولة البحرين الشقيقة ، في الفترة من (٧-١٠/ ربيع الآخر/ ١٤٢٨هـ الموافق ٢٤-٢٧/ ابريل / ٢٠٠٧م) ، ص١٧٩-٢١٥ .

محتويات الدراسة التاسعة

م	العنــــــــوان	أرقام الصفحات
أولاً	المقدمة	٤٢٥
ثانياً	سبب التسمية	٤٢٥
ثالثاً	الموقع والسكان	٤٢٦
رابعاً	تبالة وأهميتها التاريخية	٤٣٠
خامساً	تبالة وأهميتها الحضارية	٤٤٣
سادساً	الخاتمة : نتائج البحث وتوصياته	٤٤٨
سابعاً	الحواشي والتعليقات	٤٥٣

أولاً: المقدمة:

تَبَالة من المواقع القديمة في أرض السراة [١]، ومن المحطات التجارية الرئيسة على طريق البخور[٢] ، ولها ذكر عند الأقدمين[٣] ، واستمر ذكرها خلال القرون الإسلامية المبكرة والوسيطة [٤] ، ولا زالت تعرف بنفس الاسم حتى اليوم [٥] ، وفي هذه الدراسة سوف نركز على سبب تسميتها ، وموقعها الجغرافي مع الإشارة إلى العشائر والبطون التي استوطنتها منذ العصر الجاهلي ، واستمرت في استيطانها خلال العصور الإسلامية ، ثم الإشارة إلى أوضاعها التاريخية والحضارية خلال القرون الإسلامية الأولى.

ثانياً: سبب التسمية:

إذا بحثنا في كتب اللغة عن مصدر كلمة (تَبَالة) وجدناها جاءت من مادة : تبل ، والتبل :- هو العداوة أو الحقد وجمعه تبول [٦] ، وقد يأتي (التبل) بمعنى السقم ، ويطلق على الإنسان إذا غلب قلبه الحب وهيمه ، إنه صاحب قلب متبول ، وفي قصيده لكعب بن زهير قال فيها :-

بَانَتْ سُعَادُ فَقَلْبي اليومَ مَتْبُولُ .[٧]

ويقال :- التُبل :- إسم واد ، وقال لبيد

كُلَّ يَوْمٍ مَنَعُوا جَامِلَهُمْ

وَمُرِنَّاتٍ كآرام تُبَل [٨]

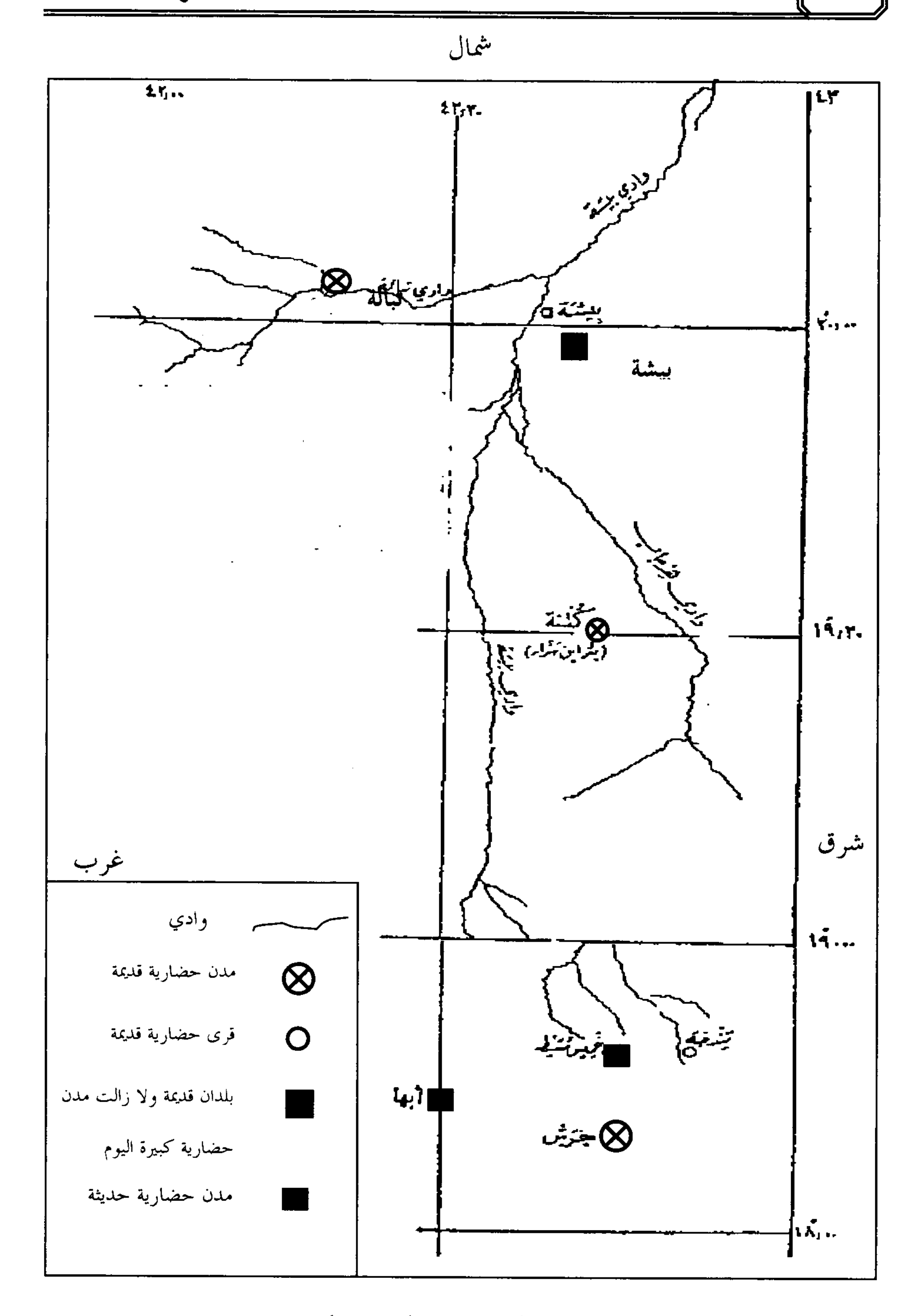
ويقال : تَبَالة موضع ، أو اسم بلد بعينه ، منه المثل السائر ((**ما حللت تَبَالة لتحرم الأضياف**))[٩] وهو بلد مخصب مريع ويقول الجوهري : ((**تَبَالة بلد باليمن خصبة ، بفتح التاء وتخفيف الباء**)) [١٠]

وورد في كتاب الأنساب ((**التبالي بفتح التاء والباء الموحدة ، ثم الألف ، وفي آخرها اللام ، وهذه النسبة إلى تَبَالة ، وهو موضع بنواحي مكة**))[١١] ، وينسب إليها أبو أيوب سليمان بن داود بن سالم بن زيد التبالي ، الذي روى عن محمد بن عثمان الثقفي الطائفي ، وسمع منه أبو حاتم الرازي [١٢]. ويذكر البكري وياقوت أن تَبَالة سميت بتبالة بنت مكنف من العماليق [١٣] ، ويزعم ابن الكلبي أنها سميت بتبالة بنت مدين بن إبراهيم عليه السلام .[١٤]

ثالثاً : الموقع والسكان :

أشارت العديد من المصادر الإسلامية المبكرة إلى موقع تَبَالة ، فابن خلدون يتحدث عن السروات الممتدة من الحجاز حتى اليمن ، ويذكر أن العامة تسمي أهلها السرو، ثم يقول :- ((**وأكثرهم أخلاط من بجيلة وخثعم ، ومن بلادهم تَبَالة ويسكنها قوم عنز بن وائل ، ولهم بها صولة**)) [١٥] وهذا المؤرخ أصاب في قوله إن تَبَالة من أرض السراة وساكنيها من خثعم ، أما عنز بن وائل فلم يستوطنوا تَبَالة وإنما كانوا إلى الجنوب من بلاد خثعم في بلاد جرش حول بلدة أبها من الناحية الشرقية [١٦] . ويشير عرام السلمي إلى بلدة الطائف ويقول ((**وأودية تنصب منها إلى تَبَالة** [١٧]))

ثم يذكر أن تَبَالة أكبر من الطائف وبينهما ليلتان وقد وقع هذا الجغرافي في عدة أخطاء، فلا يوجد هناك أودية على الإطلاق تصب من الطائف في تَبَالة ، وذلك لبعد المسافة بين البلدتين ، فالطائف على مقربة من مكة المكرمة ، وتبالة في وسط بلاد السراة بأرض قبائل بلقرن وخثعم وشمران التي تبعد عن الطائف جنوباً بـ(٣٥٠) كيلاً تقريباً [١٨] ، ثم إن أودية الطائف تصب تجاه مكة والساحل ، أو إلى الشرق تجاه بلاد نجد[١٩] ، أما تَبَالة وواديها المعروف باسمها (وادي تَبَالة) فمنابعه من جبال السروات ، وهو أحد فروع وادي بيشة [٢٠] . وتبالة ليست أكبر من الطائف ، كما ذكر عرام[٢١] ، وإن كانت إحدى المراكز الحضارية الهامة في بلاد السراة[٢٢]. فعرام يذكر أن بها (منبراً)، أي مركز إداري لما حولها من النواحي[٢٣]، وهناك من عدها مدينة من مدن الحضر مثل : مكة والطائف وخيبر[٢٤]، ووصفها آخرون بأنها قرية ، وقيل قرية عظيمة[٢٥]، وأوردها ابن خرداذبه ضمن مخاليف مكة[٢٦] . ويذكر ياقوت أنها من المواطن التي كان يرسل إليها خلفاء المسلمين من يتولى أمرها ، ويسوس أهلها ، وذكر أنها تبعد عن مكة تجاه الجنوب (٥٢) فرسخاً ، أو حوالي مسيرة ثمانية أيام ، وبينها وبين الطائف ستة أيام ، وبينها وبين بيشة يوم واحد[٢٧]. وهذا الوصف يكاد يكون صحيحاً إلى حد ما ، لأن المسافر قديماً من بلاد خثعم وشمران إلى مكة يستغرق تقريباً في سفره من مكة إلى بلاد خثعم وشمران من ثمانية إلى عشرة أيام[٢٨] ، ومن بيشة إلى تَبَالة حوالي يوم واحد ، أي ما يقارب (٤٥- ٥٠) كيلاً ، وهي المسافة الفعلية التي يقطعها المسافر اليوم بالسيارة بين بلدتي تَبَالة وبيشة . [٢٩]



خارطة توضح بلدة تبالة وواديها ضمن أودية وبلدان أخرى في أجزاء من منطقة عسير السروية

أما سكان تَبَالة فيذكر الهمداني أن أكثر ساكنيها من قريش[٣٠] وهذا قول غير دقيق، وربما سكنها بعض القرشيين ، لكن ليسوا أكثر سكانها ، وإنما أغلب سكانها من بطون خثعم[٣١] ، وهذا ما أكد عليه الهمداني في مكان آخر من مؤلفه قائلاً " **بلد خثعم أعراض نجد وبيشة وترج وتبالة** " [٣٢]، وذكر البكري أيضاً أن " **دار خثعم ... بيشة وتبالة على محجة اليمن ، وهم مخالطون لهلال بن عامر وبطن تَبَالة لبني مازن** " [٣٣] . ويستدل على سكنى بني مازن لبلاد تَبَالة قول الشاعر عمرو بن معد كرب الزبيدي ، الذي أنشد قائلاً :

أَأَغْزُو رِجَالَ بَنِي مَازِنٍ   بِبَطْنِ تَبَالة أَمْ أَرْقُدُ [٣٤]

وأشار اليعقوبي إلى التركيبة السكانية في تَبَالة فقال: "**وتبالة لخثعم**"[٣٥]، وفي رواية أخرى " **وتبالة وأهلها خثعم** "[٣٦] وعرام السلمي يذكر عدداً من العشائر التي تستوطن تَبَالة فيقول " **وتبالة منبر وأهلها سلول ، وعقيل ، وغامد ، وعامر بن ربيعة ، وقيس كبة**" [٣٧] ، وهذه القبائل التي أشار إليها عرام ربما سكنت تَبَالة بمفهومها الواسع ، والمقصود بذلك وادي تَبَالة الذي يمتد من سروات بلقرن وخثعم وشمران إلى بيشة ، أي بمساحة تقدر بـ(٥٠) كيلاً في الطول ، وعدة أكيال في العرض[٣٨] ، والمتجول في وادي تَبَالة وما جاوره اليوم يجد أن العديد من بطون هذه العشائر التي ذكرها عرام لا زالت تعيش في هذه الديار[٣٩] . وكون تَبَالة كانت من المراكز الحضارية الكبيرة في بلاد السراة ، فلا يستبعد أنه نزح إليها قبيل وأثناء ظهور الإسلام بعض البطون العشائرية كي تكون على مقربة من هذا المركز الإداري والديني الذي

كان يحتضن صنم ذي الخلصة المشهور والمعروف بـ(الكعبة اليمانية) . كما سيأتي ذكره لاحقاً. [٤٠]

رابعاً : تَبَالة وأهميتها التاريخية :

تَبَالة من المخاليف الهامة في بلاد السراة ، وقد أجمعت جُلُّ كتب التراث على خصوبة أرضها ، وتميزها بموقع تجاري على الطريق الجبلي الذي يربط اليمن بالحجاز[٤١] ومما زادها أهمية احتضانها لصنم ذي الخلصة [٤٢] . الذي تعرضت لذكره كثير من كتب الحديث والتاريخ [٤٣] ، وهناك من قال إنه يوجد في بلدة تَبَالة [٤٤]، وآخرون ذكروا موقعه في بلاد دوس[٤٥] . وقد نشر الأستاذ رشدي ملحس دراسة مطولة عن هذا الصنم ، وأيد الأقوال التي تذكر وجوده في أرض دوس من بلاد غامد وزهران[٤٦] . لكن الأستاذ حمد الجاسر زار بلاد غامد وزهران في أواخر القرن الهجري الماضي[٤٧]، ووقف على الموقع الذي أشار إليه رشدي ملحس وذكر بأنه مكان لصنم ذي الخلصة، المعروف اليوم باسم (ثروق)[٤٨] ، ثم استعرض جميع الروايات القديمة التي أشارت إلى هذا الصنم ، وخرج بنتائج قيمة أكد فيها أن هناك أصناماً عديدة ربما سميت بـ (ذي الخلصة)[٤٩] لكن الصنم المشهور والمعروف بـ (الكعبة اليمانية) لا يوجد إلاّ في وادي تَبَالة الواقع في بلاد خثعم وبلقرن وشمران[٥٠] .

ويشير النووي إلى أن ذا الخلصة **((كانت صنماً تعبده دوس في الجاهلية))** [٥١]، ويورد ابن كثير أن البخاري ذكر بعد فتح مكة قصة تخريب

خثعم للبيت الذي كانت تعبده ويسمونه بـ (**الكعبة اليمانية**) (٥٢). ومن المؤكد أن ذا الخلصة، وبخاصة الموجود في تَبَالة، لم يكن خاصاً لعشيرة دون أخرى ، إنما كان يزوره ويحج إليه عدد من القبائل ما بين نجران وزهران ، ويؤكد ذلك ما أشار إليه ياقوت نقلاً عن ابن المنذر بأن ذا الخلصة من أصنام العرب ، وهي في أرض تَبَالة على هيئة مروة بيضاء منقوشة ، وسدنتها هم بنو أمامة من باهلة بن أعصر ، ثم يقول :((**وكانت تعظمها وتهتدي لها خثعم ، وبجيلة وأزد السراة ، ومن قاربهم من بطون العرب ، ومن هوازن ، ففيها يقول خداش بن زهير العامري لعثعث بن وحشي الخثعمي في عهد كان بينهم فغدر بهم :**

وذكرتُهْ بالله بيني وبينه — وما بيننا من مُدَّة لو تذكرّا

وبالمروة البيضاء ثم تَبَالة — ومجلسة النعمان حيث تنصرا (٥٣)

ويذكر ابن حبيب بأن ذا الخلصة كان بيتاً تعبده " **بجيلة ، وخثعم، والحارث بن كعب، وجرم ، وزبيد ، والغوث بن مر بن أد، وبنو هلال بن عامر ، وكانوا سدنته بين مكة واليمن بالعبلاء** " (٥٤) .

ويضيف ياقوت نقلاً عن المبرد ، الذي عاش في القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي ، أن هذا الصنم كان في مكان جامع البلدة المعروفة بـ (**العبلات**) من أرض خثعم. (٥٥) ويؤكد البكري ذلك فيقول : " **ذو الخلصة بيت بالعبلاء كانت خثعم تحجه، وهو اليوم موضع مسجد العبلاء** " (٥٦)

ويستخلص من هذه النصوص بعض النتائج التي نلخصها في النقاط التالية :

١. أن صنم ذي الخلصة في تَبَالة كانت تحج إليه العديد من القبائل القاطنة في بلاد السراة، وبالتالي فهي تقدسه وتهدي إليه ، وقبيلة خثعم وبخاصة عشيرة بني أمامة من بني باهلة الخثعمية هي التي تتولى سدانته والإشراف عليه.

٢. الإشارة إلى أن هذا الصنم في تَبَالة لا تتناقض مع روايات أخرى تقول أنه في العبلاء أو العبلات ، فالأقوال جميعها سليمة لأن تَبَالة وهي واد فيه قرية قديمة كانت تعرف بهذا الاسم ، وفي أعلاها أرض يطلق عليها اسم العبلاء ، وأحياناً تنطق العبلات ، وفيها أيضاً واد لا يزال يعرف بهذا الاسم ، وبالتالي فالعبلاء وتبالة من بلاد خثعم ، ولا يزال الموضعان معروفين ويقعان في سفوح السراة الشرقي

٣. لقد زرت بلاد خثعم وبلقرن في شهري المحرم وصفر من عام (١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م) ، وتجولت في أرجائها وذهبت إلى قرى وادي تَبَالة ، وشاهدت بعض الأماكن القريبة من قرية تَبَالة الحديثة ، ورأيت بعض الأبنية القديمة التي عمرها ربما لا يتجاوز قرنين من الزمان ، وشاهدت أيضاً بعض الرسومات والنقوش الصخرية المحدودة ، ولم أستطع التوصل إلى المكان الدقيق لهذا الصنم الذي أسهبت المصادر المبكرة في الحديث عنه مع أن أهالي المنطقة لا يزالون يطلقون على بعض الغرف المندثرة هناك اسم (آثار صنم ذي الخلصة) ، مع أننا غير واثقين من هذا القول ، ويحتاج الأمر إلى إجراء بعض التقنيات

والدراسات الأثرية العلمية التي ربما تكشف لنا بعض الحقائق العلمية عن المكان الصحيح لهذا الصنم(٥٧) .

وعند ظهور الإسلام ، وبخاصة في مرحلة الدعوة المكية ، لا نجد ذكراً لتبالة ، مع أننا نجد روايات أخرى تشير إلى أن قدوم الطفيل بن عمرو الدوسي من بلاد غامد ودوس على الرسول (صلى الله عليه وسلم) في مكة ودخوله الإسلام في السنة السابعة للنبوة ، ثم رجوعه إلى بلاده المجاورة لأرض تَبَالة وسكانها الخثعميين من الشمال ، واستمراره في دعوة قومه حتى السنة السابعة للهجرة ، ثم رجوعه إلى الرسول (صلى الله عليه وسلم) في المدينة ومعه حوالي ثمانين بيتاً من قومه مسلمين(٥٨) وتنوه بعض المصادر إلى الجهود التي بذلها الطفيل في محاربة المشركين في وطنه ، وبخاصة في تحطيم الأصنام التي كانوا يعبدونها في أرض غامد ودوس(٥٩) ، ومنها صنما ذي الكفين ، وذي الشرى(٦٠) ، ولا نجد أية إشارة إلى جهود الطفيل أو غيره في تحطيم صنم ذي الخلصة في تَبَالة بأرض خثعم ، بل لم تذكر أية معلومة عنه أو عن وجوده في أرض دوس (٦١) . وفي اعتقادنا أنه لو كان في بلاد غامد وزهران صنم بهذا الاسم لذكرته المصادر أثناء جهاد الطفيل للمشركين هناك .

وفي عنوان جانبي للبلاذري سماه : تَبَالة وجرش (٦٢) ، أورد نصاً يؤكد على إسلام سكان هاتين الناحيتين بدون قتال ، فقال :- " **أسلم أهل تَبَالة وجرش من غير قتال ، فأمرهم رسول الله (صلى الله عليه وسلم) على ما أسلموا عليه ، وجعل على كل حالم ممن بهما من أهل الكتاب**

ديناراً ، واشترط عليهم ضيافة المسلمين ، وولى أبا سفيان بن حرب جرش " [٦٣]

ونستنتج من هذا النص عدة أمور هي :

١. ارتباط بلاد تَبَالة وجرش وتقاربهما، فجرش القريبة من بلدة أبها ، والواقعة اليوم في محيط بلدة خميس مشيط ، لا تبعد عن وادي تَبَالة في بلاد خثعم وبلقرن وشمران إلاّ حوالي (٢٠٠) كيلاً ، وهذه البلاد جميعها تتبع اليوم إمارة منطقة عسير.

٢. أن سكان هاتين الناحيتين لم يكونوا جميعاً وثنيين ،إنما كان بينهم أهل كتاب من اليهود والنصارى ، ولم تخل عموم بلاد السراة من نجران حتى الطائف من وجود أهل كتاب ، لكنهم كانوا قلة مقارنه بالوثنيين[٦٤]

٣. أن القول بأن أهل تَبَالة وجرش أسلموا بدون قتال قول غير دقيق ، وقد أصدرنا العديد من الدراسات عن جرش ، ونجران ، ونواحي عديدة في بلاد السراة [٦٥] ، ووجدنا نصوصاً في مصادر التراث الإسلامي تذكر دخول بعض سكان هذه النواحي في الإسلام بدون قتال ، لكن هناك فئات كثيرة قاومت الدعوة الإسلامية ، ولم يدخلوا في دين الإسلام إلاّ بعد العديد من الحروب والصراعات الدامية[٦٦] .

٤. الإشارة إلى تولية أبي سفيان بن حرب على جرش ، يفهم منها أن الولاية كانت في مراحل متأخرة من عصر الرسول (صلى الله عليه وسلم) ، لأننا نجد أهل جرش يحاربون الإسلام في أول الأمر ، وبعد

حروب عديده قادها صرد بن عبد الله الأزدي وانتهى الأمر إلى توطيد الإسلام في بلادهم وما حولها (٦٧) ، وبعدها بدأ الرسول (صلى الله عليه وسلم) يرسل بعض صحابته إلى تلك النواحي لتفقيه أهلها في دينهم ، وإدارة بلادهم على منهج الكتاب والسنة(٦٨) . وإذا كان اسم أبي سفيان قد ورد والياً على جرش ، فإننا لا نجد ذكراً لمن تولى تَبَالة ، وربما كان أبو سفيان والياً على جرش وتبالة معاً وذلك لتقاربهما جغرافياً ، ثم إن طريق أبي سفيان في ذهابه إلى جرش يمر عبر بلاد تَبَالة (٦٩) .

وهناك روايات تؤكد على تصدي أهل تَبَالة ، وبخاصة الخثعميين ، لدعوة الإسلام ، فالواقدى ، وابن سعد يؤكدان على إرسال الرسول (صلى الله عليه وسلم) قطبة بن عامر بن حديدة (٧٠) إلى خثعم في أرض تَبَالة في شهر صفر من السنة التاسعة للهجرة ، وذلك من أجل معاقبة الثوار المشركين هناك(٧١) ويقول ابن سعد " **بعث رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قطبة بن عامر بن حديدة في عشرين رجلاً إلى حي من خثعم بناحية تَبَالة ، وأمر أن يشن الغارة عليهم ، فخرجوا على عشرة أبعرة يعتقبونها ، فأخذوا رجلاً فسألوه فاستعجم عليهم . فجعل يصيح بالحاضرة ويحذرهم فضربوا عنقه ، ثم أمهلوا حتى نام الحاضر ، فشنوا عليهم الغارة ، فاقتتلوا قتالاً شديداً حتى كثر الجرحى في الفريقين جميعاً ، وقتل قطبة بن عامر من قتل ، وساقوا النعم والشاء والنساء إلى المدينة** "(٧٢) .

وعلى الرغم من انتشار الإسلام بين أهل تَبَالة فإن صنم ذي الخلصة ظل قائماً حتى السنة العاشرة للهجرة تحميه بعض بطون خثعم ومن جاورهم من العشائر ، وهذا ما أكدت عليه العديد من المصادر . فابن الجوزي يذكر أن جرير بن عبد الله البجلي[٧٣] ، قدم على الرسول (صلى الله عليه وسلم) ومعه بعض قومه بعد فتح مكة ، فأسلموا، ثم عين الرسول (صلى الله عليه وسلم) جريراً على رفاقه وطلب منهم هدم صنم ذى الخلصة في تَبَالة بأرض خثعم ، فلبى جرير أمر رسول (صلى الله عليه وسلم)[٧٤] . ويشير ابن سعد في رواية أخرى أكثر تفصيلاً إلى أن جريراً قدم على الرسول (صلى الله عليه وسلم) في السنة العاشرة للهجرة ومعه مائة وخمسون رجلاً من بجيلة ، فرحب به الرسول (صلى الله عليه وسلم) وقومه ، وشهدوا بشهادة الإسلام ، ثم سألهم الرسول (صلى الله عليه وسلم) عن أحوال ما وراءهم في بلاد السراة ، فقال جرير " **يا رسول الله قد أظهر الله الإسلام ، وأظهر الأذان في مساجدهم وساحاتهم ، وهدمت القبائل أصنامها التي كانت تعبد**" [٧٥] فقال الرسول (صلى الله عليه وسلم) " **فما فعل ذو الخلصة ؟** " قال جرير " **هو على حاله ، قد بقي والله مريح منه إن شاء الله** " فأمر الرسول (صلى الله عليه وسلم) جريراً أن يأخذ مائتين من قومه ويذهب بهم لهدمه وتفريق من حوله ، فذهب جرير لما أمره به النبي (صلى الله عليه وسلم) ، وهدم الصنم المشهور ورجع مع رجاله إلى الرسول (صلى الله عليه وسلم) فسأله النبي (صلى الله عليه وسلم) عما حقق ، فقال " **يا رسول الله والذي بعثك بالحق لقد هدمته ، وأخذت ما**

عليه ، وأحرقته بالنار ، وتركته كما يسوء من هوى هواه ، وما صدنا عنه أحد "[٧٦] ، ففرح الرسول (صلى الله عليه وسلم) ودعا لجرير وقومه .[٧٧]

ويتضح من هذه النصوص أن الإسلام قد ضرب بجذوره في بلاد السراة ، ونشر ظلاله الوارفة عليها ، وكان صنم ذي الخلصة في بلاد تَبَالة آخر معاقل الشرك التي سقطت هناك بل إن بعض عشائر خثعم ، التي كانت تدافع عنه سرعان ما دخلت تحت لواء الإسلام.

وفي عهد الخليفة أبي بكر الصديق (رضي الله عنه) (١١- ١٣هـ/ ٦٣١ – ٦٣٤ م) ظهر بعض المرتدين في بلاد السراة ، وسعى بعضهم إلى إعادة بناء صنم ذي الخلصة [٧٨] ، فلم يكن على الخليفة إلاّ أن يكلف جرير بن عبد الله البجلي أن يستنفر قومه البجليين[٧٩] ، ومن ثبت على الإسلام في أرض السراة ، ويتعقب بهم هؤلاء المرتدين وبخاصة الذين خرجوا غضباً لذي الخلصة ، فخرج جرير وفعل ما أمره به الخليفة ، ولم يقف له أحد في أرض تَبَالة حول ذي الخلصة ، إلاّ نفر قليل تتبعهم وقتلهم .[٨٠]

ولم يظهر لذي الخلصة أي ذكر خلال القرون الإسلامية الأولى ، وصارت بلاد تَبَالة ناحية من نواحي الدولة الإسلامية في بلاد السراة[٨١] ، وأصبح الخلفاء الراشدون يرسلون من يتولى بلاد مكة والطائف وما والاها جنوباً حتى تَبَالة وجرش ونجران وصنعاء[٨٢]، ولا نجد في المصادر ذكراً لمن تولى أرض تَبَالة ، كما لا نعرف هل كانت ناحية مستقلة بذاتها ، أو تبعاً

لناحية أخرى؟ مع أن بعض المصادر المبكرة أشارت إلى المخاليف التابعة لمكة ، وذكرت تَبَالة واحدة منها [٨٣] .

وفي عهد الدولة الأموية (٤٠- ١٣٢هـ/٦٦٠- ٧٤٩م) نجد الخليفة عبد الملك بن مروان (٦٥ – ٨٦ هـ / ٦٨٥ – ٧٠٥ م) يصدر قراره بتولية الحجاج بن يوسف الثقفي على تَبَالة[٨٤] ، يقول ياقوت " **كانت تَبَالة أول عمل وليه الحجاج بن يوسف الثقفي فسار إليها فلما قرب منها قال للدليل ، أين تَبَالة ، وعلى أي سمت هي؟ فقال : ما يسترها عنك إلاّ هذه الأكمة ، فقال : لا أراني أميراً على موضع تستره عني هذه الأكمة ، أهون بها ولاية! وكر راجعاً ولم يدخلها** " فصار ذلك مثلاً يضرب " **أهون من تَبَالة على الحجاج** " [٨٥] ويتضح من هذا التعيين أن تَبَالة كانت من المواقع المهمة في أرض السراة ، بل كانت تعد مركزاً إدارياً، ومقراً للوالي الذي يشرف على تلك النواحي . ونجد بعض الإشارات التي تؤكد وجود بعض المؤسسات الإدارية في هذه الناحية فالأصفهاني يشير إلى مقتل الشاعر ابن الدمينة [٨٦] في نواحي تَبَالة ، ثم يذكر ما قام به والي تَبَالة من جهود في تعقب القاتل وإيداعه في سجن البلدة[٨٧] . والرواية تؤكد على وجود والٍ قوي يتمتع بالنفوذ الجيد الذي يمكنه من ضبط الأمن ، ومحاربة من ينشر الفوضى في البلاد . مع أننا لا نعرف اسم هذا الوالي ، ولا الوسائل والإمكانات التي كان يتمتع بها في ضبط عمله . ويبدو أن العشائر المستوطنة في تَبَالة وما حولها كانت كثيرة القلاقل والفتن ، ولهذا كان أمراء الحجاز هم المسؤولون عن تعيين ولاة السراة[٨٨] ، وكانوا حريصين على تولية تلك

النواحي ولاة أقوياء ، ويظهر ذلك جلياً في نص أورده ابن قتيبة عندما ذكر أن أعرابياً ولي تَبَالة " فصعد المنبر فما حمد الله ولا أثنى عليه حتى قال : " **إن الأمير – يقصد أمير الحجاز – أعزنا الله وإياه ولاني بلادكم هذه ، وإني والله ما أعرف من الحق موضع سوطي ، ولن أوتي بظالم ولا مظلوم إلاّ أوجعتهما ضرباً ، فكانوا يتعاملون بالحق بينهم ولا يرتفعون إليه** " [٨٩] . وهذه السياسة القوية تقمع كل من تسول له نفسه إثارة الفوضى في البلاد [٩٠] .

وفي عام (٦١هـ/٦٨٠م) قام نجدة [٩١] بن عامر الحنفي الخارجي بثورة ضد بني أمية ، وحاول الانضمام إلى عبد الله بن الزبير الذي ثار هو الآخر على الأمويين في الحجاز[٩٢] ، لكنه انصرف عنه ، ووسع نفوذه حتى سيطر على نجد والبحرين ، وفي عام (٦٨هـ/٦٨٧م) سار نجدة إلى الطائف للاستيلاء عليها فقابله زعيمها عاصم بن عروة بن مسعود الثقفي فبايعه على قومه ، فلم يدخلها ومد نفوذه على بلاد السراة وسيطر على تَبَالة وبيشة وجرش واستعمل عليها أحد رجاله المعروف باسم (الحاروق) أو (حراق)[٩٣] . وهذه الثورة لا توضح لنا ما نتج عنها من خراب ودمار على أهالي السراة عامة أو تَبَالة خاصة ، لكن يتضح أنها لم تتغلغل في هذه النواحي ، ربما لقصر مدتها ، حيث لم تتجاوز سيطرته على اليمامة أو أجزاء من بلاد الحجاز أو السراة ثلاث سنوات[٩٤] ، ثم إن الأمويين كانوا آنذاك في أوج قوتهم ، فأرسلوا جيوشهم من الشام إلى الحجاز ونجد و السراة واليمن فتصدت لهؤلاء وقضت عليهم [٩٥] .

وفي نهاية عصر بني أمية ، عام (١٢٩هـ /٧٤٥م) نجد أبا حمزة الخارجي ، والمعروف بـ (المختار بن عوف السَّليمي الدوسي) يثور مع عبد الله بن يحي الكندي ، الملقب بـ (طالب الحق) في حضرموت [٩٦]، ويعملان على توسيع نفوذهما إلى أرض السراة ، الطائف ومكة والمدينة ، وقد اتخذا من جرش وتبالة والطائف قواعد رئيسة لتُوسيع سلطانهما ، وعندما سمع الخليفة الأموي مروان بن محمد (١٢٧ – ١٣٢هـ/٧٤٤ – ٧٥٠ م) بهؤلاء الثوار جهز جيشاً بقيادة عبد الملك بن عطية السعدي ، وسار إلى الحجاز لملاقاة أبي حمزة الخارجي في مكة ، فهزمه وقتله وفرق رجاله ، ثم خرج ابن عطية إلى الطائف متجهاً نحو اليمن معقل عبد الله بن يحي الكندي ، وكان الأخير قد تمركز مع حوالي (٣٠٠٠) من رجاله في بلدة كتنة بأرض جرش[٩٧] ونزل ابن عطية في تَبَالة ، ودارت معارك عديدة بين الطرفين ، خسر الكندي في نهايتها وتقهقر من تَبَالة حتى جرش التي وقعت فيها المعركة الفاصلة ، وقتل عبد الله بن يحيى الكندي ، وقتل أكثر جنده ، وانتهى أمر هؤلاء الثوار الخوارج[٩٨] .

ويبدو أن تَبَالة كانت من المواطن الهامة التي استوطنها هؤلاء الثوار ، أو جيوش بني أمية ، وذلك لتوسطها في الطريق ما بين اليمن والحجاز ، ثم لموقعها الاستراتيجي على الطريق الواصل بين صنعاء ومكة ، ولا يستبعد أن أهلها قد لعبوا دوراً في اتخاذها قاعدة لتقديم بعض الخدمات الضرورية لقادة ورجال الجيش الأموي ، الذين استطاعوا في نهاية المطاف كسب الحروب لصالحهم، والقضاء على هؤلاء الثوار الذين سعوا في الأرض فساداً .

ومنذ بداية عصر بني العباس (١٣٢هـ / ٧٤٩م) لا نجد ذكراً لتبالة ، خاصة في الناحيتين السياسية والإدارية ، مع أن خلفاء بني العباس كانوا يرسلون أمراءهم إلى اليمن والحجاز ، وأحياناً يجمعون بلاد الجزيرة العربية لوالٍ واحد ، يكون مقره في الحجاز[٩٩] . وإذا بحثنا عن البلاد النائية أو الصغيرة مثل تَبَالة ، فلا نعرف عن أهلها الشيء الكثير إدارياً ، وربما كان خلفاء بني العباس ممثلين في ولاتهم بالحجاز يرسلون من يراقب أسواقهم ويجبي زكواتهم[١٠٠] . والمؤكد أن إدارة شؤون تَبَالة الداخلية ، وعموم بلاد السراة في أيدي شيوخها وأعيانها المحليين ، وهذا ما ذكره بوضوح الهمداني ، وناصر خسرو ، وابن المجاور ، وابن خلدون[١٠١] وأفضلهم تفصيلاً في هذا الجانب ابن المجاور الذي يقول : " **وجميع هذه الأعمال – أي بلاد السراة من الطائف حتى صنعاء – قرى متقاربة بعضها من بعض في الكبر والصغر ، وكل قرية منها مقيمة بأهلها ، كل فخذ من فخوذ العرب ، وبطن من بطون البدو في قرية ، ومن جاورهم لا يشاركهم في نزلها وسكنها أحد سواهم** " [١٠٢] . ويقول عن هذه البلاد " **إنها قبائل وفخوذ من العرب ليس يحكم عليهم سلطان بل مشائخ منهم ، وفيهم بطون متفرقون** " [١٠٣] ويقول أيضاً " **ويحكم على كل قرية شيخ من مشائخها كبير القدر والسن ، ذو عقل وفطنة ، فإذا حكم بأمر لم يشاركه ولا يخالفه أحد فيما يشير عليهم ويحكم فيهم** " [١٠٤] .

وفي القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي يرد ذكر بلاد تَبَالة وبخاصة عند أئمة اليمن الزيدية[١٠٥] ، فلقد ولد فيها الإمام القاسم بن علي

العياني عام (٣١٠هـ/٩٢٢م) وعاش فيها عقوداً من الزمن[١٠٦] ، وكان يفد عليه بعض اليمنيين الزيديين أثناء ذهابهم وإيابهم ما بين مكة واليمن ، وفي عام (٣٨٨هـ/٩٩٨م) ، أقنعه بعض أعيان اليمن على ترك تَبَالة ، مسقط رأسه ، والذهاب معهم إلى صعدة وصنعاء لتولي حكم البلاد ، وتم له ذلك لمدة خمس سنوات (٣٨٨- ٣٩٣هـ/٩٩٨- ١٠٠٢م) [١٠٧] ، ثم جاء من بعده أولاده وأحفاده الذين تولوا أمر اليمن عقوداً عديدة [١٠٨] ، لكنهم كانوا على صلات جيدة بمسقط رأس والدهم في تَبَالة ، فهم يزورون أهلها الخثعميين ، بل ملكوا فيها بعض العقار والزروع، وتزوجوا من نسائها، كما هرب حفيدا الإمام العياني ، القاسم ومحمد ابنا جعفر بن الإمام العياني ، من حكام الدولة الصليحية [١٠٩]، واستقرا في ترج وتبالة من أرض خثعم من عام (٤٥١- ٤٥٩هـ/١٠٥٩- ١٠٦٦م)[١١٠] ، وربما كان اختيارهما لهذا المكان بسبب الصلات القديمة التي كانت لجدهم في تلك الناحية ،كما فضلاها على غيرها لانزوائها وبعدها عن حكام الدولة الصليحية في اليمن ، فهي تقع في وسط بلاد السراة ، وسيتكبد أعداؤهم الخسائر الفادحة إذا حاولوا مهاجمتهم في تلك الأوطان[١١١] ولم يثبت أن أهل السراة اعتنقوا مذهب الإمام العياني (المذهب الزيدي) ، وإنما كانوا على المذهب الشافعي[١١٢] ، وهذا الذي لم يساعد العياني وأولاده للتأثير في سكان هذه البلاد ، حتى وإن استقروا بها بعض الوقت أو صاهروا أهلها وملكوا بها بعض الدور والعقارات[١١٣] .

وكان الأشراف في مكة والطائف هم الآخرون يسعون إلى امتلاك بعض الملكيات العقارية في السراة ، ونجد لهم ذكراً في تربة وبيشة وجرش وربما تَبَالة ، ونلاحظ ذكر المصادر المكية المحلية للعديد من الأمثلة لبعض أمراء الأشراف الذين كانوا على صلات سياسية وحضارية بهذه البلاد[١١٤] .

خامساً :- تَبَالة وأهميتها الحضارية :

لتبالة أهمية حضارية وخاصة في النشاط التجاري والزراعي ، فالهمداني يصفها في القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي قائلاً : " **تَبَالة قرية فيها التجار ... وكان فيها نخيل وغيل** "[١١٥] ، ويذكرها عدد من الرحالة المسلمين الأوائل على أنها محطة تجارية نشطة على الطريق الواصل بين اليمن والحجاز[١١٦] . ويشير قدامة إلى كثرة سكانها وخصوبة أرضها فيقول " **تَبَالة قرية عظيمة ، كثيرة الأهل ، وفيها منبر وعيون وآبار** "[١١٧] ، ويضيف ابن خرداذبة إلى أنها من مخاليف مكة ، وهي " **مدينة كبيرة فيها عيون** "[١١٨]. ويورد الإدريسي من أهل القرن السادس الهجري /الثاني عشر الميلادي معلومات أكثر، ويتحدث عن تقسيمات الأرض جغرافياً ، ويعد تَبَالة في الإقليم الثاني ، ثم يقول قواعد البلاد المعلومة في هذا الإقليم " **جرش ، وبيشة ، وتبالة ، وعكاظ ، ونجران** "[١١٩] وفعلاً فهذه المدن تعد المراكز الهامة والرئيسة في البلاد السروية الممتدة من صنعاء وصعدة في اليمن إلى الطائف ومكة في الحجاز[١٢٠] . ويستكمل الإدريسي وصفه لتبالة، فيقول " **تَبَالة من مخاليف مكة ، وبينهما أربع مراحل ، ومدينة تَبَالة صغيرة بها**

عيون متدفقة ، ومزارع ونخل ... ومن تَبَالة إلى بيشة خمسون ميلاً ، وكذلك من بيشة إلى جرش أربع مراحل ، ومن تَبَالة إلى سوق عكاظ ثلاث مراحل " [١٢١] . واذا كانت تَبَالة محطة هامة على طريق صنعاء ومكة فهي أيضاً ملتقى لمحجة حضرموت التي تأتي من النواحي الشرقية لبلاد عسير ، ثم تلتقي مع محجة صنعاء في تَبَالة ، وهكذا تواصل سيرها إلى الطائف ومكة [١٢٢]. ويتفق الحميري مع الإدريسي ومن سبقه من الجغرافيين الأوائل على أن تَبَالة على طريق صنعاء ومكة ، وينوه أيضاً إلى وفرة المياه والزروع بأرضها فيقول " **هي قرية صغيرة بها عيون ومزارع ونخيل ، وفيها مسجد جامع ومنبر ، ومياهها من العيون والآبار** "[١٢٣] ويصفها القلقشندي " **بأنها مدينة كبيرة وفيها عيون جارية** " [١٢٤] .

وإذا اختلف بعض المؤرخين والجغرافيين الأوائل على أنها قرية أو مدينة ، فربما يعود ذلك إلى تقديرات كل واحد منهم ، فإذا قورنت مع باقي النواحي والمراكز في بلاد تهامة والسراة أو المناطق النائية في العالم الإسلامي فينظر إليها على أنها مدينة . وعندما تقارن مع المدن الإسلامية الكبرى داخل شبه الجزيرة العربية وخارجها فهي قرية تتوفر فيها مقومات الحياة الحضارية ، ومن أهم تلك المقومات ما يلي :

(١) أنها محطة تجارية هامه تلتقي فيها محجتا حضر موت وصنعاء ومنها يتم الاتصال بالحجاز .

(٢) توسط موقعها بين جرش وبيشة والطائف ، وبالتالي فموقعها استراتيجي ، وهي من حلقات الوصل الرئيسة بين نجران والطائف . والمشاهد لبلاد تَبَالة وما جاورها اليوم يجدها تربط بين مراكز إدارية هامة فمحافظة بيشه تأتي من شرقها ، وبلاد الحجر التي مقرها مدينة النماص من الجنوب ، وبلاد غامد وزهران في الباحة من الشمال(١٢٥) .

(٣) توفر المياه والمزروعات المتنوعة في تَبَالة ، بالإضافة إلى وجود الغابات والأشجار والنباتات البرية ، وهذا مما زادها جمالاً ورغبت العديد من العشائر في استيطانها .

وأشارت كتب التراث وبخاصة الأدبية منها إلى رخاء أرض تَبَالة لما يوجد بها من المزروعات والحيوانات الأليفة والبرية ، وكذلك اشتهار أهلها بإكرام الضيف ، وغير ذلك من الصفات الجميلة التي رفعت من ذكر هذه الناحية . وأكبر دليل على ذلك ما قال بعض الشعراء الجاهليين والإسلاميين من أشعار في تَبَالة :

فهذا امرؤ القيس يذكر اشتهارها بالظباء والغزلان حتى صارت مضرب المثل ، فيقول :

هما ظبيتان من ظباء تَبَالة   على جؤذرين أو كبعض دمى هكر(١٢٦)

ويذكر أن الأسود تعيش في أرض تَبَالة ، وينفي الهمداني هذا القول ، فقال " **أما أسد تَبَالة وترج وبيشة فهي من أعراض نجد ولا يكون بها أسد** "(١٢٧) . وهذا قول غير صحيح لأنه من يتجول في وادي تَبَالة وما جاوره

يرى به من الأشجار والجبال والغابات ما يجعل الوحوش مثل الأسود تعيش في أكنافه [١٢٨] ، ومما يؤكد أن تَبَالة أرض أسود شعر عبد الرحمن الأزدي الذي نظم شعراً في خروج الأزد من اليمن وتفرقهم ، إلى أن قال :

فسيروُا نحو قومكم جميعاً ولا تَنْأوا سواهم في الأعادي

فإنكم خيار الناس قدماً وأجلدهم رجالاً بْعد عادِ

وأكثرهم شباباً في كهول كأسدْ تَبَالة الشُّهبِ الورود [١٢٩]

واشتهرت تَبَالة بأشجار السدر ، والأثل ، والعرعر ، والأراك ، قال القتال الكلابي :

وما مُغْزلٌ ترعى ، بأرض تَبَالة أراكاً وسدراً ناعماً ما ينالُها

وترعى بها البردين ثم مقيلها غَياطل ، مُلتجُّ عليها ظلالُها [١٣٠]

وقال أوس بن حجر :

بَكيتُم على الصُّلحْ الدُّماج ولم يكن

بذى الرمّث من وادي تَبَالة مقنْبُ [١٣١]

والرمث هو شجر الحمض ، وقيل هو الكلأ الذي تعيش فيه الإبل والغنم، ويقول البكري " (ذو الرمث) هو وادي تَبَالة ، **لأنه كثير الرمث** " [١٣٢] واشتهر وادي تَبَالة بخصوبة الأرض وكرم سكانه حتى صار كبار الشعراء يقولون فيه شعراً ، فقال لبيد بن ربيعه العامري :

فالضَّيفُ والجارُ الجنيبُ كأنّما هبَطَا تَبَالة مُخصباً أهضامُها (١٣٣)

يقول شارح الديوان معلقاً على هذا البيت : " **تَبَالة قرية قريبة من الطائف ، فإذا نزل بأهلها الضيف والجار الغريب صادف عندهم ما يصادف من الخصب و الفواكه و الرطب** " . (١٣٤)

وهذا عباس بن كثير يدعو الله أن ينزل الغيث ليسقي صفرات تَبَالة، لأنها كانت منازل قومه فقال :

سقى الصفرات العفر حول تَبَالة إلى رحب بالوشم غير مطبق

منازل من حي ذويب بن مازن وغيظ وكعب أن يتفرقوا (١٣٥)

كما دعا لها الشاعر الحزازة العامري في قصيدة الاستسقاء التي قالها في سنة الحطمة مع غيره من الشعراء في مكة ، فقال :

روِيَتْ قيعتا تَبَالة غيثاً فذواتُ الآصاد فالعبلاء

فقريحاؤهـا قـد سال فوادي كلاخها فالكراء (١٣٦)

ولوقوع تَبَالة على طريق الحاج فقد ذكرها أحمد بن عيسى الرداعي في قصيدته التي عرفت بـ (أرجوزة الحج) فقال :-

تجر من ثوب الصبا أذيالها الجـد حتى تـروي تَبَالـة (١٣٧)

وقال في بيتين آخرين : (١٣٨)

يشرعن في ذي جدول فضفاض البـردان متـرع الحيـاض

حُلُّوا رؤوسُ العيس للرياض يغسفن منها رمَضَ الرَّضراضَ (١٣٩)

والبردان و الرياض موضعان في تَبَالة يقول الهمداني " **البردان قليب بتبالة طيب الماء عذب ... ورياض الخيل موضع يسمى بذلك** " (١٤٠) .

وهذان الموضعان معروفان في وادي تَبَالة حتى اليوم ، فالبردان اسم لقرية ، والرياض تعرف الآن برياض أو شعبة الخيل (١٤١) .

سادساً : الخاتمة ونتائج وتوصيات البحث :

وخلاصة القول : إن تَبَالة المعروفة اليوم في أجزاء من بلاد بلقرن والتي واديها يسيح إلى الشمال الشرقي حتى يصب في وادي بيشة كان لها ذكر واسع في كتب التراث الإسلامي ، بل كانت من المحطات التجارية الهامة على الطريق الحجازي اليمني ، ومأهولة بالعشائر القبلية التي تنتمي إلى قبيلة خثعم وغيرها من القبائل القحطانية والعدنانية الأخرى . وقادتنا دراسة هذا الموضوع إلى الخروج بالعديد من النتائج والتوصيات التي نوردها في النقاط التالية :

١- من المؤكد قدم ذكر تَبَالة ، فتاريخها يعود إلى العهود السابقة لعصر الإسلام ، وأكبر دليل على ذلك ذكرها عند العديد من شعراء التاريخ القديم ، الذين ذكروها في أشعارهم ووصفوا موقعها ، ووفرة الخيرات في أرضها ، وهناك من أعاد بداية تاريخها إلى عصر العماليق ، أو عهد سيدنا إبراهيم عليه السلام .

٢- استيطان العديد من البطون والعشائر لأرض تَبَالة ، وهذا ما يؤكده بعض المؤرخين والجغرافيين ، ولكن ربما كانت قبيلة خثعم أكبر القبائل نفوذاً وهيمنة على بلاد تَبَالة . وازدادت شهرة تَبَالة في الجاهلية وصدر الإسلام لاحتضانها صنم ذي الخلصة الذي كان يسمى بـ (الكعبة اليمانية) وتحج إليه بعض القبائل العربية من نجران حتى زهران .

٣- اشتهار تَبَالة كناحية أو مخلاف تابع لمكة ، وأكدت العديد من المصادر الإسلامية المبكرة أن هذا المخلاف يأتي في مستوى المخاليف الأخرى المجاورة في بلاد تهامة والسراة مثل :ـ الطائف ، وجُرش ، ونجران ، وعَثّر ، وعَشَم ، وضنكان وغيرها .

٤- لم يكن سكان تَبَالة من الوثنيين فقط ، وإنما كان يعيش إلى جانبهم بعض أهل الكتاب من النصارى واليهود ، وكاتبهم الرسول (صلى الله عليه وسلم) ((**وجعل على كل حالم ممن بها من أهل الكتاب دينار**)) . ولم يكن أهل الكتاب فقط في تَبَالة و إنما كانوا أيضاً يتواجدون في نواح عديدة من بلادة السراة مثل: جرش ، و نجران ، وصعدة وغيرها.

٥- استقر الإسلام في أرض تَبَالة ، وهدمت أصنامها وفي طليعتها ذو الخلصة في عهد الرسول (صلى الله عليه وسلم) ، وأصبحت تابعة لولاة مكة المكرمة منذ عهد الخلفاء الراشدين حتى عصر بني العباس. لكن كتب التراث الإسلامي لم تفصح كثيراً عن الأوضاع الإدارية

والسياسية في هذه الناحية منذ نهاية عصر الخلفاء الراشدين ، وهذا الغموض لم يكن مقتصراً على بلاد تَبَالة فحسب ، إنما كان سائداً على أجزاء عديدة في الجزيرة العربية خاصة البعيدة عن الحواضر الرئيسة كمكة و المدينة و صنعاء ، وهذه من الصعوبات التي تواجه المؤرخ الذي يريد البحث عن تاريخ وحضارة بعض النواحي المغمورة مثل تَبَالة أو أي ناحية من النواحي التي تعاني فقراً معرفياً .

٦- تعد كتب الرحالة والجغرافيين المسلمين الأوائل أفضل المصادر التي أشارت إلى ذكر تَبَالة في القرون الإسلامية الأولى وخاصة في الناحية الحضارية مثل : التجارة والزراعة، فالكثير من هذه الكتب ذكرت أهميتها من الناحية التجارية وارتيادها بالحجاج و التجار عندما يسافرون اليمن و الحجاز ، و لم يغفلوا أيضاً ذكر وفرة المياه والمزروعات والثمار بهذه الأرض ، و هي فعلاً كذلك فلا زالت تحتضن الكثير من الغابات الكثيفة و المزروعات وجداول المياه المختلفة.

٧- الناظر إلى التركيبة السكانية في بلاد تَبَالة اليوم يجدها إلى حدٍ ما لازالت مأهولة بالسكان و البطون و العشائر التي كانت تستوطنها في القرون الإسلامية الأولى ، وبخاصة البطون التي تنتمي في نسبها إلى قبيلة خثعم الأم ، ولازالت تجاورهم بعض العشائر القديمة مثل غامد وزهران من الشمال و عشائر الحجر من الجنوب، و بعض بطون هوازن و عامر بن صعصعة من الشرق أو الشمال الشرقي.

٨- بلاد تَبَالة لازالت بحاجة ماسة إلى دراسات علمية جادة وخاصة في مجال التنقيب و الآثار . ومن يشاهد هذه البلاد اليوم يلاحظ العديد من النقوش والرسوم الصخرية التي تحتاج إلى دراسة خبراء يستطيعون فك رموزها . كما لازال هناك مواطن عديدة تدل على وجود أثار مدفونة . وإنني أناشد الأخوة الآثاريين ومراكز الآثار في بلادنا أن تولي هذا الجانب قدراً من الأهمية لعلنا نطلع على مواد أثرية تدعم الباحثين و الدارسين في دراساتهم. و من أهم المواقع التي نود معرفة المزيد عنها مكان صنم ذي الخلصة الذي أفاضت كتب السنة و التراث الإسلامي الأخرى في الإشارة إليه، وكيف كانت ترتاده العديد من البطون والعشائر القاطنة من نجران و صعدة حتى بلاد غامد . وإن كنا لازلنا نرى مواقع أثرية قديمة في أجزاء من بلاد تَبَالة ، و البعض من سكان المنطقة يذكرون أنها مواقع عبادات، لكن مثل هذه الأقوال لا يسندها دليل قوي ، ثم إن الظاهر على مثل تلك الآثار عدم قدمها فربما لا تزيد أعمارها عن القرنين أو الثلاثة ، مع أنه كان في هذه النواحي أحداث عديدة تعود إلى عصر ما قبل الإسلام .

٩- هناك مواقع عديدة في بلاد السراة غير تَبَالة لازالت بحاجة إلى تضافر جهود الباحثين ، و دراستها تاريخياً وفكرياً وأثرياً وأخص من هذه المواقع تربة، ورنية ، وبيشة ، والجهوة في محافظة النماص، وجرش ، ونجران، فكل هذه النواحي كانت أقاليم أو مخاليف في القرون الإسلامية الأولى و لازالت تفتقر إلى دراسات أكاديمية جادة . وإن

خرجت بعض الدراسات الصغيرة والمحدودة فهذا لا يكفي لرسم صورة واضحة عن هذه النواحي التي كانت ذات شهرة تاريخية واسعة.

١٠- إنني أشكر جمعية التاريخ و الآثار لدول مجلس التعاون الخليجي ، هذه الجمعية الفتية التي استطاعت في خلال ثمانية أعوام ، وهي مدة قصيرة في عمر الدراسات الإنسانية، أن تنجز العديد من البحوث و الدراسات العلمية الجادة عن نواحٍ و مناطق عديدة من دول مجلس الخليج العربي . و نشكر المؤسسين لهذه الجمعية ، وأيضاً الأخوة الذين لازالوا يحرصون على عملها وأدائها المميز، و نحن كأعضاء في هذه الجمعية نبارك جهود كل من عمل على تقدم و نجاح أعمال هذه المؤسسة العلمية ، والله أسأل التوفيق و السداد للجميع ، والله من وراء القصد والسلام .

سابعاً : الحواشي :

(١) للمزيد عن بلاد السراة انظر ، الحسن بن أحمد الهمداني . صفة جزيرة العرب . تحقيق محمد علي الأكوع الحوالي (الرياض : دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر ، ١٣٩٧هـ / ١٩٧٧م) ، ص ٥٨- ٥٩- ٩٨- ١٠٠، حمد الجاسر . في سراة غامد وزهران (الرياض : دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر ، ١٣٩١هـ / ١٩٧١م) ، ص ٣٥٣- ٣٦٦، صالح أحمد العلي " تحديد الحجاز عند المتقدمين " مجلة العرب (١٣٨٨هـ) ، حـ١ ، ص ١- ٩ ، غيثان بن علي بن جريس " بلاد السراة من خلال كتاب صفة جزيرة العرب للهمداني"، مجلة الدارة، عدد (٣) سنة (١٩) (١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م) ، ص ٧٦- ١١١.

(٢) فواد حمزة . في بلاد عسير (القاهرة : مطبعة دار الكتاب العربي ،(١٩٥١)، ص ٥٧ ، هادي صالح ناصر العمري . طريق البخور القديم من نجران إلى البتراء وأثار اليمن الاقتصادية عليه (صنعاء : إصدارات وزارة الثقافة والسياحة ، ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م) ، ص ٧٦.

(٣) تبالة :- وردت كثيراً في شعر الشعراء الجاهليين ، وضمن المحطات التجارية على طريق البخور الذي يجتاز بعض نواحي اليمن عبر بلاد السراة حتى الحجاز وبلاد الشام . للمزيد انظر الهمداني ، صفة ، ص ٣٣ ، ٦٢ ، ١٦٧ ، العمري ، طريق البخور ، ص ٧٦ – ٧٧ ، محي الدين علي " عبادة الارواح (القوى الخفيفة) في المجتمع العربي الجاهلي " دراسات تاريخ الجزيرة العربية . الكتاب الثاني . الجزيرة العربية قبل الإسلام (الرياض : جامعة الرياض (الملك سعود حالياً ، ١٣٩٧هـ / ١٩٧٩م) ، ص ١٦٢ .

(٤) الهمداني ، صفة ، ٢٥٣ ، ٢٥٨ ، ٣٤٠ ، محمد بن جرمان العواجي الأكلبي . تاريخ بني خثعم وبلادهم في الماضي والحاضر (الطائف : دار الحارثي للطباعة والنشر ، ١٤١٨هـ / ١٩٩٧م) ، ص ٩٣ — ٩٦ .

(٥) تبالة اليوم : اسم يطلق بصفة خاصة على مركز إداري بقرية المبرز ببلاد الفزع في أرض قبائل بلقرن وشمران ، وتقع إلى الشمال الغربي من محافظة بيشة على بعد (٤٥) كيلاً ، وتقع هذه البلدة على وادي تبالة الذي ينحدر من سروات بلقرن وخثعم وشمران حتى يصب في وادي بيشة . ويحيط بتبالة بعض الجبال الشاهقة مثل : جبال زبران ، وبشران ، وسوداء رناح ، وفي الوسط هضبة تبالة المشهورة . ويخدم هذا المركز العديد من العشائر مثل :- البطين وبني خناس ، وبني عامر ، والمصحين، والكليات ، وبني سهيم وهم جزء من قبيلة بني واس ،وبعض قبائل الحلفات ، ثم بعض من قبائل المزايدة والحصنة من أكلب ، وأغلب القبائل من الفزع من بني خثعم . للمزيد انظر ، علي إبراهيم الحربي .المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية ، منطقة عسير(أبها :ن . ن ، ١٤١٧ هـ / جـ٢ ، ص ٢٨٧ . محمد بن جرمان العواجي . بيشة (الطائف : دار الحارثي للطباعه والنشر ، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م) ، ص ٥٧ ، عبد الرحمن صادق الشريف . جغرافية المملكة العربية السعودية ، إقليم جنوب غرب المملكة (الرياض : دار المريخ ، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م) ، جـ٢، ص ٤٤٢- ٤٤٣ . وللمزيد عن بلاد تبالة في الجاهلية والقرون الإسلامية الأولى ، انظر ما ذكرناه في صفحات هذه الدراسة ، وانظر أيضاً بعض المصادر التي تم الرجوع لها في هذه الدراسة .

(٦) جمال الدين بن منظور . لسان العرب . نسقه وعلق عليه علي شيرى (بيروت : دار إحياء التراث العربي ، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م) ، حـ٢ ، ص ١٧ . فعل (تبل)

(٧) المصدر نفسه .

(٨) المصدر نفسه .

(٩) المصدر نفسه . انظر ، عبد الله عبد العزيز البكري . معجم ما استعجم . تحقيق مصطفى السقا (بيروت : عالم الكتب ، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م) مج١ ، حـ١ ، ص ٣٠١ .

(١٠) المصدر نفسه ، انظر ، شهاب الدين ياقوت . معجم البلدان (بيروت : دار صادر ، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م) ، حـ٢ ، ص ٩

(١١) عبد الكريم بن محمد السمعاني . الأنساب (بيروت : دار الحنان ، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م) حـ١ ، ص ٤٤٥ .، وأغلب القبائل من الفزع من بني خثعم . للمزيد انظر ، الحربي ، جـ١ ، ص ٢٨٧ . العواجي . بيشة ، ٥٧ ، الشريف ، جـ٢ ، ص ٤٤٢- ٤٤٣ .

(١٢) ياقوت ، حـ٢ ، ص ١٠ .

(١٣) البكري ، معجم ، مج١ ، حـ١ ، ص ٣٠١ ، ياقوت ، حـ٢ ، ص ١٠ .

(١٤) المصدران نفسهما .

(١٥) عبد الرحمن بن خلدون . تاريخ اليمن المنقول من العبر ، منشور ضمن كتاب : تاريخ اليمن لعمارة اليمني . تحقيق حسن سليمان محمود (صنعاء : مكتبة الإرشاد ، ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م) ، ص ١٩٠ .

(١٦) للمزيد عن تاريخ وموقع مخلاف جرش في منطقة عسير ، انظر ، غيثان بن علي بن جريس . " تاريخ مخلاف جرش (عسير) خلال القرون الإسلامية الأولى " مجلة العصور ، مج (٩) ، حـ (١) (رجب ١٤١٤هـ / يناير

١٩٩٤م) ، ص ٦٣- ٧٨. للمؤلف نفسه . دراسات في تاريخ تهامة والسراة خلال العصور الإسلامية المبكرة والوسيطة (ق١ – ق١٠هـ / ق٧ – ١٦م) (الرياض : مكتبة العبيكان ، ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م) ، حـ١ ، ص ٩٣ – ١٢٦ .

(١٧) عرام بن الأصبغ السلمي . كتاب أسماء جبال تهامة وسكانها وما فيها من القرى وما ينبت عليها من الأشجار وما فيها من المياه (القاهرة : مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ١٣٧٤هـ / ١٩٥٥م) ، ص ٤٢٠ .

(١٨) مشاهدات الباحث أثناء جولاته في بلاد السراة ما بين الطائف والعلاية في بلاد بلقرن خلال النصف الثاني من شهر صفر عام (١٤٢٨هـ / ٢٠٠٧م) .

(١٩) للمزيد انظر ، الشريف ، حـ٢ ، ص ٣٧٥ وما بعدها ، السيد عيسى بن علوي آل عيسى . الطائف القديم ، داخل السور في القرن الرابع عشر الهجري (الطائف : لجنة المطبوعات في التنشيط السياحي ، ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م) ، ص ٣١ .

(٢٠) الشريف ، حـ٢ ، ص ٤٤٢ – ٤٤٣ .

(٢١) عرام ، كتاب أسماء جبال تهامة ، ص ٤٢٠ .

(٢٢) الهمداني ، صفة ، ص ٢٥٣ ، ٢٥٨ ، البكري ، معجم ، مج١ ، حـ١ ، ص ٣٠١ ، محمد بن محمد بن عبد الله الإدريسي . نزهة المشتاق في اختراق الآفاق (بيروت : عالم الكتب ، ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م) ، حـ١ ، ص ١٥٠ ، ١٥١ .

(٢٣) عرام ، ص ٤٢١ .

(٢٤) شمس الدين محمد بن أحمد المقدسي . أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم . تحقيق دي غوي (ليدن : مطبعة بريل ، ١٩٠٩م) ، ص ٧٠ .

(٢٥) قدامة بن جعفر الكاتب . نبذ من كتاب الخراج وصناعة الكتابة . تحقيق دي غوي (ليدن : مطبعة بريل ، ١٨٨٩م) ، ص١٨٨- ١٨٩.

(٢٦) عبيد الله بن عبد الله بن خرداذبة . المسالك والممالك . تحقيق دي غوي (ليدن مطبعة بريل ، ١٨٨٩م) ، ص ١٣٣.

(٢٧) ياقوت ، حـ٢ ، ص ٩- ١٠ .

(٢٨) مقابلة الباحث لعدد من المسنين في بلاد بلقرن وخثعم وشمران خلال شهر صفر عام (١٤٢٨هـ / ٢٠٠٧م) ، وأكدوا أن المسافة التي يستغرقها المسافر قديماً مشياً على الأقدام من بلادهم حتى مكة تتراوح ما بين (٨- ١٠) أيام تقريباً ، وقد تزيد إذا كان المسافر يصطحب معه بعض المواشي أو الأغراض الثقيلة ، أو بعض العجزة أو المرضى الذين يحتاجون إلى مساعدة أثناء السفر .

(٢٩) مشاهدات الباحث أثناء رحلاته في بلاد تبالة وما جاورها من بلاد خثعم خلال شهري المحرم وصفر عام (١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م) .

(٣٠) الهمداني ، صفة ، ص ٤٣١ .

(٣١) خثعم قبيلة عريقة النسب تسكن في سراة الحجاز ، يمر الطريق المودي إلى أبها والطائف ببلادها . وهي تنتسب إلى خثعم بن أنمار بن إراش بن عمرو بن الغوث ، وقد تفرع من قبيلة خثعم فروع عديدة ، وغلب اسم شهران العريضة على أغلب بلاد خثعم قديماً . للمزيد انظر ، البكري ، معجم ، مج١ ، حـ١ ، ص ٥٨ ، الإكلبي ، تاريخ بني خثعم ، ص ١٩ وما بعدها

(٣٢) الهمداني ، صفة ، ص ٢٥٨.

(٣٣) البكري ، معجم ، مج١ ، حـ١ ، ص ٩٠ .

(٣٤) المصدر نفسه ، مج١ ، حـ١ ، ص ٣٠١ .

(٣٥) أحمد اليعقوبي . كتاب البلدان . تحقيق دي غوي (ليدن : مطبعة بريل ١٨٩١م (ملحق بكتاب : الإعلاق النفسية ، لابن رسته) ، ص ٣٢٠ .

(٣٦) المصدر نفسه ، ص ٣١٦ .

(٣٧) عرام ، ص ٤٢١.

(٣٨) للمزيد عن وادي تبالة والعشائر التي تستوطنه اليوم انظر ، الشريف ، حـ٢ ، ص ٤٤٢ ، الحربي ، حـ١ ، ص ٢٨٧ ، العواجي ، بيشة ، ٥٧ ، محمد بن جرمان العواجي الأكلبي . الآثار في محافظة بيشة (الرياض : مطابع الحميضي ، ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥م) ، ص ٩٥- ١٠٤ ، مزهر محمد القرني " قبيلة بلقرن وبلادها " مجلة العرب ، رجب (١٣٩٩هـ) مج (١٤)، ص ٢٣٨ – ٢٤٠ .

(٣٩) المراجع نفسها . بالإضافة إلى رحلات الباحث في وادي تبالة خلال شهري المحرم وصفر عام (١٤٢٨هـ / ٢٠٠٧م) .

(٤٠) صنم ذي الخلصة من الأصنام المشهورة قبل الإسلام ، وأشارت إليه العديد من المصادر الإسلامية الأولى ، وهناك من يؤكد على وجوده في بلدة تبالة ، وآخرون يذكرون موقعه في بلاد السراة ، ويعرف عندهم بـ(الكعبة اليمانية) . للمزيد انظر ، محمد بن عبد الله الأزرقي . أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار . تحقيق رشدي ملحس (مكة المكرمة : مطابع دار الثقافة ، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م) ، حـ١ ، ص ١٢٤ . ومن تعليقات المحقق انظر الكتاب نفسه ، حـ١ ، ص ٣٧٥ وما بعدها ، حمد الجاسر ، ص ٣٣٦- ٣٥٠. ويقال لذي الخلصه (الكعبة اليمانية) تفرقة له عن الكعبة التي بمكة ، ويطلقون على كعبة مكة المكرمة اسم (الكعبة الشامية) .

(٤١) للمزيد انظر ، الهمداني ، صفه ، ص ٣٤٠ ، اليعقوبي ، ص ٣١٩ ، قدامة ، ص ١٨٨ .

(٤٢) لمزيد من التفصيلات عن صنم ذي الخلصه انظر ، محمد بن حبيب . المحبر . (بيروت : المكتبة التجارية للطباعة ، ١٣٦٠هـ) ، ص ٣٩، ص ٣١٧ ، ياقوت ، حـ٢ ، ص ٣٨٣- ٣٨٤، تعليقات رشدي ملحس عن هذا الصنم في نهاية الجزء الأول من كتاب : أخبار مكة ، للأزرقي ، ص ٣٧٦ وما بعدها ، الجاسر ، ص ٣٣٦ وما بعدها .

(٤٣) المصادر والمراجع نفسها .

(٤٤) المصادر والمراجع نفسها .

(٤٥) المصادر والمراجع نفسها .

(٤٦) تعليقات رشدي ملحس ، كتاب الأزرقي ، حـ١ ، ص ٣٧٦ – ٣٨٨ .

(٤٧) زار الجاسر بلاد غامد وزهران وبخاصة بلاد ثروق ، التي يذكر أن صنم ذي الخلصة كان بها ، في يوم الأربعاء (١٣٩٠/٢/٢٣هـ الموافق ١٩٧٠/٤/٢٩م). انظر ، الجاسر ، ص ٣٣٦ .

(٤٨) بلاد ثروق في بلاد زهران ، ويطلق عليها أيضاً اسم (فرعة دوس) وتبعد عن بلدة المندق جهة الشمال حوالي (١٤) ميلاً . انظر ، الجاسر، ص ٥٦ – ٥٨ .

(٤٩) المرجع نفسه ، ص ٣٣٦ – ٣٥٠ .

(٥٠) المرجع نفسه، وللمزيد انظر، الأكلبي، تاريخ بني خثعم ، ص ٩٣ – ٩٦ ، مزهر القرني ، ص ٢٣٨ وما بعدها .

(٥١) انظر ، محي الدين النووي . المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج . تحقيق مأمون شيحا (بيروت : دار المعرفة ، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م) ، حـ٢ ، ٢٤٠ .

(٥٢) عماد الدين إسماعيل بن كثير . البداية والنهاية . تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي (القاهرة : دار هجر ، د . ت) ، جـ٤ ، ص ٣٧٥ .

(٥٣) ياقوت ، حـ٢ ، ص ٣٨٣.

(٥٤) ابن حبيب ، ص ٣١٧ .

(٥٥) ياقوت ، حـ٢ ، ص ٣٨٣ .

(٥٦) البكري ، معجم ، مج١ ، حـ٢ ، ص ٥٠٨ .

(٥٧) مشاهدات الباحث في بلاد بلقرن وشمران وخثعم خلال شهري المحرم وصفر عام (١٤٢٨هـ / ٢٠٠٧م) .

(٥٨) للمزيد عن جهاد الطفيل للمشركين في بلاد غامد وزهران ، انظر عبد الملك بن هشام . السيرة النبوية . تحقيق مصطفى السقا وآخرين (بيروت : دار القلم ، د . ت) حـ٢ ، ص ٢١ وما بعدها ، جمال الدين بن الجوزي . صفة الصفوة . تحقيق محمود فاخوري ومحمد قلعجي (حلب : دار الواعى ، ١٣٨٩هـ / ١٩٦٩م) حـ١ ، ص ٦٠٠ – ٦٠٤ ، عز الدين على بن الأثير . أسد الغابة في معرفة الصحابة (بيروت : دار إحياء التراث العربي ، د . ت) جـ٣، ص ٥٤ – ٥٥ .

(٥٩) المصادر نفسها . للمزيد انظر محمد بن سعد . الطبقات الكبرى (بيروت : دار صادر ، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م) ، جـ٢ ، ص ١٥٧ ، محمد عمر الواقدي . كتاب المغازي . تحقيق ما رسدن جونس (بيروت : عالم الكتب ، د.ت) ، حـ٢ ، ص ٦٨٣ . حـ٣ ، ص ٩٢٣ ، محمد بن إسماعيل البخاري. صحيح البخاري (بيروت : دار العربية للطباعة والنشر والتوزيع ، د.ت ، مج٣ ، حـ٥ ، ص ١٢٣ .

(٦٠) للمزيد من المعلومات عن صنمي ذي الكفين وذي الشرى في بلاد غامد وزهران ، انظر الجاسر ، ص ٣٣٣ – ٣٣٤ . ابن جريس ، دراسات في تاريخ تهامة والسراة ، حـ١ ، ص ٣٢ ، ٤٩ .

(٦١) انظر تعليقات رشدي ملحس عن ذي الخلصة في كتاب الأزرقي ، حـ١ ، ص ٣٧٦ وما بعدها ، الجاسر ، ص ٣٣٦ وما بعدها .

(٦٢) لمزيد من التفصيلات عن جرش، انظر ، ابن جريس ، " تاريخ مخلاف جرش" ، ص ٦٣ وما بعدها .

(٦٣) أحمد بن يحيى البلاذري . فتوح البلدان . تحقيق رضوان محمد رضوان (بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣م) ، ص ٤٣ .

(٦٤) المصدر نفسه ، خميس صالح الغامدي . العلاقات بين المسلمين والنصارى زمن الرسول (صلى الله عليه وسلم) . رسالة ماجستير . بجامعة أم القرى ، قسم الدراسات العليا التاريخية والحضارية (مكة المكرمة ، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م) ، ص ٢٨ وما بعدها ، غيثان بن علي بن جريس . نجران دراسة تاريخية حضارية (ق١ – ق٤هـ / ق٧ – ق١٠م) (الرياض : مكتبة العبيكان ، ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م) ، حـ١ ، ص ٤٨ ، ص ٧٤ ، المؤلف نفسه ، " تاريخ مخلاف جرش ... " ، ص ٦٤ وما بعدها .

(٦٥) المصدر والمراجع نفسها .

(٦٦) المصدر والمراجع نفسها .

(٦٧) للمزيد عن صرد بن عبد الله الأزدي وعن بلاد جرش ، انظر ، ابن جريس " تاريخ مخلاف جرش ... " ، ص ٦٣ وما بعدها .

(٦٨) المتتبع لانتشار الإسلام في عهد الرسول (صلى الله عليه وسلم) ، كان يحرص (عليه الصلاة والسلام) إلى إرسال دعاته إلى نواحي الجزيرة العربية

كي يبلغوا الرسالة بشكل صحيح ، ويفقهوا الناس في كل ما يجهلون من أمور دينهم . ودنياهم . للمزيد انظر ، محمد حميد الله . مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة (بيروت : دار النفائس ، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م) ، ص ٥٧ وما بعدها .

(٦٩) كانت الطريق الرئيسة التي تخرج من الطائف إلى جرش ونجران وصنعاء تمر ببلدة تبالة ، بل كانت من المحطات الرئيسة على هذا الطريق . للمزيد انظر ، الهمداني ، صفه ، ٣٤٠ ، ابن جريس ، دراسات ، حـ١ ، ص ٣٤٧ وما بعدها .

(٧٠) للمزيد عن ترجمة قطبة بن عامر ، انظر ، ابن سعد ، حـ٣ ، ص ٥٧٨ – ٥٧٩ .

(٧١) الواقدي وابن سعد ذكرا إرسال السرية مع اختلاف في بعض الألفاظ ، أما الحقائق فهي متقاربة جداً ، للمزيد انظر ، الواقدي ، حـ٢ ، ص ٧٥٤ – ٧٥٥ ، حـ٣ ، ص ٩٨٠ ، ابن سعد ، حـ٢ ، ص ١٦٢ .

(٧٢) ابن سعد ، حـ٢ ، ص ١٦٢. حـ٣ ، ص ٥٧٩ .

(٧٣) للمزيد عن ترجمة جرير بن عبد الله البجلي ، انظر ، كتاب :- الإمامة والسياسة ، المنسوب إلى عبد الله بن مسلم بن قتيبة . تحقيق طه زيني (بيروت، دار المعرفة، ١٣٧٨هـ/١٩٦٧م)، حـ١ ، ص ٨٢. ابن جريس ، دراسات ، حـ١ ، ص ١٥٧.

(٧٤) ابن الجوزي ، حـ١ ، ص ٧٤١ . وللمزيد انظر ، ابن هشام ، حـ١ ، ٨٨ ، البخاري ، مج٣ ، حـ٥ ، ص ١١١- ١١٢ . مج٤ ، حـ٨ ، ١٠٠ ، تعليقات رشدي ملحس ، بنهاية كتاب الأزرقي ، حـ١ ، ص ٣٧٤ .

(٧٥) ابن سعد ، حـ١ ، ص ٣٤٧ – ٣٤٨ .

(٧٦) المصدر نفسه، وللمزيد انظر، البخاري ، مج٣ ، حـ٥ ، ص ١١١ – ١١٢ .

(٧٧) ابن سعد ، حـ١ ، ص ٣٤٧ – ٣٤٨ .

(٧٨) للمزيد عن حركة الردة في الجزيرة العربية وبخاصة جنوبها ، انظر ، محمد بن جرير الطبري . تاريخ الأمم والملوك . تحقيق ابو الفضل إبراهيم (بيروت : دار سويدان ، ١٣٨٢هـ / ١٩٦٢م) ، حـ٣ ، ص ٢٢٣ وما بعدها ، ابن جريس ، دراسات ، حـ١ ، ص ٣٧ .

(٧٩) لمزيد من الإيضاح عن قبيلة بجيلة التي كانت تجاورها قبيلة خثعم في أرض السراة ، انظر أحمد بن علي القلقشندي . صبح الأعشى في صناعة الإنشاء . تحقيق محمد عبد الرسول (القاهرة : المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر ، ١٣٨٣هـ / ١٩٦٣م) ، حـ١ ، ص ٣٢٩ ، عمر رضا كحالة . معجم قبائل العرب القديمة والحديثة . (بيروت : موسسة الرساله ، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م) ، حـ١ ، ص ٦٣ – ٦٥ .

(٨٠) محمد بن فهد . إتحاف الورى بأخبار أم القرى . تحقيق فهيم شلتوت (مكة المكرمة : مركز البحث العلمي بجامعة أم القرى ، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م) ، حـ١ ، ص ٥٦٧.

(٨١) للمزيد عن بلاد السراة خلال القرون الإسلامية الأولى ، انظر ، الهمداني ، صفة ، ص ٢٥٥ وما بعدها ، العلي ، ص ١- ٩ ، ابن جريس " بلاد السراة ... " ، ص ٧٦ وما بعدها .

(٨٢) ابن جريس ، دراسات ، حـ١ ، ص ٩٣ وما بعدها ، للمؤلف نفسه ، نجران ، حـ١ ، ص ٦٠ ، ١١٨.

(٨٣) ابن خرداذية ، ص ١٣٣ ، الإدريسي ، حـ١ ، ص ١٥٠ ، ص ١٥١ ، قدامة ، ص ١٨٩ .

(٨٤) ياقوت ، حـ٢ ، ص ٩ .

(٨٥) انظر ، الأدريسي ، حـ١ ، ص ١٥١ .

(٨٦) لمزيد من التفصيلات عن الشاعر عبد الله بن عبيد الله السلولي الخثعمي ، المعروف بـ(ابن الدمينة) ومقتله في بلدة تبالة ، انظر ، أبو الفرج الأصفهاني . كتاب الأغاني . تحقيق علي محمد البجاوي (بيروت : موسسة جمال للطباعة والنشر ، د.ت) ، حـ١٧ ، ص ٩٣ — ١٠٥ .

(٨٧) المصدر نفسه ، حـ١٧ ، ص ٩٧ — ٩٨ .

(٨٨) في العهد الأموي وعصر بني العباس الأوائل كان ولاة الحجاز ، وبخاصة مكة المكرمة يتولون الإشراف على الطائف وبلاد السراة حتى اليمن ، وأحياناً تجمع لهم ولاية الحجاز واليمامة واليمن ، وهم بدورهم يرسلون من قبلهم من يتولى أمور النواحي الصغيرة في هذه الأقاليم . للمزيد انظر ، الطبري ، حـ٦ ، ص ٢٠٢ ، ٤٢٦ ، ٤٤٧ ، ٤٦٤ ، ٤٨١ ، ٦٢٠ . حـ٧ ، ص ١٤ ، ٢٠ ، ٩١ ، ٢٢٦ ، تقي الدين محمد الفاسي . شفاء الغرام باخبار البلد الحرام . تحقيق لجنة من العلماء (بيروت : دار الكتب العلمية ، د.ت) حـ٢ ، ص ١٦٦ ، ١٦٧ ، ١٧٤ ، غيثان بن علي بن جريس . " بلاد السراة في العصر الأموي :- دراسة لبعض مظاهر الحضارة " دراسات تاريخ الجزيرة العربية ، الجزيرة العربية في العصر الأموي (الرياض : مطابع جامعة الملك سعود، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م) ، ص ١٤٩ — ١٦٤ .

(٨٩) عبد الله بن مسلم بن قتيبة . عيون الأخبار (بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦م) مج ١ ، جـ١ ، ص ١٤٥ — ١٤٦ .

(٩٠) الفاحص للوثائق الخاصة بقبائل السراة أو عموم قبائل الجزيرة العربية خلال القرون الماضية المتأخرة ، والسامع لروايات الأوائل يدرك أن الأمن بين سكان هذه القبائل كان معدوماً ، وكانت الفوضى والحروب هي السايدة بينهم . وبعد مجيء الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود سعى إلى تأسيس المؤسسات الإدارية الحكومية التي تعمل على ضبط الأمن في

البلاد ومحاربة النعرات القبلية ، وقد نجح في ذلك واستطاع أن يوحد البلاد ويقضي عل جميع الصراعات والفتن التي كانت منتشرة بين جميع البطون والعشائر .

(٩١) نجدة بن عامر الحنفي من الخوارج (٣٦ – ٦٩ هـ / ٦٥٦ – ٦٨٨ م) ، ثار ضد بني أمية ، ومد نفوذه على نجد والبحرين وبلاد السراة واليمن ، ثم اندحر وهزم أمام جيوش بني أمية . محمد بن يحيى الصنعاني ابن زيارة . مختصر أنباء اليمن ونبلائه في الإسلام ضمن مجاميع لكتاب بعنوان : الأنباء عن دولة بلقيس وسباء (صنعاء : مكتبة اليمن الكبرى ، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤ م) ، ص ٤٠ وما بعدها ، الجاسر ، ص ٣٠٦ ، خير الدين الزركلي . الأعلام (بيروت : دار العلم للملايين ، ١٩٨٤م) ، جـ٢ ، ص ١٠ .

(٩٢) للمزيد عن ثورة عبد الله بن الزبير (رضي الله عنه) في وجه الأمويين ، انظر الطبري ، حـ٦ ، ص ١١٧ ، ١٧٤ ، ١٨٧ ، الفاسي ، شفاء ، حـ٢ ، ص ١٦٨ . أحمد السباعي، تاريخ مكة (مكة : دار مكة للطباعة والنشر ، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م)، ص ٩٣ – ١٠٦ .

(٩٣) ابن زيارة ، ص ٤١ وما بعدها .

(٩٤) كان نجدة الخارجي مع نافع بن الأزرق الخارجي ، ثم فارقه واستقل بثورته في اليمامة ثلاث سنوات (٦٦ – ٦٩ هـ/ ٦٨٥ – ٦٨٨م)، الجاسر، ص ٣٠٦ ، الزركلي ، جـ٢ ، ص ١٠ .

(٩٥) الجاسر ، ٣٠٦ – ٣٠٧ .

(٩٦) للمزيد عن أبي حمزة ، وطالب الحق وما قاما به من خراب ودمار أثناء ثورتهما على بني أمية ، انظر ، الطبري ، حـ٧ ، ص ٣٤٨ ، ٣٧٤ ،

٣٩٣ – ٤١١ ، الفاسي، شفاء ، حـ٢ ، ص ١٧٥ – ١٧٦ ، الجاسر ، ص ٣٠٨ – ٣١٥ . السباعي ، ص ١٠٩ .

(٩٧) كتنة : قرية قديمة ذكرها الرداعي في أرجوزته ، فقال

سيري إلى كتنة سير الجدِّ قصداً وليس الجور مثل القصد

وهي على جانب وادي الخليج الذي يلتقي مع وادي تبشع ، ويرفدان وادي يعرى ، وهي لعشيرة ناهس من قبيلة شهران . انظر ، الهمداني ، صفة ، ص ٤٢٤ ، الحربي ، حـ٣ ، ص ٣٨٨ .

(٩٨) الطبري ، حـ٧ ، ص ٣٧٤ ، ٣٩٣ وما بعدها ، الجاسر ، ص ٣٠٨ وما بعدها .

(٩٩) الفاسي ، شفاء ، حـ٢ ، ص ١٧٦ وما بعدها ، غيثان بن على بن جريس " الإمارة في الحجاز خلال العصر العباسي الأول (١٣٢ – ٢٣٢هـ / ٧٤٩ – ٨٤٦م) دراسة نشرت باللغة الإنجليزية في مجلة العصور . مج (٧) حـ١ (١٤١٢هـ / ١٩٩٢م) ، ص ١٣ – ٢١ .

(١٠٠) ابن جريس ، نجران ، حـ١ ، ص ٣٤٠ وما بعدها ، للمؤلف نفسه " الإمارة في الحجاز .. " ، ص ١٣ وما بعدها .

(١٠١) هؤلاء الجغرافيون والمؤرخون ذكروا في نصوص متفاوتة هيمنة شيوخ القبائل على عشائرهم في بلاد السراة ، وتبالة ناحية من نواحي السراة التي يسودها ما ساد غيرها من البلاد . الهمداني صفة ، ص ٢٦١ ، أبو معين الدين ناصر خسرو . سفرنامة (رحلة ناصر خسرو) ترجمه من الفارسية أحمد خالد البدلي (الرياض : عمادة شؤون المكتبات بجامعة الملك سعود ١٩٨٣م) ، ص ١٤٢ ، جمال الدين يوسف بن المجاور . صفة بلاد اليمن ومكة وبعض الحجاز المسماة تاريخ المستبصر ، تصحيح أوسكر

لوفغرين (ليدن : مطبعة بريل ، ١٩٥١ م) ، جـ١ ، ص ٢٦ ، ٢٧ ، ابن خلدون ، ص ١٩٠ .

(١٠٢) ابن المجاور ، حـ١ ، ص ٣٨ .

(١٠٣) المصدر نفسه ، حـ١ ، ص ٢٦ .

(١٠٤) المصدر نفسه ، حـ١ ، ص ٢٧ .

(١٠٥) الزيديون نسبة إلى زيد بن علي بن زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب ، نشأت الدولة الزيدية في صعدة على يد الإمام الهادي يحيى بن الحسين بن القاسم عام (٢٨٤هـ / ٨٩٧م) ، واستمرت هذه الدولة تحكم اليمن الأعلى إلى القرن الرابع عشر الهجري / العشرين الميلادي . للمزيد انظر ، عبد الواسع الواسعي . تاريخ اليمن المسمى فرجة الهموم والحزن في حوادث وتاريخ اليمن (صنعاء . الدار اليمنية للنشر ، ١٤١٤هـ / ١٩٨٤م) ، ص ١٦٦ – ١٦٨ .

(١٠٦) للأطلاع على سيرة الإمام العياني منذ ولادته حتى وفاته ، انظر . الفقيه القاضي الحسين أحمد بن يعقوب . سيرة الإمام المنصور بالله القاسم بن علي العياني . تحقيق عبد الله محمد الحبشي (صنعاء : دار الحكمة اليمنية ، ١٤١٧هـ / ١٩٩٦م) ، ص ١١ وما بعدها .

(١٠٧) المصدر نفسه ، ص ١١ – ١٢ ، ص ١٩ وما بعدها .

(١٠٨) المصدر نفسه ، للمزيد انظر مفرح بن أحمد الربعي . سيرة الأميرين الجليلين الشريفين ، نص تاريخي يمني من القرن الخامس الهجري . تحقيق رضوان السيد ، وعبد الغني عبد العاطي (بيروت : المنتخب العربي للدراسات والنشر ، ١٤١٣هـ / ١٩٩٣م) ، ص ١٧ وما بعدها ، ابن يعقوب ، ص ٢٨ وما بعدها ، الواسعي ، ص ١٧٩ وما بعدها .

(١٠٩) الدولة الصليحية : نسبة إلى موسسها على بن محمد الصليحي عام (٤٣٩هـ / ١٠٤٥م) الذي استولى على أجزاء كبيرة من بلاد اليمن ، واستمرت هذه الدولة في أولاده وأحفاده عشرات السنين (٤٣٩ – ٥٣٢ هـ / ١٠٤٧ – ١١٣٧م) انظر الربعي ، ص ٧٦ وما بعدها ، الحسين فيض الله الهمداني . الصليحيون والحركة الفاطمية (القاهرة : م.ن ، ١٩٥٥م) ، ص ٣٥ وما بعدها .

(١١٠) للمزيد انظر ، الربعي ، ص ١٢٠ – ١٤٠ .

(١١١) تمتاز بلاد السراة بارتفاع جبالها ، وصعوبة مسالكها ، وشراسة وشجاعة أهلها ، ولهذا كانت على مر العصور الإسلامية المبكرة والوسيطة في عزلة عن الدويلات السياسية التي ظهرت في اليمن ، أو الإمارات المحلية في الحجاز ، وإن اتصل ساسة هذه النواحي بأرض السراة فليس إلا لطلب نصرة أو حماية مما يداهمهم في أوطانهم . وأكبر مثال على ذلك الإمام العياني وأولاده وأحفاده الذين كانوا في صراعات دامية مع بعض القوى في اليمن ، واذا انهزم بعضهم لاذوا بالفرار إلى أرض السروات ، وبخاصة مسقط رأس والدهم العياني في تبالة وبيشة وما جورهما . للمزيد انظر ، الربعي ، ص ١٢١ وما بعدها ، ابن جريس ، دراسات ، حـ١ ، ص ٢٣ وما بعدها .

(١١٢) انظر أبو حاتم عبد الرحمن الرازي . آداب الشافعي ومناقبه . تحقيق عبد الغني عبد الخالق (بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٤٠٦ هـ /) ، ص ١٢٩ وما بعدها ، الربعي ، ص ١٣٥ – ١٣٦ ، ابن المجاور حـ٢ ، ص ٢٠٩ ، ابن جريس ، نجران ، حـ١ ، ص ٣٨٦ – ٣٩٢ .

(١١٣) الربعي ، ص ١٢٨ ، ١٣٥ .

(١١٤) هنا العديد من الأمثلة التي ذكرت صلات الأشراف في مكة ببلاد السراة . الربعي ، ص ١٢٤ ، ١٢٦ ، ابن فهد ، إتحاف ، جـ٢ ، ص ٤٦٩ ، ٥٤٨ ، وللمزيد انظر ، غاية المرام بأخبار سلطنة البلد الحرام ، لعز الدين بن فهد ، السباعي ، تاريخ مكة.

(١١٥) الهمداني ، صفة ، ص ٤٣١.

(١١٦) المصدر نفسه ، ص ٣٤٠، ٣٤٣، ٤٣٠ ، إبراهيم بن إسحاق الحربي . كتاب المناسك ، وأماكن طرق الحج ومعالم الجزيرة . تحقيق حمد الجاسر (الرياض : منشورات دار اليمامة ، ١٤٠١هـ /١٩٨١م) ، ياقوت ، جـ٢ ، ص ٩. اليعقوبي ، ص ٣١٦ ، ٣٢٠ .

(١١٧) قدامة ، ص ١٨٨.

(١١٨) ابن خرداذبة ، ص ١٣٣.

(١١٩) الإدريسي ، جـ١ ، ص ١٥٠ .

(١٢٠) لمزيد من التفصيلات انظر ، ابن جريس ، نجران ، جـ١ ، ص ٦٠ وما بعدها، للمؤلف نفسه ، دراسات ، جـ١ ، ص ٢٣ وما بعدها .

(١٢١) الأدريسي ، جـ١ ، ص ١٥١ ، ١٥٢ .

(١٢٢) الهمداني ، صفة ، ص ٣٤٣ . للمزيد انظر ، جواد علي . المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام (بغداد : جامعة بغداد ، ١٤١٣/ ١٩٩٣م) ، جـ٧ ، ص ٣٦١ ، ٣٦٢ ، ٣٦٣ .

(١٢٣) محمد بن عبد المنعم الحميري . الروض المعطار في خبر الأقطار . تحقيق إحسان عباس (بيروت : مكتبة لبنان ، ١٣٩٥ هـ /١٩٧٥م) ص ١٢٩ .

(١٢٤) أحمد بن علي القلقشندي . صبح الأعشى في صناعة الإنشاء : تحقيق وزارة الثقافة والإرشاد بمصر (القاهرة : المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر ، ١٣٨٣ هـ / ١٩٦٣ م) ، جـ٥ ، ص ٤٣ .

(١٢٥) مشاهدات الباحث ورحلاتة في بلاد خثعم وشمران و بلقرن خلال شهري المحرم وصفر عام (١٤٢٨هـ / ٢٠٠٧ م) .

(١٢٦) ديوان امرئ القيس . تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم (القاهرة : دار المعارف ، مصور عن طبعة دار الكتب المصرية ، ١٩٢٥م) ، ص ٩٩. وقد ورد هذا البيت برواية أخرى :

هما نعجتان من نعاج تبالة لدى جؤذرين أو كبعض دمى هكر

(١٢٧) الهمداني ، صفة ، ص٢٦٩ .

(١٢٨) رحلات الباحث في وادي تبالة خلال شهري المحرم و صفر عام (١٤٢٨ هـ / ٢٠٠٧م) .

(١٢٩) الهمداني ، صفة ، ص ٣٧٠ .

(١٣٠) ياقوت ،جـ٢ ، ص ١٠ .

(١٣١) ديوان أوس بن حجر . تحقيق محمد يوسف نجم (بيروت : دار صادر ، ١٣٨٠هـ / ١٩٦٠م) ، ص ٧ .

(١٣٢) البكري ، معجم ، مج١ ، جـ٢ ، ص ٦٧٣ .

(١٣٣) ياقوت ، جـ٢ ، ص ٩ .

(١٣٤) شرح ديوان لبيد بن ربيعة . تحقيق إحسان عباس (الكويت : وزارة الإرشاد والأنباء ١٩٦٢م) ، ١٧٨ .

(١٣٥) أسامة بن منقد . المنازل والديات (م.ن : ن.ن.، د.ت) ، ٤٥.

(١٣٦) الهمداني ، صفة ، ص ٣٧٩.

(١٣٧) المصدر نفسه ، ص ٤٣٠ .

(١٣٨) المصدر نفسه ، ص ٤٣١ .

(١٣٩) المصدر نفسه .

(١٤٠) العواجي



الدراسة العاشرة



رسائل الإمام القاسم بن علي العياني إلى أهل عثر ونجران في أواخر القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي) (٣٨٨- ٣٩٣هـ / ٩٩٨- ١٠٠٢م) (دراسة تاريخية تحليلية). (*)

إعداد

أ . د. غيثان بن علي بن جريس

(*) نشر هذا البحث في مداولات اللقاء العلمي السنوي السابع لجمعية التاريخ والآثار بدول مجلس التعاون لدول الخليج العربي المنعقد في مدينة المنامة بدولة البحرين الشقيقة ، في الفترة من (٢٠-٢٣/ ربيع الأول / ١٤٢٧هـ / الموافق ١٨-٢١/ أبريل / ٢٠٠٦م) ، ص ١٩٧-٢٥٠ .

محتويات الدراسة العاشرة

م	العنوان	أرقام الصفحات
أولاً	مقدمة	٤٧٣
ثانياً	نشأة الإمام العياني وحياته السياسية والإدارية	٤٧٣
ثالثاً	بلاد عثر ونجران قبل عصر الإمام العياني	٤٧٧ – ٤٨٥
	١- عثر	٤٧٧
	٢- نجران	٤٨٤
رابعاً	رسائل الإمام العياني إلى أهل عثر ونجران	٤٨٦ – ٤٩٧
	١- الرسالة الأولى إلى العبدين أميري عثر ...	٤٨٦ – ٤٨٨
	٢- الرسالة الثانية إلى أهل نجران	٤٨٩ – ٤٩٣
	٣- الرسالة الثالثة إلى أهل نجران	٤٩٣ – ٤٩٧
خامساً	دراسة وصفية تحليلية للرسائل	٤٩٨ – ٥٠٠
سادساً	الخاتمة : النتائج وتوصيات البحث	٥٠١ – ٥٠٨
سابعاً	الملاحق :	٥٠٩ – ٥١٦
	١- ملحق رقم (١)	٥٠٩ – ٥١٢
	٢- ملحق رقم (٢)	٥١٢ – ٥١٤
	٣- ملحق رقم (٣)	٥١٤ – ٥١٦
ثامناً	الحواشي والتعليقات	٥١٧ – ٥٣٤

أولاً : مقدمة :

ظهر في جنوب الجزيرة العربية حالة من الفوضى والتمزق والاضطراب وبخاصة خلال العهود الإسلامية الوسيطة(ق٣ـ ق١٢هـ/ ق٩ـ١٨م)، وذلك لبروز عدد من القوى السياسية المعادية بعضها لبعض ، وضعف السلطة المركزية المتمثلة في الخلافة الإسلامية في العراق أو مصر وغيرهما .[١] وكون هذه الدراسة تدور في فلك ثلاث مناطق من جنوب الجزيرة العربية هي :ـ صعدة ، وصنعاء (الجزء الجبلي من اليمن) التي كان يستوطنها الإمام الزيدي العيَّاني في فترة حكمه لليمن [٢] ، ومدينة عثَّر بمنطقة جازان اليوم وتحديداً بلاد بيش.[٣] ثم بلاد نجران المحاذية لبلاد صعدة من الشمال.[٤] وقبل التعرض لدراسة الرسائل التي أرسلها الإمام العيَّاني إلى أهل عثَّر ونجران ، فإني سوف أورد نبذة مختصرة عن الحياة السياسية والإدارية للإمام العيَّاني ، ثم أطلع القارئ على أوضاع بلاد عثَّر ونجران السياسية قبيل وأثناء حكم هذا الإمام لبلاد اليمن (٣٨٨ـ٣٩٣هـ/ ٩٩٨ـ١٠٠٢م) ، وأخيراً أركز حديثي على الرسائل المرسلة من الإمام إلى العثَّريين والنجرانيين مع دراستها واستخراج النتائج المستخلصة منها .

ثانياً : نشأة الإمام العيَّاني وحياته السياسية والإدارية :

العيَّاني :ـ هو الإمام القاسم بن علي بن عبد الله بن محمد بن الإمام القاسم إبراهيم الرسي الحسيني اليمني المعروف بالعياني[٥] ، وأحد أئمة الزيدية الكبار[٦] . ولد سنة (٣١٠هـ / ٩٢٢م) في تبالة من بلاد خثعم

بأرض السراة (٧) ونشأ في أرض خثعم قريباً من بلاد بيشة (٨) ، وعاش معظم حياته في أرض السروات ، وكان له رحلات إلى الحجاز واليمن ، مع أن جل وقته قضاه في العبادة والقراءة والتأليف .(٩) إلى جانب أنه كان على صلات بأحوال اليمن السياسية ، وبخاصة مواطن الأئمة الزيدية فيها مثل :- صنعاء وصعدة .(١٠) وفي عام (٣٨٣هـ/٩٩٣م) رأى بعض اليمنيين الزيديين عدم وجود إمام قادرا على جمع شملهم وتوحيد بلادهم تحت راية واحدة ، عندئذ ذهبوا إلى الإمام العيَّاني في بلاد خثعم ، وفي أرض ترج تحديداً ،(١١) وعرضوا عليه القدوم إلى صعدة كي يتولى أمرهم السياسي ، وبعد إلحاح منهم ذهب معهم ، لكنه لم يجد الوفاء والإخلاص الذي وعدوه به ، فعاد إلى موطن أهله وذويه في ترج ، وبقي على عادته في العبادة والقراءة حتى عام (٣٨٨هـ/٩٩٨م)، ثم قدم عليه وفد يمني زيدي آخر وأقنعوه بالذهاب معهم ووعدوه بالنصرة والإخلاص .(١٢) وكان قد كتب لهم رسائل عديدة وقال لهم أقوالاً بليغة ،(١٣) منها :- " **لستم أعزكم الله تجهلون حالي ، ولا كيف كان سبيل مدخلي مع أهل الزمان ، أنتم تعلمون أعزكم الله أني أقمت نيِّفا وعشرين سنة معتزلاً في رأس جبل ، وأهل اليمن يختلفون إلي عاماً بعد عام ، ويسألوني مع ذلك القيام ، فلم أسعفهم على مسألتهم لا جاهلاً لما في ذلك من الثواب ، ولا زاهداً في طاعة رب الأرباب ، ولكن لعلمي بأهل زماني ، وما هم عليه من كثرة الإدغال والميل إلى المحال ...**"(١٤) .

وبعد الإلحاح الشديد من ذلك الوفد ، قام بالدعوة إلى نفسه بالإمامة في شوال سنة (٣٨٨هـ /٩٩٨م) من موقعه في ترج ، ثم خرج مع بعض رجاله متوجهاً جنوباً فعبر بلاد خثعم (شهران العريضة اليوم)(١٥) ، وأجزاء من بلاد قحطان مثل : سنحان وجنب (١٦) ، وبلاد يام في نجران ،(١٧) حتى دخل صعدة في المحرم سنة (٣٨٩هـ/٩٩٨م) ، وبدأ حياته السياسة إماماً وحاكماً للأجزاء الجبلية من اليمن ، وعانى فيها كثيراً من الاضطرابات والتمرد على حكمه ، وكانت بلاد نجران وصعدة وصنعاء من أكثر المواطن التي خرج بها مناوؤن له ، كما بعث جيوشاً عديدة إلى نجران وأهل صعدة ، فحاربهم وخرب بعض بلادهم ومزارعهم وحصونهم (١٨) أيضاً ثار في وجهه بعض الزيديين الطامعين في حكم اليمن أو أجزاء منه ، وعند ما رأى الإمام العيَّاني عدم انقياد البلاد لحكمه ، وتزايد أهل الفتن والتمرد قرر التخلي عن الأمر والنهي ، واعتزل في بلدة عيان (١٩) ، حتى توفي فيها في شهر رمضان سنة (٣٩٣هـ/١٠٠٢م) (٢٠).

كان للإمام العيَّاني نظريات قيمة في الإدارة والسياسة ، نلاحظها واضحة جلية في سيرته الخاصة ، التي وصلتنا تحت عنوان :ـ **سيرة الإمام المنصور بالله القاسم بن علي العيَّاني** . للفقيه القاضي الحسين بن أحمد بن يعقوب .(٢١) وهذه السيرة تتميز بحصيلة جيدة من الوثائق الإدارية والسياسية التي ربما لا نجدها في مصادر متأخرة ، وهي تعطي صورة طيبة عن حياة النظام السياسي آنذاك.(٢٢) كما توجد بها بعض المعاهدات والإرشادات العامة التي كان يوجهها الإمام إلى عماله في النواحي التي تقع تحت نفوذه ،

ومن تلك النصائح كيفية تصريف الأموال وقبض الجبايات وهذا مما يضيف بعض الجديد على كتب الخراج المتقدمة على عصر الإمام العيَّاني بقليل ، ككتاب **الخراج** للقاضي أبي يوسف (١٨٢هـ/٧٩٨م) [٢٣] **والخراج** ، لابن آدم القرشي (٢٠٣هـ/٨١٨م)، [٢٤] **وكتاب الأموال** ، لابن سلام (٢٠٤هـ/٨١٩ م).[٢٥] وتوجد ضمن تلك الوثائق نصائح سياسية في دقائق الحكم وإرشاد الحاكم [٢٦] .

ونجد في السيرة نهج الإمام السياسي وسلوكه العام، فكان صاحب رسالة ومنهج ديني إصلاحي عبر عنه في أعماله ورسائله إلى عماله وأولاده وبعض مشائخ البلاد [٢٧] وغيرهم فهو لا يميل إلى التشدد، ولا يحب أن يتورط في إزهاق الأرواح ، بقدر الإمكان ، بل كان صاحب التزام دقيق لسنة السلف الصالح في تعيين الحكام وتوليتهم للبلاد . وأحياناً كان متشدداً في إقامة العدل وإبعاد الحكام المستبدين دون مراعاة لنفوذهم ، وهذا مما جعل بعضهم يعلن العصيان والتمرد عليه .[٢٨] وكان صاحب فكر وعلم وله مؤلفات عديدة في الفقه والأصول وعلم الكلام ، فتراه حريصاً على نشر العلم وتطبيق العدل الذي دعا إليه في فكره السياسي ملتزماً بما جاء عن الرسول (صلى الله عليه وسلم) ، محارباً بقدر الإمكان الفكر الشيعي المغالي ليبين أن الزيديين بعيدون عن مغالاة الروافض وتشديدهم في مسألة الصحابة (رضي الله عنهم) وأمور الولاء والبراء ،[٢٩] مقتفياً بذلك نهج الإمام زيد بن علي بن زين العابدين وما جاء عنه في هذه المسائل .[٣٠]

ثالثاً : بلاد عثَّر ونجران قبل عصر الإمام العيَّاني:

١- عثَّر:

عثَّر :ـ اسم بلدة في منطقة جازان وفي محافظة بيش تحديداً[٣١] ، وهي مأخوذة من الفعل (عثَّر) أو(أعْثرَ) [٣٢] ، والعثرة :ـ الزلة ، ويقال عثَّر به فرسه فسقط [٣٣] ، وتعثر لسانه :ـ أي تلعثم[٣٤] ، وذكر موضع (عثَّر) عند بعض المؤرخين والأدباء والجغرافيين والرحالة المسلمين الأوائل أمثال اليعقوبي ، وابن خرداذية ، والمقدسي ، والهمداني ، والحموي ، والإدريسي ، وعمارة اليمني وغيرهم ، وأشاروا إلى وقوعها ضمن محطات الطريق الساحلي الرئيسي الذي يربط بين اليمن والحجاز [٣٥] بل أشار بعضهم إلى أنها مدينة وأحياناً منطقة واسعة عرفت باسم (مخلاف عثَّر)[٣٦] ومنهم من أعطى تفصيلات عن وضعها السياسي والحضاري ، فالهمداني يتحدث عن بيش فيقول : " **ثم بيش ويه موالي قريش ، وساحله عثَّر ، وهو سوق عظيم شأنها** "[٣٧] و يذكر عنها المقدسي والمتوفى سنة ٣٨٠هـ/ ٩٩٠م) قوله " [٣٨]**... وناحية عثَّر ناحية جليلة ، عليها سلطان برأسه ، ومدنها نفيسة ، وعثر مدينة كبيرة طيبة مذكورة لأنها قصبة الناحية ، وفرضت صنعاء وصعدة ، بها سوق حسن ، وجامع عامر يحمل إليها الماء من بعيد ، وحمامها وضر ، وبيش أطيب هواء منها ، وأعذب ماء ...** " [٣٩] وذكر ياقوت نقلاً عن عمارة " **عثَّر على مسيرة سبعة أيام في عرض يومين وهي من**

الشرجة إلى حلي ، ويبلغ ارتفاعها في السنة خمسمائة ألف دينار ... تعد في أعمال زبيد ، وهي معروفة بكثرة الأسود " (٤٠)

فالواضح من هذه المصادر وغيرها من كتب التراث الإسلامي التي تشير إلى أن عثَّر تنضوي إلى منطقة واسعة ، تمتد من الشرجة (الموسم حاليا) إلى بلدة حلى بن يعقوب جنوب القنفذة بـ (٦٠) كيلاً (٤١) ، وهذا ما كان واضحاً عند كل من الهمداني وعمارة وياقوت لكن هذه البلاد الواسعة كان لها أيضاً حاضرة رئيسة هي مدينة عثَّر التي تقع ضمن بلاد بيش الحالية . ويبدو أن عثَّر وبيش كانتا من المدن الرئيسة قبيل وأثناء القرون الإسلامية الأولى . (٤٢)

والذاهب إلى محافظة بيش اليوم يلاحظ آثار مدينة عثَّر لازالت بارزة على هضبة رملية على سيف البحر الأحمر . بمحاذاة قرية الجعافرة، من الجهة ا لغربية (٤٣) ، وموقعها المعروف حالياً مطابقاً لما أورده ابن حوقل ، من أهل القرن ا لرابع الهجري / العاشر الميلادي، الذي وصف موقعها بعد حمضة (القحمة حالياً) (٤٤) في إطار الخارطة التي رسمها للبلاد العربية على ساحل البحر المقابل ساحل القلزم . (٤٥) ويعرف موقعها ا ليوم بالمنطقة المحاطة بالسياج الحديدي الذي تشرف عليه الهيئة العليا للسياحة والآثار في المملكة العربية السعودية، ويوجد على أرضها قطع الفخار الصغيرة وبقايا الأوعية والأدوات الأثرية المختلفة . (٤٦) ولازالت المسؤولية ملقاة على عواتق الآثاريين المتخصصين ، وكذلك المؤسسات العلمية التي يجب عليهم جميعاً أن يتضافروا في جهودهم كي يدرسوا وينقبوا عن آثار هذه المدينة وأمثالها في

أنحاء البلاد السعودية ، ونحن على يقين إذا وجد الداعمون مادياً ومعنوياً ، وتوفر الدارسون المتخصصون فإننا سوف نحصل على صفحات تاريخية مشرقة لمثل هذه المواطن الحضارية القديمة .

أما الحياة السياسية والإدارية لمخلاف عثَّر قبيل وأثناء ظهور الإسلام فكانت تسوده عرى التفكك والتسلط القبلي مثله مثل بقية أجزاء الجزيرة العربية ،[٤٧] وهكذا ظل على هذا الحال حتى وصلت رسالة الإسلام إلى سكان هذه البلاد فاندرجوا في منظومة الدولة الإسلامية وصاروا تابعين لعاصمة الدولة في المدينة المنورة ، ثم استمروا في تبعيتهم لوالي الحجاز أيام خلفاء بني أمية (٤٠_١٣٢هـ/ ٦٦٠_٧٤٩م)، ثم بني العباس الأول (١٣٢_١٩٨هـ/٧٤٩_٨١٣م) .[٤٨] وفي عهد الخليفة العباسي المأمون (١٩٨_ ٢١٨هـ/٨١٣_٨٣٣م) نجد عمارة اليمن (ت٥٦٩هـ/١١٧٣م)[٤٩] ينفرد ببعض التفصيلات الخاصة بمخلاف عثَّر وما جاوره من النواحي التهامية ، فيذكر أن الخلافة العباسية سلكت سياسة مغايرة للأجزاء التهامية الممتدة من جنوب مكة إلى عدن ، فعملت على فصل تبعيتها عن الحجاز أو الأجزاء الجبلية من بلاد اليمن في صنعاء وصعدة وما حولهما ، وجعلتها ولاية منفصلة تستمد قراراتها من الخليفة في العراق ، ومن المحتمل أن هذه السياسة نتجت عن ثورة قامت بها بعض القبائل التهامية ضد الخلافة العباسية في سنة (٢٠١هـ/٨١٧م)[٥٠] ، مما دفع الخليفة المأمون إلى إسناد ولاية هذه النواحي إلى أحد قادته المشاهير ، وهو محمد بن إبراهيم بن عبد الله بن زياد السفياني ،[٥١] الذي وصل مع بعض رجاله إلى وادي زبيد

عـام(٢٠٤هـ/٨٢٠م)، واختطَّ مدينة زبيد، المسماة باسم الوادي .[٥٢] وبالتالي أسس الدولة الزيادية (٢٠٥ ـ ٤٠٢ هـ/٨٢١ ـ ١٠١٢م) التي استطاعت في عهودها الأولى السيطرة على عموم الأجزاء التهامية وأجزاء من المناطق الجبلية والداخلية في جنوب الجزيرة العربية.[٥٣]

وأشار عمارة إلى سني ملك بني زياد في تهامة فذكر محمد بن زياد (٢٠٤ــ٢٤٥هــ/ ٨١٩ ـ٨٥٩م) ، ثـم خلفـه ابنـه إبـراهيم عـام (٢٤٥هــ/٨٥٩م)، وجـاء بعـده زيـاد بـن إبـراهيم بـن محمـد عـام (٢٨٩هـ/٩٠٢م)، ثم تولى أبو الجيش إسحاق بن إبراهيم الذي يقال أنه دام حكمـه (٨٠) عامـاً إلى أن تـوفي عـام (٣٧١هــ/٩٨١م) ويقـال عـام (٣٩١هـ/١٠٠١م)، ثم جاء بعده أطفال أبي الجيش ثم عبيدة وكان أقواهم الحسين بن سلامة الذي توفي عام (٤٠٢هـ/١٠١٢م).[٥٤]

وجاءت مصادر عديدة بعد عمارة فنقلت ما أورده عن الدولة الزيادية حتى أصبحت روايات مسلماً بها ،[٥٥] لكن ظهرت في العقود المتأخرة الماضية بعض الدراسات الحديثة التي نقضت رواية عمارة عن نشأة دولة بني زياد ،وأشارت إلى أنه كان يوجد في جنوب الجزيرة العربية العديد من القوى والحركات السياسية التي ظهرت خلال العقود الأولى من القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي ، ولم يكن لأمراء بني زياد ذكر في ذلك الوقت .[٥٦] كما أن الجيوش التي قامت في مواجهة علي بن الفضل القرمطي حينما وصل زبيد عام (٢٩٣هـ/٩٠٦م) ودخلها ليست جيوش بني زياد كما ذكر عمارة [٥٧] وإنما هي قوة مظفر بن حاج أمير عباسي كان تابعاً لإمارة

مكة التابعة للدولة العباسية .[٥٨] وتؤكد هذه الدراسات على أن دولة بني زياد لم تظهر إلاّ عام (٢٧٩هـ/٨٩٢م)، وكان ظهورها على يد زياد بن محمد ، وليس محمد بن إبراهيم بن زياد السفياني [٥٩] ، وزياد هذا يعد من الأمراء المحليين الذين تعاونوا مع أسعد الحوالي في محاربة القرامطة [٦٠] ، والذي أسس دولة بني زياد واتخذ مدينة زبيد عاصمة لها عام (٣٠٤هـ/ ٩١٦م) ، وليس عام (٢٠٤هـ/٨١٩م).[٦١] ثم خلفه ابنه إبراهيم بن زياد ، وإبراهيم هذا هو الذي كان معاصراً للهمداني ، واستنجد به ليساعده على فك أسره ، ثم جاء بعد إبراهيم ابنه إسحاق (أبو الجيش) الذي امتد نفوذه إلى كبرى مدن ومخاليف تهامة .[٦٢]

وهذا التنافض والاختلاف في الروايات عند عمارة أو ما ذكره أصحاب هذه الدراسات المتأخرة لا يهمنا كثيراً في هذه الدراسة لأن عصر الإمام الزيدي العيَّاني (٣٨٨_٣٩٣هـ/ ٩٩٨_١٠٠٢م) جاء متأخراً في القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي ، وتزامن مع جزء من عهد الأمير الزيادي أبو الجيش إذا أخذنا بالرواية التي تشير إلى أن وفاته كانت عام (٣٩١هـ /١٠٠١م) وجزء من عصر الأمير الحسين بن سلامة الذي تولى حكم دولة بني زياد في العام الذي مات فيه أبو الجيش [٦٣] . والواضح في بعض المصادر أن عبيد الدولة الزيادية كانوا أصحاب النفوذ في أواخر عصر الأمير أبي الجيش ، ولا يستبعد أن بعضهم كانوا يتولون مخلاف عثَّر في عصر الإمام العيَّاني . لكننا لا نجد روايات واضحة تذكر أسماء هاذين العبدين الذين راسلهم الإمام العيَّاني في عثَّر، وطلب منهما الدخول تحت نفوذه [٦٤] .

مع أننا نجد عدداً من المصادر تشير إلى ظهور سليمان بن طرف الحكمي عام (٣٧٣هـ / ٩٨٣م) واستقلاله عن بني زياد وسيطرته على مخلافي عثَّر وحكم (منطقة جازان) وتسميتها بعد بـ(المخلاف السليماني) [٦٥] ، واتخاذه مدينة عثَّر مقراً لحكمه ، واستمراره في حكم هذا المخلاف حوالي عشرين سنة (٣٧٣- ٣٩٣ هـ/ ٩٨٣ – ١٠٠٢م) [٦٦]. وهنا يظهر لنا بعض التضارب فالرسالة التي أرسلها الإمام العيَّاني واضحة وصريحة باسم (العبدين أميري عثَّر) ، وروايات أخرى تذكر أن عثَّر عاصمة المخلاف السليمان ، وأن حاكمها سليمان بن طرف والذي نميل إليه أن رسالة العيَّاني وما ورد فيها أقرب للحقيقة ، ولكن المشكلة كما أسلفنا أننا لا نعرف أسماء هذين العبدين ، والذي جعلنا نأخذ بهذا الرأي بعض الأسباب التي نذكر منها :

أ- من المحتمل حدوث خطأ في تواريخ أمراء بني زياد وكذلك الأمراء المحليين مثل سليمان بن طرف ، وقد لاحظنا مثل هذا الخلط في نشأة الدولة الزيادية ولا نستبعد أن هذا الخلط أيضاً وقع في أواخر عهدها ، وهذا ما لمسناه عندما ذكر عهد أبي الجيش بأنه كان حوالي (٨٠)عاماً ، وهناك من أشار إلى وفاته في عام (٣٧١هـ/٩٨١م) وآخرون قالوا : (٣٩١هـ/١٠٠١م) وإذا كان فعلاً مات عام (٣٧١هـ/٩٨١م) فلا نجد بعده إلا الحسين بن سلامة ، الذي عرف عنه الحزم والقوة ، وأنه أعاد للدولة الزيادية مجدها ونفوذها فاستعاد معظم البلاد التي كانت تحت حوزة

مؤسسيها ، ومخلاف عثَّر كان واحداً من المخاليف التي سيطر عليها بني زياد في بداية عهدهم . وإن أخذنا بالرواية التي تقول إن وفاة أبي الجيش كانت عام (٣٩١هـ/١٠٠١م) فالواضح في مصادر تاريخ دولة بني زياد أن عبيد أبي الجيش كانوا أصحاب السلطة والنفوذ في أواخر عصره ، وبخاصة بعدما تقدم به السن وأصبح غير قادر على حكم البلاد .

ب- أن سليمان بن طرف كان واحدا من الأمراء المحليين في بلاد تهامة وتحديداً في منطقة جازان ، ولا ننفي ظهوره وسيطرته على مخلافي عثَّر وحكم وجمعها في منطقة واحدة عرفت بـ (المخلاف السليماني) ، واتخاذه مدينة عثَّر عاصمة له ، لكن ليس في عهد الإمام العيَّاني في اليمن الأعلى ، لأنه لو كان بهذا النفوذ والسيطرة على مخلاف عثَّر وما جاوره لما أرسل العيَّاني إلى العبدين المذكورين في رسالته بأنهما أميرا عثَّر ، ولو اعتقدنا أن ابن طرف لم يكن صاحب الحل والعقد في عثَّر خلال عصر الإمام العيَّاني ، فليس من المعقول أن يراسل أمراء عثَّر في عهد الحسين بن سلامة ، لما عرف من حزم الأخير وقبضته على البلاد ، وبالتالي لو كان في عثَّر بعض العبيد الذين يحكمونه لابن سلامة ، فإنهم لن يجرؤا على الاتصال بالعيَّاني وغيره ، ثم إن الإمام نفسه لن يتصل بأمراء عثَّر إلا لعلمه بضعف الأحوال السياسية في تهامة ، وذلك مما يجعلنا نعتقد أن رسالة الإمام العيَّاني إلى أميري عثَّر كانت في أواخر

عهد أبي الجيش الذي ساد فيه العبيد وأصبحوا الآمرين الناهين في نواحي الدولة . وهذه فرصة جيدة للإمام العيَّاني إلى البحث عن موالين له في تهامة وبخاصة في محيط دولة بني زياد الضعيفة والتي أصبحت نهباً لبعض القوى الصاعدة في جنوب الجزيرة العربية(٦٧)

٢- نجران :

بلاد نجران سميت بهذا الاسم نسبة إلى نجران بن زيد ، ويقال : زيدان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان ، لأنه كان أول من عمرها ونزلها(٦٨) ، وتقع إلى الشرق من مرتفعات منطقة عسير وبخاصة بلاد قحطان ووادعة ، وشمال صعدة ، وجنوب غرب نجد . وكانت من المدن المهمة في الجزيرة العربية قبل وبعد ظهور الإسلام (٦٩) ، وتسكنها قبائل كعب بن الحارث المذحجية منذ عهود قديمة لعصر الإسلام واستمرت هي صاحبة الحل والعقد في أرض نجران حتى القرن السابع وربما الثامن الهجري/الثالث عشر أو الرابع عشر الميلادي(٧٠) .

دخل النجرانيون الوثنيون الإسلام منذ السنة العاشرة للهجرة (٦٣١م) عندما أرسل الرسول(صلى الله عليه وسلم) إليهم خالد بن الوليد ليدعوهم إلى الإسلام (٧١) ، كما صالح النبي (صلى الله عليه وسلم) النصارى منهم على أن يبقوا على دينهم ويدفعوا ألفي حلة ، قيمة كل حلة (٤٠) درهماً من الفضة(٧٢) . وهكذا استمرت بلاد نجران تحت مظلة الدولة الإسلامية في عصور الخلفاء الراشدين والأمويين والعباسيين الأوائل(٧٣) . وعندما ضعفت الخلافة المركزية في العراق ، وأصبح بنو العباس غير قادرين

في سيطرتهم على الأطراف البعيدة مثل نجران وما شابهها ، بدأ شيوخ القبائل وأعيانها يتمردون على السلطات الرسمية ، وصاروا هم الآمرين الناهين في أوطانهم. وكانت قبيلة كعب بن الحارث – كما أسلفنا- هي صاحبة النفوذ في نجران ، ولم يكن للخلافة أية قوة تذكر على النجرانيين [٧٤].

أيضاً ظهر في جنوب الجزيرة العربية بعض المتمردين الثائرين على سلطة الخلافة العباسية ، وكان من أولئك الخارجين الزيديون الذين أقاموا دولتهم في صعدة عام (٢٨٤هـ/٨٩٧م) وسعوا إلى مد نفوذهم السياسي إلى صنعاء وعدن جنوباً ، وإلى تهامة غرباً ، وإلى نجران وما جاورها شمالاً [٧٥]. والدارس لتاريخ الدولة الزيدية يجد أن حكامها كانوا دائماً تواقين إلى السيطرة على نجران منذ بداية عهدهم ، وبقوا على هذا المنوال طوال تاريخهم ، وكانوا ينجحون أحياناً ويخفقون أخرى ، ويجدون بين الفينة والأخرى من يرحب بهم ويساعدهم من النجرانيين أنفسهم ، لكنهم لا يمكثون طويلاً إلا ويثور السكان ضدهم ، وكان غالبيتهم من قبائل كعب بن الحارث ، فيطردونهم إلى أوطانهم الرئيسة في صعدة وصنعاء [٧٦]. وبقي الصراع مستمراً بين النجرانيين والزيديين خلال العهود الإسلامية الوسيطة والمتأخرة [٧٧]. والإمام العيَّاني من الذين حرصوا على مهاجمة نجران أكثر من مرة ، فتجده تارة يسعى إلى استمالة النجرانيين بالتقرب والترغيب ، وأخرى بالتهديد والهجمات العسكرية القاسية [٧٨]. وهذا ما سوف نلمسه في الرسائل التي كان يوجهها إليهم.

رابعاً : رسائل الإمام العيَّاني إلى أهل عثَّر ونجران :

١ - الرسالة الأولى إلى العبدين أميري عثَّر :

"بسم الله الرحمن الرحيم . الحمد لله الذي حُمد لنعمته ، واستنقذ من خلق لهدايته ، وأوضح السبيل لبريته ، نحمده لما أولى من إحسانه ، ونُجِّل عليه الثناء لامتنانه ، ونعوذ بكلماته التامة من عصيانه ، ونشهد أن لا إله إلا الله إقرارا بتوحيده ، واعترافا بتمجيده ، وتعرضا لمزيده ، الذي جَلّ وعلا ، وتنزه ونأى عن تكليف ما عنه نهى ، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله وخيرته وأمينه ، أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون ، أو أرباب المبطلون [٧٩] ، فبلغ رسالات ربه ، ونصح لأمته وجاهد في سبيله حتى أتاه اليقين ، وكان بالمؤمنين رؤوفا رحيما ، فصلوات الله عليه وعلى آله الطاهرين ، الذين قفوا آثاره ، وعلوا مناهجه ، واتبعوا أمره [٨٠].

وبعد : فإن أولى الناس بالصلاح [٨١] ، وأحرصهم بالفلاح ، وأقربهم إلى النجاح ، من انتفع بعقله ، وأحسن النظر لنفسه ، وصان ما أمر الله بصونه ، ونصح لله في سره وعلانيته [٨٢] ، ألا وقد انصف [٨٣] نفسه من آثر الآخرة على الدنيا ، وقام في سبيل الله محتسبا ، وإلى طاعته راغبا ، وفي بلاده وعباده مصلحا ، والله يقول وقوله الحق : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَآ إِلَى اللهِ وَعَمِلَ صَلِحاً وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ [٨٤].

وأنتما – تولى الله توفيقكما – ممن له من المعرفة حظ يؤديه إلى المصلحة ، ولا ينوء به عن اتباع النصيحة ، وقد أدعوكما – تولى الله رشدكما ، وأحسن فيما يرضيه توفيقكما – ومن تليان من هذه الأمة قبلكما إلى الصلاح ، وأنتما فيه سواء ، والله يقول وقوله الحق :﴿ قُلْ يَأَهْلَ الْكِتَبِ تَعَالَوْاْ إِلَى كَلِمَةٍ سَوَآءِ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُم أَلاَّ نَعبُدَ إِلاَّ اللهَ وَلاَ نُشرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلاَ يَتَّخِذَ بَعضُنَا بَعضاً أَربَاباً مِن دُونِ اللهِ فَإِن تَوَلَّوا فَقُولُوا اِشهَدُوا بِأَنَّا مُسلِمُونَ ﴾(٨٥)، وقد دعوت البرية من دين الله إلى أمر لستما عنه بخارجين ، ولا في دين غيره بداخلين ، لكني قد أدعوكما إلى جمع الكلمة ، وأُلفة أهل الديانة ، والله يقول وقوله الحق : ﴿ وَلاَ تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاختَلَفُوا مِن بَعدِ مَا جَآءَهُمُ البَيِّنَاتُ...﴾ (٨٦)، والله يعيذنا وإياكم من خلفة نكون فيها كمن ذكر الله تعالى بالخلاف من غيرنا ، وقد أعدكما من نفسي إن أنتما دخلتما في طاعة الله وطاعة رسوله وطاعتي موعدا أفي لكما به ، وأجعل الله لكما عليَّ شهيدا بتمامه ، فأنصفا من أنفسكما من قد وعدكما بالنصفة مبتدئا من نفسه ، ثم لكما علي إن سمعتما، وأقبلتما إلى طاعتي ، ولم تخالفا شيئا من سيرتي ، واتبعتما أمر الله وأمر رسوله فيّ ، ورعيتماني مراعاة من قد صفى وُدُّهُ ، واستحكم في طاعتي عقدُه ، أن أذركما فيما قد تليان ، وأبعد منكما ما تكرهان ، وأن أظاهركما على من يبغي عليكما من قاصٍ ودانٍ ،ولي منكما مثل ذلك فيمن بغى عليَّ ، ودعوته إلى طاعة الله فلم يُقبل إليّ ، وقد أظن بكما أن لا تتركا حظا يجمع لكما آخرة ودنيا ، ويزيدكما رفعة وعُلوا ، والله

يوفقكما وإيانا جميعا لما يُحب ويرضى ، وقد ألقيت إلى موصل كتابي من الخطب ما يُلقيه إليكما إن رأى منكما قبولا لذلك، والسلام عليكما ورحمة الله وبركاته ".[٨٧]

ثم ذكر الإمام بعض الشروط والواجبات التي يجب على أهل عثَّر إتباعها قال فيها :

" بسم الله الرحمن الرحيم . وعرِّفهما أني أطلب منهما الطاعة لي في خصال شتى ، أولهما : أن لا يُبقيا في البلد فسادا ظاهرا إلا أقيم فيه الحد على مظهره . الثانية: ألا يحكم في البلد إلا بحكم الله وحكم رسوله وذلك حكمنا ، وما لم يزل بإثره آباؤنا عن سلفنا . والثالثة : أن يقيموا إليَّ الدعوة ، ويثبتوا اسمي في السّكّة ، وأن يقيموا الأذان ، أذان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وأن يصونوا من وحَّد الله وعدّله من الأذى[٨٨]، وأن لا يقدِّموا مؤخَّرا ولا يؤخِّروا مقدَّما ، وأن يرفعوا الجور عن الرعية ، ولا يأخذوا الـمُكْسَ من أحد من البرية ، ويكون أخذهم لما أوجب الله فيه من الزراعات ، وما يجب في الأموال من الزكوات ، وإذا دخل بلدهم مال قد قبضتُ من زكاته ، أو أحد من عمالي لم يأخذوا منه شيئا ، وكذلك ما قبضوا زكاته في عملهم لم نأخذ فيه زكاة في سائر عملنا ، ونوجب عليهم الصيانة لجميع من اتصل بنا ، بقرابة أو بديانة ، أو بصفاية أو بخدمة ، فقد أتاني خبر عن ابن كتيم الحسني [٨٩] أن قبح في أمره وشقق ظل محمله ، وحبس صاحبه ، إذ ذكر أنه متوجه نحوي ، والسلام على من اتبع الهدى ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وسلم."

٢- الرسالة الثانية إلى أهل نجران :

" بسم الله الرحمن الرحيم . هذا كتاب كتبه القاسم بن علي إلى كافة أهل نجران ومن بحالهم من الجيران [٩٠] : سلام عليكم ، فإنا نَحمد الله إليكم مَن يلزمنا حمده ، ويجلّ عليه الثناء كما هو أهله ، أما بعد : فإنه لا خطأ بعد تذكرة ، ولا ذمامة بعد معذرة، وقد قبلت عُذر من اعتذر ، وتجاوزت عن خطيئة من قصَّر ، فتعوضوا من سيئاتكم إحسانا ، ومن زللكم استمكانا .

واعلموا أن من رجع من سيئته كأن لم يُسئ ، ومن عاود من غيه بَخُس وغَوِي ، وقد عرَّفتكم جميعا أنه لا معذرة لمن عصى الله حتى يرجع عن معصيته ، ولا توبة لتائب حتى يندم على خطيئته ، وقد أظهرتم جميلا شُكرتم عليه ، فحوطوا قولكم بالتمام ، واحفظوا أموالكم وأنفسكم بالإسلام. واعلموا أن للإسلام حرمة تُرعى ، وللديانة أوامر لا تعصى ، ومن قصَّر عن بعض ما أمره الله به ، كمن أضاع جميع أمره ونهيه ، والله يقول وقوله الحق : ﴿ الَّذينَ ءَامَنُواْ وَلَم يَلبِسُواْ إِيمَنَهُم بِظُلمٍ أُولَئكَ لَهُمُ الأَمنُ وَهُم مُّهتَدُونَ ﴾ [٩١] ، فاعملوا –رحمكم الله – عملا صالحا تنجون به من خالقكم ، وتزدادون به الآن في أرزاقكم ، وردوا عليكم فوت الأناة ، وغلول الزكاة ، بأداء ما غللتم منها ، فإن الله يقول وقوله الحق : ﴿ وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أن يغُلَّ وَمَن يَغلُل يَأتِ بِمَا غَلَّ يَومَ القِيمَةِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفسٍ مَّا كَسَبَت وَهُم لاَ يُظلَمُون ﴾ [٩٢] ، فرحم الله عبدا لم يُفوّت حظه من الآخرة ، وأدى ما أوجب الله عليه من قبل أن لا تكون رُجعة ، ولا تقال

عشرة[٩٣] ولا يؤخذ من نفس فدية ، ولا تقبل منها معذرة ، ولا تنفعها شفاعة ، ولو يعلم من غل زكاته أنه عند الله من الهالكين ، ومسمى بفعله بأفعال المشركين ، لعسر ذلك عليه ، ولسمج ما استحسن لديه ، لكنه لم يعلم بقول الله سبحانه وتعالى : ﴿ وَوَيۡلٌ لِّلۡمُشۡرِكِينَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ كَٰفِرُونَ ﴾ [٩٤] ، أجل لو علم بذلك من يؤمن بالله واليوم الآخر لما تعرض لهذا الإثم الهالك عند الله وعند البرية من تسمى به ، وقد بعثت بكتابي هذا خادمي سعيد بن سراج[٩٥] ليقرأه على من بقي عنده لنا بقية تؤدّى لإنفاذ الأمر في منشورنا هذا ، فليقم معه جميع السعاة الذين كانوا لنا في خدمة ، ولهم بواجبنا معرفة ، ومن أدى واجبه عرف وكتب اسمه ، ومن لم يود شيئا مما لنا عليه عرَّفنا به ، ولم يَلُمْ بعد ذلك إلا نفسه ، وقد أعذر من أنذر ، فأقسم بالله صادقا لئن فعل ذلك أحد من أهل طاعتي لأنفذن عليه حكم الله ، وحكم رسوله ، صلى الله عليه وآله وسلم ، وحكمي .

فرحم الله عبدا صان نفسه ، وصان قومه ، ولم يُبد لي وجهه ، والله يقول وقوله الحق :﴿ لَا تُقَٰتِلُونَ قَوۡمًا نَّكَثُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُمۡ وَهَمُّواْ بِإِخۡرَاجِ ٱلرَّسُولِ وَهُم بَدَءُوكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةٍۚ أَتَخۡشَوۡنَهُمۡۚ فَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخۡشَوۡهُ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴾ [٩٦] ، ولنا سيرة قد أمرنا أن يسار بها ، تعلمون جميعا أني قد أثبت كلا الواليين على ولايته ، وهما إبراهيم بن محمد بن المختار، وعبد الله بن يحي [٩٧] ، فاستمعوا للشريفين ، وأطيعوهما ما أطاعا الله والرسول وأطاعاني ، وولاية بني الحارث كافة ويام والأحلاف كافة [٩٨] ،وولاية

عبد الله بن يحي على ساكن وادعة وثقيف[٩٩] ، والقاضي الذي وليته على سائر من في الولايتين جميعا سليمان بن النساخ[١٠٠] ، وولايتي على قبض الخراج علي بن أحمد بن أبي حبيب ، وسليمان بن الربيع ، وسليمان بن علي[١٠١] من قرقر[١٠٢] ، يتصرف هؤلاء السعاة الأمناء فيما أقمتهم فيه ، فإذا قبضوا من إنسان واجب ما عليه عرفوا الوالي بذلك وأخذوا منه براءة بخطه لمن قبضوا منه واجبه وتكون البراءة على هذه النسخة بعينها : " بسم الله الرحمن الرحيم ،يقول فلان وفلان بأسمائهما[١٠٣] أننا قد قبضنا من فلان ابن فلان واجبه ، وهو كذا وكذا مكيالا أو درهما أو دينارا ، ثم يمضون بالبراءة إلى الوالي فيقرؤوها وينسخوها في ديوان الخراج ،ويوقع فيها صح مع قبض السعاة لما في هذا الكتاب ، وأبرأتهم من الدرك في ذلك ، وممن قبضوا واجبه ، وكتب فلان ابن فلان بخطه يوم كذا من شهر كذا في سنة كذا. ويكون عند السعاة دفتر بمعرفة ما يقبضون ،ويكون مثل ذلك عند الولاة ، ويكون البراءة التي يكتبونها لصاحب الواجب في يده ،فإذا طالبته بها وجدتها عنده ، وإن لم أجدها عنده أخذته بأداء الزكاة التي أجدها في الدواوين مثبتة عليه، فلينظر كل من عليه واجب لنفسه ، ولا يسلم واجبه الذي عليه حتى يعطيه السعاة خطوطهم ، وتوقيع الوالي مع ما يقبض مما على المخرِّج للواجب ، فإذا سلَّموا خطا بذلك سُلم إليهم الخراج ،فعلى هذا النعت فليسلم إليهم الواجب من وجب عليه أداؤه ، ومن أقمته في قبض الواجبات مقامي ، وخزنه في مخزاني فلينفذ أمر الواليين فيما يوردان به خطي ، ويأخذون بذلك منهما خطوطهما ، وكذلك ما ورد من خطوطي

بتسليم فليأخذوا تلك الخطوط وقبض من يدفعون إليه بها ، ويستوثق كل إنسان من والٍ ومولى عليه لنفسه ، ولا يعد من التفريط في مثل ما كان فيه من أمسه ، ولم أجعل على أيدي هذين الواليين رزقا ولا رسما ، فلا يطالبهما أحد بطلابة، لم يأت بها أمري .

وليعلم جميع العشيرة أنني لا أعطي أحدا درهما إلا من خدمني ، وبانت نصيحته لي ، واتصلت بخدمته بين يدي ،فإذا كان ذلك فعطية من ذكرت من تحت يدي، لا من خراج بلد بعينه ، ولا من واجب يجب عليه، فليتقرر هذا القول عند جميع من يطلب مني شيئا بلا تكلف أعرفه به .

ومما أمرت به الولاة أن يأمروا به السعاة أن يفصلوا بين الأسماء اسم من عليه الخراج وبين أسماء من ليس عليه خراج ، فلا أجد في الديوان الذي يقبض فيه الخراج اسمين أحدهما ملتبس بالآخر ، ولكن يجعل لكل رجل مكتب باسمه ،ثم يضاف إلى اسمه واجبه من حيث كان مجتمعا أو مفترقا ، حتى يؤخذ ما عليه معا مجتمعا في مكتب واحد مُفردا ، أو في دفتر مفصول ، وإذا قَبضَ خَزنَ خراج (بني الحارث) كافة في مدينة المهجر(١٠٤)، وخزن خراج (يام) كافة في حصن الأحلاف ، وخزن خراج أعلى الوادي في مخزان واحد أو اثنين بحسب ما يراه الخازن ، ويولي هؤلاء الأمناء في كل بشر(١٠٥) من يثقون به لقبض واجب ، أو إقامة حبسه بمعروف ، ومن تولى مجلس الزكاة فلا يأخذ الزكاة من طعام قد زُكي بعد البينة ، ولا يأخذ زكاة بضاعة قد زكيت بعد البينة ، ولا من بضاعة لا تجب الزكاة في مثلها إذا لم تُضف إلى بضاعة ، ولا من بَدوي ولا من حضري اشترى ميْرَة ليأكلها ، ولا يأخذ

من الماشية التي ترد السوق كلها زكاة ممن يوردها من أهل الطاعة ، إلا ماشية تحتكر في بعض البضايع المعروفة للتجارة ، فيكون سبيل تلك الماشية سبيل التجارة ، ومن ولي مجلس الزكاة كتب دَخْلَ البلاد وخَرْجه ، ويعرف ذلك ويثُبته من يكون معه دفترٌ أيضا حتى يكون نسخا لا واحدة ، وما طالب من ذلك الوالي سُلم إليه وأخذ خط منه ، ويوقفون المحتسب في كل يوم على ما يقبضون وما يفعلون ، وسيتقصى في الواجبات كل الاستقصاء، ومن أخذ من أحد ما لا يجب عليه ، أو فرَّط في واجب فعليه لعنة الله ولعنة اللاعنين ولعنة الناس أجمعين ، ومن اطلعت منه على خيانة في ما يلي فقد أباح من نفسه ما حرم الله منه ، فلينظر كل من وَليته أمرا لنفسه ، فالسعيد من نظر لها ، وسعى في صيانتها، وحسبنا الله وكفى ، وكُتِبَ بصعدة في شهر صفر من شهور سنة تسع وثمانين وثلاث مائة سنة [١٠٦]".

٣- الرسالة الثالثة إلى أهل نجران :

" بسم الله الرحمن الرحيم . إلى كافة نجران من العشيرة والجيران سلام عليكم ، فإنا نحمد الله إليكم على نعمه التي لا تعد ، ومواهبه التي لا تجحد ، ونسأله أن يصلي على محمد خاتم الأنبياء ، وعلى من طاب من ذريته وزكا .

أما بعد : فلا معذرة لمن طالت عقلته ، ولم تفده صلاحا فكرته ، أجل لو احتال أهل الألباب فكرهم ، لاعتبروا بغيرهم ، وكان في ما مضى

دلالة للباقين على الفناء ، وفيمن تصرفت به الدنيا أدل دليل أنها لا تبقى ، فالعجب كل العجب لمن لا يعتبر ، بدار لا له بها مستقر ، وبدنيا لا بقاء له فيها ، فيُقَصّر عن الاكتساب من ذوي مكاسبها ، ويمهد لنفسه من قبل النقلة منها ، ويبادر بالتوبة على سيء عمله فيها [١٠٧].

أي أهل ذي البلدة التي فتن بعض أهلها ببعض وأكل بعضهم بعضا، وأعقبهم فعلهم العداء والبغضاء ، ألا تشكرون الله على مقامنا فيكم ، وكف المكروه بذلك عنكم ، وتلبسون ثوب العافية الذي كسبتم ، كي تكونوا كمن ألبسه الله ثوب العافية على يدي نبيكم ، صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، فقد ذكر الله ذلك في كتابه ، فقال وقوله الحق : ﴿وَاذكُرُواْ نِعمَتَ اللهِ عَلَيكُم إِذ كُنتُم أَعدَاءَ فَأَلَّفَ بَينَ قُلُوبِكُم فَأَصبَحتُم بِنِعمَتِهِ إِخوَناً وَكُنتُم عَلَى شَفَا حُفرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِنهَا...﴾ [١٠٨] ، وأنتم رحمكم الله فاذكروا نعمة الله عليكم ، وما وهب لكم من جميع عوافيه بكم ، وما لا يزال دائما يُسدي به إليكم ، فبذلك يجب عليكم شكره .

وقد جمعكم واد لستم لقديمه ولا لحديثه بجاهلين ، ولا بمعرفة ما كان عليه بمنكرين ، وإن أنكر ذلك منكر فلا ينكره إلا من لم يحظ بمعرفة ما تناسخ العلماء من العلم ، والحديث المأثور عن نبيهم صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، ومن وراء ذلك ومن بعده لا اختلاف بين أحد من علماء أمة نبينا صلى الله عليه وعلى آله وسلم أن هذا الوادي كان ملكا للنصارى غير منوط به سواهم [١٠٩] ، وأنه صلى الله عليه وعلى آله وسلم ألفى العرب

بأسرها على دين الشرك خلا المتنصرة من ربيعة الفرس[١١٠] بنجران والجزيرة، وكلا رَدّه على دينه كرها ، خلا هذين الحيين فكلاهما امتنع يومئذ في موضعه ، وقاتل على بلده ودينه ، فصالح كلا الحيين عن نفسه ، وعما في يده . فأما نصارى الجزيرة فترفعوا عن الجزية فطلبوا أن يضاعف الزكاة عليهم ضعفين ، فعاملهم صلى الله عليه وعلى آله وسلم على ذلك ، وشرط عليهم أن لا يصبغوا [١١١] أولادهم، يريد: أن لا يدخلوهم في دينهم، فلم يقولوا بذلك ، ولم يسألوا عنه على هذه الغاية.[١١٢]

وأما نصارى نجران فصالحوا على دينهم وبلدهم بأربع مئة أوقية ذهب ، وأربع مئة حلة من وَشْيٍ صنعاء ، ثم أخذ الخلفاء منهم الجزية لما تركوا أداء ما عُوملوا عليه وأجروا معهم إصلاحا ، من ذلك لما خرجوا من البلد وتبعوه وفارقوا سكناه[١١٣] ، حتى لم يعد به إلا من قد ترون ، ثم أعقب من سكنه من العشائر على من انتقلت الأموال إليه ، على حين وناء الإسلام وضعف بسلطنة الخلفاء ، فتجرَّموا ما بأيديهم وأكلوه بالمغصوب والحقارات ، وما ارتسموا به إلى هذه الغاية، فشمل الوادي الظلم من النصراني الذي عومل على نفسه ، وما في يده بإخراج البلد منه ، ومخرجه عنه ، وترك ما عومل عليه فيه ، ومن المسلمين الذي دخل بالشراء على أرض عامل عليها النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم لعامة من دخل معه من الأنصار والمهاجرين، وكذلك من دخل من العشر مع مشتري هذه الضياع بغصب وحقارة ، فقد دخل بغير واجب ، ولم يَزَل الإصلاح يجري في هذا الوادي من جميع الدول ، ويُستأجر ذلك لقدر ما ذكرنا مما كان عليه

من بدء الإسلام حتى كان آخر صلح جرى فيه الهادي رضي الله عنه للنصارى ولشراحه وملاكه بالشراء[١١٤]، فلولا معرفته بمخرجه لما صالح النصراني على ما بقي في يده ، وما ارتد بشرائه من المسلمين بأكثر مما يجب عليه من الجزية ، وكذلك من ألفى الأملاك بيده ، وما أوجب عليهم فيها من أداء الزكاة ، من قليل ما أنبتت الأرض وكثيرها ، فلو لم يكن الأمر على ما ذكرنا لما أخذ الزكاة إلا مما تجب الزكاة في مثله من الكيل المعروف ، ولَتَرَكَ ما لا يجب الزكاة فيه، وكذلك الشراح لو لم يكن البلد على ما ذكرنا لما ترك الشارح فيه يدا بقليل ما يترك ، ولكان قد نزع القليل الذي أطلق، كما نزع الكثير الذي ألفاه مفاوتا في المعاملة، فاعلموا ذلك[١١٥] .

ثم قد ولينا بلدكم هذه ولاية من يريد لكم الإصلاح ، فلسنا بمخرجيكم عما رسم إمامنا فيكم ما استقامت لنا طاعتكم ، ولم تفارقنا جماعتكم ، إذ نحن ولاة ما ولي نبينا صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، والمصرفون لما ولي تصريفه في أهل طاعته ، والداخلين في جماعته، وقد بعثت الآن خادمي سعيد بن سراج لما كنت قد بعثته من إطلاع العشائر والبلدان واستخراج الواجب ، فاستغنموا لطاعتنا ، وتصرفوا بين أمرنا ونهينا ، فبذلك تفوزون عند خالقكم، وإمامكم وابن نبيكم ، وتحسن في كافة الأمور أحوالكم ، ولن يغيب الصواب عن مثلكم ، والله يرشدكم لذلك ويوفقكم .وقد كنت وليت عليكم أخي أبا إسماعيل إبراهيم بن محمد بن المختار وأمرتكم له بالسمع والطاعة ما أطاع الله ورسوله ، ومن ولاه عليكم ، وسار بالحق فيكم ، ولم أنزعه من ولايته ، ولا أنزعه ما

استقام علي ما أوقعت به الشريطة عليه ، والله يرشدنا ويسددنا أجمعين لما فيه الخيرة (١١٦).

وقد رسم هذا البلد برسم من رسوم الباطل ، أمرت برفع ذلك عن الكافة من الفروق والحصاد وعلوفة الخيل ، فلا يخالف أمرنا برفع أحد فَلامَ إلا نفسه ، ولصاحب الملك الخيار في ماله إن شحَّ فلا يكلف إخراج ماله ، وإن سمح عن غير تكليف لم يمنع من فعله ، وقد أمرنا بكل مال تبايعه الشراح بينهم فأصله لمالكه ، ولا يُنزع من يده ولا يؤخذ منه فيه إلا رسم القصَبة ، ما لم يستغرق جملة الخراج أو يدري به ، والواجب من رأس الغلة يلحق القصبة بقدرها ، ويلحق صاحب الملك بقدر ما معه ، ولا يحمل الخراج على صاحب الملك من دون الشارح ، بل يخرج الخراج من الرأس ، وثبوت كل منه بقدر ما يصير إليه ، وقد جعلت لهذا القائد الشد بكل من خالف أمري في شيء مما أمرت به ، فمن أتى منه خلاف أمري ، أمر الوالي بحبسه والشد عليه ، فإن لم يفعل الوالي ما يرى القائد من الصلاح فقد جعلت عند ذلك للقائد أن يحبس من يستوجب الحبس ، ويعاقب من يستحق العقوبة ، وذلك بعد البينات ومشاورة من أمرته بمشاورته ، وخروج الأمر من قبلي من بعد وصول الكتاب مطلقا على ما يجري من الأحوال في البلد كلها ، وفي البلد من يجري بينه الشُّجْرَة ، فمن أتاه مستعديا رَفَعه إلى الوالي ، فإن كفاه بعد وجوب الحق لمن يجب له اكتفى بذلك ، وإن لم يكف الوالي عذر على الظالم وحبسه بما يوجب الحكم عليه والسلام " (١١٧).

خامساً : دراسة وصفية تحليلية للرسائل :

من خلال هذه الرسائل الثلاث المتقاربة إلى حد ما في أحجامها وأهدافها تتضح لنا عدة أمور أهمها :

١- يبرز المستوى الثقافي والفكري الجيد عليها ، فلا تخلو كل رسالة من ديباجة حسنة يغلب عليها الأسلوب الديني الذي يشمل ذكر الله وصلاة على رسوله محمد (صلى الله عليه وسلم)، ثم نصائح و إرشادات عامة لما فيه صلاح الدنيا والآخرة .بالإضافة إلى استخدام عبارات وجمل شرعية، وبراهين فقهية وآيات قرانية في جميع الرسائل ، وهذا مما يعكس الوضع العلمي الجيد الذي كان يتمتع به الإمام العيَّاني ، بل إن هذه الرسائل تعكس ولو جزءاً بسيطاً عن الحياة العلمية والثقافية والفكرية التي كانت سائدة في بلاد اليمن والسروات خلال عصر هذا الإمام .

٢- يظهر على الرسائل جميعها رغبة الإمام العيَّاني في مد نفوذه على بعض الأجزاء في تهامة و السراة ، مع الاختلاف في الأسلوب الذي اتبعه في تحقيق هذه الرغبة .فنجده يتصل بحكام عثَّر عن طريق الرسائل الودية التي يدعوهم فيها إلى الدخول في طاعته ، ثم يذكر لهم بعض الشروط التي يجب عليهم اتباعها إذا لبوا دعوته ، ومن أهم تلك الشروط الدخول في المذهب الزيدي ، الذي هو أحد أسس الحكم في الدولة الزيدية ، ونوه إلى بعض النوحي المالية وبخاصة الزكاة ووجوب دفعها حسب القواعد الفقهية ، ومحاربة الفساد

والجور والظلم وقهر الناس ، كما طلب من أميري البلاد ، (العبدين) إثبات اسمه على السكة في بلادهما ، ولم ينس الإشارة إلى وجوب إكرام وتقدير وحماية كل من له صلة به من أسرته وأهل بيته ورجاله سواءً كانوا مقيمين بين ظهراني أهل عثَّر أو وافدين أو عابرين لبلادهم . ولم يظهر في رسالة الإمام إلى العثريين انه سوف يحاربهم ويأخذهم بالقوة إذا لم يستجيبوا لدعوته ، وهذا مما يدل على انه لا يستطيع لأن بلادهم كانت بعيدة عن مقر حكمه في الجبال ، ثم إنه لا يملك القوة التي تجعله ينفذ ما يرغب و ويتطلع إليه ، بالإضافة إلى وجود العديد من القوى في تهامة وأجزاء من بلاد اليمن ، والتي كان الإمام يخشاها وأحياناً يحاربها فيهزمها أو تهزمه .

٣- يبدو على الرسالتين الثانية والثالثة صبغة التهديد من الإمام لأهل نجران ، وعزمه على معاقبته كل من يقف في وجه حكومته ورجاله ، مع إصراره على أن بلاد نجران جزء لا يتجزأ من دولته ، وأنه واقف بالمرصاد لكل من يسعى إلى إثارة الفوضى والفتن من النجرانيين .ويستطرد في الرسالة الثالثة عن ذكر جزء من تاريخ بلاد نجران منذ العصر الجاهلي ، وكيف جاء الإسلام ورفع من شأنهم ، ثم السياسة التي سلكها الرسول(صلى الله علية وسلم) مع نصارى نجران ، وماذا فعل الخلفاء الراشدين (رضي الله عنهم) مع هذه الفئة النجرانية ، وكيف أخرجوا من نجران ثم عادوا إليه ، وماذا فعل معهم الإمام الهادي إلي الحق (مؤسس الدولة الزيدية)، وهكذا

استمر في الإشارة إلى هذا السرد التاريخي كي يذكر لهم كيف كانوا ، وكيف أصبحوا ، ثم يحذرهم مما يقومون به من تمرد وعصيان على حكمه ، وإذا استمروا على هذا المنوال ، فإنه لن يتهاون معهم وإنما سوف ينزل بهم أقسى العقوبات .

٤- كانت الزكاة في بلاد نجران من أهم الأمور الشائكة بين الإمام والنجرانيين ، فكانوا الآخرين يمتنعون أحياناً عن دفعها لرجال الإمام العيَّاني ، وبالتالي لا يتورع الإمام عن تهديدهم وأحياناً غزوهم وإحراق حصونهم ومزارعهم وإجبارهم على دفع ما عليهم من زكوات . وهكذا كانت العلاقات بين أئمة اليمن وأهل نجران فتجدها بين مد وجزر ، فالنجرانيون لا يرضخون لحكام الدولة الزيدية ويعيشون تحت نفوذهم إلاّ إذا استخدموا معهم أساليب القهر والقوة . وكان الزيديون لا يتوقفون عن مهاجمة أرض نجران و الهيمنة عليها وإلحاق الأذى بأهلها ، مع حرصهم على جباية زكواتها المختلفة التي بلا شك تساعدهم على بناء دولتهم وسير أمورها السياسية والحضارية.

٥- يتضح في الرسالتين الثانية والثالثة وجود بعض المعلومات الحضارية الجيدة التي تخص تاريخ نجران في عهد الإمام العيَّاني ، فذكرت أسماء بعض الولاة والقضاة والسعاة الذين كانوا يتولون إدارتها للإمام ، مع الإشارة إلى بعض السياسات التي كانوا يتبعونها حسبما رسمها لهم الإمام العيَّاني . كما احتوت الرسالة الثانية على

الطريقة العملية التي يجب اتباعها من الولاة والجباة مع دافعي الزكاة من النجرانين ، وكيفية الاستلام والتسليم ، فلا تتم إلا عن طريق المستندات والوثائق المكتوبة ، بالإضافة إلى تسجيلها في ديوان الخراج ، وتحديد الأماكن التي يجب على رجال دولته حفظ هذه الزكوات فيها ، حتى يتم التصرف فيها بعد توجيهات الإمام نفسه (١١٨) .

سادساً : الخاتمة ، النتائج وتوصيات البحث :

وقد استخلصت في نهاية هذا البحث جملة من النتائج ، وسوف أذكر أهمها على النحو التالي :

١- يبدو أن هذه الرسائل الثلاث تمت كتابتها وإرسالها من قبل الإمام العيَّاني في الفترة بين (٣٨٩- ٣٩١هـ/٩٩٨- ١٠٠٠م)، لأنها الحقبة الزمنية التي وصل فيها الإمام إلى ذروة مجده وتطلعاته إلى توسيع نفوذه على ما جاوره من البلدان . وإذا كان تاريخ الرسالة الثانية قد ذكر في آخرها ، فالرسالتان الأخريان ، والتي لم يذكر تاريخهما ، ليستا بعيداً عن بداية عصر الإمام وبخاصة رسالته إلى العبدين في عثَّر والتي حثَّهما فيها على الدخول في طاعته وتحت لواء دولته .

٢- لازال يكتنف الرسالة المرسلة إلى أميري عثَّر ، والمعروفين بـ (**العبدين**) بعض الغموض ، فلم نجد في أي مصدر آخر من يذكر لنا اسمي هذين العبدين ، وإن كنا رجحنا أنهما من عبيد الدولة

الزيادية ، كما لا نجد ردة فعل العبدين على رسالة الإمام العيَّاني ، ومن المحتمل أنهما رفضا طلبه ، لأننا لا نجد أن المصادر المعاصرة تذكر أي تقارب بين أهل عثَّر وحكامهم وبين العيَّاني ورجاله في الجبال . كما لم نعثر على ذكر أية حملة أو قوة عسكرية قام بها الإمام العيَّاني على تهامة وبخاصة مخلاف عثَّر وما جاوره ، مع أنه كان ينوي ويهدد أحيانا بغزوهم في عقر دارهم. وربما أن قصر مدة حكم العيَّاني ، وظهور بعض الثورات في وجهه في نجران وصنعاء وصعدة وما حولها كانت من الأسباب التي لم تساعده في إرسال قوات عسكرية إلى الأجزاء التهامية .

٣- أن علاقة أهل نجران مع الزيديين وأئمتهم في صعدة وصنعاء كانت متوترة تسودها البغضاء والحروب المتتالية . ومن يطالع الموروث التاريخي بين هاتين الناحيتين منذ تأسيس الدولة الزيدية عام (٢٨٤هـ/٩٩٤م) وعلى مر التاريخ الإسلامي الوسيط يجد حالة الكر والفر بين الفريقين متواصلة . كما أن فترة الإمام العيَّاني تعد مدة قصيرة جداً ضمن ذلك التاريخ الطويل . ونلمس مدى الكراهية والاقتتال بين المجتمعين واضحاً في الرسالتين المرسلة من العيَّاني إلى النجرانيين ، أو في الملاحق المدونه في آخر هذه الدراسة . ومن رغب في المزيد والإطلاع على وضع النجرانيين وصلاتهم بالعياني ورجاله فلينظر إلى بعض المصادر الزيدية المعاصرة وبخاصة سيرة الإمام العيَّاني والتي اقتبسنا منها بعض الرسائل المهمة في هذا البحث.

٤- كان الإمام العيَّاني ، ومن سبقه أو جاء بعده من الأئمة الزيدية، يسعون جاهدين إلى السيطرة على بلاد نجران ، وتعيين مسئولين من قبلهم عليها كي يضبطوا لهم أوضاعها القبلية والسياسية والمالية ، وقد نجح العيَّاني لبعض الوقت ، لكن طبيعة النجرانيين أنهم لايقبلون بهيمنة هذه القوى التي يعتبرونها غازية لبلادهم فتراهم يثورون ضدها متى سنحت لهم الفرصة ، وأحياناً يقتلون ويسلبون بعض رجال الزيدية الذين يقيمون بين ظهرانيهم. وهكذا بقي الإمام العيَّاني في صراع دائم مع النجرانيين خلال فترة حكمه التي كانت مليئة بالقلاقل والفتن والحروب.[(١١٩)]

٥- يظهر لنا وجود بعض المؤسسات الإدارية في نجران مثل الإمارة (الولاية) والقضاء ، والمحتسب وعمَّال الخراج وغيرهم ، وهذا ما لاحظناه عندما عين الإمام العياني بعض رجاله في هذه المؤسسات ، إلاّ أننا لا نعرف ما هو مدى نفوذهم وسيطرتهم على النجرانيين ، لأن الأخيرين كانوا غير راغبين في حكم الزيديين ، بل كانوا يحاربونهم ويثورون في وجوههم من وقت لآخر ، ونلمس أن السيطرة الفعلية في البلاد النجرانية كانت لشيوخ القبائل وعشائرها وبخاصة قبيلة بني الحارث بن كعب التي كانت صاحبة النفوذ في نجران خلال القرون الإسلامية الأولى .[(١٢٠)]

٦- إن عدم رغبة النجرانيين في سيطرة الدولة الزيدية يعود إلى ثلاثة أسباب هي :

أ- الخلفية التاريخية لنجران ، إذ كان موطناً لعدد من الفئات قبل الإسلام ، كالوثنيين ، والنصارى ، واليهود ، وعبدة النار من المجوس والفرس وغيرهم . وهذا مما أثر على التركيبة الاجتماعية لهذه البلاد بعد مجيء عصر الإسلام ، وبقي المسلمون، العرب وغير العرب ، وكذلك النصارى جنباً إلى جنب في نجران راغبين في الاستقلال بعيشهم عن أي نفوذ خارجي يتولى أمرهم . وقد تزايدت هذه الرغبة بعد ضعف مركز الخلافة الإسلامية في العراق ، وبعد ظهور دويلات مستقلة في أنحاء العالم الإسلامي ، والتي تعد الدولة الزيدية واحدة من تلك الدويلات التي كانت حريصة على توسيع ممتلكاتها على حساب جيرانها كبلاد نجران وتهامة وغيرها .(١٢١)

ب- يتَّضح الإرث التاريخي لقبيلة بني الحارث بن كعب التي لا يذكر نجران إلا وهي ملازمة له تاريخياً وحضارياً منذ العصر الجاهلي وعلى مر القرون الإسلامية الأولى . فكانت صاحبة التفوق السياسي والأدبي والحضاري في هذه البلاد . ومن يتتبع تاريخها يجدها صاحبة السيادة في نجران ، وكانت أشد القبائل التي وقفت في وجه حكام الدولة الزيدية ، فكانت لا تسمح بدخول أي غاز إلى بلادهم ، وإن قهروا ، كما كان يحدث من الأئمة الزيدية عليهم ، فهم لا يرضخون وإنما

تراهم في نضال دائم ضد من يهاجمهم في ديارهم ، حريصين كل الحرص على توفير الاستقلال لبلادهم .[١٢٢]

حـ- عدم رغبة سكان نجران في المذهب الزيدي ، والذي كان هاجس حكام الدولة الزيدية الذين كانوا يرغبون في نشره بين سكان البلدان المجاورة ، كبلاد تهامة ونجران والسراة وغيرها . والسبب يعود إلى الاختلاف المذهبي بين مواطن الدولة الزيدية وبين هذه الأماكن المجاورة . فالمذهب الشافعي كان هو الغالب على سكان نجران وتهامة ، وبالتالي كانوا لا يقبلون بأي مذهب آخر ، حتى وإن سعى معتنقوه إلى فرضه بالقوة . ومن يتأمل تاريخ الدولة الزيدية ، وما استولت عليه من البلدان المخالفة لها في المذهب ، فإنه لا يجد رسوخ مذهبهم في هذه الديار حتى وإن حكموها عسكرياً لبعض الوقت. وبلاد نجران تعد أكبر دليل على رفض أهلها للمذهب الزيدي ومحاربته .[١٢٣]

٧- وضوح المستوى الثقافي والفكري والأدبي الجيد الذي كان يتمتع به الإمام العيَّاني، بل نلمس سعة علمه ببعض العلوم الفقهية والشرعية والأدبية . وهذا مما يعكس لنا بعض الومضات الثقافية عن عصره ومجتمعه الذي عاش فيه ، وبخاصة أرض السراة الممتدة من نجران حتى الطائف والتي عاش جزءاً كبيراً من حياته في ربوعها . واذا كان العيَّاني أحد أئمة المذهب الزيدي ، وعاش سنوات طويلة

في بداية حياته بين بيشة وتبالة وترج وأجزاء أخرى من السروات ، فإننا لا نستبعد أنه حاول نشر مذهبه في هذه المواطن ، لأننا نجد في بعض المصادر المعاصرة أنه كان يلتقي بأعيان ووجهاء وشيوخ هذه البلاد ، كما كان يفد عليه بعض طلبة العلم من اليمن والحجاز ، بل إنه ملك الدور والزروع والآبار في هذه المواطن ، وتزوج وزوج بعض أبنائه وأحفاده من نساء هذه البلاد . وفي اعتقادي أن مثل هذه الممارسات قد دفعته إلى تبليغ وتدريس مذهبه بين سكان هذه الأماكن ، إلاّ أننا لا نجد أي ذكر في المصادر المبكرة لهذا التأثير . ومن يتجول اليوم في المواطن التي ولد وعاش بها العيَّاني في السروات ، فإنه لا يجد أي أثر اجتماعي أو ثقافي أو حضاري لتاريخه وتاريخ أولاده وأحفاده من بعده . مع أنه من يدقق النظر في سيرته المنشورة أو المصادر الأولية التي أشارت إلى تاريخ فترة حكمه (٣٨٨- ٣٩٣هـ- ٩٩٨- ١٠٠٢م)، فإنه يجد معلومات متناثرة تذكر بعض مراسلاته وخطاباته وأشعاره التي كان يرسلها إلى بعض رجاله أو أصدقائه أو الأعيان والنواب والمشائخ في أرض السروات وبخاصة بلاد خثعم الممتدة من وادي بن هشبل وجرش (خميس مشيط اليوم) جنوباً إلى بيشة وتبالة ورنية شمالاً .[١٢٤]

٨- من خلال هذه الدراسة تظهر لنا العديد من الفجوات والحلقات التاريخية المفقودة التي نحن بحاجة ماسة إلى العثور عليها ، والبحث عن إجابات واضحة وشافية لها ، ومن أهم هذه الجوانب ما يلي :

أ- التاريخ الحضاري الذي عاشته كل من عثَّر ونجران في عهد الإمام العيَّاني ، أو خلال النصف الثاني من القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي ، وإن وجدنا بعض المعلومات عن النواحي السياسية في هاتين الناحيتين ، إلا أنها أيضاً لا زالت بحاجة ماسة إلى البحث والدراسة والتنقيب الأثري .(١٢٥)

ب- مدى تأثير المذهب الزيدي في هذه المواطن وكذلك في السروات الممتدة من صعدة حتى الطائف ، مع أننا لم نجد له تأثير فيما بين أيدينا من مصادر متاحة ، لكن ربما تظهر لنا مستقبلاً بعض المخطوطات أو بعض التنقيبات الأثرية التي تنقض ما وصلنا إليه ، وبخاصة أن النفوذ السياسي والعسكري الزيدي قد وصل بلاد نجران وسيطر عليها بعض الوقت ، وأحياناً مد نفوذه تجاه الشمال إلى بلاد جرش (عسير) وبيشة وتبالة وما حولها .(١٢٦)

حـ- الصلات الحضارية وبخاصة الثقافية والتجارية التي كانت بين مواطن الدولة الزيدية في صعدة وصنعاء وما حولها وبين البلاد التهامية والسروية في عثَّر وبيش ونجران وجرش وتبالة وبيشة والطائف وغيرها . وبخاصة في عصر الإمام العيَّاني وأولاده وأحفاده الذين حكموا اليمن الأعلى حتى آواخر القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي ، والذين

كانت لهم صلات اجتماعية وثقافية وكذلك سياسية مع هذه المواطن [١٢٧]، ولا زلنا نتطلع إلى معرفة مدى تأثير هذه الصلات بينهم .

د- نطالب أقسام التاريخ والآثار في المملكة العربية السعودية والجمهورية العربية اليمنية ، والمتخصصين في هاتين الدولتين أو غيرها من دول الخليج العربي أو الدول العربية أن يولوا جل اهتماماتهم للموضوعات والدراسات الجديدة ، وهي كثيرة ، والتي لم تبحث بطريقة علمية أكاديمية سليمة . وتأتي مناطق صعدة ، ونجران ، وجازان ، وبلاد تهامة والسراة الممتدة من جنوبي الطائف ومكة إلى شمالي صنعاء وزبيد على رأس قائمة الأماكن والأبحاث التي تحتاج إلى تضافر جهود الباحثين والمؤسسات الأكاديمية . والعهود التاريخية القديمة والإسلامية المبكرة والوسيطة من الأزمنة التي لازلت فعلاً بحاجة ماسة في هذه البلدان فتدرس وترشح لها البحوث والدراسات والرسائل العلمية الجيدة . والله من وراء القصد .

سابعاً : الملاحق :

١- ملحق رقم (١)

خطاب من الإمام العيَّاني في عام (٣٨٩هـ/٩٩٩م) إلى أهل طاعته في البلاد التي بحوزته يطلب منهم النجدة والانضمام تحت لوائه لمحاربة الدخامس من بني خيثمة الحارثيين النجرانيين ،[١٢٨] الذي ثاروا ضده واعتدوا على بعض رجاله في نجران وقتلهم.

" بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله رب العالمين وصلّى الله على سيدنا محمد وعلى آل بيته الطيبين الطاهرين . أمَّا بعد : يا أهل طاعتنا فإنا وإياكم قد جَمَعَنا العهدُ الأكيد على طاعة الله الواحد المجيد ، والله يقول وقوله الحق { وَأَوْفُواْ بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْؤُولاً }[١٢٩] ويقول: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَوْفُواْ بِالْعُقُودِ }[١٣٠] ويقول: { وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ }[١٣١] آيُ كثيرة لا نأتي لها على عدة في كتاب الله ، كل ذلك يحض البرية فيه على الوفاء بعهودهم ويَمْدح في كتابه من وفي بالعَهْد منهم ، ألا واعلموا جميعاً يا أهل الطاعة أنه لم يأت أحد ممّن بايعنا عذراً ظاهراً وينقض عهده نقضاً متواتراً إلاّ الدَّخامس الفاسق فلعنة الله عليه وعلى شركائه في غدره وسوء فعله ، تعلمون رعاكم الله جميعاً أنه بلغني أن عُمَّالي بوادي نجران صاروا إليه في خمسين رجلاً لخرص ما قبله من الواجب فَقَدّمهم إلى منزله وأوطاهم لفراشه وأطعمهم من معاشه، ثم دعا بأهل بيته من بني خيثمة اللعناء السفهاء فقتلوا العامل إسماعيل بن رزين ورجلاً وائلياً [١٣٢]،

وخرجوا أكثر الجماعة وقبضوا أسلحتهم ، وأن ذلك لما بلغ أكثر أهل الوادي من بني الحارث وهمدان استعظموا الأمر (١٣٣)، فالتقوا وجدّدوا العهود بينهم على الاستقامة في طاعتنا والثَّبات على بَيْعَتنا ، ونهضوا حتى وصلوا إلى النجس الغوي ، فتحصَّن منهم في حصنه ، وبهذا أتاني كتاب إبراهيم بن محمد بن المختار، ثم إن من الواجب علينا وعليكم ما فرض الله فيمن فعل فِعْل هذا الغادر قال الله سبحانه آمِراً بذلك من أطاع أمرَهُ {ألاَ تقاتلون قوماً نكثوا أيمانهم وهموا بإخراج الرسول وهم بدؤكم أول مرّةٍ أتخشونهم فالله أحق أن تخشوه إن كنتم مؤمنين . قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ }(١٣٤) فرحم الله عبداً ورحم والديه اتبع أمر الله فلم يأمر عباده بالقتل والقتال لأُولي الضلال إلاّ لمصالح يشملهم نفعها في عاجل الدنيا ويثابون بها في الآخرة التي لا تفنى قال عزّ وجلّ: { إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ }.(١٣٥) والله صادق وعده ورسله ولا خلف لوعده ، وقد نَعْلم يا أهل طاعتنا أننا قد نَدعوكم من القيام في سبيل الله إلى أمر يثقل عليكم ، وهو يعلم الله أشق فروضه عليكم وأحمده عاقبة لكم في العاجل والآجل . قال الله عزّ وجلّ : { كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَن تَكْرَهُواْ شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَن تُحِبُّواْ شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ }(١٣٦) .

أجل لقد نجد في طلب الراحة من المضار مالا نجده في العزّ والامتناع والصبر على محبّة القتال ، فالله الله عباد الله قوموا في سبيل الله وانفروا إلى

من أراد بكم الفتنة وبغى لكم الفرقة ، فما بعد ما جرى من معذرة في ترك فنترك ، ولا في حلم فنحلُم ،ولا في صَبرٍ فنَصْبر، والله يقول وقوله الحق : { وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنتَصِرُونَ }(١٣٧) وكونوا رحمكم الله من المنتصرين ، وادخلوا في مدحة رب العالمين ، تكونوا عنده بذلك من الفائزين ، فقد بغى لكم هذا الغوي الفاسق الفرقة ، وباع دينه وعهده وعِرضه بأخبث المآكل الدنيئة ، وإن أراد بذلك صدّكم عن المطلب الذي أنتم بالغوه من غزاة أخويه العبدين الفاجرين بحول الله وقوته (١٣٨)، فمن كان منكم راغباً فيما رغَّب الله فيه البرية من بذل أنفسهم وأموالهم في سبيله فليقم في هيئة سفره وليتزود لنصف شهر ، وليكن مصيره إلى ليلة الهلال هلال ذي الحجة ففيها تنصرون ، وعلى جميع أعدائكم تؤيَّدون ، وفي الغزاة في شهر ذي الحجة من الأجل أفضل ما فيها من الحج والسَّبيل الأعظم ، فهو السَّبيل الذي نَدبنا الله إليه وأمرنا فيه ببذل الأموالِ والأنفس فقال: { مَّثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّئَةُ حَبَّةٍ وَاللّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاء وَاللّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ }(١٣٩) وقال وقوله الحق: { وَفَضَّلَ اللّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا . دَرَجَاتٍ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً }(١٤٠) فرحم الله عبداً اغتنم ما وعد الله من التفضيل ، فهنا الفضل والتَّفضيل ، لا ما يفضل به أهل الدنيا بعضهم بعضاً ، وقد كنت ندبت من العَسْكر المنصور فيما بين صنعاء والجراف (١٤١) مائتي فارس معدة ليكونوا يحضرون على الدوام ، ويتناوب أهل الطاعة المقام وقضاء حوائجهم بالكفاية والرزق ، ورجوت أن يكون في ذلك عزّ

الإسلام مهيبةً وهيبة لمن لا تؤمن بوائقه من الأنام ، وخشيت أن يجري الذي جرى والبرية لا يتقون الله ولا من يرونَ معه ضعفاً ولا يتقون إلاّ ما رهبوا ، قال الله عزّ وجلّ: { وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدْوَّ اللّهِ وَعَدُوَّكُمْ }(١٤٢) فلا تنقص البدنة الآخرة البدنة الأولة ، وعليكم يا جميع المسلمين بالعزمِ القوي على جهاد النّاكثين والاستعداد والمرابطة للمارِقين . قال الله عزّ وجلّ: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَاتَّقُواْ اللّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ }(١٤٣)

٢- ملحق رقم (٢) :

خطاب ثاني من الإمام العيَّاني إلى بعض ولاته في اليمن يحثهم على عدم التقاعس في نصرته والانضمام إليه للذهاب إلى نجران من أجل محاربة المتمردين بها وعلى رأسهم زعيمهم الدخامس الحارثي النجراني .

" بسم الله الرحمن الرحيم . كتبت يا إخوتي أحسن الله رعايتكم وصرف عنكم جميع الأسواء، وأنا واثق بالله وبكم ، مستجير على ما نشأ في الكفر والنفاق ، وبعد إن الغدر والشقاق مع خبيث المواد ، ونجاسة المحتد أعداء أل محمد المتناسخين لبعضهم ، والمخالفين في كل عصر عليهم ، أولئك بني الحارث الأشقياء، الغَدَرة الأدعياء ، فإلى الله ما حكم الله من قتالهم ، وأوجب من استئصالهم ، ادعوا أولياءه ، واستنصروا على أعدائه ، وأذكرهم من حكمه في الظالمين ما يقوى بفتنهم ، وبسط على المخالفين أيديهم ، قال الله وقوله الحق المبين : { أَلاَتُقَتلُونَ قَوماً نَّكَثُواْ أَيْمَنَهُم

وَهَمُّواْ بِإِخراجِ الرَّسُولِ وَهُم بَدَءُ وكُم أَوَّلَ مَرَّةٍ أَ تَخشَونَهُم فَاللهُ أَحَقُّ أَن تَخشَوهُ إِن كُنتُم مُّؤمنينَ قَاتِلُوهُم يُعَذِّبهُمُ اللهُ بأَيديكُم وَيُخزِهِم وَيَنصركُم عَلَيهِم وَيشفِ صُدُورَ قَومٍ مُّؤمنينَ وَيُذهِب غَيظَ قُلُوبِهِم } (١٤٤) فعجلاً عجلاً إلى اتباع أمر الله في القوم الظالمين ،الذين بدلوا نعمة الله كفرا وبطرا وغدرا ، لا عن يد سيئة وحنث ذلك ،بل دعوتي في أول الأمر إلى المدخل معهم والولاية لبلدهم ، من قبل أدعوهم إلى ذلك ، ثم لم تزل طبائع السوء تستدعيهم إلى السيئة ، ولم ترد منهم سيئة إلا عفوتها وعفوت عنها ، وحتى كان من أعقاب سيئاتهم قتل عمالي واستباحة ذمتي ، فنصر الله عليهم بأوليائه حتى وصلوا دارهم ، وقبضوا أسراهم ، فلم أولهم في الأسر عتبا ، ولم أدخلهم حبسا ، ولم أحرمهم طعما ولا مشربا ... (١٤٥) ، ومن عرف ذلك أني ما بررت ضيفا ، ولا اعتنيت بنزيل زائر كعنايتي بهم ، ثم سلمت من لزمت منهم في أسرع وقت ، وسرحت بأجمل تسريح ، ولم أولهم من القول إلا أجمله ، ولا من الفعل إلا أنبله فما استقرت بهم الأرض حتى أبدوا الخنا ، وتداعوا إلى ما يعوقهم الفنا ، ولم يكتفوا لذلك حتى أدخلوا من القرابة من كنت به واثقا ، وعلى وفائه معولا ، ولبث خادمي ، وكانت أنفسهم إلى قتله مطلعة ، وأرى حيفهم بهم متصلة ، ثم هبط رجل من بني عمي الحسينيين فأرادوا قتله فصرف الله مكيدتهم عنه ، وكذلك خادمي ، وكفى الله شرهم ، فانصرف إلى همدان إلى من له الولاية الأصلية ، والبر والفضيلة ، فأوفى وحاموا عليه وقاموا عليهم معه ، وبعثت إلى المعذرة أذكرهم بما عقدوا لي من أنفسهم ، وأعتب

عليهم في قبح فعلهم ، وكان منهم غرض الفتنة علي ،وإظهار المعصية لي ، والنداء باد إلي ، وصرف عمالي وتبديل سنن آبائي ، وتبديل دعوتي للدعوة لأعداء الله وأعدائي ، وقد جرى بها الأخوة ما قد جرى واستهممتكم له ، وقرعت إليكم من حسن الظن بكم أوضع الرجا في موضعه منكم ، فحاموا عن الأصول الكريمة ، والمناصب القديمة ، واطلبوا بذلك وجه الله والدار الآخرة ، ولا يكن الكفرة الفجرة على باطلهم أحمى من المسلمين على حقهم ، والله يوفقكم لما فيه الصلاح ويغنيكم بمنه وإحسانه ، { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ }[١٤٦] فانصروه ينصركم الله واذكروه يذكركم ، واسألوه من فضله يعطيكم ، فمن أول عطاياه الجسام التي ينالها هذا السبيل منكم ، ولست أنزع من رجل مغنماً ولا أخشى عليه بعد فعله مأثماً ، ولا أتبعه لوماً ، وكيف لا أبيح من أباح ذمته ، ونكث بيعته ، وأحلّ ماله بحنثه عليه ، فأبشروا بالغزو والغنائم وقتل كل غوي ظالم ، فبالله فاستعينوا ، وعليه فتوكلوا ، وهو حسبنا وكفى ، ونعم الوكيل ، والموعد على بركة الله ، مستهل جمادى الأخرة إلى عيان على بركة الله وعونه " .[١٤٧]

٣- **ملحق رقم (٣) :**

قصيدة للحسين بن أحمد بن يعقوب ، مؤلف سيرة الإمام العيَّاني [١٤٨] ، قالها في المتمردين من أهل نجران عندما ذهب العيَّاني لقتالهم ومعاقبتهم عام (٣٨٩ – ٣٩٠ هـ / ٩٩٩ – ١٠٠٠م) .

سِرْنَا إلى نَجْرَان لجب شزباً ... مِثْلُ السَعَالي في المَسَاجِلُ تَمْرَعُ

فتىً عَليها الأيزَنُونُ مَظَاهِراً ... خِصًّا لها مِنْهَا المَكَارِه تُدْفَعُ

يَحْمِلْنَ كُلَّ فَتىً شُجَاعٍ بَاسِلٍ ... مَاضِي العَزِيمَة ضَيْغَم لا يَجْزَعُ

مُنَكّف حِلَق الحَديدِ مُظَاهراً ... عِنْدَ اللِقَاء مُصَمِّم لا يَرْجِعُ

مِنْ حَيٍّ هَمْدانَ الذين بِمِثْلِهِمْ ... يَرْضَى الإمام لَدَى النِّزَالِ ويَقْنَعُ

لَمَّا هَبَطْنَا سَهْلَ نَجْرَان الذي ... كَانَتْ جَوَانِبُه حِمَاء يُمْنَعُ

لَمْ يَمْتَنِعْ مِنَّا سِوا مَنْ قِالَ قَدْ ... بَلَغَتْ صَنِيعَتَكُمْ فَمُنُّوا أو دَعُو

فَعَفَا الإمام وقَالَ حَبْسُ صِنَانَة ... لا بُدَّ مِنْ حَبْسٍ أطِيعُوا واسْمَعُوا

فَتَبَادَرُوا طَلَبَ السَّلامَةِ والبَقا ... حِلَقُ الحَدِيدِ وَكُلَّ خِلٍ وَدّعُوا

والنَّاكِثُ الغَدَّارُ وَلَّى هَارِباً ... والعَيْنُ مِنْ جَزَعِ المَنِيَّةِ تَدْمَعُ

جئنا إلى أرض اللعين وقومه ... والكل في هرب مجدٍ مسرع

قاعاً تركنا دورهم وحصونهم ... بعد الأنيس فهم خلاءٌ بلقع

ونخيلهم أمست دواد بناتها ... جُمَّارها من كل شق ينزع

دارت رحانا بعد ذاك على بني ... آل الحماس وقد نووا أن يمنعوا

درنا بسوجان فلم تك طرفة ... حتى الدخان بجانبيه يصدع

وتلاحق القوم الخفاف هزيمهم ... في شاهق رأس البقاع ممنع

غنموا طنينهم وظلت بيضهم ... من خلفهم مثل الإماء تروع

تسل الرحام لها فتلقى كلما ... سالت فتحفظ بالذمام وتمنع

هذا جزاؤهم ببغض المرتضى ... وهو المفضل والبطين الأنزع

وينقضهم عهد الإمام ورفضهم ... حق الوصي وما سواه ضيعوا

همدان للمنصور مردات العدى ... كل لهم في كل أفق يخضع

فليعلم العبدان أن كتائباً ... منهم ستصبح قاع بيش تبع [(١٤٩)]

وهما غنيمتهم وما قد جمعا ... ولغيره كم من عديد يجمع

وهو الخليفة في البلاد لربنا ... وهــو السفينة للعباد المفزع

وهو المهذب من سلالة هاشم ... وهو النجاة لمن يرى أو يسمع

فالله أيد قـاسمـاً لوقائـع ... يصلى مواسم كتبها من يخنع

حسبي به مولى أدين بدينه ... ومشفع يوم القيامة يشفع [(١٥٠)]

سابعاً : الحواشي والتعليقات :

(١) لمزيد من التفصيلات عن الأوضاع السياسية في العهود الإسلامية المبكرة والوسيطة في بلاط الخلافة الإسلامية في العراق أو مصر ، أو في جنوب الجزيرة العربية ، انظر : بعض كتب التاريخ الإسلامي الرئيسة مثل : تاريخ الأمم والملوك ، للطبري ، والكامل في التاريخ ، لابن الأثير ، والبداية والنهاية ، لابن كثير ، وتاريخ بن خلدون . انظر أيضاً ، أحمد حسين شرف الدين . اليمن عبر التاريخ (الرياض : مطابع الفرزدق ، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م) ، ص١٦٥ وما بعدها ، محمد أحمد العقيلي . تاريخ المخلاف السليماني (الرياض : منشورات دار اليمامة ، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م) ، حـ١ ، ص٩٢وما بعدها، أحمد عمر الزيلعي . الأوضاع السياسية والعلاقات الخارجية لمنطقة جازان (المخلاف السليماني) في العصور الإسلامية الوسيطة (الرياض: مطابع الفرزدق ، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م) ص١٢وما بعدها ، غيثان بن علي بن جريس . نجران : دراسة تاريخية حضارية (ق١- ق٤هـ/ ق٧- ق١٠م) (الرياض: مطابع العبيكان، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م)، حـ، ص٦٢ وما بعدها.

(٢) للاطلاع على سيرة الإمام العيَّاني في اليمن ، انظر . الفقيه القاضي الحسين أحمد بن يعقوب . سيرة الإمام المنصور بالله القاسم بن علي العيَّاني . تحقيق ، عبد الله محمد الحبشي (صنعاء : دار الحكمة اليمانية ، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م) ص٢٧وما بعدها ، إبراهيم بن القاسم المؤيد بالله . طبقات الزيدية الكبرى . تحقيق ، عبد السلام بن عباس الوجيه (عمان : مؤسسة الإمام زيد بن علي الثقافية ، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م) مج٢ ، ص٨٥٩.

(٣) وعن موقعي عثر وبيش ، انظر . شهاب الدين ياقوت الحموي . معجم البلدان (بيروت : دار صادر للطباعة والنشر ، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م) ، حـ١ ، ٥٢٨- ٥٢٩، حـ٤ ، ص٨٥. محمد أحمد العقيلي . المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية (مقاطعة جازان) (المخلاف السليماني) (الرياض : منشورات دار اليمامة ، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م) ص٨٠-٨٣، ٢٨٥- ٢٩١.

(٤) للمزيد عن موقع نجران وتاريخها ، انظر . الحسين بن أحمد الهمداني . صفة جزيرة العرب . تحقيق ، محمد بن علي الأكوع (الرياض : منشورات دار اليمامة ، ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م) ، ص١٦٣ ، ١٦٦ ، ١٨٣ ، ١٩٨ ، ٣١٨، محمد الأكوع ،اليمن الخضراء مهد الحضارة (م.ن : مطبعة السعادة ، ١٣٩١هـ/ ١٩٧١م) ، ص١٥٠ ، ابن جريس ، نجران ، حـ١ ، ص٢٢وما بعدها .

(٥) عُرف الإمام القاسم بن علي باسم (العيَّاني) نسبة إلى قرية عيان في اليمن ، ولعل هذا الإمام أول من اتخذها هجرة فنسب إليها . انظر ، القاضي محمد بن أحمد الحجري . مجموع بلدان اليمن وقبائلها . تحقيق ، إسماعيل بن علي الأكوع ، ص٣ (صنعاء : مكتبة الإرشاد ، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م) ، حـ٣، ٦١٨، إسماعيل بن علي الأكوع . هجر اليمن ومعاقله في اليمن .(بيروت : دار الفكر ، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م) ، حـ٣، ص١٥١٠- ١٥١١ ، إبراهيم أحمد المقحفي . معجم البلدان والقبائل اليمنية (صنعاء : دار الكلمة ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م) حـ٢ ، ص١١٤٩- ١١٥٠.

(٦) المؤيد بالله ، طبقات الزيدية ، مج٢ ، ص٨٥٩ ، للمزيد ، انظر . مجموع كتب ورسائل الإمام القاسم العيَّاني. تحقيق ، عبد الكريم أحمد جدبان

(صعدة : مكتبة التراث الإسلامي ، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م) ، ص٥٣وما بعدها .

(٧) لمزيد من الإيضاح عن بلاد خثعم ، وتبالة ، والسراة ، انظر . ياقوت ، معجم ، حـ٢ ، ص٩- ١٠. حـ٣ ، ص٢٠٤- ٢٠٥ ، عمر رضا كحالة . معجم قبائل العرب القديمة والحديثة (بيروت : مؤسسة الرسالة ، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م) ص٣٣١ – ٣٣٢ ، غيثان بن علي بن جريس . دراسات في تاريخ تهامة والسراة خلال العصور الإسلامية المبكرة والوسيطة (ق١- ق١٠هـ/ ق٧- ق١٦م). (الرياض : مطابع العبيكان ، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م) ، حـ١ ، ص٢٣وما بعدها ، وللمزيد أيضاً ، أنظر : الدراسة التاسعة في هذا الكتاب .

(٨) لمزيد من المعلومات عن بلاد بيشة وتاريخها ، انظر ، الهمداني ، صفة ، ٣٣ ، ٢٥٦ ، ٢٦٢ ، ٣٣٨ ، ٣٤٠ ، ٣٧٩ ، ٤٣٠ ، ياقوت ، معجم ، حـ١ ، ص٥٢٩ ، علي إبراهيم الحربي . المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية :- منطقة عسير (أبها : م.ن ، ١٤١٧هـ/١٤١٨هـ) ، حـ١ ص٢٧١- ٢٧٩ ، عبد الرحمن صادق الشريف . جغرافية المملكة العربية السعودية . الجزء الثاني . إقليم جنوب غرب المملكة (الرياض : دار المريخ ، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م) ص٣٠٠ ، ٤٣١- ٤٤٣ ، وللمزيد أيضاً ، أنظر : الدراسة الثامنة في هذا الكتاب .

(٩) يعقوب ، سيرة الإمام المنصور (العيَّاني) ، ص٣١وما بعدها ، مجموع كتب ورسائل العيَّاني ، ص٥٥وما بعدها ، المؤيد بالله ، طبقات الزيدية ، مج٢ ، ص٨٥٩ ، الأكوع ، هجر اليمن ، حـ٣ ، ص١٥١٠ .

(١٠) المصادر والمراجع نفسها .

(١١) تَرْج : بفتح أوله وإسكان ثانيه فجيم موحده ، واد عظيم ، ويعد مجمعاً

للأودية المنحدرة من سراة الحجر وبلقرن ، ويتجه للشرق حتى يلتقي مع وادي بيشة بجانب بلدة الحيفة شرق مركز الحازمي . للمزيد انظر عبد الله بن عبد العزيز البكري . معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع . تحقيق مصطفى السقا (بيروت : عالم الكتب ، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م) ، حـ١ ، ص٣٠٩، ياقوت ، معجم ، حـ٢، ص٢١- ٢٢، الحربي ، المعجم ، حـ١ ، ص٣٠٧- ٣١٠.

(١٢) يعقوب ، سيرة الإمام المنصور (العيَّاني) ، ص١٢وما بعدها (مقدمة المحقق) ، مجموع كتب ورسائل العيَّاني ، ص٧ (مقدمة التحقيق) .

(١٣) المصدران نفسها .

(١٤) مجموع كتب ورسائل العيَّاني ، ص٨ (مقدمة التحقيق) .

(١٥) شهران العريضة : هي المنطقة الممتدة من أبها ، وأحد رفيدة ، وطريب جنوباً إلى بلاد بيشة ، والأجزاء الشرقية من سروات الحجر وبلقرن ، وخثعم ، وشمران شمالاً . وقاعدتها خميس مشيط ، وتحتوي على العديد من العشائر والبطون والأفخاذ الشهرانية ، والتي معظمها من قبيلة خثعم القديمة . عبد الكريم عائض آل طالع . قبيلة شهران بين الماضي والحاضر (م .ن : ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م) ص١١وما بعدها ، محمد بن جرمان العواجي الأكلبي . تاريخ بني خثعم وبلادهم في الماضي والحاضر (الطائف : دار الحارثي ، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م) ، ص٣٣وما بعدها .

(١٦) جنب : هم منبه ، والحارث ، والعلي ، وسنحان ، وشمران ، وهفان بنو يزيد بن حرب بن علة بن جلد بن مالك (مذحج) بن أدد من القحطانية . ويقال لهذه الستة أسماء المذكورة أعلاه (جنب) ، وسموا جنباً لأنهم جانبوا أخاهم صداء وحالفو سعد العشيرة ، وحالفت صداء

الحارث بن كعب . انظر ، ياقوت ، معجم ، حـ٣ ، ص٢٦٥ ، كحالة ، معجم قبائل العرب ، حـ١ ، ص٢١٠.

(١٧) يام : هو يام بن أصبي بن دافع بن مالك بن جشم بن حاشد ، وهي فرع من حاشد بن همدان ، وموطنهم بنجران وما جاورها من الجنوب . للمزيد انظر ، الهمداني ، صفة ، ١٥١ ، ١٨٨ ، ٢٤٥ ، ٣٤٢ ، ٣٦٠ ، للمؤلف نفسه . الإكليل من أخبار اليمن وأنساب حمير ، في معارف همدان وأنسابها وعيون أخبارها . تحقيق ، محب الدين الخطيب (بيروت : دار المناهل ، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م) حـ١٠ ، ص٦٨- ٧٤ ، ابن جريس ، نجران ، حـ١ ، ص٣٩- ٤١.

(١٨) يعقوب ، سيرة الإمام المنصور (العيَّاني) ، ص٩٥وما بعدها .

(١٩) المصدر نفسه ، ص١١٣وما بعدها.

(٢٠) المصدر نفسه ، ص٢٧٠وما بعدها ، الأكوع ، هجر العلم ، حـ٣ ، ص١٥١٠- ١٥١١.

(٢١) انظر ، سيرة الإمام المنصور (العيَّاني) ، ص٢٧ ، كما انظر ، مقدمة التحقيق للسيرة نفسها حيث يوجد بها الكثير من التحليلات والمعلومات القيمة .

(٢٢) المصدر نفسه .

(٢٣) يعقوب بن إبراهيم بن حبيب ، الملقب بـ (أبي يوسف ، أو صاحب أبي حنيفة) . كتاب الخراج (القاهرة المطبعة السلفية ، ١٣٨٢هـ) ص١٧وما بعدها .

(٢٤) يحيى بن آدم . كتاب الخراج . صححه ووضع فهارسة ، أحمد محمد شاكر (القاهرة : المطبعة السلفية ، ١٣٤٧هـ) ، ص٢٤وما بعدها .

(٢٥) أبو عبيد القاسم بن سلام . كتاب الأموال . تحقيق محمد خليل هراس (القاهرة : مكتبة الكليات الأزهرية ، ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م) ص٦٤وما بعدها .

(٢٦) يعقوب ، سيرة الإمام المنصور (العيَّاني) ، ص٣٠وما بعدها .

(٢٧) المصدر نفسه ، وللمزيد انظر ، مجموع كتب ورسائل العيَّاني ، ص٥٣وما بعدها ،

(٢٨) المصدران نفسهما .

(٢٩) المصدران نفسهما .

(٣٠) زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب (٧٩- ١٢٢هـ / ٦٩٨- ٧٤٠م) : وهو الإمام ، أو الحسين العلوي الهاشمي القرشي . ويقال له (زيد الشهيد) عده الجاحظ من خطباء بني هاشم . وقال أبو حنيفة : "ما رأيت في زمانه أفقه منه ولا أسرع جواباً ولا أبين قولاً ". ثار في وجه الأمويين عام (١٢٠هـ/٧٣٧م) ، وقتل في الكوفة عام (١٢٢هـ/٧٤٠) . انظر ترجمته في عدد من المصادر مثل : مقاتل الطالبين ، للأصفهاني . (طبعة الحلبي) ص٢٧ ، وفوات الوفيات ، للكتبي ، حـ١ ، ص١٦٤ ، كما انظر . خير الدين الزركلي . الأعلام (قاموس تراجم) (بيروت : دار الملايين ، ١٩٨٤م) حـ٣، ص٥٩ .

(٣١) ياقوت ، معجم ، حـ١ ، ص٥٢٨ ، حـ٤ ، ٨٥، العقيلي ، المعجم الجغرافي ، ص٨٠- ٨٣، ٢٨٥- ٢٩١ ،الزيلعي ، الأوضاع السياسية ، ص١٨ وما بعدها .

(٣٢) جمال الدين أبو الفضل بن منظور . لسان العرب . نسقه وعلق عليه ووضع فهارسه علي شيري (بيروت : دار إحياء التراث العربي ، ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨ م) ، جـ٩ ، ص٤٥ .

(٣٣) المصدر نفسه .

(٣٤) وفي الحديث :ـ لا حليم إلاّ ذو عثرة، أي لا يحصل له الحلم ويوصف به حتى يركب الأمور وتنخرق عليه ، ويعثر فيها فيعتبر بها ويستبين مواضع الخطأ فيجتنبها ، ويقصد بكلمة (عثّر) ، والعثر حسب تشكيلها بالحركات ، معاني عديدة أشارت إليها وشرحتها كتب المعاجم اللغوية ، ابن منظور ، جـ ٩، ص ٤٥ – ٤٦ .

(٣٥) لمزيد من التفصيلات ، انظر . غيثان بن علي بن جريس " بلاد تهامة والسراة كما وصفها الرحالة الجغرافيون المسلمون الأوائل (ق٣هـ - ق٨هـ)" مجلة المؤرخ العربي. عدد(٢) (مج١) (١٩٩٤م) ، ص٧٣-١٠٠ ، للمؤلف نفسه ، دراسات في تاريخ تهامة والسراة ، حـ١ ، ص١٦٥- ١٩٦.

(٣٦) الهمداني ، صفة، ص٢٥٩.

(٣٧) المصدر نفسه ص ٧٦.

(٣٨) شمس الدين أبو عبد الله محمد المقدسي . أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم (ليدن :مطبعة بريل ، ١٩٠٦م) ٨٦.

(٣٩) المصدر نفسه .

(٤٠) ياقوت ، معجم ، حـ٤ ، ص ٨٥ . وللمزيد انظر ، نجم الدين عمارة اليمني . تاريخ اليمن ، المسمى : المفيد في أخبار صنعاء وزبيد وشعراء ملوكها وأعيانها وأدبائها . تحقيق ، محمد علي الأكوع (صنعاء : المكتبة اليمنية للنشر والتوزيع ، (. ت) ص٦٣، ٧١، ٧٣ ، الزيلعي ، الأوضاع ، ١٨.

(٤١) لمزيد من التفصيلات عن البلدان الواقعة على ساحل البحر الأحمر والممتدة من جنوب مكة إلى جازان والموسم ، انظر ، هاري سانت جون

فيلبي . مرتفعات الجزيرة العربية . ترجمه من الإنجليزية إلى العربية حسن مصطفى حسن ، راجعه وعلق عليه ، غيثان بن علي بن جريس (الرياض : مكتبة العبيكان ، ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥م) ، حـ٢ ، ص ١٠٦٩- ١٣٢٢ ؛ عاتق بن غيث البلادي . بين مكة واليمن (رحلات ومشاهدات) (مكة المكرمة : دار مكة للطباعة والنشر ، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م) ، ص ٥٦- ٢٨٧.

(٤٢) الهمداني ، صفه ، ٧٦، ٢٥٩. عمارة ، تاريخ اليمن ، ص٦٣، ٧١، ٧٣ ،ياقوت ، معجم حـ٤ ، ص٨٥، العقيلي ، المعجم ، ص ٨٠ - ٨٣، ٢٨٥- ٢٩١.

(٤٣) مشاهدات الباحث في شهر المحرم ، عام (١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م) .

(٤٤) لمزيد من التوضيحات عن موقع القحمة ، انظر ، فيلبي ، مرتفعات ، حـ٢ ، ص ١٢٥٥- ١٢٥٧ ؛ البلادي ، بين مكة واليمن ، ص٢٣٠- ٢٣٢.

(٤٥) أبو القاسم بن حوقل . كتاب صورة الأرض (ليدن : مطبعة بريل ، ١٩٣٨م) ص٢١.

(٤٦) مشاهدات الباحث في شهر المحرم عام (١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م)

(٤٧) عمارة ، تاريخ اليمن ، ص٧١ وما بعدها ، الزيلعي ، الأوضاع ، ص١٢ وما بعدها .

(٤٨) المصدر والمرجع نفسهما .

(٤٩) عمارة ، تاريخ اليمن ، ص٤٧ وما بعدها

(٥٠) المصدر نفسه ، ص٤٩- ٥٠.

(٥١) المصدر نفسه ، ص٥١ ، هناك أراء عدة حول شخصية محمد بن زياد ونسبه وكيفية وصوله إلى تهامة من قبل الخليفة العباسي المأمون . انظر ،

عبد الرحمن عبد الواحد الشجاع . تاريخ اليمن في الإسلام في القرون الأربعة الهجرية الأولى . ط ٥ (م. ن : ١٤٢٥ هـ / ٢٠٠٤ م) ، ص ١٨٦ وما بعدها .

(٥٢) عمارة ، تاريخ اليمن ، ص ٥١ .

(٥٣) المصدر نفسه ، ص ٥٢ – ٥٦ .

(٥٤) المصدر نفسه ، ص ٥٧ وما بعدها .

(٥٥) المصدر نفسه ، ص ٤٩ وما بعدها ، وللمزيد انظر ، بهاء الدين الجندي . السلوك في طبقات العلماء والملوك . تحقيق ، محمد بن علي الأكوع (صنعاء : وزارة الثقافة والإعلام ، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م) حـ١ ، ص ٢١٩- ٢٢٧ ، أبو الحسن علي بن الحسن الخزرجي . العسجد المسبوك فيمن ولي اليمن من الملوك . نشرته وزارة الإعلام اليمنية على شكل تصوير للمخطوطة ، وأجرت عليه تعديلاً طفيفاً ، وهو ترقيم الصفحات مطبعياً . وتولت تصويره دار الفكر ، دمشق ، ص ٩٦- ١٠٤ ، عبد الرحمن بن محمد الوصابي . تاريخ وصاب المسمى : الاعتبار في التواريخ والآثار . تحقيق ، عبد الله محمد الحبشي (صنعاء : مركز الدراسات والبحوث اليمني ، ١٩٧٩م) ص ٢٢- ٢٦.

(٥٦) الشجاع . تاريخ اليمن ، ص ١٨٧ وما بعدها . وللمؤلف نفسه بحث بعنوان : " نشأة الدولة الزيادية بين الحقيقة والخيال " مجلة الإكليل (صنعاء : وزارة الثقافة) عدد السنة (٩) . كما نشرت هذه الدراسة في كتاب للمؤلف بعنوان : اليمن في عيون الرحالة .

(٥٧) الشجاع ، تاريخ اليمن ، ١٩٠- وللمزيد عن علي بن الفضل القرمطي الذي استولى على أجزاء عديدة من بلاد اليمن ، وعن أعوانه من الإسماعيلية والقرامطة ، انظر . محمد بن مالك الحمادي . كشف

أسرار الباطنية وأخبار القرامطة . نشر وتصحيح / عزت العطار ، مطبعة الأنوار القاهرة ، ونسخة أخرى ، تحقيق ، محمد زينهم محمد عزب (القاهرة : دار الصحوة ، ١٤٠٦هـ /١٩٨٦م) ص ٦٢ وما بعدها .

(٥٨) أبو جعفر محمد بن جرير الطبري . تاريخ الرسل والملوك . تحقيق ، محمد أبو الفضل إبراهيم (القاهرة : دار المعارف ، د ت) ، حـ١٠ ، ص ١٣٨ .

(٥٩) الشجاع ، تاريخ اليمن ، ص ١٩١ .

(٦٠) المرجع نفسه . وللمزيد عن تاريخ القرمطة والدوله الحوالية اليعفرية في اليمن ، انظر عمارة ، تاريخ اليمن ، ص ٥٦ — ٥٨ ، عبد الواسع بن يحي الواسعي . تاريخ اليمن المسمى فرجة الهموم والحزن في حوادث وتاريخ اليمن (صنعاء : الدار اليمنية للنشر والتوسيع ، ١٤١٤هـ /١٩٨٤م) ص ١٦٠ - ١٦٢ - ١٦٩ - ١٧١ ، عصام الدين الفقي . اليمن في ظل الإسلام منذ فجره حتى قيام دولة بني رسول ..(القاهرة : دار الفكر العربي ، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م) ، ص٩٠ - ٩٧ ، ابن جريس ، نجران ، جـ١ ص١١٠.

(٦١) الشجاع ، تاريخ اليمن ، ص ١٩١ - ١٩٢

(٦٢) الحسن بن أحمد الهمداني . الإكليل . تحقيق ، محمد علي الأكوع (بغداد : دار الحرية ، ١٣٩٧هـ /١٩٧٧م) ، حـ١ ص ٤٢٨.

(٦٣) عمارة ، تاريخ اليمن ، ص ٥٥ الوصابي ، الاعتبار ، ص٢٢ وما بعدها

(٦٤) يعقوب ، سيرة الإمام المنصور (العيَّاني) ، ص ٣١ - ٣٢ ، مجموع كتب ورسائل العيَّاني ، ص ٢٢٢ وما بعدها .

(٦٥) العقيلي ، المخلاف ، ص ٢٠١ وما بعدها ، الزيلعي ، الأوضاع ،

ص ٢٠ .

(٦٦) المرجعان نفسهما .

(٦٧) يعقوب ، سيرة الإمام المنصور (العيَّاني) ، ص ٣١ وما بعدها ، عمارة ، تاريخ اليمن ، ص ٥٥ وما بعدها ، الشجاع ، تاريخ اليمن ، ص ١٨٦- ١٨٨ .

(٦٨) عبد الملك بن قريب الأصمعي . تاريخ العرب قبل الإسلام . تحقيق الشيخ / محمد حسن آل ياسين (بغداد : مطبعة دار المعارف ، ١٣٧٩هـ / ١٩٥٩م) ، ص ٥٦ وما بعدها ، ياقوت ، معجم ، حـ٥ ، ص ٢٦٦ .

(٦٩) الأصمعي، تاريخ، ص ٥٧ وما بعدها، ابن جريس ، نجران ، حـ١ ، ص ٣٠ – ٣١ .

(٧٠) الهمداني ، صفة ، ١٨١ وما بعدها ، الأصمعي ، تاريخ ، ص ٨١ وما بعدها ، ابن جريس ، نجران ، حـ١ ، ص ٣٢ وما بعدها .

(٧١) الطبري ، تاريخ ، حـ٣ ، ص ١٢٦ وما بعدها . وللمزيد عن إسلام أهل نجران ، انظر ، أبو محمد عبد الملك بن هشام . السيرة النبوية . تحقيق ، مصطفى السقا (بيروت : دار القاسم ، د.ت)، حـ٤ ، ص ٢٤٠- ٢٤١ ، محمد بن سعد . الطبقات الكبرى (بيروت : دار صادر ، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م)حـ١ ، ص ٣٣٩ - ٣٤٠ .

(٧٢) ابن سعد ، الطبقات، حـ١ ، ص١٦٥ ، ٢٥٧- ٣٥٨، أبو الفداء إسماعيل بن كثير . تفسير القرآن الكريم (بيروت: دار المعرفة ، ١٤١٢هـ/١٩٩١م) ، حـ١ ، ص٣٧٦- ٣٧٧، ابن جريس ، نجران ، حـ١ ، ص٧٤- ٨٢.

(٧٣) ابن جريس ، نجران ، حـ١ ، ص١٠١- ١١٢.

(٧٤) للمزيد عن قبيلة كعب بن الحارث ونفوذها في نجران ، انظر ،

أبو المنذر هشام بن محمد بن السائب الكلبي . نسب معد واليمن الكبير . تحقيق / ناجي حسن (بيروت : عالم الكتب ، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م) ، حـ١ ، ص٢٦٨ ، وما بعدها ، أبو محمد علي بن أحمد بن حزم . جمهرة أنساب العرب . راجعه لجنة من العلماء (بيروت : دار الكتب العلمية، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م) ، ص٤١٦ وما بعدها ، عبد الرحمن بن خلدون . تاريخ بن خلدون . تحقيق / خليل شحادة وسهيل زكار (بيروت :دار الفكر للطباعة والنشر ، ١٤٠١هـ / ١٩٨١م) حـ٢ ، ص٣٠٦- ٣٠٧.

(٧٥) للمزيد عن الدولة الزيدية في اليمن ، انظر، الواسعي ، تاريخ ، ص١٧٩ وما بعدها ، شرف الدين ، اليمن ، ص٢٤٥- ٢٦٢ ، الفقي ، اليمن ، ص٣٧٨ وما بعدها .

(٧٦) المراجع نفسها.

(٧٧) المراجع نفسها ، للمزيد انظر ، ابن جريس ، نجران ، حـ١ ، ص١١٠- ١١٢.

(٧٨) يعقوب ، سيرة الإمام المنصور (العيَّاني) ، ص٨٣وما بعدها ، مجموع كتب ورسائل العيَّاني ، ص٢١٧ ، ٢٣١ ، ٢٨٥ ، ٢٩٢.

(٧٩) هكذا وردت في النص الرئيسي .

(٨٠) انظر ، يعقوب ، سيرة الإمام المنصور (العيَّاني) ، ص٣١، مجموع كتب ورسائل العيَّاني ، ص٢٢٢.

(٨١) ورد في الأصل : الصلاة ، ولعل الصواب ما ذكرنا .

(٨٢) ورد في الأصل : وعلانيته ، ولعل الصواب ما أثبت .

(٨٣) ورد في متن النص : أنف وفي الهامش ، انصف ، ولعله الصواب .

(٨٤) سورة فصلت ، آية (٣٣) .

(٨٥) سورة آل عمران ، آية (٦٤) .

(٨٦) سورة آل عمران ، آية (١٠٥) .

(٨٧) يعقوب ، سيرة الإمام المنصور (العيَّاني) ، ص٣٢.

(٨٨) المصدر نفسه ، للمزيد انظر ، مجموع كتب ورسائل العيَّاني ، ص٢٢٤.

(٨٩) لم نجد له ترجمة .

(٩٠) للمزيد انظر ، يعقوب ، سيرة الإمام المنصور (العيَّاني) ، ص٢٧.

(٩١) سورة الأنعام ، آية (٨٢) .

(٩٢) سورة آل عمران ، آية (١٦١) .

(٩٣) في الأصل : " ولا تقال عثرة زكاته " .

(٩٤) سورة فصلت ، الآيتان (٦،٧) .

(٩٥) سعيد بن سراج : أحد رجالات الإمام العيَّاني ، والذي كان يرسله في مهام عديدة لإبلاغ أوامره وقراراته إلى بعض الأماكن والجهات التابعة للإمام أثناء حكمه لليمن .

(٩٦) سورة التوبة ، الآية (١٣) .

(٩٧) إبراهيم بن المختار ، وعبد الله بن يحيى من رجال الإمام العيَّاني الذين حكموا بعض النواحي في اليمن للعياني ، وقد حكما بلاد نجران لبعض الوقت ، لكن النجرانيين كانوا غير راضين عنهما ، ويسعون إلى محاربتهما والثورة ضدهما من حين لآخر .

(٩٨) بنو الحارث ، ويام ، والأحلاف من القبائل الرئيسة المستوطنة لنجران منذ عهود سابقة للإسلام ، ولازال بعضهم يسكن نجران حتى اليوم (مشاهدات الباحث في نجران خلال عام (١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م) .

(٩٩) وأدعة وبعض رجالات ثقيف مع بعض مواليهم استوطنوا نجران منذ عهود سابقة للإسلام . للمزيد انظر ، يعقوب ، سيرة الإمام المنصور

(العيَّاني)، ص٢٨ ، الهمداني ، صفة ، ص٣١٧، ٣١٨.

(١٠٠) لم نجد ترجمة للقاضي :- سليمان بن النساخ ، ولكن يبدو أنه من رجالات الإمام العيَّاني ، ومن الذين عملوا معه أثناء حكمه لبلاد اليمن .

(١٠١) هؤلاء الرجال : علي بن حبيب ، وسليمان الربيع ، وسليمان بن علي ممن عملوا على جمع الزكاة ، للإمام العيَّاني في نجران وغيرها . وربما كانوا من رجال اليمن المقربين إلى الإمام ، والموثوق بهم عنده .

(١٠٢) قرقر :- بلد من أوطان بلحارث في نجران . الهمداني ، صفة ، ص٣١٨.

(١٠٣) ورد في الأصل :- بأسمائهم ، والصحيح ما أثبتناه .

(١٠٤) المهجر : لم نجد تعريف لهذا المكان ، وإنما وجدنا أسماء ومواقع أخرى مثل : (الهجر) و(الهجرة)و(الهجيرة)و(المهجم) ، وكلها تقع خارج بلاد نجران . ونفهم من نص الرسالة أن مدينة المهجر المذكورة من ضمن قرى ومدن نجران . للمزيد انظر . الهمداني ، صفة ، ص١٨٢ ، يعقوب ، سيرة الإمام المنصور (العيَّاني) ، ص٣٠، الحجري مجموع بلدان اليمن ، حـ٤ ، ص٧٢٥، ٧٧٥.

(١٠٥) بشر : هكذا وردة في الأصل ، ولعل المقصود بذلك (في كل شيء) .

(١٠٦) يعقوب ، سيرة الإمام المنصور (العيَّاني) ، ص٣٠، مجموع كتب ورسائل الإمام العيَّاني ، ص٢٢١.

(١٠٧) يعقوب ، سيرة الإمام المنصور(العيَّاني) ،ص١٢٤.

(١٠٨) سورة آل عمران ، آية (١٠٣) .

(١٠٩) لمزيد من التفصيلات عن تاريخ نجران قبيل وأثناء ظهور الإسلام ، انظر ، ابن هشام ، السيرة ، حـ٤ ، ص٢٤١ ، الطبري ، تاريخ ،

حـ٣ ، ص٦٤ ، جواد علي . المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام (بيروت : دار العلم للملايين ، ١٩٧٨م) حـ٥ ، ص٣٥٣، ابن جريس ، نجران ، حـ١ ، ص٥٦ وما بعدها .

(١١٠) ربيعة الفرس : هم ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان . انظر ، التعريف في الأنساب للأشعري (القاهرة ، د.ت) ، ص٩٨.

(١١١) في الأصل :- لا يضيعوا ، والصواب ما أثبت .

(١١٢) يعقوب ، سيرة الإمام المنصور (العيَّاني) ، ص١٣٥.

(١١٣) للمزيد عن تاريخ النصارى في نجران منذ ظهور الإسلام حتى القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي ، انظر ، الطبري ، تاريخ ، حـ٣ ، ص٣١٨، حـ٤ ، ص١١٠ ابن سلام ، الأموال ، ١٤٤- ١٤٥ ، ابن جريس ، نجران ، حـ١ ، ص٩٦- ١٠١ ، ٤٥٠- ٤٥٤.

(١١٤) للمزيد عن صيغة الصلح الذي عقده الإمام الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين (مؤسس الدولة الزيدية في صعدة) مع أهل الذمة من نصارى نجران في نهاية القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي ، انظر . علي بن محمد بن عبيد الله العباسي . سيرة الهادي إلى الحق . تحقيق سهيل زكار (بيروت ، د.ن، ١٩٨١م) ، ص٧٢ وما بعدها ، عاتق البلادي . بين مكة وحضر موت رحلات مشاهدات (مكة المكرمة : دار مكة للطباعة والنشر ، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م) ، ٢٤١- ٢٤٧.

(١١٥) المصادر والمراجع نفسها ، للمزيد انظر ، يعقوب ، سيرة الإمام المنصور (العيَّاني) ، ص١٣٦.

(١١٦) المصدر نفسه ، للمزيد انظر ، مجموع كتب ورسائل العيَّاني ، ص٢٩٤- ٢٩٥.

(١١٧) المصدران نفسهما .

(١١٨) انظر نصوص رسائل الإمام العيَّاني ، إلى أهل عثر ونجران ، يعقوب ، سيرة الإمام المنصور (العيَّاني) ، ص٢٧ ، ٣١ ، ١٣٤ ، مجموع كتب ورسائل العيَّاني ، ص٢١٧ ، ٢٢٢ ، ٢٩٢.

(١١٩) للمزيد انظر ، يعقوب ، سيرة الإمام المنصور (العيَّاني) ، ص٢٧ وما بعدها .

(١٢٠) لمزيد من الإيضاح عن قوة ونفوذ قبيلة بني الحارث بن كعب المذجحية في نجران ، انظر ، ابن الكلبي ، نسب معد ، حـ١ ، ص٢٦٧ ، ابن حزم ، جمهرة ، ص٣٣١ ، ياقوت ، معجم ، حـ٥ ، ص٢٦٨.

(١٢١) للمزيد عن تاريخ الدولة الزيدية ورغبة أئمتها في السيطرة على أجزاء عديدة في بلاد تهامة ونجران ، انظر . يعقوب ، سيرة الإمام المنصور (العيَّاني) ، ص٢٨ وما بعدها ، الواسعي ، تاريخ ، ص١٧٩وما بعدها ، البلادي ، بين مكة وحضرموت ، ٢٣٥ وما بعدها .

(١٢٢) المصدر والمرجع نفسهما .

(١٢٣) للمزيد من التفصيلات انظر ، الواسعي ، تاريخ ، ص١٧٩ وما بعدها ، شرف الدين ، اليمن ، ص٤٥- ٢٦٢ ، ابن جريس ، نجران ، حـ١ ، ص٣٩٠.

(١٢٤) انظر ، يعقوب ، سيرة الإمام المنصور (العيَّاني) ، ص٣٢ وما بعدها ، مجموع كتب ورسائل الإمام العيَّاني ، ص٢١٧ ، ٢٨٩ ، ٣٣٢ ، ٣٤١- ٣٤٣.

(١٢٥) هذه مسئولية ملقاة على عاتق الجامعات والمؤسسات العلمية والأكاديمية في بلادنا .

(١٢٦) مجموع كتب ورسائل الإمام العيَّاني ، ص٢١٧ وما بعدها .

(١٢٧) للمزيد ، انظر ، يعقوب ، سيرة الإمام المنصور (العيَّاني) ، ص٢٨ وما

بعدها ، مفرح بن أحمد الربعي . سيرة الأميرين الجليلين الشريفين الفاضلين (نص تاريخي يمني من القرن الخامس الهجري) . تحقيق رضوان السيد وعبد الغني محمود وعبد العاطي (بيروت : دار المنتخب العربي ١٤١٣هـ/١٩٩٣م) ص١٣ وما بعدها .

(١٢٨) بنو خيثمة : أحد عشائر نجران الحارثية وكانت من أشد البطون المعادية للأئمة الزيدية في نجران وما حولها . انظر ، يعقوب ، سيرة الإمام المنصور (العيَّاني) ، ص٨٣ وما بعدها .

(١٢٩) سورة الإسراء ، آية (٣٤) .

(١٣٠) سورة المائدة ،آية (١) .

(١٣١) سورة المؤمنون ، آية (٨) .

(١٣٢) وائلياً : أي من قبيلة وائلة ، وهي قبيلة تنسب إلى وائلة بن شاكر مساكنها في صعدة ونواحيها ، انظر ، الهمداني ، الإكليل ، حـ١٠ ، ص١٨٩.

(١٣٣) يعقوب ، سيرة الإمام المنصور (العيَّاني) ، ص٨٣.

(١٣٤) سورة التوبة ، الآيتان (١٣- ١٤) .

(١٣٥) سورة محمد ، الآية (٧) .

(١٣٦) سورة البقرة ، آية (٢١٦) .

(١٣٧) سورة الشورى ، آية (٣٩) .

(١٣٨) يقصد بـ (العبدين الفاجرين) أي حاكمي عثر في تهامة ، واللذين أرسل إليهما الإمام العيَّاني رسالته المدونة في أول هذه الدراسة .

(١٣٩) سورة البقرة ، آية (٢٦١) .

(١٤٠) سورة النساء ، الآيتان ، (٩٦,٩٥) .

(١٤١) الجراف هنا : أي جراف حاشد ، للمزيد انظر ، الهمداني ، صفة ،

١٧٠ ، ٤٠٩.

(١٤٢) سورة الأنفال ، آية (٦٠) .

(١٤٣) سورة آل عمران ، آية (٢٠٠) .

(١٤٤) سورة التوبة ، الآيات (١٣- ١٥) .

(١٤٥) كلمة غير واضحة وقد وردت بهذه الصورة (قدا) .

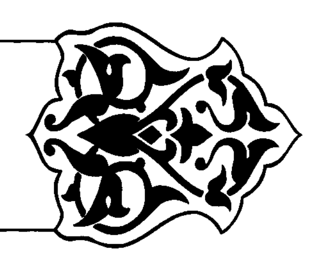
(١٤٦) سورة محمد ، الآية (٧) .

(١٤٧) للمزيد انظر ، يعقوب ، سيرة الإمام المنصور (العيَّاني) ، ص١٧١-١٧٢.

(١٤٨) القاضي الحسين أحمد بن يعقوب ، من المعاصرين للإمام العياني ، ويعد أحد علماء وفقهاء القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي ، وبخاصة في علوم وفكر وأدب المذهب الزيدي ، وهو المؤلف لسيرة الإمام العيَّاني ، انظر ، السيرة نفسها ، ص٥ وما بعدها .

(١٤٩) يقصد بـ (بيش) هنا : أي بلدة بيش الواقعة ضمن مخلاف عثر والتي يستوطنها العبدين المذكورين في الرسالة التي أرسلها الإمام العيَّاني ، التي ورد نصها في بداية هذه الدراسة .

(١٥٠) للمزيد انظر ، يعقوب ، سيرة الإمام المنصور (العيَّاني) ص١٢٩- ١٣٠.



الدراسة
الحادية عشرة



بلاد السراة في كتاب :
سيرة الأميرين الجليلين الشريفين الفاضلين القاسم ومحمد ابني جعفر الإمام العياني
من عام (٤٥١- ٤٥٩هـ / ١٠٥٩- ١٠٦٦م)
(دراسة تاريخية تحليلية).

إعداد

أ . د. غيثان بن علي بن جريس

(*) هذه الدراسة شارك بها الباحث في الندوة العالمية السادسة لدراسات تاريخ الجزيرة العربية ، والتي عقدت في رحاب جامعة الملك سعود بالرياض في الفترة الممتدة من (٢٨-٢٩/١٠/١٤٢٧هـ الموافق ١٩-٢٠/ ١١/٢٠٠٦م) . وهذا البحث منشور ضمن أعمال الندوة في الكتاب السادس من دراسات تاريخ الجزيرة العربية ، والخاص بالعصر العباسي من القرن الخامس حتى نهاية القرن السادس الهجري ، ص ١٢٩ – ١٥٦ .

محتويات الدراسة الحادية عشرة

م	العنوان	أرقام الصفحات
أولاً	مقدمة	٥٣٧
ثانياً	المقصود ببلاد السراة	٥٣٧
ثالثاً	التعريف بالأميرين واسرتهما ، وعلاقتهما ببلاد السراة	٥٣٩
رابعاً	التعريف بالكتاب : سيرة الأميرين...، ومؤلفة ، والهدف من تأليفه	٥٤٢
خامساً	نصوص الكتاب التي تعرضت لبلاد السراة من عام (٤٥١- ٤٥٩هـ / ١٥٠٩- ١٠٦٦م).	٥٤٥
سادساً	دراسة النص وتحليله :	٥٥٨ — ٥٧٣
	١- الناحية الجغرافية	٥٥٨
	٢- الناحية السياسية والإدارية	٥٥٩
	٣- الناحية الإجتماعية	٥٦٢
	٤- الأحوال الإقتصادية	٥٦٤
	٥- الأحوال الدينية	٥٦٧
	٦- الأحوال العلمية والأدبية	٥٧٠
سابعاً	الخاتمة : النتائج وتوصيات البحث	٥٧٣
ثامناً	الحواشي والتعليقات	٥٧٧

أولاً : مقدمة :

قبل الدخول في صلب الموضوع والحديث عن مادة الكتاب التي أشارت إلى تاريخ بلاد السراة خلال العقد السادس من القرن الخامس الهجري /الحادي عشر الميلادي ، كان علينا توضيح بعض الجوانب مثل : الموقع الجغرافي لبلاد السراة ، المعني في هذا الدراسة ، ثم التعريف بالأميرين الجليلين وأسرتهما وعلاقتهما ببلاد السراة ، كذلك التعريف بالكتاب، والظروف التي جعلت مؤلفه يقوم بتدوين سيرة هذين الأميرين الزيديين . وأخيراً إيراد النصوص المدونة في الكتاب ، وبخاصة التي تعرضت لبلاد السراة ، ثم تحليلها والخروج بالنتائج المستخلصة من هذه النصوص .

ثانياً : المقصود ببلاد السراة :

إن السراة أو السروات هي تلك الجبال الشاهقة الممتدة من اليمن إلى الشام.[١] والمشاهد لجغرافية هذه السروات يجدها تتفاوت في العلو والارتفاع ، والأجزاء الجنوبية ، وبخاصة الممتدة من الطائف إلى صنعاء تكاد تكون أكثر جبال السروات ارتفاعاً.[٢] ونجد كتب الجغرافيا والرحلات ، وبعض كتب اللغة والأدب والتاريخ تورد مصطلحات متعددة لاسم السراة.[٣] فمنها ما يذكرها باسم السراة أو السروات ويطلق على أهلها السرو أو السرويون.[٤] وأحياناً تسمى جبال الحجاز،[٥] وهناك بعض الروايات تحدد أرض السرو بالبلاد الواقعة جنوب الطائف والممتدة إلى صنعاء ، وقد يطلق عليها سروات جنوب الطائف ،[٦] وربما سميت بسروات

الحجاز وسروات اليمن.[٧] ويقصد بسروات الحجاز أي بلاد الطائف ومكة المكرمة وما حولها ، أما سروات اليمن فهي السلاسل الجبلية الواقعة حول صنعاء وصعدة ونجران وما حولها.[٨] والهمداني يفصّل الحديث عن السرويين الواقعة بلادهم بين الطائف وصنعاء ، فيذكر اسم كل قبيلة في هذا الجبل الكبير ، ويورد قبل اسم القبيلة كلمة (سراة) ويعددها من الجنوب إلى الشمال ، فيذكر:- سراة خولان ، وسراة جنب (قحطان)، وسراة عنز (عسير وجزء من شهران)[٩] ، وسراة الحجر (عشائر بللحمر وبللسمر ، وبنو شهر ، وبنو عمرو) وسراة بلقرن وشمران ، وسراة غامد وزهران ، ويواصل ذكره للسروات الباقية حتى الطائف.[١٠] وهذه السروات التي ذكرها الهمداني والواقعة ضمن البلاد الممتدة من صعدة إلى الطائف هي البلاد المعنية باسم (بلاد السراة) في هذا البحث . وسبب اقتصارنا الحديث على هذه البلاد وفي كتاب واحد خلال تسع سنوات فقط (٤٥١- ٤٥٩هـ/١٠٥٩- ١٠٦٦م) يعود إلى بعض الأسباب نذكر منها ما يلي:

١- عدم توفر مادة علمية لتاريخ وحضارة هذه البلاد ، وبخاصة في العهود الإسلامية المبكرة والوسيطة ، وغالباً ما نجد كتب التراث تذكر تاريخ حواضر اليمن والحجاز ، وإن أشارت إلى البلاد الواقعة بينهما ، اختصرت فيما ذكرته ، وأحياناً تذكر عموميات فتصف هذه البلاد باليمن ، أو جنوبي مكة والطائف ، أو السروات . وكل هذه

المصطلحات لا تفيدنا كثيراً في معرفة تاريخ هذه المواطن ، ومدى علاقتها التاريخية والحضارية بالحجاز واليمن واليمامة وغيرها .

٢- ندرة المادة العلمية التي وجدناها في هذا الكتاب عن بلاد السراة ، وفي تسع سنوات فقط من القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي . وإذا بحثنا لمثل هذه المعلومات في كتب اليمن والحجاز المحلية ، فإنه من الصعب أن نجد مثلها أو ما شابهها من الأحداث التاريخية والحضارية المتنوعة.[١١]

ثالثاً : التعريف بالأميرين وأسرتهما، وعلاقتهما ببلاد السراة:

هذان الأميران القاسم ومحمد ابنا جعفر بن الإمام العيَّاني عرفا بلاد السراة ، وبخاصة أرض ترج من بلاد خثعم منذ طفولتهما،[١٢] وذلك أن جدهما الإمام القاسم العيَّاني ولد في تبالة [١٣] بأعالي وادي بيشة عام (٣١٠هـ/٩٢٢م)، وعاش في وادي ترج زهاء عشرين سنة.[١٤] ولا ندري ما هو السبب الذي جعل أسرة الإمام العيَّاني تتخذ من تبالة موطناً لها ، بل لا ندري أيضاً متى قدم أجداد العيَّاني إلى كل من تبالة وترج ببلاد خثعم في أرض السراة.[١٥] ولكن من المحتمل أنهم قدموا إلى هذه البلاد لعدة أسباب أهمها :

١- توسط مناطق ترج وتبالة ، وما جاورها من أرض بيشة ، بين اليمن والحجاز جعلت الكثير من الأشراف ، ومنهم الإمام العيَّاني الذي يعد واحداً منهم ، يفضلون الاستقرار بها لكثرة المزروعات والخيرات

بأرضها ، ثم لقوة وشجاعة أهلها وبسالتهم ، بالإضافة إلى كرمهم وحمايتهم لمن يستجير بهم.

٢- صعوبة تضاريس بلاد السراة ، وهذه ميزة أخرى تجعل بعض السياسيين ورجال الحكم في كل من اليمن والحجاز على مر العصر الإسلامي المبكر والوسيط يتخذونها مأوى وملجأً لهم عندما لا يستطيعون التصدي لخصومهم في حواضر اليمن والحجاز . وهذا مما دفع الأميرين القاسم ومحمد الخروج من اليمن إلى ترج عام (٤٥١هـ/١٠٥٩م) عندما عجزوا عن مواجهة حكام الدولة الصليحية [١٦]. ولا يستبعد أن آباء وأجداد الإمام القاسم العيَّاني قد خرجوا إلى تبالة في عصور متقدمة إما هروباً من أذى بعض أعدائهم في الحجاز أو اليمن ، أو أنهم كانوا يسعون إلى العيش في مكان آمان بعيداً عن الصراعات السياسية في كل من اليمن والحجاز، [١٧] ومتى سنحت لهم الفرصة فلن يتأخروا عن المساهمة بما يستطيعون ، وبخاصة في بلاد اليمن التي هي مقر نفوذهم ومذهبهم الزيدي[١٨].

ونلحظ بأن الإمام القاسم العيَّاني قد مكث في ترج إلى آخر القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي ، وعندما ساءت الأوضاع السياسية في اليمن قدم عليه بعض اليمنيين في ترج عام (٣٨٣هـ/٩٩٣م)، وحثوه على القدوم معهم إلى صعدة وصنعاء كي يتولى أمر السلطة السياسية الزيدية هناك ، فذهب معهم ، ولكنهم خذلوه فيما وعدوه به من النصرة والمساعدة ، فعاد إلى ترج من أرض خثعم حتى عام (٣٨٨هـ/٩٩٨م)، ثم قدم عليه وفد آخر

فأقنعوه بالذهاب معهم ، فخرج معهم حتى دخل صعدة في المحرم (٣٨٩هـ/٩٩٨م) ، ومد نفوذه على أجزاء عديدة من بلاد اليمن ونجران والسروات ، لكنه لم يدم في السلطة طويلاً ، لأنه ظهر له بعض المناوئين من أهل بيته فاستولوا على أجزاء من البلاد التي كانت تحت حوزته ، وبالتالي اضطر إلى التخلي عن الأمر والنهي في البلاد واعتزل في بلاد عيان باليمن [١٩] حتى توفي في شهر رمضان عام (٣٩٣هـ /١٠٠٢م)[٢٠]

وبعد موت الإمام القاسم العيَّاني خلفه في حكم اليمن ابنه الحسين بن القاسم ، وادعى لنفسه بالإمامة ، ثم أطلق على نفسه اسم (المهدي) عام (٤٠١هـ/ ١٠١٠م) ، وقد بالغ في هذا الادعاء واشتد في محاربة من تصدى له حتى قُتل على يد قبائل همدان عام (٤٠٥هـ / ١٠١٣)[٢١] ، فجاء من بعده أخوه جعفر الذي تولى صعدة في عهد والده ، ثم صنعاء في عهد أخيه الحسين وهو صاحب فكرة إشاعة أن أخاه الحسين لم يمت ، ولم يدع إلى نفسه بالإمامة بعد أن أعلن أن أخاه حي لم يمت ، واكتفى بلقب أمير حتى لا يناقض نفسه [٢٢] ، وتوفي بصنعاء عام (٤٠٥هـ/ ١٠١٤م) [٢٣] ، وجاء من بعده ولداه الأميران القاسم بن جعفر الملقب ب(الفاضل) ، وأخوه محمد بن جعفر بن القاسم الملقب بـ(ذي الشرفين)[٢٤] ، وقد سعيا إلى السيطرة على بلاد اليمن ، وفي عام (٤٤٨هـ/ ١٠٥٦م) عملا على التصدي للداعي علي بن محمد الصليحي [٢٥] ، ولكنه هزمهما فاعتصما مع بعض أتباعهما في حصن الهرابة ببلاد وادعة في أرض حاشد،[٢٦] فحاصرتهم قوات الصليحي حتى نزلا على حكمه فسجن ، الأمير (الفاضل) نحو عامين

ثم أطلق سراحه ، فخرج مع أخيه الأمير محمد (ذو الشرفين) وبعض أتباعهما إلى بلاد السراة وبخاصة موطن جدهم الإمام القاسم العيَّاني في ترج ، وبقيا فيها بعيداً عن أذى الصليحيين حوالي تسع سنوات (٤٥١- ٤٥٩هـ/١٠٩٥- ١٠٦٦م)، بعدها عادا إلى اليمن لمواصلة حروبهما ضد ملوك الدولة الصليحية ، وبخاصة المكرم أحمد بن على الصليحى ، وقد استطاعا مد نفوذهما على أجزاء من بلاد اليمن ، ولكن الأجل لم يمهل الأمير الفاضل ، فقتل على يد بعض أعدائه عام (٤٦٨هـ/١٠٧٥م)، وبقي الأمير (ذو الشرفين) يواصل نضاله ضد الدولة الصليحية حتى مات في حصن شهارة بأرض الأهنوم عام (٤٧٨هـ/١٠٨٥م)[٢٧].

رابعاً: التعريف بالكتاب : سيرة الأميرين ....، ومؤلفه ، والهدف من تأليفه :

الكتاب المستخدم في هذه الدراسة ، والموسوم بـ : سيرة الأميرين الجليلين الشريفين الفاضلين نص تاريخي يمني من القرن الخامس الهجري ، لمفرح بن أحمد الربعي ، تحقيق ودراسة رضوان السيد ، وعبد الغني محمود عبد العاطي ، منشورات دار المنتخب العربي للدراسات والنشر والتوزيع في بيروت عام (١٤١٣هـ/١٩٩٣م). يقع النص الأساسي لهذا الكتاب في (٢٤٦) صفحة مطبوعة ، وجميعها تدور حول سيرة الأميرين القاسم (الفاضل) ومحمد (ذو الشرفين) ابني جعفر ابن الإمام القاسم بن علي

العيَّاني ، وبخاصة خلال العقود الوسطى من القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي . ونجد أن أحد المستشرقين المختصين في تاريخ الزيدية باليمن يورد وصفاً جيداً لهذه السيرة،(٢٨) فيقول : " **إن سيرة الأميرين تعتبر مصدراً ،معاصراً وتفصيلياً من الطراز الأول ، ليس للتاريخ السياسي والديني لشمالي اليمن فقط ، بل وللجغرافية التاريخية، وللحياتين الدينية والاجتماعية بتلك النواحي من اليمن . ورغم أنها مكتوبة أصلاً لتخليد أعمال، الشريفين وإبراز معاناتهما وإنجازاتهما ، فإنها تتسم عموماً بطابع حدثي تقريري ، تمكن الثقة به والاعتماد عليه...**" (٢٩).

وهذه السيرة في مجملها توضح صراع هذين الأميرين الزيديين مع حكام الدولة الصليحية في الأجزاء الجبلية من بلاد اليمن ، وما دار من حروب وهزائم وانتصارات لكل من هذين الفريقين المتصارعين (٣٠).

عمل محققا الكتاب على استيفاء بعض الجوانب العلمية التي تخدم مادة الكتاب ، فأضافا في المقدمة دراسة جيدة لويلفرد مادلونغ (Wilferd Madelung) ، وهي بعنوان : " **سيرة الأميرين الجليلين الشريفين الفاضلين القاسم ومحمد ابني جعفر ابني الإمام القاسم بن علي العيَّاني ،السيرة كمصدر تاريخي** ". (٣١) كما أوردا بعد هذه الدراسة تقديماً جيداً بعنوان : ((**سيرة الأميرين الجليلين الشريفين والشيعة الحسينية باليمن**))(٣٢)، وفي هذه الجزئية ناقشا التطور التاريخي الذي جرى على الشيعة الحسينية في اليمن منذ القرن الخامس إلى التاسع الهجريين / الحادي عشر إلى الخامس عشر الميلاديين ، وهذه الفرقة ظهرت قبل ظهور عصر الأميرين ، وبخاصة

بعد موت مؤسسها الحسين بن القاسم بن علي العيَّاني عام (٤٠٤هـ / ١٠١٣م). وأخيراً أضاف المحققان في نهاية الكتاب ثلاثة ملاحق جميعها تدور حول تاريخ الزيدية في اليمن، وبخاصة الملحق الأول، أما الملحقان الثاني والثالث فإنهما يتركزان في معلوماتهما على تاريخ . المهدي الحسين بن الإمام القاسم العيَّاني وفرقته المعروفة بـ (الحسينية).(٣٣)

أما سبب تدوين هذه السيرة فهو يرجع إلى تكليف من الأمير عمدة الإسلام جعفر بن محمد (ذو الشرفين) ، إلى مفرح بن أحمد الربعي ، كي يقوم بتدوين سيرة والده (ذو الشرفين) ، وعمه (الفاضل) ، مع التركيز على صراعاتهم مع الصليحيين في اليمن . واختيار مفرح لهذه المهمة يعود لبعض الأسباب منها :

١- أن عمدة الإسلام جعفر رغب أن يخلد ذكر والده وعمه فسلك مسلك بعض من سبقه من الأئمة الزيدية في تدوين سيرة الفاضل وذي الشرفين ، وما قابلهما من متاعب في محاربة الصليحيين ، وما عانياه من قتل وتشريد داخل اليمن وخارجها.(٣٤)

٢- تم اختيار مفرح بن أحمد الربعي لهذه المهمة ، لأنه أحد رجالات قبيلة ربيعة خولان في صعدة ، والتي كانت على صلات قوية بالأميرين ،ومن أنصارهما المقربين.(٣٥) ثم إن مفرحاً كان شاهد عيان في كثير من الأحداث والوقائع التي يذكرها ، أبتداً من عام (٤٦١هـ /١٠٦٨م) ، والمرجح أنه دخل في خدمة الأميرين قبل هذا التاريخ كخطيب وشاعر رسمي ، وتذكر في السيرة أشعار كثيرة له نظمها في

الانتصارات ومناسبات أخرى . كما قام بمهام عديدة كلف بها من قبل الأميرين.[٣٦] أما ما ذكر مفرح عن الأميرين قبل دخوله في خدمتهما ، فقد حصل عليها من مرافقي الأميرين والمقربين منهما ، وبخاصة اثنين من أصحابهما ، وهما : الفقيه أبو الحسن على بن محمد بن عبد الملك بن أبي الجيش ، وسلامة بن علي بن محمد المحلي . ويبدو أن هذين الرجلين رافقا الشريف الفاضل منذ بداية حياته ، وأثناء صراعاته مع الصليحيين خلال العقد الخامس من القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي ، كما بقيا معه ، بعد احتجاز الصليحيين له. وكان سلامة مهتماً بتأمين غذائه وحاجاته الشخصية الأخرى ، ثم رافقه في منفاه الاختياري بعد خروجه من الأسر ، وذهابه من اليمن إلى ترج وأجزاء عديدة من بلاد السراة عام (٤٥١هـ /١٠٥٩م) [٣٧].

خامساً : نصوص الكتاب التي تعرضت لبلاد السراة من عام (٤٥١-٤٥٩هـ /١٠٥٩- ١٠٦٦م) :

يتحدث مفرح بن أحمد الربعي عن الفاضل وأخيه ذي الشرفين وسبعة نفر آخرين من صحابتهما خرجوا من بلاد صعدة متجهين نحو نجران[٣٨] ، راغبين في الوصول إلى موطن جدهم الإمام القاسم العيَّاني في وادي ترج بأعالي وادي بيشة ، فقال :

" فلمّا صِرْنا إلى بدرٍ ، لقونا ورحّبوا بنا ، واقتسمونا ، فأخذنا ذلك الرجل ، فصرنا عنده ، وصار الباقون عند أهل بدر[٣٩]. فلمّا كان على جزءٍ

من الليل ،نهضْنا ومعنا ذلك الرجل ، فبتنا سارِين وارتقى بنا جبلا صعبا حتى صِرْنا إلى قريةٍ تسمى / أنافية [٤٠] ، فسألهم الشريف الصحابة إلى الخطّاب بن يعيش الجُماعي[٤١])، ففعلوا حتّى أوصلونا إلى جانب بلاده ، ولقيونا إلى جانبٍ منها ، فَرَحَّبَ وقَرَّبَ ، وعرض على الشريف الإقامةَ في بلده ، فكره ذلك الشريف ، وعزم على المصير إلى ترج من بلد خثعم [٤٢] ، فصحِبَنا حتّى أوصلَنا بلدَ وادعة[٤٣] ، فسألهم الصحابة ، فا نغمّوا بذلك ، وأجزنا ببلاد سنحان ،[٤٤] معنا رجلُ سنحاني ، قد استصحبه لنا الوادعيّون ، وكنّا خُوّفاً من سنحان لأنّها أصلُ الدعوة والأصل منها شواحط [٤٥]، فسرينا بلدهم ليلاً حتى أصبحنا بالراحة من بلد بني شريف [٤٦] ، فلبثْنا بها زُهاءَ ثمانية أيام ، فطمِعْنا فيها بالْمُقام ، وإذا فيها لبني الصُّليحي المجاب وأهل العهد والأصحاب ، فاستوحش الشريف لذلك فسألهم الصحابة إلى الأخرق الجنبي [٤٧]،ففعلوا ، فوجدْناه بأرضٍ فيحاء ، إلاّ أنها جديبة منقطعةُ عن القُرى ، وإذا عنده، القننة شحيحة ، وخُطُمُهُ مُشيخة ، فقدّمَنا وأكرمَنا وواجَهَنا بالبشاشة في السلام والبِشْر والإكرام ، ، ثمّ ذبح لنا شاةً هَزْلاءَ ، وهيّأ طعاماً غَثّاً صنع البادية ، مع أنه قد بالغ في مقدرته إلى الكرامة وبَعُدَ عن الذَّمِّ والملامة ."

" قال سلامةُ بن علي[٤٨] : .. ونفذ ما كان معنا من الزاد ، ووقعنا في مقطعةٍ محطومةٍ من البلاد . ثمّ سأله الصحابةَ ، فأرسل معنا ،رجلين من بني عمِّه ، فصار بنا على صِرْم لبني عبيدة من جَنْب[٤٩] ، فما شعروا بنا إلاّ بين أبياتهم . ولقد همّوا بنا لِعِظَم البِغضةِ ، فلم يجدوا بُداً أن أضافونا ، وفرشوا

لنا ، فرأيتُ نساءَهم تأتي الواحدة حتّى، تشرف في وجه الشريف وهو مُرْخٍ عليه جلبابه فتقول : ما أدَّاك ها هنا يا شريف ؟ فيميل بوجهه عنها ، فتأتي الأُخرى من ،الناحية الأُخرى فتقول كذلك . ثمّ سأل الشريف منهم الصحابة ، فانتدب منهم لذلك رجلان ، وسرينا من ليلتنا تلك ، وندموا علينا ، ومضوا على أثرنا يريدون الفتكة بنا وبصاحبيهم . فلمّا أصبحْنا ،صلّينا ، والقومُ قد لزموا لنا الطريق ، فشددنا للفتنة ، ثم مضى أحد صاحبيهم ،حتّى نحّاهم جانباً ، ومضى صاحبهم الآخر جانباً . فلمّا قربنا من بلاد عنز بن وائل(٥٠)، جعلوا يلحقون بنا فارساً واثنين حتّى لحقَنا منهم ثمانيةُ فرسان ، وتحقّق الشريف أنهم يريدون بنا المكيدة ، فنزل، فصلّى وصنوه محمد بن جعفر ، وحشمر بن عبد الأعلى راكبان ، فلمّا صلّى ركب ونزل صنوه فصلّى ، ،فلمّا فرغ ركب ونزل حشمر فصلّى ، والقومُ في خلال ذلك يديرون الرأيَ ويشتورون . فلمّا فرغْنا من الصلاة أقبل القومُ بأجمعهم إلينا ، ثمّ استفتح شيخُ لهم الكلامَ / فقال: يا شريف والشريفُ الله، ها هنا حدٌّ ، وإلى ها هنا صحابتنا؛ وفي نفوسهم الغدرُ ،والخديعةُ والمكر . فلمّا سمع الشريف ذلك منهم قال لهم : يا وجوه العرب! لست بحَرّاثٍ ولا تاجرٍ فترغبون فيّ ، أو تهولون عليّ ، أنا رجلٌ من بني الحسن أنا القاسمُ بن جعفر !مَنْ أخذني ها هنا أخذْتُهُ بمكّة. ثم ،قال لنا : إمضوا فمضينا غير بعيدٍ، إلاّ وقد تبعونا يقولون: يا شريف أنتم صحابتُنا ! ثمّ مضينا نحن وهم ،ونحن على أحزم أمورنا ، حتى انتهوا بنا إلى قريةٍ من بلد عنز مما يليهم ، فلقيَنا أهلُ تلك القرية ،بالترحيب ، فقال

لهم الشريف : ما أردتم من إكرامنا فاجعلوه الصحابةَ لنا إلى أمامِنا ، فصحِبونا حتىّ ،انتهَوا بنا إلى البذاخ وهو رجل ٌ من جذيمة من عنز بن وائل، هو دليلُ الحاجّ [٥١] ، فرَحَّب وأجمل وقرى ،وأجزل وعرفنا أنه مُفاتنُ للعواسج بجرش[٥٢] ."

"وكانت كتب ،بني الصُّليحي قد تقدّمَتْنا من ناحية تهامة إليهم فهم على مَسَرّة الصُّليحي بمساءتنا حِراصُ ، ونحن ،لهم خوفُ ؛ وكان وصولنا بالبذاخ ليلاً ، فأَمَرنا فكمنّا في دربة صبيحة يومنا ذلك . فلمّا كان من الليل ركب معنا حتّى استصحب لنا رجلاً رُفيدياً من عنز ، فسار بنا الرجل من فوره حتّى إذا صِرْنا في بعض الطريق، ، تبعَنَا من عشيرته خيلُ ورجالُ يريدون الغدر فينا، وقدّموا منهم رجلين إلى مضيقٍ قُدّامنا يعرفونه، ،وأمروا هذين الرجلين بلزم رفيقهم إذا مَرَّ بهما في المضيق ، فلمّا صِرنا إلى ذلك الطريق وثب الرجلان فلزما رفيقهم . فلمّا رأى ذلك الشريف الفاضل حمل هو وصنوه محمد بن جعفر على الرجلين بالسيوف ،فخلّيا عن شكيمة فرس صاحبنا ، ومضينا على حالنا حتّى انتهينا إلى الشقرة من بلد شهران[٥٣] حتّى صرنا إلى ترج بالسلامة بعد مشقّةٍ من الخوف وانقطاع الزاد . فلمّا أفضينا إلى تَرْج مضى الشريف قاصداً ،إلى المعافى بن بدر . ومضى الشريف الأمير صنوه محمد بن جعفر إلى محمد بن منيع إلى المرفق . ، وأقمْنا هنالك في أحسن حال وأنعم بالٍ ، ليس لنا اشتغالُ إلاّ بقراءة كتابٍ ، أو صلاةٍ أو مُدارسة . وتزوّج ،الأمير محمد بن جعفر بالشريفة

ابنة عمه سليمان بن القاسم بن علي ، وتزوّج الشريف الفاضل امرأةً من آل صُهيب[٥٤]. فلمّا أرادوا الخروج إلى اليمامة طَلّقَها ."

" قال مفرّح بن أحمد : سألْتُ الأمير الأَجَلّ ذا الشرفين عن سفره إلى مكّة ، فقال : لّما صِرْنا بترج بقيت معنا فَرسانِ وبَغْلتانِ ، وخشينا أن يلحقنا من الأمير ابن أبي الفتوح [٥٥] عتبُ ، إذا لم نتّصِلْ به لأنّ يده كانت تصل ، البلاد التي نحن بها ، فأمَرَني الشريفُ الفاضلُ بالتقدُّم إليه بتلك الدوابّ وتسليمها إليه على سبيل ،الهدية . فنهضْتُ مسافراً إلى مكّة معي حشمر بن عبد الأعلى ، وأحمد بن طريف ، ويوسف بن يحيى حتّى إذا صِرنا بتربة[٥٦] ، حضرتنا الصلاة بمسجد تربة ، ونحن مُنيخون بفناء رجلٍ يُقالُ له جبير بن بدر[٥٧] ، فنحن بالمسجد وجعل قومُ يتذاكرون فضائلَ الصحابة ويقدّمون أبا بكرٍ وعمر على عليٍّ عليه السّلام ، ،فَخُضْتُ معهم في الحديث وقلتُ : مَنْ قَدَّمَهُما عليه فقد أخطأ حظّه . وكان هنالك غرباء من العجم فغاظهم ،كلامي ، فتقدّم رجلُ منهم أمامي فقال : ما تقولُ في القرآن أمُحْدَثُ أم قديم؟ قلتُ : أقول كما قال الله السميع العليم : { مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ } [٥٨] ، فجعل إصبعه في أذنيه ، ثُمّ صاح بأعلى صوته : يا لَعبادِ الله ! هذا الكفرُ بالله ! يقول هذا كلامُ الله مُحْدَث . فوقعْنا في خلطةٍ من الناس ، وأجمعوا علينا الكلمةَ ، وهمّوا أن يبطِشوا بنا ، لولا مناخُنا بفناء الجبير بن ،بدر وخِيفة العاقبة من قِبَل الأمير شكر . ثمّ شدّ عزم رفاقنا على سريّة الليل ، فسَرَينا .

ثم إنّ أهل تلك، الناحية أجمعوا وتحالفوا على أن يسطوا بنا في ممرِّنا عليهم، لا يرقُبون فينا إلاّ ولا ذِمّةً . ومضينا حتّى دخلْنا مكّة من ذات عرق[٥٩] . "

قابل ذو الشرفين وصحبه أمير مكة شكر بن أبي الفتوح ، وسلموه هديه الأمير الفاضل ، فاستقبلهم وأحسن إليهم مدة إقامتهم في مكة المكرمة حتى أدوا مناسك الحج ، ثم منحهم بعض الهدايا الجيدة عند عودتهم إلى مقر إقامتهم في ترج . ويواصل مفرح الربعي حديثه أثناء عودتهم مع الأمير ذي الشرفين من مكة ، وصعودهم بلاد السراة ، فيقول : " **واعترضنا السراة ، ووقعنا في عقبة كؤدد صعبة أعيت فيها / ركابنا فخليناها إلا جملاً واحداً . فلما صرنا بحوران[٦٠] من أعلى ترج ، ووقعت علينا عيون من يعرفنا ، ،فابتدروا بالبشارة إلى الشريف الفاضل بقدومنا ، وكان قد ساءه تأخرنا عن الحاج ، واغتم لذلك غماً شديداً فلقينا رحمة الله ورضوانه عليه في جماعةٍ من بني بدر ، ووجوه أهل البلد ومحابهم ، وقفلنا بالسلامة.** وعند عودة الأمير ذي الشرفين إلى أخيه الفاضل في ترج أخبره بما واجه في رحلته إلى مكة ، وأشار إلى أن الشريف شكر بن أبي الفتوح يرغب في زيارة الأمير الفاضل إلى مكة المكرمة . وفي عام تالٍ ، وبعد وفاة الأمير شكر (٤٥٣هـ / ١٠٦١م) ، خرج الأمير الفاضل مع بعض صحابته إلى مكة ، وأدى مناسك الحج ، ثم رغب في الذهاب إلى العراق ، لكنه عدل عن رغبته وعاد إلى ترج . ويشير مفرح الربعي، إلى بعض نشاطات الأمير الفاضل بعد رجوعه ، فيقول : " **فانثنى من السفر إلى العراق، وعمل عليه السلام على محل الدرب المعروف بهرجاب[٦١] وإثارة المزرعة التي كانت للقاسم بن علي عليه السلام على نحو ما أشار به ذلك الشريف ، فكأن صاحب ترج[٦٢] كره ذلك ، وتخوف مما هنالك ، فأضربنا عنه، لعلمنا بكراهته . ثم**

عرض علينا أن نزرع في المكان عنده ، وسلم إلينا بئراً من أبياره تسمى الصيعانية ، وربط ،لنا رباطاً من نخله ، وقمنا في أهبة ذلك ، فبينما نحن كذلك إذ ورد علينا كتاب من بعض أصحابنا باليمن ،يقول : إن هذا الصليحي قد سرح مخرجاً كبيراً وجهز له جهازاً كثيراً ، وهو خارج إلى ناحيتكم لا محالة، ، فلما وصلتنا هذه الرسالة أضربنا عن الزراعة وخشينا إن نهضوا أن يكون لهم في البلاط طاعة . فشاور الشريف الفاضل عليه السلام من معه من الجماعة على ظعنٍ أو إقامة ؛ فكان من عزمه ،الخروج إلى اليمامة ، وكان غرضهم العراق ، وعزم الشريف الأمير محمد بن جعفر على العودة إلى اليمن . فلما فارقهم استوحش لفراقهم وأنشأ يقول [٦٣] :

أبى لي عظيم الوجد أن أتصّبرا ... فَحُزْني مُزْدادٌ إذا قلتُ أقصِرا

سلا الصحب عن ذكر الديار وأظهروا ... عزاءً وأبدي القلب وجداً فأَظهر

إذا ذكرت نفسى العداة على النوى ... علياً ونَسْلَ القاسَمين وجعفرا

وأحمد والفتيان من آل قاسم ... وصنواً لنا شمسان يوماً تديَّرا

ومن قد حوى السور المحيط تفتقت ... عُرى الصبر حتّى مَنْ رأى الصبر أَنكرا

عليّ ولولا الشوقُ ماكنت واجداً ... ولكنه أشجى الفؤاد وأحْسرا

ألم تر أنّا اليوم من بعد كوننا ... بترج معاً كُلٌّ يحاول مصدرا

أخلاى من عُليا بكيل وهاشم ... وحامٍ يرومون العراق وتدمرا

ولست أروم اليوم إلا زيارة ... لصحن عيان فالسبيع فوررا [٦٤]

وواصل الأمير ذو الشرفين في إنشاء هذه القصيدة التي بلغت أربعين بيتاً ، ذكر فيها أيام صباه مع رفاقه في بلاد اليمن عندما كانوا أصحاب سلطة وجاه ، ثم رثاء حاله بعد رجوعه إلى اليمن وتركه أخيه الفاضل في بلاد السراة . واستمر مفرح الربعي يواصل حديثه عن بعض النشاطات التي قام بها الأمير (ذو الشرفين) في اليمن ، وكيف كان خائفاً من بطش الصليحيين ، كما أشار الربعي إلى ما سمعه من ذي الشرفين ،بأنه كان يرغب الحصول على الأمان من الصليحيين عن طريق وزيرهم أحمد بن المظفر في بلاد صعدة وعيان، لكنه فشل في الحصول على ما كان يسعى إليه ، وبالتالي خاف على نفسه وخرج من بلاد اليمن يريد الإقامة مع أخيه الفاضل في ترج . وكان عند ذهابه من بلاد عيان التقى برجل من راحة سنحان يدعى الجابر بن عمرو المحصني ، فخرجا معاً .

ويواصل مفرح الربعي حديثه نقلاً عن ذي الشرفين ، فيقول: " **ثم انتهى بنا السير إلى بلد سنحان ، وتفرق القوم إلى أماكنهم وأصحبونا بصبي منهم . وحثثنا السير حتى وصلنا إلى وطن جنب ؛ وكان الرجل جنبياً ، ثم قال ، : لا تكتم شيئاً من شأنك فإنك قد بلغت إلى أمانك ! ثم لم يدع شيئاً من الجميل حتى أسداه إلينا . ،ثم استصحب لنا رجلاً يقال له الوجيه من بني فضلة حتى أوصلنا إلى رجل يقال له المرتفع بن المزراق ،من شهران ،[٦٥] وبلغنا إلى ترج بالسلامة** " .

ويستمر مفرح الربعي في إيراد تفصيلات عن رجال ذهبوا من اليمن إلى ترج كي يعيشوا مع الأميرين الفاضلين هناك ، كذلك أشار لبعض نشاطات

الأميرين في بلاد السراة فقال: " سألت الحسن بن واقد عن سبب خروجه إلى الشريف الفاضل عليه السلام فقال : اعلم أني لما تعلقت بالدين والإسلام ووقعت في قلبي محبة الشريف الفاضل عليه السلام ، عقدت على الخروج والهجرة إليه بالشام ، فنهضت أنا وزيد بن أبي العشيرة النعامي ، وأحمد بن طريف ـ وهما من أهل خدمته ومحبته ،ـ حتى إذا صرنا بصعدة التمسنا رفيقاً فألفينا هنالك علي بن ناهض الشاعر الخثعمي (٦٦) فسألناه ،الصحابة فقال : حباً ونعماً ثم قال متمثلاً :

أصحَبْ رفيقكَ حتَّى ينقَضي السَّفَرُ ... إن الذي أنْتَ موليه سَينتَشـرُ

ولاتكُـنْ ، كَلِئَامٍ مُسْهِـم ضَجِـر ... إنّ اللئام إذا ما سَافَروا ضجِروا

ثم سرنا في صحبته إلى بلد خثعم ، واستصحب لنا إلى ترج فوصلنا إلى الأمير محمد بن جعفر وهو بقرية الحبل (٦٧) من ترج، فسر بنا وأكرمنا ثم نهض بنا إلى الشريف الفاضل وهو بالحضير في زراعةٍ له منفرداً ،يقاسي بنفسه، يظل صائماً قائماً ولا أهل له ولا ولد ، فإذا أمسى عليه، قام يقاسي شيئاً يفطر عليه، ،فلما قدمنا إليه سر بمقدمنا ورحب بنا وأكرمنا ،ثم ذكر لنا المحن والعوارض فقال : اعتزلت ها هنا عن سماع ما أكره، ورؤية ما لا يجوز رؤيته ، فاستأجرت هذا الأجير ليسوق لي هذين الناضحين ، فهو يتغنى ،ويترنم ويذكر مالا يجوز ذكره . قال : فبينا هو يذكر ذلك إذا براعٍ قد دخل إلى عريشٍ في جانب الموضع، ، وجعل ينفخ في قصبةٍ له ويزمر ... وانتقل منه إلى مكانٍ يسمى أبا نجاش فرتب به زراعةً وأقام مدةً ثم

رجع بعد ذلك إلى ترج ، وذلك بعد موت حشمر بن عبد الأعلى رحمةُ الله عليه ؛ وتخلّى للعبادة وعقد على نفسه التخلّي والتعبد والدراسة ، ولزم منزله . ثم اشتهى العزلة عن القرية إلى موضعٍ يقال له القصر ، فابتنى به منزلاً ، وابتنينا بإزائه بيتاً ، ثم قال لنا ذات يومٍ : قد رأيتُ رأياً! قلنا : ما هو ؟ قال : يأخذ كل رجل منا كتاباً يقرأ فيه سنةً كاملة ؛ فيأخذ رجل كتاب (المعجز) ورجل كتاب (المختصر) ، ورجل كتاب (التفسير) ورجل كتاب (المنتخب) ، ورجل كتاب (التفريع)[٦٨]، وكنا خمسة نفر الشريف الفاضل ، وصنوه محمد بن جعفر ، وولده سليمان بن القاسم ، وزيد بن أبي العشيرة وأنا . وعملنا على هذا الرأي ، وعقد الشريف الفاضل على نفسه أن لا يجلس في غير منزله ، إلا أن يزوره المعافى بن بدر ،فيجلس معه لِحَقّ الجيار . فأقمنا على ذلك مدةً من الزمن حتى لحق الشريف سليمان بن القاسم جفافُ في دماغه من كثرة الدراسة فزال عقلُه . وكان سليمان بن القاسم يقول : ما أظُن المِحَنَ تدعكم وإتمام ما عقدتُم عليه ! فكان كما توسم رحمه الله . وروى لي الحسن بن واقد عن الأمير محمد أنه قال : قد كنتُ أحسستُ شيئاً من الدراسة فتداركْتُ نفسي وعالجتُها فزال عني ذلك . قال : ثُم اشتغلْنا بمقاساته في عِلّته، حتّى خَفّ عنه منها شيءُ . ثمّ تناهى إلى الشريف الفاضل أخبار وتحوّر الغوائل بترج فبنى على السفر فقال لي ولزيد : اعلما أني قد عزْمتُ على السفر إلى العراق والشام ، والانقطاع من اليمن بالكلية ، فإنْ أحببتُما الانقطاعَ معي بنيتُما على ذلك ، وإن أحببتُما الرواحَ عرفتُماني . فقلنا : نحن معك حيث توجَّهْتَ من أرض الله ! فعرض

عليَّ الخروجَ إلى مكّة ، فأمرنا بالزاد ، وعلفنا ركابَنا ، وقمنا عليها أربعين يوماً ، ثم نهضنا متوجِّهين إلى مكة ، فلمّا صرنا ببعض الطريق ، وقد التأمت إلينا قافلةٌ فاعترض لنا عربُ من بني هلال [٦٩] ليأخذونا ، فقال لهم الشريف الفاضل : أنا رجلُ من بني حسن فأقْدِمُوا على ما شئتم مني ! قالوا : فاطلُب لنا من هؤلاء التجّار سبباً ! قال : هم رفاقي وليس إليهم سبيل ! ومضينا حتّى دخلْنا مكّةَ في شهر رجبٍ سنة تسعٍ وخمسين وأربعمائة فأحرمْنا بعُمرةٍ ، وحطْطنا في مسجد علي رضي الله عنه ثّم أحللْنا ."

وخرج الشريف الفاضل إلى المدينة والتقى بوالي المدينة ونائبه فلم يجد منهما حسن الاستقبال والمساعدة كي يواصل رحلته إلى العراق ، عند ئذ قرر العودة إلى ترج في بلاد خثعم وعند وصوله إلى الطائف جاءه خبر مقتل علي الصليحي.[٧٠]

يواصل مفرح بن أحمد الربعي قصة عودة الشريف الفاضل من المدينة إلى ترج ، ثم ذهابه إلى اليمن لاستعادة نفوذ آبائه وأجداده من الصليحيين ، فقال : **" صرنا إلى حيّ عَدْوان[٧١] ، فلقَينا تصريحُ من الأخبار بقتل الصُّليحي فلم نأخذ بذلك . ثّم تقدمْنا برفيقٍ من عدوان، حتّى هجمْنا على عربٍ بعُكاظ [٧٢] ، فأنخْنا بإزائهم فهموا بأخذنا ، فرفعنا عجلاً حتى أنخنا بين أبياتهم فكفوا عنا وضافونا وصحبونا إلى تربة ، والأخبار في ذلك مطّردة بقتل الصُّليحي ، ولا يعمل الشريف على شيءٍ من ذلك ، حتى إذا صرنا بتربة لقَينا بها جُمع كثيرُ من أخلاط الحجاز ، ونجد ، ومن خثعم ،**

وسواءة (٧٣) ، ونهد (٧٤) ، وسنحان ، وجنب ، ويام (٧٥) يريدون لقاء الصُّليحيِّ إلى مكة ، ووجدوا تلك الأخبار ، فلم يأخذوا بها ، فذكر لهم أنّ الخبر عن الشريف الفاضل فاجتمع إليه رؤساؤهم ،وسألوه عن ذلك فقال : ما تكلّمْتُ بذلك ولا تكلم به إلاّ صاحبُكُم هذا فاسألوه ! يعني شبل بن عمرو الهروي الخثعمي فسألوه فأخبرهم عمّا وقع معه من الخبر ، فلم يأخذوا به وسرنا برفيقٍ حتّى اتصلنا بترج ."

" وصحّت الأخبار بقتل الصليحي ،وبنى الشريف على الإقامة بترج لخبرته بتمكُّن بني الصليحي باليمن ، ،وكثرة أموالهم وأعوانهم ، وضعف هِمَم كثيرٍ من الناس وخذلانهم . ثم ذكر مَنْ خَلّفه من آله وأوليائه ،وشيعته وأحبابه فأزعجه ذلك عن المقام فعزم على السفر ، وبقينا نتوقعُ الرفيق . فنحن بذلك إذا قدم ذلك الجمعُ الذي لقينا بتربة قد وصلوا مكة وصحة لهم الأخبار وعادوا ، فسألهم الشريف الصحابة فأنعموا ، ،ونهضْنا معهم من تَرج حتى إذا صرنا على بريدٍ من ترج اجتمع رؤساؤهم فاشتوروا من أجلنا فأشار بعضُهم بقتلنا ، وأشار بعضهم بردِّنا . ثم أقبل القوم إلينا بعد إجماعهم على ردِّنا فواجهونا بذلك . فقال الشريف : إذا كرهتم صحابتنا فنحن نكثر من خيرة الله سبحانه ، فانثنى منهم ومعنا رفيقُ لنا خثعمي . ثم بنى الشريف الفاضل على المُضيِّ إلى بلد نهد ثم منها إلى نجران . فبينما نحن في الطريق، إذ عرض لنا ثلاثةُ ركبان فاستعرضناهم فإذا هم من آل صُهيب من خثعم ، فعرفهم الشريف الفاضل ،وعرفوه للمصاهرة التي كانت بينه وبينهم . فسألهم الصحابة إلى أكلب (٧٦) بأسفل بيشة ، فسأله الرجل

الصُّهيبي عن غرضه فلم يخبره ، فلجَّ عليه وقال : لعل عندي فيما تؤمّله رأياً فأخبره الشريف فقال : ،معي وحُّبا ونعماً فأهلي على سعفٍ من الطريق مما يلي بلد عنز بن وائل ، وعليَّ لكم الصحابة إلى أن تصلوا، العوسجيَّ بجرش ، فمضينا معه ثلاثة أيام لا نلقى أنيساً حتى أفضينا إلى أهله فقرى وأجزل . ثم وَجّه معنا رجلين فسارا بنا نهاراً ثم ليلاً حتى وقفا بنا على باب العوسجي بجرش قرب الصباح فظهر إلينا فرحّب وقَرَّب ، ثم سأله الشريف الصحابة فأنعم فإننا كذلك إذ ورد علينا عليٌّ بن عبد القادر الجنبي فقال : ،يا شريف قد أتى الله بالرفيق فواجه لنا ذلك الرجل وسأله صحابتنا فأنعم . فنهضن مع رجلٍ أكرمْ به مصاحِباً " (٧٧) .

" فلما كان يوم ثان صادفْنا ،سوقاً يجتمع الناسُ إليه فكلّما رآنا ناسُ هشوا إلينا ، وأغاروا علينا ، وتلقّاهم رفيقنا فيدفعهم عنا ويكتم ،من يغير إلينا شأننا . فلم نزل من ناسٍ في ناس ونتخلص من ناسٍ حتى أشرف بنا على الراحة(٧٨) ،فصلّى الشريف في صلاحه وخُفّيه من الخوف والعجلة . وقد بنى صاحبُنا علىَ أن يسْريَ بنا بلد جنب خوفاً علينا ، فمضينا حتى أفضينا إلى عقبةٍ صعبةٍ قد لزمنا فيها الليل فسقط الشريف من راحلته ، فصار ذلك الرجل يتلهّف للشريف سقْطته ، ثم أقسم لا زدْت سرتُ بكم الليلة بعد سلامة الشريف فلّله الحمد . ،ثم أمسى بنا عند رجل من بني عمه فأخبره بمكاننا ولم يكتم عنه شيئاً من شأننا . فلما كان من الغد نهضْنا ونهض معنا نهاراً حتى وصلْنا إلى مكانه ظهراً ، فقرّب لنا طعاماً ، وسألنا أن نقف عنده أياماً ،فتخوفنا أن يقع علمنا مع حسين بن عمر

الشواحطي [٧٩] وهو بشواحط يومئذٍ فلم نقف . ومضينا من فورنا حتى وصلنا أدنى بلاد وادعة .

قال: واشتهر مكان الشريف الفاضل عليه السلام ، وتسامع به العرب ، وأقبلت وادعةُ من جميع نواحيها ، وأمسينا في بلدهم، ففرحوا بنا وأكرمونا ، وكان من الغد ونهض معنا منهم جماعةٌ حتى صرنا إلى بلد بني حي من خولان ،ومنها إلى الحقل . قال : وكان الأمير المنتصر بالله محمد بن جعفر لما فارقنا من تَرْج ورجع اليمن كان له ولشيعته محاضر وأخبار ومواجهات وأسرار ، فلما قُتل الصليحي أبدوا أمرهم وأظهَروا سِرَّهُم . [٨٠] "

سادساً : دراسة النص وتحليله :

يظهر لنا من دراسة هذه النصوص احتواؤها على عدد من الجوانب التاريخية والحضارية الخاصة ببلاد السراة ونلخصها في النقاط التالية :

١ - الناحية الجغرافية :

إن الأميرين الفاضل وذا الشرفين وصحبهما اجتازوا معظم بلاد السراة الشرقية فسلكوا الطريق الجبلي من صعدة حتى نجران ، ثم سراة عبيدة ببلاد قحطان حتى عسير (جرش قديماً) ، وواصلوا سيرهم من بلاد خثعم (شهران العريضة) شرق خميس مشيط الحالي ، إلى وادي بن هشبل ثم وادي ترج بأعالي وادي بيشة [٨١] . كما ذهب الأمير ذو الشرفين من ترج عبر بلاد الخرمة ، ورنية ، وتربة حتى الطائف ثم مكة من أجل إبلاغ أمير مكة

بإقامته هو وأخوه الفاضل بوادي ترج . أيضاً خرج الأمير الفاضل إلى مكة مرتين : إحداهما عام (٤٥٣ هـ / ١٠٦١ م) ، والأخرى عام (٤٥٩ هـ / ١٠٦٦ م) ، أدى في الأولى مناسك الحج ، ورغب في كل من المرتين الذهاب إلى العراق ، لكنه لم يتيسر له ذلك لعدم وجود العون والمساعدة من أمراء مكة (٨٢) . كما رجع الأمير ذو الشرفين إلى اليمن من أجل البحث عن نصير يساعده في إعادة مجد آبائه وأجداده المسلوب ، لكن هذا الشريف لم ينجح في مهمته فرجع ثانية إلى ترج . وقد سمع الشريف الفاضل ببعض تحركات علي الصليحي من بلاد اليمن نحو الحجاز وربما بلاد السراة فخاف أن يكون هدفه القبض عليه فخرج إلى اليمامة في نجد . وأخيراً عاد الأميران مع بعض صحابتهما إلى اليمن عام (٤٥٩ هـ / ١٠٦٦ م) وبخاصة بعد سماعهم بموت علي الصليحي (٨٣) .

ونخلص من هذه الرحلات أن الشريفين ورفاقهما شاهدوا واستوطنوا كثيراً من النواحي في السروات الممتدة من صعدة جنوباً حتى الطائف شمالاً واليمامة شرقاً ، بل إنهم عانوا كثيراً من المتاعب أثناء مرورهم بهذه البلاد لصعوبة تضاريسها المتفاوتة في الارتفاع والانخفاض ، بالإضافة إلى برودة جوها في فصل الشتاء واعتداله في فصل الصيف .

٢- الناحية السياسية والإدارية :

تأكد لنا أن أرض السراة كانت تحكم أساساً بأهلها ، وأن شيوخ القبائل هم أصحاب الحل والعقد في أوطانهم . وهذا ما نوهت إليه السيرة أثناء رحلة الشريفين ورفاقهما ، فكانوا يحرصون في كل موطن أن ينزلوا على أعيان

وشيوخ العشائر كي يحضوا بمساعدتهم في نزلهم وارتحالهم . وغالباً كان الشيوخ والوجهاء يستقبلونهم ويكرمونهم ، ثم يرسلون معهم من يحميهم حتى يخرجوا من بلادهم آمنين . ومما يؤكد على سعة نفوذ القبائل وشيوخها في بلاد السراة ما ذكره ابن المجاور وهو من أهل القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي (٨٤) عندما أشار إلى بعض أوضاعهم السياسية ، فقال : " **يحكم على كل قرية شيخ من مشايخها ، كبير القدر ، والسن ، ذو عقل وفطنة ، فإذا حكم بأمر لم يشاركه ولا يخالفه أحد فيما يشير عليهم ، ويحكم فيهم ، وجميع من في هذه الأعمال لم يحكم عليهم سلطان ، ولا يؤدون خراجاً ، ولا يسلمون قطعة ، إلا كل واحد منهم مع هوى نفسه ، بهذه لا يزال القتال دأبهم ، ويتغلب بعضهم على مال بعض ، ويضرب قرابة زيد ، على أموال عمرو ، وهم طوال الدهر على هذا الفن ... وهم في دعة الله وأمانه ، وهم فخوذ يرجعون إلى قحطان وغيرهم من الأنساب** (٨٥) " وقال أيضاً " **فأما السرو فإنهم قبائل وفخوذ من العرب ، ليس يحكم عليهم سلطان ، بل مشائخ منهم وفيهم وهم بطون متفرقون** " (٨٦) .

ويبدو أن السروات من الطائف حتى بلاد عسير ، كانت ضمن نفوذ شريف مكة ، وهذا ما أشار إليه مفرح الربعي في السيرة عندما ذكر أن الشريف الفاضل أرسل أخاه الشريف ذا الشرفين إلى أمير مكة ومعه بعض الهدايا كي يطلعه على خروجه مع الشريف الفاضل من اليمن واستقرارهما في وادي ترج بمنطقة بيشة التابعة إدارياً للحجاز ، ولا ندري عن هذه التبعية

هل كانت اسمية فقط ، أو فعلية فيرسل أمير مكة أو الحجاز من قبله من يتولى شؤون الناس هناك (٨٧) ، ولم تذكر السيرة صراحة والي ترج أثناء تلك السنوات التسع التي قضاها الأميران الشريفان هناك ، مع أنها ذكرت اسم (**صاحب ترج**) ، وربما يقصد بذلك شيخ بعض عشائر خثعم في ترج . كما ذكرت بعض الأشخاص الذين نزل عليهم الشريفان (الفاضل ، وذو الشرفين وصحابتهما) عندما خرجوا من اليمن عام (٤٥١ هـ/ ١٠٥٩ م) . لكننا نجد في مصادر أخرى أن بلاد بيشة وما جاورها كانت تتبع إدارياً أمراء مكة وبخاصة خلال العصر الإسلامي الوسيط ، فكان أشراف مكة يملكون الدور والمزارع في نواحيها ، بل كان بعضهم يتخذها منتجعاً ومقراً للراحة والاستجمام . وعندما يعتدي على أهالي بيشة عدو خارجي ، أو يظهر فيها بعض الثورات أو النزاعات فإن أمراء مكة لا يتأخرون عن نجدتهم ، والسعي على حفظ الأمن والاستقرار في ربوع بلادهم . (٨٨)

أما الأجزاء الجنوبية من السراة مثل : نجران وأجزاء من سنحان ، وسراة عبيدة وما جاورها فربما كانت توالي أحياناً الحكومة الصليحية في اليمن ، ويبدو ذلك واضحاً فيما ذكر مفرح الربعي في السيرة عندما وصل مع الأميرين إلى بلاد قحطان ، فقال : " **... أصبحنا بالراحة من بلد لبني شريف ، فلبثنا بها زهاء ثمانية أيام ، فطمعنا فيها بالمقام ، وإذا فيها لبني الصليحي المجاب ، وأهل العهد والأصحاب ، فاستوحش الشريف لذلك فسألهم الصحابة إلى الأخرق الجنبي** " . ونجد في بعض المصادر اليمانية ، أثناء العصور الإسلامية الوسيطة ، أن بعض الدويلات التي ظهرت في

حواضر اليمن كانت تسعى من وقت لآخر إلى مد نفوذها شمالاً على أجزاء من بلاد السراة ، وأحياناً قد تنجح لبعض الوقت ، لكنها تعود سريعاً فتسحب جيوشها إلى قعر اليمن ، ولا تطول إقامتها في السروات الممتدة من سراة جنب (قحطان) إلى سراة الطائف [٨٩] ، وذلك لبعض الأسباب التي نذكر منها :

أ- صعوبة تضاريس السراة وشدة بأس أهلها الذين لا يرضون الخضوع لأي قوة خارجية ، وإنما ولاؤهم لشيوخهم وعرفائهم . وهذا ما جعلهم يقفون في وجه أي قوة خارجية ترغب إخضاعهم تحت سلطتها . [٩٠]

ب- ظهر باليمن بعض الدويلات المخالفة في مذاهبها لأهل السراة مثل : الزيديون ، والصليحيون وغيرهم . وهذا مما أذكى النار في صدور أهل السراة ، الذين يدينون بالمذهب السني الشافعي ، فهم لا يرضون بأي مذهب آخر يسود في بلادهم ، وعندما تظهر مثل هذه القوى السياسية المخالفة في المذهب فإن بأسهم وغضبهم يشتد ويقوى في وجه من يسعى إلى إيذائهم في عقيدتهم ومذهبهم [٩١] .

٣- الأحوال الاجتماعية :

تشير السيرة إلى أسماء قرى ومواطن عديدة مر عليها الأميران الشريفان من صعدة إلى الطائف [٩٢] وهناك مصادر أخرى تؤكد على كثرة القرى وأماكن الاستيطان في أرض السراة ، ومن تلك المصادر ابن المجاور الذي

يقول : " جميع هذه الأعمال قرى متقاربة بعضها من بعض في الكبر والصغر ، وكل قرية منها مقيمة بأهلها ، كل فخذ من فخوذ العرب ، وبطن من بطون البدو في قرية ، ومن جورهم لا يشاركهم في نزلها وسكنها أحد سواهم ، وقد بنى في كل قرية قصر من حجر ،وجص ، وكل من هو ساكن في القرية له مخزن في القصر ... " [٩٣]

ونجد في طيات السيرة جوانب من الملامح الاجتماعية ، نجمل بعضها في النقاط التالية :

أ- عادة الكرم من طباع السرويين ، ويبدو ذلك في الاستقبال والترحيب بالشريفين وصحبهما كلما نزلوا قرية أو موطن من بلاد السرويين .

ب- لم يخل المجتمع السروي من مشاركة المرأة في معظم النشاطات ، بل كانت أحياناً تبدي رأيها ، أو تستفسر عن ما يريبها . وذلك ما لاحظناه على بعض نساء سراة جنب (قحطان) عندما قابلن الشريف الفاضل ، فسألناه عن سبب قدومه إلى بلادهن . وربما ذلك من باب التعجب في خروج بعض الأشراف الزيود من صنعاء وصعدة إلى سراة جنب التي كان معظم سكانها على مذهب الإمام الشافعي . أيضاً كان أهل السراة يزوجون بناتهم إلى رجال من خارج أوطانهم ، وبخاصة إذا عرف عن الزوج علو الحسب والنسب مثل الأميرين الشريفين . وذلك ما حدث مع عشيرة بني صهيب الخثعمية التي زوجت إحدى نسائها إلى الشريف الفاضل [٩٤]

ج_ عموم سكان السراة من العشائر والقبائل العربية الأصيلة ، لكن مجتمعهم أيضاً لم يخل من بعض العناصر الأخرى كالعجم وغيرهم . ومفرح الربعي يذكر بعض تلك العناصر في تربة فيقول : " ... **كان هناك غرباء من العجم** " [٩٥] . ولم يكن العجم هم العنصر الوحيد ضمن طبقات السراة ، وإنما كان هناك عناصر أفريقية وتركية وغيرهم قدموا إلى هذه البلاد بهدف العمل في مهن مختلفة [٩٦].

د- أشار صاحب السيرة إلى أسماء بعض الأعيان والشيوخ في منطقة السراة مثل : الخطاب بن يعيش الجماعي من بني جماعة من خولان في صعدة ، وعلي بن عبد القادر الجنبي ، والأخرق الجنبي من سراة جنب في بلاد قحطان ، الجابر بن عمرو المحصني من بلاد شريف في قحطان ، والبذاخ في أرض عسير ، وهو رجل من جذيمة من عنز بن وائل . ومن الخثعميين المرتفع بن المزراق من خثعم شهران ، والمعافي بن بدر ومحمد بن منيع وهما اللذان نزل عليهما الأميران الشريفان في ترج عام (٤٥١ هـ / ١٠٥٩ م) ، ومنهم أيضاً شبل بن عمرو الهروي الخثعمي ، وعلي بن ناهض الشاعر الخثعمي . وذكرا العوسجي في جرش ، ولم يذكر اسمه ، وربما كان حاكماً لمخلاف جرش [٩٧] ، وجبير بن بدر في تربة [٩٨] .

٤- الأحوال الاقتصادية :

يذكر مفرح الربعي في كتاب : سيرة الأميرين ... وجود بعض الملامح الاقتصادية كالرعي والرعاة الذين يقومون برعي المواشي المختلفة ، ويتضح

من ذلك ما ذكره على لسان الشريف الفاضل وهو مقيم في ترج ، عندما قال : " **... وإذا براع قد دخل إلى عريش في جانب الموضع ، وجعل ينفخ في قصبة له ويزمر ...** " [٩٩] . والناظر إلى بلاد السراة يجدها صالحة لرعي المواشي المختلفة لما تمتاز به من جودة الغطاء النباتي ، والتنوع في التضاريس ، وهطول الأمطار عليها في أوقات متفرقة من السنة .

والزراعة من الأعمال الرئيسة التي مارسها الأمير الفاضل ورفاقه في وادي ترج ، فيذكر عنه صاحب السيرة " **فانثنى عن السفر إلى العراق وعمل ... على محل الدرب المعروف بهرجاب ، وإثارة المزرعة التي كانت للقاسم بن علي ... فكأن صاحب ترج كره ذلك ، وتخوف مما هنالك ، فأضربنا عنه، لعلمنا بكراهته ، ثم عرض علينا أن نزرع في المكان عنده ، وسلم إلينا بئراً من أبياره تسمى الصيعانية ، وربط لنا رباطاً من نخلة ، وقمنا في أهبة ذلك ...** " [١٠٠] . وأضاف إلى ذلك نقلاً عن الشريف الفاضل وهو في ترج فقال : " **اعتزلت هاهنا عن سماع ما أكره ، ورؤية مالا يجوز رؤيته ، فاستأجرت هذا الأجير ليسوق لي هذين الناضحين** " [١٠١]

من هذه النصوص نلاحظ وجود نشاط زراعي في ترج ، وكذلك عموم بلاد السراة ، ومصادر الري من الآبار التي تستخدم النواضح من الإبل والأبقار في رفع المياه وسقي المزارع . ولم يكن مفرح الربعي ، في هذه السيرة هو الوحيد الذي يذكر النشاط الزراعي في السراة ، وإنما سبقه وتلاه العديد من الرواة مثل : الهمداني من أهل القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي [١٠٢] ، وابن جبير في القرن السادس الهجري / الثاني عشر

الميلادي [١٠٣] ، وابن المجاور وابن بطوطة في القرنين السابع والثامن الهجريين / الثالث عشر والرابع عشر الميلاديين ، الذين يذكرون كثيراً من التفصيلات عن ممارسة السرويين للزراعة [١٠٤] ، كما أشاروا إلى المحاصيل الزراعية المختلفة التي كانت تزرع في أرض السروات ، ثم تصدر بعضها إلى الحجاز وأجزاء أخرى من شبه الجزيرة العربية [١٠٥] .

أما التجارة فكانت نشطة لما تمتاز به السراة من موقع استراتيجي يربط اليمن بالحجاز ، بالإضافة إلى ثرائها الزراعي ، ووفرة الحياة الحيوانية المختلفة بها . وهذه مؤهلات رئيسة تساعد على سير الحركة التجارية الداخلية والخارجية [١٠٦] . ويشير صاحب السيرة إلى مرورهم بسوق في بلاد جرش قد اجتمع الناس فيه . والمتجول في أرجاء السروات ، والمشاهد لمواطن القبائل القديمة يجد أنها لا تخلو ناحية أو أرض قبيلة من سوق أو أسواق أسبوعية يرتادها الناس لشراء حوائجهم وبيع فائض سلعهم ، ومعرفة أخبار البلاد من حولهم [١٠٧] .

كما أن الطرق التجارية كانت تربط أجزاء السروات بعضها ببعض ، وأهمها تلك الطريق التجاري الرئيس الذي يخرج من اليمن عبر بلاد قحطان وشهران ثم بيشة وتربة حتى الطائف ، والتي سلكها الأميران الشريفان أثناء تنقلاتهما في أرض السراة [١٠٨] . ولا تخلو تلك الطريق من بعض العقبات والحزون الصعبة المسالك ، فيذكر كاتب السيرة تلك العقبة التي اعترضت طريقه مع بعض الحجيج في عودته من مكة إلى ترج سنة

(٤٥٤ هـ /١٠٦٢ م) ، فقال : " **واعترضنا السراة ، ووقعنا في عقبة كؤود صعبة أعيت فيها ركابنا فخليناها إلا جملاً واحداً ...** " (١٠٩) .

ومن عقبات التجارة والسير في الطرق التجارية ما يقابل التجار والمسافرين من اعتداءات اللصوص وقطاع الطرق من أبناء القبائل . وقد لمسنا ذلك بوضوح وفي أكثر من مكان أثناء ذهاب وإياب الأميرين ورفاقهما في أرض السراة ، أو أثناء ذهابهم إلى اليمن أو الحجاز ، وهذه المشكلة كانت سائدة في عموم الجزيرة العربية ، وبخاصة خلال العصور الإسلامية الوسيطة ، بل استمرت هذه المشكلة إلى العقود المتأخرة من القرن الرابع عشر الهجري / العشرين الميلادي (١١٠) . كما سمعنا كثيراً من أقوال الرواة والتجار الذين كانوا يمارسون التجارة إلى عهد قريب ، وما كانوا يواجهونه من عقبات واعتداءات على طول الطرق الداخلية والخارجية في أرض السروات . (١١١)

٥- الأحوال الدينية :

كان الأميران ورفاقهما يدينون بالمذهب الزيدي الذي عليه قامت دولة آبائهم وأجدادهم في صعدة بأرض اليمن (١١٢) . وإن كانوا خرجوا إلى ترج في بلاد السراة ، إلاّ أنهم بقوا ملتصقين بمذهبهم ممارسين له ، ويؤكد مفرح الربعي ذلك ، عندما وصل مع الأميرين إلى مقر إقامتهما في ترج ، فقال : " **وأقمنا هناك في أحسن حال، وأنعم بال، ليس لنا اشتغال إلاّ بقراءة كتاب ، أو صلاة ، أو مدارسة ...** " (١١٣) . كما ذكر عن الشريف

الفاضل أنه " **تخلى للعبادة وعقد على نفسه التخلي والتعبد والدراسة** " [١١٤].
وهاذان الشريفان كانا يمارسان عبادتهما وقراءة كتبهما ، ويبدو ذلك في اقتراح الشريف الفاضل على أصحابه وهم في ترج ، فقال " **قد رأيت رأياً : قلنا : ما هو ؟ قال : يأخذ كل رجل منا كتاباً يقرأ فيه سنة كاملة ، فيأخذ رجل كتاب المعجز ، ورجل كتاب المختصر ، ورجل كتاب التفسير ، ورجل كتاب المنتخب ، ورجل كتاب التفريع ...** " [١١٥] . وأضاف مفرح الربعي قوله : " **وعندهم من كتب المهدي ... كتاب المعجز والتفسير** " [١١٦] .

وتظهر لنا بعض الأسئلة عن استقرار هاذين الأميرين الزيديين ورفاقهما في ترج ، منها : كيف كانت أحوال السرويين الدينية ؟ وهل كان بينهم من يعتنق المذهب الزيدي خلاف هذين الشريفين وصحبهما ؟ ثم ما مدى تأثير هاذين الأميرين على السرويين ؟ . وما هو مدى انتشار كتبهما التي كانا يتدارسانها مدة إقامتهما في وادي ترج ؟ وللإجابة على هذه الأسئلة لا بد من معرفة كيفية انتشار الإسلام في السراة منذ عهد الرسول (صلى الله عليه سلم) ، وصحابته (رضي الله عنهم) . والمذكور في كثير من المصادر والمراجع أن الإسلام وصل إلى بلاد السرويين صافياً خالياً من البدع والانحرافات [١١٧] . وهكذا استمروا خلال العصر الإسلامي الوسيط . مع أننا نجد المذهب الزيدي ظهر في اليمن منذ أواخر القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي ، ثم بذل أئمة هذا المذهب جهودهم على نشر معتقداتهم شمال صعدة إلى نجران وما جاورها من الشمال ، لكنهم فشلوا في تحقيق مآربهم ، لأن أهل السراة من سراة جنب في بلاد قحطان إلى الطائف كانوا

يدينون بمذهب أهل السنة والجماعة ، بل كان المذهب الشافعي هو الغالب على هذه البلاد [١١٨] . ونجد بعض المصادر المبكرة تشير إلى عقيدة أهل السراة ، وتذكر ارتياد بعضهم أرض الحرمين في الحجاز ، وكانوا ذوي عقيدة خالصة لله عز وجل ، مع العلم أن البعض منهم كانوا يجهلون بعض الشروط والتعاليم والأركان في الصلاة وغيرها من العبادات ، وذلك نتيجة للجهل وليس الانخراط في معتقدات أو مذاهب تخالف منهج أهل السنة والجماعة [١١٩] .

وهناك عدد من المراجع المتأخرة أشارت إلى عقيدة أهل السراة قبل القرن الثالث عشر الهجري / التاسع عشر الميلادي ، فذكرت أن المذهب الشافعي هو الأكثر انتشاراً بينهم، بل كانت كتب الشافعية هي الأكثر تداولاً وقراءة بينهم . فالقاضي محمد بن أحمد الحفظي (١١٧٦ - ١٢٣٧ هـ / ١٧٦٢ - ١٨٢١ م) ، أحد علماء منطقة عسير ، يذكر بعض المعلومات عن انتشار المذهب الشافعي في بلاد عسير وما جاورها ، فيقول : " **مع أن نحو عشر مراحل من جهتنا لا يوجد مؤلفاً للحنابلة** [١٢٠] **ما عدا الهدي النبوي لابن القيم (رحمه الله) فهو ما حصلناه لأنفسنا في هذه المدة ، وإنما هي كتب الشافعية ، وفي الجهة منها عدة عديدة ومتون وشروح مفيدة ، ومع ذلك بعض الأمهات الست ونحوها من الأحاديث** " [١٢١] . والسبب أن المذهب الشافعي كان السائد في السراة ، لأن محمد الشافعي نفسه جاء إلى أرض السراة ، وأجزاء من اليمن ، وتولى الولاية والقضاء في نجران خلال عهد الخليفة العباسي هارون الرشيد (١٧٠ - ١٩٣ هـ/ ٧٨٦ - ٨٠٨ م) .

وهذه الزيارة والولاية كانت ذات أثر إيجابي على أهل السراة ، حيث أصبح مذهبه هو السائد والمعمول به عندهم خلال العصر الإسلامي الوسيط [١٢٢] .

أما المذهب الزيدي الذي ظهر في صعدة وصنعاء وما حولهما فكان أكثر انتشاراً في اليمن دون أن يتجاوز تأثيره بلاد نجران [١٢٣] . وليس بعيداً أن الإمام القاسم العيَّاني وأولاده وأحفاده ، الفاضل وذي الشرفين ، سعوا إلى نشر مذهبهم في بلاد السراة وبخاصة لدى قبائل خثعم التي عاشوا بين ظهرانيهم لسنوات عديدة ، مع أننا لا نجد أي مصدر يؤكد على انتشار مذهبهم في أرض السروات ، وربما كانت نشاطاتهم الدينية محصورة بينهم [١٢٤] . ومن الواضح في كثير من روايات السيرة أن أولئك الأشراف كانوا يخافون من السرويين أثناء ذهابهم وإيابهم في بلادهم ، بل تراهم غير مرغوب فيهم فلا يجتازون أي ناحية في السراة دون أن ينزلوا على أحد شيوخها أو أعيانها كي يحميهم من أي اعتداء يقع لهم [١٢٥] .

٦- الأحوال العلمية والأدبية :

مما لا شك فيه أن صعوبة تضاريس السراة أثرت في عزلة أهلها ، فلا نجد بها مراكز فكرية وعلمية قوية ، وبخاصة إذا ما قورنت بحواضر اليمن والحجاز . وأغلب من ذكر بعض الشذرات العلمية في السروات ، هم مدونو التراث المحلي للحجاز واليمن ، وذلك بحكم الجوار ، ثم اتخاذها معبراً للتجار والحجاج أثناء ذهابهم وإيابهم بين صنعاء ومكة [١٢٦] . وتختلف قمم السراة عن نواحيها الشرقية التي يسلكها الطريق التجاري الجبلي

الرئيسي الذي يخرج من صنعاء وعدن إلى الطائف ، والذي سلكه الشريفان الزيديان الفاضل وذو الشرفين عندما خرجا من صعدة إلى ترج . فأعالي جبال السراة كانت أقل مستوى علمي من البلاد التي تمر عليها الطريق التجاري المذكور ، وذلك لسببين هما :

أ- تقوقع أهالي المرتفعات على أنفسهم ، فلا يرغبون الاختلاط بالغريب وإنما يتوجسون منه خيفة ، وأحياناً قد يقفون في طريقه أثناء اجتيازه بلادهم ، وهذا أمر كسبوه من طبيعة بلادهم التي تمتاز بالوعورة في جبالها ومسالكها المختلفة . وهذا مما أثر عليهم علمياً ، فلا يرتاد بلادهم أحد ، وبخاصة من العلماء والفقهاء ورجال الآداب وغيرهم .

ب- عرفت الأجزاء الشرقية من أرض السراة بطريقها التجاري الذي يعود تاريخه إلى مئات السنين قبل الإسلام ، وهذا مما أكسبه نمواً حضارياً وعلمياً لا بأس به ، وذلك لارتياده برجال السياسة والعلم على مر العصور الإسلامية المختلفة . وإذا ما وقفنا على تاريخ المحطات التجارية على طول الطريق وجدنا لها ذكراً حضارياً في مدونات التراث الإسلامي ، بل وجدنا بعض العلماء والفقهاء والأدباء الكبار قد اجتازوها ، وأشاروا إلى بعض معالمها الحضارية .

أما السيرة التي بين أيدينا فلا نجد بها معلومات كثيرة عن الحركة العلمية والفكرية في أرض السراة ، وسبب ذلك يعود إلى خوف أهل البلاد

من هؤلاء الوافدين الذين يحملون فكراً ومعتقداً يخالفهم ، وبالتالي لم يخالطوهم وربما لم يحصل مدون السيرة على معلومات علمية يسجلها في السيرة التي تعد مركزة على الأميرين الشريفين وأعمالهما . مع أن السيرة لم تغفل بعض النشاطات العلمية التي كان يمارسها الأميران ورفاقهما في ترج من القراءة والمدارسة لبعض كتب الزيدية .

وهناك بعض النشاطات الأدبية ، كالشعر والشعراء ، فتذكر السيرة اسم شاعر سروي يدعى علي بن ناهض الخثعمي الذي التقى ببعض رجالات اليمن الذين خرجوا إلى أرض السراة بهدف الانضمام إلى الأميرين الشريفين في ترج ، وقد صحبوا هذا الشاعر من أرض جنب إلى بلاد خثعم في ترج وذكر بيتين من الشعر أثناء صحبتهم له قال فيهما :

أصحَبْ رفيقكَ حتّى ينقَضي السَّفَرُ ... إن الذي أنْتَ موليه سَينتَشـرُ

ولاتكُـنْ ، كَلِئَامٍ مَسَّهُـمْ ضَجَـرٌ ... إنّ اللئام إذا ما سَافَروا ضجِروا [١٢٧]

ولا ندري هل هذا الشعر من قول علي بن ناهض أم هو لغيره ، ولكن يظهر عليه جودة القول ، ورصانة الكلمات ، ومبدأ الحكمة والرأي السديد .

ولم يكن الأميران يقتصران في قراءتهما ودروسهما على الكتب الدينية المتخصصة في مذهبهما أيضاً ، وإنما كانا يقرضان الشعر في بعض المناسبات ، فهذا الأمير ذو الشرفين يقول شعراً عندما غادر ترج عائداً إلى

اليمن ، تاركاً أخاه الفاضل وبعض صحابته في بلاد خثعم ، وعند فراقه لهم قال قصيدة طويلة نذكر منها :

أبى لي عظيم الوجد أن أتصبرا فحزني مزداد إذا قلت أقصرا

سلا الصحب عن ذكر الديار وأظهروا عزاء وأبدى القلب وجداً وأطهرا

ألم تر أنا اليوم من بعد كوننا بترج معاً كل يحاول مصدرا

فمالي إلا الصبر إذا صرت مفرداً ببيشة لا ألقى العداة ولا أرى

إلى أن قال :

لعمرك في جنات عدن نعيمها مقيم لمن والى الإله وشمرا

إذا الحر حقاً صام عن لذة الفنا على لذة التخليد لا شك أفطرا (١٢٨)

سابعاً : الخاتمة ونتائج البحث :

نستخلص من هذا البحث عدداً من النتائج التي نوجزها فيما يلي :

١- بلاد السراة حلقة وصل بين اليمن والحجاز ، فهي أثرت وتأثرت بالأحداث السياسية والحضارية التي كانت تقع في هاتين الناحيتين . بل كان اليمانيون والحجازيون يتخذون من أرض السراة مسلكاً أثناء ذهابهم في حروبهم وتجارتهم وحجهم . والأميران الشريفان وآباؤهما وأجدادهما من قبل كانوا واحداً من النماذج اليمانية التي

اتخذت من السراة ملجأً أثناء صراعاتهم مع بعض أعدائهم في حواضر اليمن الكبرى .

٢- المصادر التاريخية اليمانية المحلية تعد من أهم المصادر التي أشارت إلى بعض الجوانب التاريخية والحضارية في بلاد السراة . وكتاب : سيرة الأميرين ... ، يأتي ضمن تلك المصادر التي ذكرت بعض الجزئيات التاريخية الصغيرة في أجزاء عديدة من السراة ، مع العلم أن الذي يوجد من مادة علمية في المصادر اليمانية وكذلك الحجازية المحلية لا يشفي الغلة ، لعدم اهتمام مدوني التراث بهذه البلاد العريضة الممتدة من نجران جنوباً إلى الطائف شمالاً . وربما انعزال أهلها ، وصعوبة تضاريسها – كما أشرنا سابقاً – يأتي ضمن الأسباب الرئيسة التي جعلتها في معزل عن أرباب الفكر والقلم .

٣- الغالب على السراة اكتظاظها بالسكان وأماكن الاستيطان ، بالإضافة إلى توفر حضارة متنوعة الجوانب في جميع أرجائها ، ثم سيادة عنصر القبائل ومشائخها ، فهم أصحاب الحل والعقد بين أفراد قبائلهم ، بل إن القبيلة وأعرافها ، وعادات وتقاليد أفرادها ، هي العمود الفقري الذي تسير عليه حياة السرويين في حياتهم العامة والخاصة . وهذا ما لمسناه مع الأميرين الفاضل وذي الشرفين ، ورفاقهما عندما كانا دائماً على اتصال بالقبائل السروية وبخاصة شيوخها الذين تتركز في أيديهم إدارة بلادهم ، والبت في كل أمر

يخص أفراد قبائلهم ، وحماية من يستجير بهم أو يلجأ إليهم وإن كان غريباً عن أرضهم .

٤- تتوفر في السراة جميع مقومات الحياة الحضارية ، فالسرويون يمتهنون معظم المهن كالرعي ، والزراعة ، والتجارة وغيرها ، بالإضافة إلى الجوانب الأخرى كالكرم ، والشجاعة ، ونجدة الملهوف ، وإجارة المستجير ، وممارسة عادات وتقاليد أخرى لها صلة بمأكلهم ومشربهم ومسكنهم ، وتزاوجهم وغيرها من الأعراف التي لا يخل منها أي مجتمع . كما كان بينهم من يمارس مهنة القراءة والكتابة والفصل في خصومات الناس، وإمامة الناس في جمعهم وجماعتهم ، أيضاً لا تخلو من ارتيادها من الحجازيين واليمانيين الذين كانوا أصحاب فكر وثقافة ، فهم دائماً ذاهبين آيبين ما بين صنعاء ومكة المكرمة ، وهذا مما جعل السرويين يلتقون بأولئك المسافرين ، وبالتأكيد استفادوا مما كانوا يحملونه من معارف وأخبار .

٥- كان أهل السراة أصحاب عقيدة صافية تستقي مادتها من كتاب الله وسنة رسوله (صلى الله عليه وسلم) ، بل كانوا جميعاً يدينون بالإسلام على مذهب الإمام الشافعي (رحمه الله) . ولم يثبت أنهم اتبعوا أحد المذاهب والمعتقدات المخالفة لأهل السنة والجماعة . مع أنه ظهر في اليمن بعض القوى السياسية المختلفة في عقائدها ، كالإسماعيليين الأوائل ، ثم الزيديين ، وكذلك الصليحيين ، الذين سعوا إلى مد نفوذهم على السراة من نجران حتى الطائف ، لكنهم

فشلوا جميعاً في تحقيق مآربهم السياسية والدينية ، لشدة تمسك السرويين بمذهبهم السني الخالص من البدع والانحرافات . وأكبر مثال : الإمام القاسم العيَّاني ، وأولاده وأحفاده الذين عاشوا في بلاد السراة عقوداً عديدة من القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي ، وكانوا مدة إقامتهم يمارسون عقيدتهم ويتعايشون مع أهل البلاد دون أن يؤثروا فيهم ، أو ينشروا مذهبهم بينهم .

٦- لا زالت بلاد السراة بحاجة كبيرة إلى جهود الباحثين في مجالات المعرفة المختلفة ، والميادين التاريخية والحضارية وبخاصة في العصور القديمة والإسلامية المبكرة والوسيطة . ومن الثابت أن هذه البلاد لا زالت بكراً ، إن صح التعبير ، فهي ذات تاريخ وحضارة عريقة ، لأنها تربط بين حواضر اليمن والحجاز الكبرى ، ثم إنها تتميز ببعض المؤهلات الجغرافية والاستراتيجية ، إلى جانب أوضاعها الاقتصادية الجيدة .

إنني أنادي من هذا المنبر إلى الاهتمام بدراسة هذه المنطقة ، وبخاصة من قبل المؤرخين والآثاريين المتخصصين . ونحن على يقين أنهم سوف يجدون بها الشيء الجيد والجدير بالدراسة . كما أوجه رسالة إلى الجامعات العربية ونخص بذلك الأقسام العلمية ، ومراكز البحوث ، وعمادات البحث العلمي ، والمؤسسات والهيئات الحكومية ، والقطاعات الخاصة ، ورجال الأعمال على أن يدعموا ويشجعوا الدراسات العلمية الأكاديمية الجديدة والنافعة لخدمة تاريخنا . والله من وراء القصد .

ثامناً : الحواشي والتعليقات :

(١) الحسن بن أحمد الهمداني . صفة جزيرة العرب .تحقيق محمد بن علي الأكوع الحوالي (الرياض: دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م)، ص٥٨- ٥٩، ٩٨- ١٠٠ ،عبد الله بن عبد العزيز البكري .معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع . تحقيق مصطفى السقا (بيروت : عالم الكتب ، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م) مج١، جـ١، ص٥ ومابعدها.لمزيد من التفصيلات عن بلاد السراة (السروات) ، انظر :- شهاب الدين ياقوت . معجم البلدان (بيروت : دار صادر ، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م) ،حـ٣ ، ص ٢٠٤- ٢٠٥، حمد الجاسر . في سراة غامد وزهران (الرياض : دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر ، ١٣٩١هـ / ١٩٧١م) ، ص ٣٥٣- ٣٦٦، عبد الله الوهيبي ." الحجاز كما حدده الجغرافيون العرب " ، مجلة كلية الأدب ، جامعة الرياض (١٣٩٠هـ /١٩٧٠) ، ص ٥٣- ٧٠ ، صالح أحمد العلي " تحديد الحجاز عند المتقدمين "، مجلة العرب (١٣٨٨هـ / ١٩٧٨م)، حـ١، ص١- ٩.

(٢) الوهيبي ، جـ١، ص ٥٣ وما بعدها ، العلي ، حـ١، ص٢ وما بعدها ، عبد الرحمن صادق الشريف . جغرافية المملكة العربية السعودية (إقليم جنوب غرب المملكة) (الرياض : دار المريخ ، ١٤٠٤هـ /١٩٨٤م) ، حـ٢ ، ص ١٣٣وما بعدها ، عاتق بن غيث البلادي . بين مكة وحضرموت (رحلات ومشاهدات) (مكة المكرمة : دار مكة للطباعة والنشر،١٤٠٢هـ /١٩٨٢م) ،

ص١٤ وما بعدها.

(٣) للمزيد انظر : الهمداني ، صفة ، ٦٤، ١٠٥، ١١٩- ١٢٠، ٢٦٠- ٢٦١، غيثان بن علي بن جريس " بلاد تهامة والسراة كما وصفها الرحالة الجغرافيون المسلمون الأوائل (ق٣هـ - ق٨هـ)" مجلة المؤرخ العربي ، العدد الثاني ، المجلد الأول /مارس (١٩٩٤م) ، ص٧٣- ١٠٠.

(٤) المصدر والمراجع نفسها ،للمزيد انظر :محمد أحمد بن جبير . رحلة ابن جبير (بيروت :دار الكتب ،د.ت) ص١٠٢- ١٠٦ ، شهاب الدين أحمد بن يحيى بن فضل الله العمري . مسالك الأبصار في ممالك الأمصار .تحقيق أيمن فؤاد سيد (القاهرة:المعهد الفرنسي للآثار الشرقية ، د.ت) ص١٤٩- ١٧٠.

(٥) انظر ، العلي ،جـ١، ص٣- ٩، الوهيبي ، جـ١، ص ٥٥ وما بعدها، ابن جريس" بلاد تهامة والسراة كما وصفها "،ص٧٥و ما بعدها .

(٦) الهمداني ، صفة ،١١٩ و ما بعدها ، غيثان بن علي بن جريس " بلاد السراة من خلال كتاب صفة جزيرة العرب للهمداني " .مجلة الدارة ،العدد (٣) سنة (١٩) ، ربيع الآخر الجمادتان (١٤١٤هـ/١٩٩٤م) ، ص٧٦- ١١١.

(٧) الهمداني،صفة ،ص،٦٤، ١٩٩- ١٢١، ٢٦٠- ٢٦٢ ، غيثان بن علي بن جريس . دراسات في تاريخ تهامة والسراة خلال العصور الإسلامية المبكرة والوسيطة (ق١هـ ق١٠/ ق٧م- ١٦م) (الرياض:مكتبة العبيكان ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م)،جـ١،

ص ٢١ وما بعدها .

(٨) الهمداني ،صفة ،ص١١٩ وما بعدها ،البلادي ،ص١٤وما بعدها ،ابن جريس " بلاد السراة من خلال كتاب صفة جزيرة العرب " ص٧٧ وما بعدها .

(٩) قبائل شهران جزء من منطقة عسير الممتدة من شمال نجران إلى جنوب منطقة الباحة . وشهران إحدى فروع قبيلة خثعم المشهورة في كتب التراث ،ويطلق اسم (شهران العريضة) على جميع بطون شهران الساكنة في البلاد الممتدة من بلاد أحدر فيدة القحطانية جنوباًإلى بلاد بيشة شمالاً.للمزيدانظر: محمد بن جرمان الأكلبي.تاريخ بني خثعم وبلادهم في الماضي والحاضر. (الطائف : دار الحارثي للطباعة والنشر ، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م) ، ص٣٣ و ما بعدها ، عبد الكريم عائض آل طالع .قبيلة شهران بين الماضي والحاضر (م.ن: ،١٤٠٤هـ/١٩٨٤م) ،ص ١٦وما بعدها.

(١٠) الهمداني ، صفة ، ص١١٩ - ١٢٠ ، ٢٦٠ وما بعدها.

(١١) مصادر تاريخ الحجاز واليمن المحلية تعد من أفضل المصادر التاريخية التي أشارت إلى تاريخ وحضارة بلاد السراة خلال العهود الإسلامية المبكرة والوسيطة .مع أنه لا زال هناك جوانب تاريخية كثيرة مفقودة لهذه البلاد الهامة ونأمل من الآثاريين المختصين أن يركزوا في بعض دراساتهم على هذه المواطن الجديرة بالدراسة .

(١٢) لمزيد من الإيضاح عن سيرة الأمرين القاسم ومحمد ابني جعفر ، انظر: مفرح بن أحمد الربعي . سيرة الأميرين الجليلين الشريفين الفاضلين ، نص تاريخي يمني من القرن الخامس الهجري. تحقيق

رضوان السيد وعبد الغني محمود عبد العاطي (بيروت : دار المنتخب العربي للدراسات والنشر والتوزيع، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م)، ص٧١ وما بعدها ، القاضي إسماعيل بن علي الأكوع .هجر اليمن ومعاقله في اليمن (بيروت : دار الفكر ، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م) جـ٢، ص١٠٦٠، جـ٤ ، ص ٢٣١٦.

(١٣) تبالة إحدى محطات الطريق السروي الذي يخرج من صنعاء إلى الطائف ومكة .وقيل سميت بتبالة بنت مكنف من بني عمليق ،وزعم الكلبي أنها سميت بتبالة بنت مدين بن إبراهيم .وتبالة يمر بها وادي كبير يسمى وادي تبالة ، وهو ينحدر من سراة بالقرن ويتجة للشمال الشرقي حتى يصب في وادي بيشة .للمزيد انظر: ياقوت، معجم، جـ٢، ص٩، علي إبراهيم الحربي. المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية ، منطقة عسير (أبها: م.ن، ١٤١٧هـ)، جـ١ ، ٢٨٧ . للمزيد انظر : الدراسة التاسعة في هذا الكتاب .

(١٤) بالاطلاع على ترجمة وسيرة الإمام العيَّاني ، انظر :الفقيه القاضي الحسين أحمد بن يعقوب . سيرة الإمام المنصور بالله القاسم بن على العيَّاني .تحقيق عبد الله محمد الحبشي (صنعاء : دار الحكمة اليمانية ،١٤١٧هـ/١٩٩٦م) ، ص١١وما بعدها ،الأكوع ،هجر العلماء ،جـ٣، ص١٥١٠- ١٥١١ . إبراهيم بن القاسم بن الإمام المؤيد بالله . طبقات الزيدية الكبرى . المسمى بلوغ المراد إلى معرفة الإسناد. تحقيق عبد السلام بن عباس الوجيه (عمان : مؤسسة الإمام زيد بن علي الثقافية، ١٤٢١ هـ/٢٠٠١ م) ، مج (٢) ، ص ٨٥٩ . للمزيد انظر : الدراسة العاشرة في هذا الكتاب .

(١٥) تَرْج: بفتح أوله وإسكان ثانية ، وأد كبير تسقط مياهه من سروات خثعم وبلقرن وبلاد الحجر تجاه الشرق حتى يلتقي مع وادي بيشة بجانب بلدة الحيفة شرق مركز الحازمي . انظر ، ياقوت ،جـ٢،ص٢١ ، الحربي ، جـ١ ، ص٣٠٦

(١٦) الدولة الصليحية :- نسبة إلى مؤسسها علي بن محمد الصليحي عام (٤٣٩هـ/١٠٤٥م) ،الذي استولى على أجزاء كبيرة من بلاد اليمن ، واستطاع محاربة كل من وقف في طريقه أثناء تأسيس دولته. وكان بعض رجالات الزيدية قد نالهم الأذى والتشريد على يد علي الصليحي انظر :الربعي ، سيرة الأميرين ، ص٧٦ وما بعدها ، الحسين فيض الله الهمداني. الصليحيون والحركة الفاطمية (القاهرة:م.ن، ١٩٥٥م) ص٣٥وما بعدها . أحمد حسين شرف الدين . اليمن عبر التاريخ (الرياض :مطابع الفروق ، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م) ، ص٢٦٥و ما بعدها.

(١٧) ظهر العديد من الثورات والقوى السياسية في كل من اليمن والحجاز خلال العصر الإسلامي الوسيط ،وكان لبعض تلك الأحداث أثار سلبية على بلاد السروات الممتدة من صنعاء إلى مكة .للمزيد عن التاريخ السياسي في اليمن والحجاز أثناء العهود الإسلامية الأولى ، انظر :شرف الدين ص ١٦٥- ٢٥٣ ، أحمد السباعي . تاريخ مكة (مكة المكرمة : نادي مكة الأدبي ، ١٣٩٩ هـ /١٩٧٩) ص١٨٩وما بعدها.

(١٨) ابن يعقوب، سيرة الإمام المنصور بالله،ص١١وما بعدها ، الربعي ، سيرة الأميرين ، ص١٤١ و ما بعدها .

(١٩) ابن يعقوب ، ص١١- ١٢، ١٩وما بعدها ، الإمام المنصور

بالله القاسم بن علي العيَّاني . مجموع كتب رسائل الإمام القاسم العيَّاني (صعدة: مكتبة التراث الإسلامي ، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م) ، ص٥٣ وما بعدها .الأكوع ، هجر العلم ، جـ٣ص١٥١١ .

(٢٠) المصادر نفسها .

(٢١) الأكوع ، جـ٣ ، ١٥١١- ١٥١٩

(٢٢) المرجع نفسه ، جـ٣، ص١٥١٩.

(٢٣) المرجع نفسه.

(٢٤) المرجع نفسه، جـ٢ ، ١٠٥٧- ١٠٥٨ ، ١٠٦٠. جـ٣ ، ١٥١٩- ١٥٢٠ .

(٢٥) الربعي ، سيرة الأميرين ، ص ٩٥ وما بعدها .

(٢٦) المصدر نفسه ، ص٩٥- ١٢٠ ، الأكوع ، جـ٢ ، ص١٠٦٠ ، جـ٣ ١٥١٩.. حصن الهرابة في بلاد وادعة . ووادعة عزلة من ناحية حوث قضاء خمر . بمحافظة صنعاء .أنظر ، محمد بن أحمد الحجري . مجموع بلدان اليمن وقبائلها .تحقيق القاضي إسماعيل الأكوع (صنعاء : منشورات وزارة الإعلام والثقافة ، ١٩٨٤م) ، جـ٤ ، ص٧٦١- ٧٦٢.

(٢٧) الربعي ، ص٢٣٩، الأكوع ، جـ٢ص١٠٥٧- ١٠٦١. جـ٣ ، ص١٥١٩- ١٥٢٠.

(٢٨) انظر دراسة هذا المستشرق (ويلفرد مادلونغ) في بداية كتاب : سيرة الأميرين ...، ص٧- ٣٠ وقد نشرت أولاً باللغة الإنجليزية في :

Studies in the History of Arabia.Vol .I.Soures of the History of Arabia. part .2(Riyad,1979) pp.69-87.

(٢٩) الربعي ، ص٣٠.

(٣٠) المصدر نفسه ، ص٧١ وما بعدها .

(٣١) الربعي ، ص٧- ٣٠.

(٣٢) المصدر نفسه ، ص٣١- ٦٩.

(٣٣) المصدر نفسه ، ص٣١٧- ٣٦٥.لمزيد من التفصيلات عن الحسن بن القاسم العيَّاني ، الذي تلقب باسم (المهدي) ، أنظر ، الأكوع ، جـ٣، ص١٥١١- ١٥١٩.

(٣٤) الربعي ، ص١٣ ،١٤٣وما بعدها .من يستقرئ تاريخ الائمة الزيدية في اليمن يجد أن هنالك العديد من السير الخاصة ببعض الأئمة التي يؤرخ فيها لتاريخ ونضال كل إمام ترجم له .ومعظم هذه السير يوجد بها مادة علمية جيدة عن تاريخ اليمن وما جاورها ،وكتاب : سيرة الأميرين ...، يُعد أنموذجاً من تلك السير العديدة .للمزيد انظر : ،تقديم محققي كتاب :سيرة الأميرين للربعي ، ص٣١- ٦٩.من أهم السير التي أصبح معظمها محققا ومطبوعاً سيرة الهادي إلى الحق (يحي بن الحسين) (٢٨٤- ٢٩٨هـ/٨٩٨- ٩١١م) ، وسيرة الناصر أحمد بن يحي الهادي (٣٠١- ٣٢٥هـ/ ٩١٣- ٩٣٤م) ، وسيرة المنصور القاسم بن علي العيَّاني (٣٨٩- ٣٩٣هـ/٩٩٩- ١٠٠٣م) ، وسيرة المتوكل على الله أحمد بن سليمان (٥٣٢- ٥٦٦هـ/١١٣٨- ١١٧١م) .

(٣٥) ياقوت ،جـ٣، ص٢٦.ويذكر قلعة في ذمار اسمها (الربعة) ، ولا نعتقد أن مفرح الربعي منسوباً إلى هذه البقعة المغمورة ، والتي لا تشير إليها المصادر قبل ياقوت .

(٣٦) الربعي ، ص١٢- ١٣ ، ٢٤٥وما بعدها .

(٣٧) للمزيد ، انظر ، الربعى ، ص١٣- ١٤.

(٣٨) المصدر نفسه ، ص١١٩.للمزيد من التفصيلات عن تاريخ بلاد نجران في القرون الأولى من عصر الإسلام ،انظر . غيثان بن علي بن جريس . نجران دراسة تاريخية حضارية (ق١- ق٤ هـ / ق ٧- ١٠ م) (الرياض : مطابع العبيكان، ١٤٢٥ هـ/٢٠٠٤م)، جـ١ ، ص٢٢ وما بعدها.

(٣٩) بدر : بلدة وواد من نجران ،وبدر فرع من آل فاطمة من قبيلة يام بنجران . انظر، الحجري، مجموعة بلدان اليمن ،جـ١ ، ص١٠٥ ، جـ٣، ص٦٣١ ؛ عمر رضا كحالة . معجم قبائل العرب القديمة والحديثة (بيروت : مؤسسة الرسالة، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م) ، جـ١ ، ص٦٨ ، جـ٣، ص١٢٥٩.

(٤٠) أنافية : من روافد وادي بيش العلوية ، ويبدو أن هذه القرية توجد ضمن بلاد وادعة وقحطان ، لان معظم روافد وادي بيش تأتي من تلك البلاد . للمزيد انظر ، الهمداني ، صفة ، ١١٧ ، ١٢٦ ، ٢٥٠.

(٤١) الجماعي : نسبة إلى بني جماعة من قبائل خولان بن عمرو بن الحاف بن جماعة ، لهم بلاد واسعة من أعمال صعدة . الهمداني ، ص١١٧ ، ١٦٣ ، ٤١٨ ، الحجري ، حـ١ ، ص١٩١.

(٤٢) خثعم : يقال إنه خثعم بن أنمار بن أراش بن عمرو بن الغوث بن نبت بن زيد بن كهلان بن سبأ ، وهناك اختلاف في نسب خثعم فهناك من نسبهم إلى عدنان . البكري ، مج١ ، جـ١ ، ص٥٨ ، حـ٢ ، ص٤٨٩ ، الأكلبي ، ص١٩وما بعدها .

(٤٣) عشائر وادعة : هم ولد وادعة بن عمرو بن عامر ... بن حاشد

من قبائل همدان ، ومنهم من يعيش اليوم في جمهورية اليمن ، وأخرون في الأجزاء الجنوبية من المملكة العربية السعودية . الهمداني ، ٩٩، ١٥٩، ١٦٣، ٢٤٥، ٣١٨ ، الحجري ، جـ٤ ، ص٧٦١.

(٤٤) سنحان : اسم عشيرة معروفة في بلاد قحطان الحالية ضمن منطقة عسير ، ويقال عن نسبهم إنهم ، سنحان بن عمرو بن حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن الحاف من قضاعة . وهناك اسم لناحية أخرى قرب صنعاء في اليمن يعرف بـ (سنحان) . الأشرف عمر بن يوسف بن رسول . طرفة الأصحاب في معرفة الأنساب . تحقيق ك.و. ستر ستين (بيروت : منشورات المدينة ، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٥م) ، ص٤٨ ، ٥١ ، ٦٥ ، ١٢٢ ، كحالة ، حـ٢ ، ص٥٥٨.

(٤٥) يظهر لنا ان شواحط من بلاد سنحان القحطانية ، ولم أجد في المصادر المتاحة ما يؤيد ذلك . وشوحط وشوحطة أسماء لأمكنه عديدة في منطقة عسير . للمزيد انظر ، الحجري ، حـ٣، ص٤٥٨ ، الحربي ، حـ٢ ، ص٩٣٢.

(٤٦) راحة شُريف : أحد الأودية المكونة لوادي تثليث من بلاد قحطان ويضم وادي راحة شريف مجموعة من القرى . انظر ، الحربي ، حـ٢ ، ص٦٩٥- ٦٩٦.

(٤٧) لم نجد ترجمة لهذه الشخصية

(٤٨) سلامة بن على : أحد الرواة الرئيسين في كتاب : سيرة الأميرين ... ، ويبدو انه كان على صلة وثيقة بالأميرين الشريفين.

(٤٩) عبيدة : إحدى قبائل جنب القحطانية ، وسراة عبيدة اليوم تعد إحدى محافظات منطقة عسير الرئيسة . الهمداني ، ص١٥٢ ،

٢٥٣، ٣١٠، ٤٢٢، البلادي ص٥٠- ٥١.

(٥٠) تقع ديار عنز فيما بين أرض جنب وسراة الحجر من الأزد ، وكانت تعرف بلادهم بـ (مخلاف جرش)، وهي تنسب إلى عنز بن وائل بن قاسط من قبائل ربيعة . انظر ، الهمداني ، ص٢٥٥، ٢٦١، ٢٦٥، ٢٧٩، ابن رسول ، طرفة الأصحاب، ص٥٣، ٨٢، ١٢٢، البلادي، ص٤٦- ٥٠ ، غيثان بن علي بن جريس "تاريخ مخلاف جريش خلال القرون الإسلامية الأولى " مجلة العصور. (رجب ١٤١٤هـ / يناير /١٩٩٤م) مج (٩)، جـ(١) ، ص٦٣- ٧٨.

(٥١) لم نجد ترجمة للبذاخ الذي يذكر أنه كان دليل الحاج في بلاد عنز بن وائل ، وفي اعتقادنا أنه كان من أعيان ووجهاء بلاده

(٥٢) العواسج : من قبائل حمير ، ويقطنون اليوم بلاد شهران ويعرفون الآن بـ (العواشز). الهمداني ، ص٢٥٥، ٢٧٤، ٣٢٣، ٣٧٢،

(٥٣) لمزيد من التفصيلات عن بلاد شهران وفروعها وتاريخها انظر، الهمداني ، ص٦٢، ١٩٢، ٢٥٧، ٤٢٩، الحجري ، حـ٢، ص٣٠٤، البلادي ، ص١٧- ٢١.

(٥٤) آل صهيب ، أو الصهب ،أو الصهابية :- اسم لبعض البطون في كل من خثعم (شهران) ، وتثليث ببلاد قحطان . الحربي ، حـ٢، ص٩٧٥.

(٥٥) أبو الفتوح : هو شكر بن أبي الفتوح الحسن بن جعفر بن محمد بن الحسن بن محمد بن موسى بن عبد الله بن موسى بن عبد الله بن الحسن بن الحسن . حكم مكة المكرمة والمدينة حوالى ثلاث

وعشرين سنة. ومات سنة (٤٥٣هـ/١٠٦١م) . وانقرضت به دولة السليمانيين بمكة وجاءت دولة القواسم لأن والده لم يولد له غيره ،وهو لم يكن له أبناء . انظر ، تقي الدين محمد بن أحمد الفاسي . شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام . تصنيف لجنة من كبار العلماء والأدباء (بيروت : دار الكتب العلمية ، د.ت) جـ٢ ، ص ١٩٥ وما بعدها

(٥٦) تربة ، أو وادي تربة : ينشأ من أطراف جبل حضن الجنوبية ، ويسير في ديرة البقوم وأهمها قرية تربة . وينتهي الوادي في عرق سبيع ويغور في رماله . الهمداني ، ص٦٣ ، ١٨٤ ،البلادي ، ص١٧٠- ١٧١ .

(٥٧) لم نجد ترجمة لجبير بن بدر ، ولكن يبدو أنه من أعيان أهل تربة ، وربما كان مسؤلاً عن هذه البلاد من قبل أمير مكة.

(٥٨) سورة الأنبياء ، آية (٢).

(٥٩) ذات عرق : بكسر العين وسكون الراء في أعلى نخلة الشامية وتفصل بين تهامة ونجد والحجاز ،وقيل عرق جبل بطريق مكة الهمداني ،ص٥٨ ، ٢٧٤ ، ٢٨٦ ، ٣٣٨ ، ٣٨٠.

(٦٠) حوارن : من قرى وادي ترج .الهمداني ، ص١٩٧ ، ٢٧٢ ، ٣٨٦ ، ٣٧٩ للمزيد انظر ، الحربي ،جـ١ ،ص٥٢٠- ٥٢١.

(٦١) هِرْجَاب :بكسر أوله وسكون ثانية فجيم موحدة مفتوحة ،اسم لواد كبير ينحدر من شعاف بللحمر الشرقية ،ويتجه شمالاً ثم ينحني إلى الغرب ،وهناك يسمى طلعة هرجاب إلى أن يصب في وادي بيشة عند قرية الحيفة .الحربي ،جـ٣، ص١٦٣٦- ١٦٣٨.

(٦٢) صاحب ترج: ربما يقصد به شيخ قبائل ترج ، أو من المُلاك

لمناطق واسعة في بلاد ترج فسمي بهذا الاسم . ونستبعد أن يكون حاكماً على ترج من قبل والي مكة ، لأنه لو كان كذلك لورد في نصوص السيرة ، وبخاصة أن الأميرين الشريفين وصحابتهما كانوا حريصين على إبلاغ أمير مكة بقدومهم إلى ترج واستقرارهم فيها.

(٦٣) الربعي ، السيرة ، ص١٢٨.

(٦٤) المصدر نفسه .

(٦٥)،(٦٦) لم نجد ترجمة لكل من المرتفع بن المزراق الشهراني ، وعلي بن ناهض الخثعمي ،لكن من الواضح أنهما يعودان في أنسابهما إلى قبيلة خثعم .

(٦٧) الحبل : من قرى وادي ترج .ويذكر الهمداني مكاناً آخر في بلاد الحجر و يشير إلى أنه يسكنها بنو مالك بن شهر . الهمداني، ص٢٦١، ٢٨٠، ٣٩٥، البلادي ، ص ٢٧. وقد شاهدنا مواقع عديدة في منطقة عسير يطلق عليها اسم (الحبل)، وأحياناً يذكرون هذا المصطلح على بعض البساتين المليئة بالأشجار المثمرة ، وقد يطلقون على البستان الواحد منها اسم (حبلة أو الحبلة). (مشاهدات الباحث) .

(٦٨) جميع هذه الكتب خاصة بالمذهب الزيدي ، وللمزيد عن تاريخ الزيدية وعلومهم ، انظر: شرف الدين ، اليمن ، ص٣٩، وما بعدها ، عصام عبد الرؤوف الفقي . اليمن في ظل الإسلام منذ فجره حتى قيام دولة بني رسول (القاهرة : دار الفكر العربي ، ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م) ص٣٧٨ وما بعدها.

(٦٩) المقصود ببني هلال هنا : أي هلال بن عامر بن صعصعة من هوازن ، كانوا يقطنون الحجاز وأجزاء من نجد ، ومن ديارهم

تربة ورنية وبيشة وما حولها . ياقوت ، حـ٥ ، ص٤٠٩ ، كحالة ، حـ٣، ١٢٢١.

(٧٠) لمزيد من التفصيلات عن علي الصليحي (٤٣٩- ٤٥٨هـ / ١٠٤٥- ١٠٦٦م) أثناء حكمه لبلاد اليمن ، انظر ، الربعى ، ص١٤٣وما بعدها ، شرف الدين ، اليمن ، ص١٩١وما بعدها ، محمد أحمد العقيلي . تاريخ المخلاف السليماني جـ١ ، ص ١٤٢- ١٤٨.

(٧١) سراة عدوان : من قبائل قيس عيلان ، وموطنهم جنوب الطائف، انظر الهمداني ، ص١٢٠ ، ٢٦٣ ؛ ابن رسول ، طرفة الأصحاب ، ص٥٢ ، محمد أحمد العقيلي . تاريخ المخلاف السليماني ، جـ١ ، ١٤٢ –١٤٨ .

(٧٢) عكاظ : من أسواق العرب القديمة في سروات الطائف في أعلى نجد بالقرب من مدينة الطائف . الهمداني، ص١٢٠ ، ٣١١، ٣٧٩، ٤٣٧ ، البلادي ، ص١٨٧.

(٧٣) سواءة : يعرفون ببني سواءة بن عامر من الأزد وبلادهم في نجد وسراة زهران . الهمداني ، ص١١٩ ، ٣٠٥.

(٧٤) نهد : من قبائل قضاعة ولهم مساكن في عسير ونجران ، انظر، الهمداني ، ص٨١ ، ١٨٨ ، ٢٥٣ ، ٢٥٧ ، ابن رسول ، ص٥١ ، ٧٨ ، الحجري ، حـ٤ ، ص٧٤٥- ٧٤٦.

(٧٥) يام : من قبائل حاشد، وموطنهم بنجران، انظر، الهمداني، ص، ١٥١، ١٦٦، ١٨٨، ٢٤٥، ٢٧٩، ٣٤٢، ٣٦٠، الحجري، حـ٤، ٧٣٤- ٧٧٤.

(٧٦) أكلب : من قبائل بيشة ، وتنقسم إلى عدة عشائر . كما أن هناك قبائل عديدة في الجزيرة العربية تسمى بهذا الاسم (أكلب)، وبعضها عدنانية، وأخرى قحطانية . انظر، كحالة، حـ١ ، ص٣٩.

(٧٧) الربعي ، السيرة ، ص١٤١.

(٧٨) الراحة : أي راحة سنحان من بلاد جنب . الهمداني ، ص٢٠٥ ، ٢٥٢ ، ٣١٨ ، ٣٦٠ ، ٤٢١ ، ٤٢٧. وتوجد اليوم ضمن محافظة سراة عبيدة في منطقة عسير (الباحث)

(٧٩) لم نجد ترجمة لحسين بن عمر الشواحطي ، ولكن يبدو أنه كان من رجال الدولة الصليحية ، وكان المسؤل عن بلاد شواحط من قبل الصليحيين .

(٨٠) الربعي ، السيره ، ص١٤٢ .

(٨١) لمزيد من التفصيلات عن جغرافية وتاريخ بيشة . الشريف ، جغرافية المملكة ، حـ٢ ،ص٤٣١- ٤٤٣ ، محمد بن جرمان العواجي . بيشة (الطائف : دار الحارثي للطباعة والنشر ، ١٤١٨هـ / ١٩٩٧م) ص١٢٠وما بعدها .

(٨٢) الربعي ، ص١٢٤ ، ١٣٦. لمزيد من الإيضاح عن أمراء مكة خلال العصر الإسلامي الوسيط ، انظر الفاسي ، شفاء الغرام ، حـ٢ ، ص١٦٢وما بعدها ، عارف عبد الغني . تاريخ أمراء مكة المكرمة (دمشق : مطابع البشائر للطباعة والنشر ، ١٤١٣هـ / ١٩٩٢م) ص٣٥وما بعدها .

(٨٣) الربعي ، ص١٣٦ .

(٨٤) جمال الدين يوسف بن المجاور . صفة بلاد اليمن ومكة وبعض

الحجاز المسمى تاريخ المستبصر. تحقيق لو فغرين (ليدن : مطبعة بريل ، ١٩٥١- ١٩٥٤م) جـ١ ، ٢٦ وما بعدها . للمزيد من التفصيلات عن الأحوال الاجتماعية في بلاد السراة خلال العصر الإسلامي الوسيط ، انظر ، غيثان بن علي بن جريس " صور من الحياة الاجتماعية في بلاد السراة خلال العصور الإسلامية المبكرة والوسيطة " . طبع هذا البحث ضمن أعمال اللقاء العلمي الرابع لجمعية التاريخ والآثار بدول مجلس التعاون لدول الخليج العربية(الشارقة ، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م) ص ٣٤٧ وما بعدها .

(٨٥) ابن المجاور حـ١ ، ص ٣٧ـ ٣٨.

(٨٦) المصدر نفسه ،حـ١ ، ص٢٦. للمزيد انظر، ابن جريس ، دراسات ، جـ١ ، ١٧١وما بعدها .

(٨٧) أوضاع بلاد السراة في العصر الإسلامي الوسيط كانت تخضع إدارياً واجتماعياً لشيوخ القبائل ، وإن حصل اتصال مع بعض القوى السياسية في الحجاز أو اليمن فإنها إلى المستوى الشكلي أقرب منه إلى الفعلي .

(٨٨) لمزيد من التفصيلات عن صلات أشراف مكة ببلاد السراة انظر ، عز الدين بن عبد العزيز بن فهد . غاية المرام بأخبار سلطنة البلد الحرام . تحقيق فهيم شلتوت (مكة المكرمة : مطابع شركة مكة للطباعة والنشر ، ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م)، حـ٢ ،ص ٢٧٥، ٤٨٣، ٥١٥ ؛ حـ٣، ص١٢٠ ، عبد الملك بن حسين العصامي . سمط النجوم العوالي في أبناء الأوائل والتوالي (مصر : المطبعة السلفية ، د.ت)، حـ٤ ، ص٣٨٤، ٤٠٢ ، ٤٧٢ ، ٤٩٢ ، عارف عبد الغني، ص٧١٩، ٧٤٣، ٤٧٢" حمد الجاسر ، مع الموسوي

في رحلته (٣) نزهة الجليس ومنية الأديب الأنيس" مجلة الفيصل (ربيع الأول / ١٤١٦هـ) ، ع (٢٢٥) س(١٩) ، ص٣٦.

(٨٩) للاطلاع على معلومات أكثر عن السروات الممتدة من نجران إلى الطائف انظر ، الهمداني ، ص ١١٩ وما بعدها ، ابن جريس "بلاد السراة من خلال كتاب صفة جزيرة العرب ..." ، ص٧٦ وما بعدها .

(٩٠) انظر ابن المجاور ، حـ١ ص ٢٦ وما بعدها .

(٩١) لمزيد من التفصيلات عن الأحوال الدينية عن أهل السراة خلال العهود الإسلامية الأولى ، وكيف كان المذهب الشافعي هو الأكثر انتشاراً بينهم ، انظر . عمر بن علي بن سمرة . طبقات فقهاء اليمن . تحقيق فؤاد سيد (بيروت: دار القلم ، د.ت) ص ٧٥، ١٣٨ ، ابن أبي حاتم الرازي . آداب الشافعي ومناقبه . تحقيق عبد الغني عبد الخالق (بيروت :دار الكتب العلمية ، ١٤٠٦هـ) ص ١٢٩ وما بعدها ، ابن جريس ، نجران ، حـ١ ، ص٣٨٩ وما بعدها .

(٩٢) الربعي ، ص١٢٠ وما بعدها .

(٩٣) ابن المجاور ، حـ١ ،ص٣٧-٣٨.

(٩٤) الربعي ، ص ١٢٤.

(٩٥) المصدر نفسه.

(٩٦) لمزيد من التفصيلات عن الحياة الاجتماعية في بلاد السراة وبخاصة طبقات المجتمع ، انظر . ابن جريس " صور من الحياة الاجتماعية في بلاد السراة ..." ، ص ٣٤٩ وما بعدها ، للمؤلف نفسه. عسير دراسة تاريخية في الحياة الاجتماعية والاقتصادية

(١١٠٠-١٤٠٠ هـ/ ١٦٨٨-١٩٨٠م). (جدة : دار البلاد للطباعة والنشر ، ١٤١٥هـ / ١٩٩٤م) ص٣٣ وما بعدها .

(٩٧) للمزيد عن بلاد جرش ،انظر ، ابن جريس "تاريخ مخلاف جرش ..." ، ص ٦٣ وما بعدها .

(٩٨) لم نعثر على ترجمة لهذه الشخصية .

(٩٩) الربعي ، ص ١٣٥.

(١٠٠) المصدر نفسه ، ص ١٢٨.

(١٠١) المصدر نفسه ، ص ١٣٥. والناضح :- هو البعير أو الثور الذي يرفع الماء من البئر لري المزارع .

(١٠٢) الهمداني ، ص ٢٥٧ ، ٢٦١- ٢٦٢ ، ٣٠٢

(١٠٣) ابن جبير ، ص ١٠٢-١٠٥

(١٠٤) ابن المجاور ، حـ١ ، ص٢٧ ، أبو عبد الله محمد بن بطوطة . رحلة ابن بطوطة ، المسماة تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار . تحقيق علي المنتصر الكتاني (بيروت : مؤسسة الرسالة، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م)، حـ١ ص ٢٧١- ٢٧٢.

(١٠٥) المصدران نفسهما ، للمزيد انظر ، ابن جريس ، دراسات ، حـ١ ، ص١٦٥ ، للمؤلف نفسه " بلاد تهامة والسراة كما وصفها الرحالة الجغرافيون المسلمون الأوائل ق٣هـ - ق٨ هـ". مجلة المؤرخ العربي، (مارس/ ١٩٩٤)، عدد(٢)،مج(١) ، ص٧٣-١٠٠.

(١٠٦) للاطلاع على تفصيلات أكثر عن الحياة التجارية في بلاد السراة خلال العصر الإسلامي الوسيط ، انظر ، غيثان بن علي بن جريس" ملامح النشاط التجاري لبلاد تهامة والسراة في العصور الإسلامية الوسيطة " بحث قدم في ندوة إتحاد المؤرخين العرب

بالقاهرة (٢٥ـ ٢٧/شعبان/ ١٤٢١هـ الموافق ٢١ـ ٢٣ نوفمبر ٢٠٠٠م) .وقد نشرت هذه الدراسة ضمن أعمال الندوة في كتاب بعنوان: طرق التجارة العالمية عبر العالم العربي على مر عصور التاريخ. حصاد رقم(٨) (القاهرة: منشورات اتحاد المؤرخين: ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م) ص ١٥٧ـ ٢٢٢.

(١٠٧) المرجع نفسه . كانت الأسواق الأسبوعية من الأماكن الرئيسة لاجتماع التجار وغيرهم ، فيمارسون التجارة ويتناقلون الأخبار ، ويشاهدون الحراك الاجتماعي في أوطانهم.

(١٠٨) الربعي ، ص١٢٠ـ١٤٢

(١٠٩) المصدر نفسه ، ص١٢٦.والغالب على بلاد السراة صعوبة تضاريسها ، كما أن هناك منافذ وعقبات تربط قمم السروات بسفوحها الشرقية والغربية (مشاهدات الباحث)

(١١٠) هذا ما نقله إلينا بعض الرواة الذين عاصروا العهود الأولى من القرن الرابع عشر الهجري (العشرين الميلادي) .(الباحث).

(١١١) المراجع نفسها .

(١١٢) لمزيد من الاطلاع على تاريخ المذهب الزيدي في اليمن انظر ، شرف الدين، اليمن ، ٢٣٩وما بعدها ، الفقي ،ص٣٧٨ وما بعدها .

(١١٣) الربعي ، ص١٢٤.

(١١٤) المصدر نفسه ، ص١٣٥.

(١١٥) المصدر نفسه ، ١٣٥ـ١٣٦.

(١١٦) المصدر نفسه ، ص١٥٥.

(١١٧) لمزيد من الاطلاع على الحياة العلمية والفكرية في بلاد السراة

خلال العهود الإسلامية الأولى ،انظر .غيثان بن علي بن جريس "ملامح الحياة العلمية في بلاد تهامة والسراة خلال العصور الإسلامية المبكرة والوسيطة " بحث قدم في ندوة إتحاد المؤرخين العرب بالقاهرة (١٣ـ ١٥ /شعبان /١٤٢٢هـ/ الموافق ٣٠/ أكتوبر ـ١ /نوفمبر/ ٢٠٠١م). ونشرت هذه الدراسة ضمن كتاب بعنوان :ـ المراكز الثقافية والعلمية في العالم العربي عبر العصور . حصاد رقم (٩) (القاهرة : منشورات اتحاد المؤرخين ١٤٢٢هـ /٢٠٠١م) ص ١٩٥ـ٢٥٦.

(١١٨) من أسباب انتشار مذهب الشافعي في بلاد السراة وأجزاء واسعة من بلاد اليمن ،هو أن الشافعي نفسه عاش بعض الوقت في هذه البلاد ، وتولى الإمارة والقضاء في نجران خلال العصر العباسي الأول ، بل تنقل في نواح عديدة من اليمن ، بالتالي أثرت مدرسته في هذه البلاد ، وظهر من طلابه من نشر مذهبه في أوطان عديدة من جنوب شبه الجزيرة العربية . أبو حاتم الرازي ، آداب ، ص ٣٢ وما بعدها ، عبد الحليم الجندي . الإمام الشافعي (القاهرة : دار المعارف ، د.ت) ، ص٧٨ وما بعدها ، ابن جريس ، نجران ، جـ١ ، ص١٥١ وما بعدها .

(١١٩) للمزيد انظر ، ابن جبير ، الرحلة (دار صادر)، ص١١٠ وما بعدها .

(١٢٠) محمد بن محمد الحفظي . اللجام المكين ،والزمام المتين .تحقيق عبدالله أبو داهش (أبها : مطابع مازن ،١٣٠٥هـ/ ١٩٨٥م)، ص ٥٧، ٥٨ .

(١٢١) المرجع نفسه.

(١٢٢) للمزيد انظر، أبو حاتم الرازي، ص٣٣ومابعدها، الجندي، ص٧٩ وما بعدها، ابن جريس، نجران، حـ١، ص١٥١ ـ١٥٤.

(١٢٣) للمزيد عن الزيديين ومذهبهم في اليمن، انظر . شرف الدين ، اليمن ، ص٢٣٩ وما بعدها .

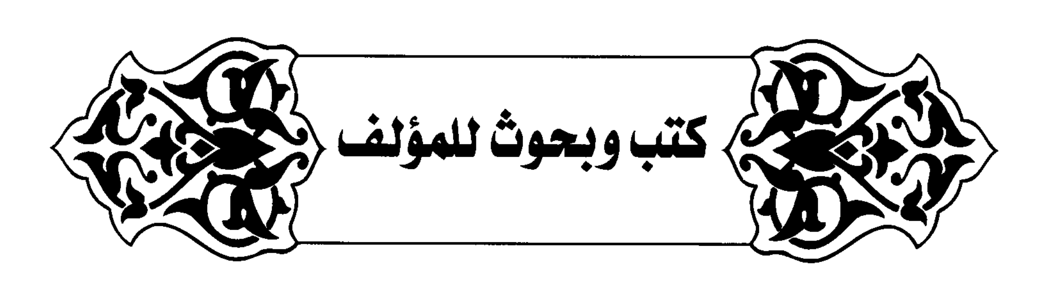
(١٢٤) الربعي ، السيرة ، ص١٢٤، ١٣٥ ـ١٣٦.

(١٢٥) المصدر نفسه ، ص ١٢٠ وما بعدها .

(١٢٦) المصدر نفسه .

(١٢٧) المصدر نفسه ، ص ١٣٥.

(١٢٨) المصدر نفسه ، ص١٢٨ ـ ١٣٠.



كتب وبحوث للمؤلف



أولاً : الكتب المنشورة

ثانياً : تحقيقات ومراجعات كتب ومجلات وغيرها

ثالثاً : البحوث والدراسات المنشورة

أولاً : الكتب المنشورة :

١- **افتراءات المستشرق كارل بروكلمان على السيرة النبوية**.(جدة–دار البلاد للطباعة والنشر، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م ، ١٤١٨هـ/١٩٩٨م) ، أربع طبعات ، أولى وثانية وثالثة ورابعة ، (والطبعة الأولى من منشورات نادي أبها الأدبي عام ١٤١٣هـ / ١٩٩٣م) .

٢- **بلاد بني شهر وبني عمرو خلال القرنين الثالث عشر والرابع عشر الهجريين** (أبها : مطابع مازن ، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م) .

٣- **بلاد بني شهر وبني عمرو خلال القرنين (١٣ – ١٤هـ/١٩ – ٢٠ م) (الطبعة الثانية)** . تم إضافة أكثر من (٤٠٠) صفحة على الطبعة الأولى التي صدرت عام (١٤١٣ هـ / ١٩٩٣ م) (الرياض: مطابع الحميضي، (١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م).

٤- **صفحات من تاريخ عسير**، الجزء الأول (جدة ، دار البلاد للطبع والنشر ، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م ، ١٤١٤هـ /١٩٩٤م) (طبعتان أولى وثانية) .

٥- **بحوث في التاريخ والحضارة الإسلامية** ، الجزء الأول ، تقديم ومراجعة الأستاذ الدكتور/ سعيد عبد الفتاح عاشور ، رئيس اتحاد المؤرخين العرب (الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية ، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م) .

٦- **عسير : دراسة تاريخية في الحياة الاجتماعية والاقتصادية (١١٠٠-١٤٠٠هـ/ ١٦٨٨- ١٩٨٠م)** (جدة : دار البلاد للطباعة والنشر ، ١٤١٥هـ /١٩٩٤م) .

٧- **تاريخ التعليم في منطقة عسير (١٣٥٤- ١٣٨٦هـ/١٩٣٤- ١٩٦٦م) الجزء الأول** ، (جدة: دار البلاد للطباعة والنشر ، ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م) .

٨- الهجرات العربية إلى ساحل شرقي إفريقية في العصور الوسطى وآثارها الاجتماعية والثقافية والتجارية حتى القرن الرابع الهجري٠ دراسة نشرت في هيئة كتيب بمركز بحوث كلية التربية بأبها وتم تصويره وتجليده في مطابع جامعة الملك سعود بالرياض (عام ١٤١٦هـ /١٩٩٥م) ٠

٩- أبها حاضرة عسير (دراسة وثائقية)٠(الرياض: مطابع الفرزدق، ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م) (الطبعه الأولى).كما أعيد طبعه للمرة الثانية (الرياض:مطابع الحميضي ،١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م)

١٠- الأقليات الإسلامية في العالم (١) إفريقيا الجزء الأول. (أبها : نادي أبها الأدبي ، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م) (بالاشتراك مع الأستاذ الدكتور/السر سيد أحمد العراقي) ٠ وقد أخرجت الطبعة الثانية في عام (١٤١٩هـ/١٩٩٩م)٠ كما خرجت الطبعة الثالثة بمطابع العبيكان في الرياض ، خلال عام (١٤٢٤ هـ / ٢٠٠٣ م) .

١١-بحوث في التاريخ والحضارة الإسلامية الجزء الثاني. (الإسكندرية : دار السماح للطباعة ، ١٤١٨هـ /١٩٩٧م) .

١٢-عسير في عصر الملك عبد العزيز (دراسة تاريخية للحياة الإدارية والاقتصادية (جدة : دار البلاد للطباعة والنشر ، ١٤٢٠هـ /١٩٩٩م) ٠

١٣-دراسات في تاريخ وحضارة جنوبي البلاد السعودية (جدة : دار البلاد للطباعة والنشر ، (١٤٢١هـ/٢٠٠٠م)) ٠

١٤-بحوث في تاريخ عسير الحديث والمعاصر (جدة : دار العويفي للدعاية والإعلان، (١٤٢٣هـ /٢٠٠٢م) ٠

١٥-تاريخ التعليم العام والعالي في منطقة عسير خلال عهد خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز (١٤٠٢- ١٤٢٢هـ / ١٩٨٢-٢٠٠٢م) تم طباعته ونشره على نفقة وزارة التعليم العالي وجامعة الملك خالد، بمطابع جامعة الملك سعود بالرياض، (١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م) . وأعيدت طباعته عام ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م (جدة: وكالة الرواد للدعاية والإعلان ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م).

١٦-دراسة عن قسمي التاريخ بفرعي جامعة الملك سعود والإمام محمد بن سعود الإسلامية في أبها (١٣٩٦- ١٤٢٣هـ /١٩٧٦- ٢٠٠٢م) (النشأة – التطور – الإلغاء) (جدة : وكالة الرواد للدعاية والإعلان ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م).

١٧-دراسات في تاريخ تهامة والسراة خلال القرون الإسلامية المبكرة والوسيطة (ق١هـ - ق١٠هـ/ ق٧م – ق١٦م) (الرياض : مطابع العبيكان ، ١٤٢٤ هـ / ٢٠٠٣ م) ٠ (الجزء الأول) .

١٨-نجران : دراسة تاريخية حضارية (ق ١ هـ- ق ٤هـ/ ق ٧ – ق ١٠م). (الجزء الأول) (الرياض : مطابع العبيكان ، ١٤٢٥ هـ/ ٢٠٠٤ م).

١٩-دراسات في تاريخ الحجاز السياسي والحضاري خلال العصر الإسلامي من القرن الأول الهجري إلى القرن العاشر الهجري / السابع الميلادي إلى السادس عشر الميلادي (مكة المكرمة : نادي مكة الثقافي والأدبي، ١٤٢٥ هـ / ٢٠٠٤ م) .

٢٠-صفحات من تاريخ عسير. (الرياض: مطابع العبيكان ، ١٤٢٥ هـ/ ٢٠٠٤م) (الجزءان الأول والثاني في مجلد واحد).

٢١-القول المكتوب في تاريخ الجنوب (عسير أنموذجاً) (الرياض : مطابع العبيكان ، ١٤٢٦ هـ / ٢٠٠٥ م).

٢٢-دراسات في تاريخ إفريقيا والجزيرة العربية خلال العصور الإسلامية (جازان : نادي جازان الأدبي ، ١٤٢٨ هـ / ٢٠٠٧ م) .

٢٣-الوجود الإسلامي في أرخبيل الملايو (إندونيسيا وماليزيا أنموذجاً (ق ١ – ق١٠ هـ / ق ٧ – ١٦ م) (دراسة تاريخية حضارية) . (الرياض : مطابع الحميضي ، ١٤٣٠- ١٤٣١هـ / ٢٠٠٩ – ٢٠١٠ م) .

٢٤-من رواد التربية والتعليم في المملكة العربية السعودية : محمد أحمد (أنور) . (دراسات ، وشهادات ، ووثائق) (الرياض : مطابع الحميضي ، ١٤٣١هـ / ٢٠١٠ م) .

٢٥-دراسات في تاريخ تهامة والسراة خلال القرون الإسلامية المبكرة والوسيطة ((ق ١ – ق١٠هـ/ق٧ – ١٦م)).المسمى : تاريخ الجنوب (الباحة وعسير ، جازان ونجران).(الرياض : مطابع الحميضي ، (١٤٣١ – ١٤٣٢ هـ/ ٢٠١٠ – ٢٠١١ م) (الجزء الثاني) .

٢٦-عبد الوهاب أبو ملحة والإدارة المالية في جنوب البلاد السعودية (١٣٤٠ – ١٣٧٤ هـ/ ١٩٢٠ –١٩٥٤ م) (دراسة تاريخية وثائقية) . (تحت البحث والدراسة) .

٢٧-القنفذة : خلال أربعة قرون (ق ١٠– ١٤ هـ / ق ١٦ – ٢٠ م) (دراسات تاريخية حضارية) (تحت البحث والدراسة) .

٢٨-من ذكريات طالب مبتعث في كل من أمريكا وبريطانيا (مخطوط) ٠

٢٩-رحلات في جنوبي شبه الجزيرة العربية (مخطوط) .

ثانياً : تحقيقات ومراجعات كتب ومجلات وغيرها :

١ - دراسة وتحقيق مذكرة الشيخ / عبد الله بن عبد الرحمن بن إلياس حول تاريخ عسير وأجزاء من جنوبي المملكة العربية السعودية ، تم نشرها عام ١٤١٨هـ /١٩٩٧م.

٢ - راجع وقدم : المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية (منطقة عسير) . (١٤١٧ ـ ١٤١٨هـ) (٣ مجلدات) للأستاذ / علي بن إبراهيم بن ناصر الحربي.

٣ - راجع وحقق وقدم لكتاب : مرتفعات الجزيرة العربية . لهاري سانت جون فيلبي (الرياض : مكتبة العبيكان ، ١٤٢٦هـ /٢٠٠٥م) (جزءان) .

٤ - تولى رئاسة تحرير مجلة بيادر الصادرة من نادي أبها الأدبي ، وكتب مقدمة أعدادها من عام ١٤١٥ ـ ١٤١٩هـ/ ١٩٩٥ ـ ١٩٩٩م) .

ثالثاً : البحوث والدراسات المنشورة :

١- "بلاد السراة من خلال كتاب صفة جزيرة العرب للهمداني" مجلة الدارة ، ربيع الآخر والجمادتان (١٤١٤هـ) ، العدد الثالث ، السنة (١٩) ، ص٧٦- ١١١ ، كما أعيد نشرها مع بعض الإضافات في مجلة بيادر الصادرة من نادي أبها الأدبي ، عدد (٢٧) جمادى الأولى ، (١٤٢٠هـ /١٩٩٩م)، ص١٤- ٤٤ .

٢- "بلاد بني شهر وبني عمرو خلال العصر الإسلامي الوسيط" مجلة العرب (جـ٩- ١٠) سنة (٢٧) (الربيعان) (١٤١٣هـ /١٩٩٢م) ، ص٦٠٧- ٦٢٤ .

٣- " بلاد تهامة والسراة كما وصفها الرحالة والجغرافيون المسلمون الأوائل"، مجلة المؤرخ العربي، العدد الثاني، المجلد الأول، مارس (١٩٩٤م) ،

ص٧٣- ١٠٠ ٠ وقد أعيد نشرها مع بعض الإضافات في مجلة بيادر الصادرة من نادي أبها الأدبي، عدد (٢٩) (محرم/١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م)، ص٦٣- ٩٤ ٠

٤- **"تاريخ مخلاف جرش خلال القرون الإسلامية الأولى" مجلة العصور**. مج٩، جـ١، (رجب ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م)، ص٦٣- ٧٨ ٠ وقد تم إعادة نشره مع بعض الإضافات في مجلة بيادر الصادرة من نادي أبها الأدبي ، عدد (٢٤) (ربيع الثاني /١٤١٩هـ) ، ص٦٦- ١٠٠ ٠

٥- **"بلاد تهامة والسراة منذ فجر الدعوة الإسلامية حتى عهد حروب الردة "** مجلة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية، المجلد (٣٨) لعام ١٩٩١- ١٩٩٥م ، ص٤١- ٦٥ . وقد أضيف معلومات جديدة على هذه الدراسة، ثم أعيد نشرها في مجلة بيادر الصادرة من نادي أبها الأدبي،عدد(٣١) (رمضان/١٤٢١هـ/ ٢٠٠٢م) ،ص١٧- ٤٧.

٦- **"أعمال الخليفة المهدي العباسي الخيرية تجاه أهل الحجاز (١٥٨هـ /٧٧٤م – ١٦٩هـ /٧٨٥م) "**مجلة الدارة (رجب ، وشعبان ، ورمضان، ١٤١١هـ) العدد الرابع ، سنة (١٦) ، ص١١٣- ١٢٩.

٧- **"الأوضاع السياسية والحضارة في الحجاز خلال عهد الخليفة العباسي أبي جعفر المنصور (١٣٦هـ/٧٥٣م–١٥٨هـ /٧٧٤م)"** ، منشور ضمن سلسلة دراسات مركز بحوث الشرق الأوسط بجامعة عين شمس ، القاهرة ، رقم السلسلة (٩٦)(١٤١١هـ/١٩٩١م)،ثم أعيد نشر هذه الدراسة في مجلة العرب، وعلى جزئين في العددين المتتالين (رجب وشعبان) و (رمضان وشوال) ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م،سنة (٢٩)من ص(٥١- ٦٣) ثم في الجزء الآخر من(١٧٥- ١٨٤).

٨- **"تطور العلاقات السياسية والتجارية بين الحبشة وبلاد النوبة وبين الحجاز في صدر الإسلام"** مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية .العدد الثامن. (رجب ١٤١٣هـ /١٩٩٣م) ص٤١٢- ٤٣٣ ، ثم أعيد نشر هذه الدراسة في مجلة العرب، وعلى جزئين في العددين المتتالين(ذو القعدة وذو الحجة، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م) ص٣١١- ٣٢٤ ، و(محرم وصفر ١٤١٥هـ/١٩٩٤م) ، سنة (٢٩) ، ص٤١١- ٤٥٠.

٩- **"تاريخ عقوبة النفي منذ فجر الإسلام حتى قيام دولة بني العباس"** مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ،العدد السادس (المحرم ١٤١٣هـ /١٩٩٢م) ص٥٨٨- ٦٠٩ ، وقد أعيد نشرها في مجلة المنهل، العدد (٥١٢) (شعبان ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م) ، ص٨٢- ٩٠ .

١٠- **"صور من تطور نظام العيون (الاستخبارات) خلال القرون الإسلامية المبكرة"** منشورة ضمن سلسلة دراسات مركز بحوث الشرق الأوسط بالقاهرة، ورقم السلسلة (٨٩) (١٤١١هـ/١٩٩١م) ، ثم أعيد نشر هذه الدراسة مع بعض الإضافات في مجلة المنهل العدد (٥١٦) عام (٦٠) المحرم ١٤١٥هـ (١٩٩٤م) ، ص٦٦- ٧٥ .

١١- **"صور من تاريخ المثلة منذ فجر الإسلام حتى قيام دولة بني العباس "** مجلة الدارة ، العدد الأول ، السنة (١٨) (شوال ، ذو القعدة ، ذو الحجة ، ١٤١٢هـ) ، ص٨٤- ١٠١ .

١٢- **"الطرق التجارية البرية والبحرية المؤدية إلى الحجاز"** مجلة العرب، جـ ٧ و ٨ سنة (٢٦) (محرم وصفر / ١٤١٢هـ / ١٩٩١م) ، ص٤٤٧- ٤٦٢ .

١٣- **"أهم الحرف والصناعات في الحجاز خلال القرون الإسلامية المبكرة"** مجلة المنهل، العدد (٤٩٢)، مج٥٣ ، جمادى الأول والآخرة ١٤١٢هـ/ ١٩٩١م) ، ص٨٢- ٩٦ ٠

١٤- **"مواقف خلفاء بني العباس الخيرية تجاه أهل الحجاز" (١٣٢- ٢٣٢هـ)** ، مجلة المنهل ، العدد (٤٩٧) ، مج ٥٤ ، (المحرم ١٤١٣هـ / ١٩٩٢م) ، ص٨٢- ٨٨ ٠

١٥- **"علماء الحجاز وعلاقتهم بخلفاء بني العباس (١٣٢ –٢٣٢هـ/٧٤٩-٨٤٦م)** "مجلة المنهل ، العدد (٥١٠)،مج (٥٥)جمادى الآخرة (١٤١٤هـ/١٩٩٣م) ص٥٠- ٥٦ ، وسبق أن نشرت في نفس مجلة المنهل العدد(٥٠٢) مج (٥٤) ، (شعبان ، ١٤١٣هـ / ١٩٩٣م) ، ص٢٥- ٣٠ ٠

١٦- **"أهم الملابس العربية خلال العهود الإسلامية الأولى"** مجلة المنهل ، العدد (٤٩٨) ، مج٥٤ (صفر ١٤١٣هـ / ١٩٩٢م) ، ص٧٨- ٩٥ ٠

١٧- **"العرب في مقديشو وأثرهم في الحياتين السياسية والثقافية في ظل الإسلام"** مجلة المؤرخ العربي ، العدد الأول، المجلد الأول ، مارس (١٩٩٣م) ص ١٢٨- ١٥٨ ٠ ثم أعيد نشرها مع التطوير والإضافة في مجلة المنهل ، عدد (٥١٤) مج٥٥ ، شوال ، ذو القعدة (١٤١٤هـ /١٩٩٤م) ص٤٨- ٥٩ ، كما أضيف عليها بعض التفصيلات والتعديلات ونشرت في مجلة العرب، سنة (٣٠) (رمضان ،شوال) ١٤١٥هـ، (١٩٩٥م)، ص١٨٥- ٢٠٥ ٠

١٨- **"المدينة المنورة .... ورقات من ذاكرة التاريخ ١٣٢- ١٦٩هـ"** مجلة المنهل (العدد السنوي الخاص) عدد (٤٩٩) مج ٥٤ (الربيعان / ١٤١٣هـ/١٩٩٢م) ص١١٢- ١٢٠ ٠

١٩- **"القدس الشريف خلال القرون الإسلامية المبكرة "** مجلة المنهل (العدد السنوي الخاص) عدد (٥٠٨) مج ٥٥ (الربيعان / ١٤١٤هـ /١٩٩٣م) ، ص٤٠- ٤٥ .

٢٠- **"الإمارة في الحجاز خلال العصر العباسي الأول ١٣٢- ٢٣٢هـ / ٧٤٩- ٨٤٦م"** مقالة نشرت باللغة الإنجليزية في مجلة العصور ، المجلد السابع ، الجزء الأول (١٤١٢هـ / ١٩٩٢م) ، ص ١٣ – ٢١ (**pp . 13 - 21**).

٢١- **"العمائم تيجان العرب"** مجلة بيادر الصادرة من نادي أبها الأدبي ، العدد (٨)، محرم ١٤١٣هـ ، ص٦٦- ٧١ .

٢٢- **"المستشرقون ونشاطهم تجاه دراسة التراث الإسلامي"**، مجلة بيادر الصادرة من نادي أبها الأدبي ، العدد (٦) (محرم ، ١٤١٢هـ) ، ص٦٢- ٧٧ .

٢٣- **"الدونمة بين اليهودية والإسلام"** مجلة المنهل ، العدد (٤٩٦) مج ٥٣ ، ذو الحجة (١٤١٢هـ /١٩٩٢م) ص٩٠- ٩٦ .

٢٤- **"يهود الدونمة في الميزان"** مجلة التضامن الإسلامي ، السنة (٤٧) ، الجزء الثامن (صفر ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م) ص٢٤- ٣٠ .

٢٥- **"آراء حول التاريخ وكيفية تدريسه في الجامعة"** مجلة المنهل ، العدد (٥٠٧) مج ٥٥ (صفر ١٤١٣هـ / ١٩٩٣م) ، ص١٢- ١٧ ، ثم أجري عليه بعض التعديلات ونشرت في مجلة القافلة العدد (١١) مج٤٢ (ذو القعدة ١٤١٤هـ /١٩٩٤م) ، ص٤٤- ٤٧ .

٢٦- **"كيف نبني ثقافتنا"** مجلة المنهل ، العدد (٥٠٦) مج ٥٥ (المحرم ١٤١٤هـ/١٩٩٣م) ، ص٣٠- ٣٦ .

٢٧- "المخطوطات العربية بمكتبة كلية التربية بأبها (فرع جامعة الملك سعود)" مجلة المنهل ، العدد (٤٨٧) مج٥٢ ، (رمضان وشوال ١٤١١هـ / ١٩٩١م) ص١٩٠- ١٩٣ ٠

٢٨- "صور من التنظيمات العرفية الحديثة ببلاد عسير في ضوء بعض الوثائق المحلية" مجلة العرب، جـ٧ ،٨، سنة (٢٧) محرم وصفر(١٤١٣هـ/١٩٩٢م)، ص٤٤٥ –٤٦١ ٠

٢٩- "من رسائل الملك عبد العزيز آل سعود ورجال حكومته إلى بعض الشيوخ والعشائر العسيرية" مجلة العرب ، جـ١١، ١٢، سنة (٢٧) (الجمادتان، ١٤١٣هـ / ١٩٩٢م) ، ص٧٣٥- ٧٥١ ٠

٣٠- "ملامح من حياة الأمن والاستقرار في عسير في عهد الملك عبد العزيز" ، مجلة العرب ، جـ ١ ،٢ ، سنة (٢٧) (رجب وشعبان ، ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م) ، ص٢٧- ٤٤ ٠

٣١- "أسر الفقهاء ببلاد بني شهر وبني عمرو خلال القرون المتأخرة الماضية" مجلة العرب ، جـ ٩ ،١٠ ، سنة (٢٦) (الربيعان، ١٤١٢هـ/ ١٩٩١م)، ص٥٩٤- ٦١١ ٠

٣٢- "وثائق من عسير خلال الحكم العثماني (١٢٨٩- ١٣٣٧هـ)" مجلة العرب ، جـ٣، ٤ ، سنة (٢٨) (رمضان وشوال، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م) ، ص١٥٤- ١٧٠ القسم الأول ٠ وقد نشر هذا البحث في كتابنا : **صفحات من تاريخ عسير ٠ الجزء الأول** ، ٦٧- ٩٠ ٠

٣٣- "من رسائل الملك عبد العزيز آل سعود إلى الشيخ عبد الوهاب أبو ملحة" ، مجلة العرب ، جـ ٥، ٦ ، سنة (٢٨) (ذو القعدة وذو الحجة ، ١٤١٣هـ / ١٩٩٣م) ، ص٣٤١- ٣٥٩

٣٤- "العادات والتقاليد في عسير من خلال الوثائق" مجلة العرب ،جـ ٧، ٨ ، سنة (٢٨) (محرم وصفر / ١٤١٤هـ / ١٩٩٣م) ، ص٤٨٦- ٤٩٨ .

٣٥- "صور من الاحتفالات الرمضانية عبر العصور الإسلامية" ، مجلة المنهل (ضمن العدد (٥١٣) مج ٥٥ ، رمضان ، ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م) ، ص١١٣- ١١٧ .

٣٦- "دور أهل تهامة والسراة في ميادين الفتوحات الإسلامية المبكرة"، مجلة الدارة، العدد (٤) سنة (٢٠) رجب وشعبان ورمضان ١٤١٥هـ ، ص٤٠- ٧٠ . ثم أضيف إلى هذا البحث بعض التفصيلات وأعيد نشره في مجلة بيادر الصادر من نادي أبها الأدبي العدد (٣٩) جمادى الأولى عام (١٤٢٤ هـ /٢٠٠٣م) ، ص١٣- ٣٤.

٣٧- "الهجرات العربية وانتشار الإسلام في بلاد شرق إفريقية في العصور الوسطى" مجلة المؤرخ العربي، العدد (٣) مجلد رقم (١) مارس ١٩٩٥م ، ص٦٧- ٨٥ .

٣٨- "جدة في مواجهة الخطر البرتغالي خلال الثلث الأول من القرن العاشر الهجري السادس عشر الميلادي" بحث قدم ضمن الندوة التي عقدها اتحاد المؤرخين العرب بالقاهرة في الفترة الممتدة من (٢٥- ٢٧ جمادى الآخرة ١٤١٥هـ / ٢٨- ١٩٩٤/١١/٣٠م) ونشرت ضمن بحوث الندوة في كتاب "الصراع بين العرب والاستعمار في عصر التوسع الأوروبي الأول"

(منشورات اتحاد المؤرخين العرب بالقاهرة) (القاهرة : المطبعة الإسلامية الحديثة ، ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م) ، ص٢٢٧- ٢٧١ .

٣٩- **"مهنة الطب في ضوء شريعة الإسلام "** مجلة المنهل، العدد (٥٢٣) المجلد (٥٧) العام (٦١) المحرم ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م ، ص٤٦- ٥١ .

٤٠- **"مكانة شعر اللحيـة والرأس عند سكان المجتمعات العربية القديمة"** مجلة الحرس الوطني ، عدد (١٣٧) سنة (١٥) رجب ١٤١٤هـ (١٩٩٤م) ، ص ١٠٨- ١٠٩ .

٤١- **"ملامح الحياة الاجتماعية في العراق خلال عصر بني العباس"** مجلة المنهل العدد (٥٢٥) مج ٥٧ عام (٦١) الربيعان ١٤١٦هـ (١٩٩٥م) ، ص ١٦٨- ١٧٤ .

٤٢- **"زي الطيلسان" : دراسة تاريخية حضارية"** ملف بيادر الصادرة من نادي أبها الأدبي ، عدد (١٨) ربيع ثاني ١٤١٧هـ (١٩٩٦م) ، ص٦٥- ٧٤ .

٤٣- **"سلطنة أوفات الإسلامية في العصور الوسطى" (٦٠٠- ٩٠٠هـ / ١٢٠٠- ١٥٠٠م)** في مجلة المؤرخ المصري العدد السادس عشر ، يوليو ١٩٩٦م (الصادرة من قسم التاريخ – كلية الآداب – جامعة القاهرة ١٤١٦هـ / ١٩٩٦م) ص١٥٣- ١٨٩.

٤٤- **"ظاهرة السمل بين التشريع والتسييس في العصور الوسطى"** نشر في مركز دراسات الشرق الأوسط بجامعة عين شمس، مسلسل رقم (١٨٦) (القاهرة ، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م) ، ص١- ٣٧ .

٤٥- **"الدور الحضاري لنشاط التجارة بين شمالي وغربي إفريقيا في العصور الوسطى"** مجلة كلية الآداب بجامعة الإسكندرية • المجلد (٤٥) (العام الجامعي ١٤١٧هـ / ٩٦/١٩٩٧م) ص١٣١- ١٦١ •

٤٦- **"سلطنة أوفات الإسلامية في منطقة القرن الإفريقي وعلاقاتها مع العالم الإسلامي خلال العصر الإسلامي الوسيط"** مجلة كلية البنات بجامعة عين شمس عدد (١٩) (١٤١٧هـ/١٩٩٦م) وقد نشرت هذه الدراسة في كتاب للمؤلف بعنوان : **بحوث في التاريخ والحضارة الإسلامية** (الإسكندرية : دار السماح للطباعة والنشر ، ١٤١٨ هـ/ ١٩٩٧م) (الجزء الثاني) ص ١٥٥ — ١٨١ .

٤٧- **"التعليم وحركة التحول التاريخي في منطقة عسير خلال القرن الرابع عشر الهجري (العشرين الميلادي)"** • مجلة بيادر الصادرة من نادي أبها الأدبي • عدد (٢٠) محرم (١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م) ، ص٢٩- ٤٦ •

٤٨- **"الإسلام واللغة العربية في دول الطراز الإسلامي خلال العصور الوسطى"** ، مجلة المؤرخ العربي بالقاهرة ، مجلد (١) العدد (٥) (مارس ١٩٩٧م) ص١٦٥- ١٩١ •

٤٩- **"أهم مراكز صناعة السيوف الإسلامية"** مجلة الحصاد (رجب ١٤١٤هـ / ديسمبر / ١٩٩٣م) ، ص١٦- ١٨ •

٥٠- **" أوراق من تاريخ عسير خلال عهد الملك عبد العزيز كما أملاها الشيخ/ عبد الله بن عبد الرحمن (ابن إلياس)"** (دراسة وتحقيق) • مجلة بيادر الصادرة من النادي الأدبي بأبها ، عدد (٢٢) (رمضان / ١٤١٨هـ/١٩٩٧م) ص٥٣- ٨٥ • كما أجرينا بعض التصويبات والإضافات على هذه المخطوطة ، وقدمناها

محاضرة في مؤتمر المملكة العربية السعودية الذي أقيم في شهر شوال عام ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م) بالرياض بمناسبة الاحتفال بمرور مئة عام على تأسيس المملكة العربية السعودية • وكان عنوان تلك المحاضرة : **(ابن إلياس ورسالته في تاريخ عسير في عهد الملك عبد العزيز)** ونشرت جميع أعمال المؤتمر في (١٥) مجلد ، وبحث صاحب هذا الكتاب منشور في المجلد الرابع ، ص ٧ – ٤٥ .

٥١- **"قراءة في مخصصات مقاطعة جيزان وملحقاتها من الموازنة العامة للمملكة عام (١٣٦١هـ) في أثناء حكم الملك عبد العزيز "** نشرت هذه المقالة في مجلة بيادر عدد (٢٥) (رمضان/١٤١٩هـ - ١٩٩٨م) ، وهو عدد خاص بمرور مئة عام على تأسيس المملكة العربية السعودية ، ص١١٥- ١٣٩ •

٥٢- **"إقليم عسير في عيون الرحالة الأوروبيين"** بحث قدم ضمن الندوة التي عقدها اتحاد المؤرخين العرب بالقاهرة في الفترة الممتدة من (٨- ١٠ شعبان/١٤٢٠هـ، الموافق ١٦- ١٨نوفمبر ١٩٩٩م) • ونشر ضمن بحوث الندوة في كتاب : **العرب وأوربا عبر عصور التاريخ (بحوث ودراسات)** •منشورات اتحاد المؤرخين العرب، القاهرة، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م ، ص٤٠٩- ٤٥٩ • كما أضيف عليه بعض المعلومات وألقيت محاضرة في (سمنار) قسم التاريخ ، كلية اللغة العربية والعلوم الاجتماعية والإدارية، جامعة الملك خالد في ١٨/٧/١٤٢٠هـ ، الموافق ١٥/١٠/٢٠٠٠م •

٥٣- **"بلاد السراة في العصر الأموي ... دراسة لبعض مظاهر الحضارة" بحث قدم ضمن أعمال الندوة العالمية الرابعة لدراسات تاريخ الجزيرة العربية : الجزيرة العربية في العصر الأموي** (الأحد – الثلاثاء ٧- ٩ من ذي القعدة ١٤٢٠هـ /١٣- ١٥ من فبراير ٢٠٠٠م) بجامعة الملك سعود – كلية الآداب ، وقد نشر

هذا البحث في الكتاب الرابع من هذه الدراسات والخاصة بالعهد الأموي، ص ١٤٩ — ١٦٤ ٠

٥٤- **"العمران في إقليم عسير خلال القرون المتأخرة الماضية (دراسة تاريخية حضارية)"** ٠ مجلة المنهل العدد (٥٧١) المجلد (٦١) العام (٦٦) شوال - ذو القعدة (١٤٢١هـ / ٢٠٠١م) ص٢٦- ٤٩ ٠

٥٥- **"وثائق من عسير خلال الحكم العثماني (١٢٨٩- ١٣٣٧هـ/ ١٨٧٣- ١٩١٩م)"** ٠ (القسم الثاني) تم نشره ضمن الجزأين الأول والثاني ، (الرياض ، مطابع العبيكان ، ١٤٢٥ هـ / ٢٠٠٤ م) الأعمال المجموعة في كتابنا : **صفحات من تاريخ عسير ٠ الجزء الثاني ٠**

٥٦- **"التعليم العالي في منطقة عسير ، بداياته ، تطوره ، آفاقه المستقبلية (١٣٩٦- ١٤٢١هـ/١٩٧٦- ٢٠٠٠م)"** ٠ بحث مقدم في ندوة التعليم العالي في عسير: ربع قرن من الإنجاز والعطاء ، المنعقدة بمدينة أبها تحت إشراف جامعة الملك خالد في الفترة الممتدة من (٢- ١٤٢١/٨/٣هـ/٢٩ - ٣٠/ أكتوبر ٢٠٠٠م) . وقد تم نشر هذه الدراسة في الكتاب الذي أصدرته الجامعة بخصوص هذه الندوة تحت **"سلسلة بحوث وأوراق الندوات والمؤتمرات (١)"** (المركز الإعلامي بالجامعة /١٤٢٣هـ)، ص١٥٥- ٢٢٦ ، كما نشر هذا البحث أيضاً في كتاب لصاحب هذه السيرة بعنوان : **"بحوث في تاريخ عسير الحديث والمعاصر"** ، (جدة : دار العويفي للدعاية والإعلان ، ١٤٢٣هـ /٢٠٠٢م) ص١٨٥- ٢٧٧ ٠ كما تم الاستفادة من هذا البحث ، وأجري عليه العديد من التعديلات والإضافات وقدم ورقة عمل ضمن المؤتمر العالمي عن خادم الحرمين الشريفين ، الملك فهد بن عبد العزيز بمناسبة مرور عشرين عاماً على توليه مقاليد الحكم ، والذي عقدته جامعة الملك سعود بالرياض في الفترة

المتدة من (٢٦- ٢٩/٨/١٤٢٢ هـ - ١١- ٢٤/١١/٢٠٠١ م) ، وكان عنوان هذه الورقة : ((**التعليم العالي في منطقة عسير خلال عهد خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز (١٤٠٢ – ١٤٢٢ هـ / ١٩٨٢ – ٢٠٠٢ م)**)) . وقد نشرت ضمن أعمال المؤتمر الذي صدر في ستة مجلدات ، وهذه الدراسة توجد في المجلد الخاص " **بالمحور التربوي** " ، الجزء الأول ، ص ٤٥٩ – ٥٣٥ .

٥٧- **"ملامح النشاط التجاري لبلاد تهامة والسراة في العصور الوسطى"** بحث قدم ضمن الندوة التي عقدها اتحاد المؤرخين العرب بالقاهرة في الفترة الممتدة من (٢٥- ٢٧/٨/١٤٢١هـ الموافق ٢١- ٢٣/١١/٢٠٠٠م) ، ونشرت ضمن بحوث الندوة في كتاب : **طرق التجارة العالمية عبر العالم العربي على مر عصور التاريخ** (حصاد (٨))، منشورات اتحاد المؤرخين العرب بالقاهرة ، (١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م) ، ص١٥٧- ٢٢٢ ، كما نشرت هذه الدراسة أيضاً مع دراسات أخرى في كتاب لصاحب هذه السيرة بعنوان : **دراسات في تاريخ تهامة والسراة خلال القرون الإسلامية المبكرة والوسيطة (ق١- ١٠هـ/ ق٧- ١٦م)** (الجزء الأول) .

٥٨- **"ملامح التطور الصحي في جنوبي المملكة العربية السعودية خلال القرن الرابع عشر الهجري (العشرين الميلادي)"** . مجلة بيادر الصادرة من نادي أبها الأدبي . عدد (٣٣) جمادى الأولى (١٤٢٢هـ /٢٠٠١م) ص٥١- ٨٣ .

٥٩- **"أبها مدينة المستقبل ، مقترحات ووجهات نظر"** نشرت هذه المقالة في مجلة بيادر الصادرة من نادي أبها الأدبي ، عدد (٣٥) (المحرم /١٤٢٣هـ / مايو ٢٠٠٢م) ص١٣- ٣٤ .

٦٠- **"بلاد عسير في كتابات فيلبي وفيليب ليبنز"** طبع هذا البحث ضمن أعمال الملتقى العلمي الثالث بجمعية التاريخ والآثار بدول مجلس التعاون لدول الخليج العربية والذي عقد بمدينة عمان في رحاب جامعة السلطان قابوس في (المحرم عام ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م) ٠ ص٥٢٣- ٥٩٤ ٠

٦١- **"ملامح الحياة العلمية في بلاد تهامة والسراة خلال العصور الإسلامية المبكرة والوسيطة "** . بحث قدم ضمن الندوة التي عقدها اتحاد المؤرخين بالقاهرة في الفترة الممتدة من (١٣- ١٤٢١/٨/١٥هـ الموافق ٣٠ أكتوبر – أول نوفمبر / ٢٠٠١م) ونشر ضمن بحوث الندوة في كتاب : **المراكز الثقافية والعلمية في العالم العربي عبر العصور** . حصاد (٩) منشورات اتحاد المؤرخين العرب بالقاهرة (١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م) ص١٩٥ ـ ٢٥٦ ٠ كما نشرت هذه الدراسة مع غيرها من الدراسات الخاصة بصاحب هذه السيرة في كتاب له بعنوان " **دراسات في تاريخ تهامة والسراة خلال القرون الإسلامية المبكرة والوسيطة (ق١هـ - ق١٠هـ/ ق٧م – ق١٦م)** ، (الجزء الأول) .

٦٢- **" صور من الحياة الاجتماعية في بلاد السراة خلال العصور الإسلامية المبكرة والوسيطة "** .طبع هذا البحث ضمن أعمال اللقاء العلمي الرابع لجمعية التاريخ والآثار بدول مجلس التعاون لدول الخليج العربية والذي عقد في إمارة الشارقة بدولة الإمارات العربية المتحدة في شهر (صفر /١٤٢٣هـ /٢٠٠٢م) ص ، ٣٤٧- ٣٩٦.

٦٣- **" مخلاف جرش في الفترة الأولى من عصر الإسلام ـ دراسة تاريخية تحليلية "** بحث قدم ضمن الندوة التي عقدها اتحاد المؤرخين العرب بالقاهرة في الفترة الممتدة من (١٦ ـ ١٨ شعبان ١٤٢٣هـ / الموافق ٢٢ ـ ٢٤ اكتوبر ٢٠٠٢م " . ونشر ضمن بحوث الندوة في كتاب " **الحضارة العربية الإسلامية في العصور الوسطى**

ودورها في بناء الحضارة العالمية حصاد (١٠) منشورات اتحاد المؤرخين العرب بالقاهرة (١٤٢٣هـ /٢٠٠٢م) ، ٤٨٥ – ٥٠٧ .

٦٤- ((لماذا تستهدف السعودية بدعوى الإرهاب تحديداً منطقة عسير)) دراسة منشورة في ملحق الرسالة ، بجريدة المدينة عدد (١٤٥٤٨) السنة (٦٨) الصفحة السابعة ، (يوم الجمعة ٢٠/ذو الحجة / ١٤٢٣ هـ الموافق ٢١/ فبراير / ٢٠٠٣ م)

٦٥- ((التعليم في منطقة عسير في عهد الملك عبد العزيز)) بحث منشور في كتاب : شرف الانتماء إلى مهنة التعليم . وهو عبارة عن فعاليات ولقاءات تربوية نظمتها ونشرتها إدارة التعليم في محافظة سراة عبيدة خلال العام الدراسي (١٤١٩ – ١٤٢٠ هـ / ١٩٩٩ م – ٢٠٠٠ م) ، ص ١٩- ٤٠ .

٦٦- ((أضواء على مصادر تدوين تاريخ وتراث جنوبي شبه الجزيرة العربية عبر أطوار التاريخ الإسلامي)) مجلة بيادر الصادرة من نادي أبها الأدبي عدد (٤١) شهر المحرم (١٤٢٥ هـ / ٢٠٠٤ م) ، ص ١٧ – ٢٩ . وقد أعيد نشرها باختصار في رسالة آفاق الجامعة التي تصدرها جامعة الملك خالد . وكان نشرها في عدد (٤٦) شهر ربيع الأول (١٤٢٨ هـ / ٢٠٠٧ م) ص ١٥ .

٦٧- ((نجران في العصور الإسلامية المبكرة والوسيطة)) . بحث تمت المشاركة به في : موسوعة المملكة العربية السعودية . تحت إشراف : مكتبة الملك عبد العزيز العامة . منشور في المجلد الخامس عشر الخاص بمنطقة نجران . (الرياض، ١٤٣١ هـ/ ٢٠١٠ م).

٦٨- ((عسير في العصور الإسلامية المبكرة والوسيطة)) . بحث تمت المشاركة به في : موسوعة المملكة العربية السعودية . تحت إشراف : مكتبة الملك عبد العزيز

العامة . منشور في المجلد العاشر الخاص بمنطقة عسير . (الرياض، ١٤٣١ هـ/ ٢٠١٠ م).

٦٩- **((الباحة في العصور الإسلامية المبكرة والوسيطة))** . بحث تمت المشاركة به في : موسوعة المملكة العربية السعودية . تحت إشراف : مكتبة الملك عبد العزيز العامة . منشور في المجلد السادس عشر الخاص بمنطقة الباحة . (الرياض، ١٤٣١ هـ/ ٢٠١٠ م).

٧٠- **((التاريخ ودوره في الحفاظ على الهوية الإسلامية في عصر العولمة))** . مجلة بيادر الصادرة من نادي أبها الأدبي عدد (٤٥) شهر المحرم (١٤٢٦ هـ / ٢٠٠٥ م) ص ١٣ – ٣٨ ، كما أعيد نشر هذا البحث مع بعض الإضافات في الإصدار السنوي الخاص من مجلة المنهل ، بعنوان : التاريخ والمؤرخون . المنهل ، العدد (٥٩٩) المجلد (٦٧) العام (٧١) ذو القعدة وذو الحجة (١٤٢٦هـ/ديسمبر/٢٠٠٥م يناير ٢٠٠٦م) ص ٣٠ – ٣٩ .

٧١- **صور من الصلات الحضارية بين مكة المكرمة وبلاد السراة خلال العصور الإسلامية المبكرة والوسيطة** . تم نشر هذا البحث ضمن أعمال اللقاء العلمي الخامس لجمعية التاريخ والآثار بدول مجلس التعاون لدول الخليج العربية . والذي عقد في الدوحة بدولة قطر الشقيقة في شهر صفر (١٤٢٥هـ) الموافق شهر مارس عام (٢٠٠٤م) ص ١٨٥ ـ ٢١٧ .

٧٢- **" جنوب السعودية في كتاب : مرتفعات الجزيرة العربية "** . لهاري سانت جون فيلبي ... (دراسة تاريخية تحليلية) . بحث قدم ضمن الندوة التي عقدها اتحاد المؤرخين العرب بالقاهرة في الفترة الممتدة من ١١ ـ ١٢/شوال / ١٤٢٥هـ الموافق ٢٤ ـ ٢٥/نوفمبر/٢٠٠٤م . ونشر ضمن بحوث الندوة في كتاب : **العالم العربي**

في الكتابات التاريخية المعاصرة . حصاد (١٢) (منشورات اتحاد المؤرخين العرب بالقاهرة ، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م) ص ٢٤١ ـ ٢٧٦ . وقد أعيد نشر هذه الدراسة في : مجلة بيادر الصادرة من نادي أبها الأدبي . عدد (٤٨) شهر المحرم (١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م) ، ص ١٥ ـ ٦١ .

٧٣- **((الصلات الدعوية بين الرسول ﷺ وأهل تهامة والسراة (دراسة تاريخية))** . تم نشر هذا البحث ضمن مداولات اللقاء العلمي السادس بجمعية التاريخ والآثار بدول مجلس التعاون لدول الخليج العربية . والذي عقد في مدينة الكويت بدولة الكويت الشقيقة في (١١ ـ ١٢ربيع الأول ١٤٢٦هـ الموافق ٢٠- ٢١ أبريل ٢٠٠٥م) . ص ١٥٧ – ٢١١ .

٧٤- **عسير في قلوب ملوك آل سعود** . نشرت معظم هذه الدراسة في رسالة : آفاق الجامعة التي تصدرها شهرياً جامعة الملك خالد ، وكان نشرها في عدد (٤٤) شهر ذي الحجة (١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م) .

٧٥- **رسائل الإمام القاسم بن علي العياني إلى أهل عثر ونجران في أواخر القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي) (٣٨٨ – ٣٩٣ هـ / ٩٩٨ – ١٠٠٢٣ م)**_(دراسة تاريخية وتحليلية) . نشر هذا البحث في مداولات اللقاء العلمي السنوي السابع لجمعية التاريخ والآثار بدول مجلس التعاون لدول الخليج العربية . والذي عقد في مدينة المنامة بدولة البحرين الشقيقة من (٢٠ – ٢٣ ربيع الأول ١٤٢٧ هـ الموافق ١٨ – ٢١ ابريل ٢٠٠٦ م) ، ص ١٩٧ – ٢٥٠ .

٧٦- **"تبالة وأهميتها التاريخية والحضارية خلال القرون الإسلامية الأولى".** نشر هذا البحث في مداولات اللقاء العلمي السنوي الثامن لجمعية التاريخ والآثار بدول مجلس التعاون لدول الخليج العربي. والذي عقد في مدينة المنامة بدولة البحرين الشقيقة من(٧- ١٠/ربيع الآخر/١٤٢٨هـ الموافق ٢٤- ٢٧/ أبريل/٢٠٠٧م) ص١٧٩- ٢١٥.

٧٧- **"التعليم في حاضرة أبها في عهد الملك سعود بن عبدالعزيز(١٣٧٣-١٣٨٤هـ/١٩٥٣- ١٩٦٤م).** بحث منشور في الكتاب الذي أصدرته دارة الملك عبدالعزيز في خمسة مجلدات عن الملك سعود .وعنوان الكتاب العام : الملك سعود بن عبدالعزيز آل سعود (بحوث ودراسات) (الرياض : دارة الملك عبدالعزيز ، ١٤٢٩هـ) وهذا البحث منشور في المجلد رقم (١) ، ص ٢١٩ – ٢٧٤ .

٧٨- **" بيشة خلال العصر الاسلامي المبكر والوسيط (ق ١ - ق٩ هـ / ق٧- ق١٧ م) (دراسة تاريخية حضارية).** نشر هذا البحث في مداولات اللقاء العلمي السنوي التاسع لجمعية التاريخ والآثار بدول مجلس التعاون لدول الخليج العربية . والذي عقد في مدينة جدة في المملكة العربية السعودية من (١٦ – ١٩ /٤/ ١٤٢٩هـ- ٢٢- ٢٥/٤/٢٠٠٨م) ص٢٩١- ٣٣٤.

٧٩- **" الدراسات التاريخية في مجلة المنهل (جنوب الجزيرة العربية أنموذجاً " .** وهذه الدراسة مشاركة من المؤلف في إصدارات العدد الخاص والمتميز بعنوان : الاصدار الماسي لمجلة المنهل بمناسبة دخول عامها الخامس والسبعين من عمرها العلمي والأدبي . وصدور هذا العدد الخاص في عام (١٤٣١ هـ/ ٢٠١٠ م) .

٨٠- **" تاريخ سروات عسير (مخلاف جرش وتبالة) بين المكتوب والمأمول "** . نشر هذا البحث في كتاب : عسير تاريخ وحضارة (الرياض ، ١٤٣١هـ / ٢٠١٠ م . وجميع مادة الكتاب قدمت على هيئة أوراق علمية في اللقاء الثاني عشر للجمعية التاريخية السعودية الذي عقد في مدينة أبها (منطقة عسير) في (١٧ – ١٩/٥/١٤٣٠هـ/ الموافق ١٢ – ١٤/٥/٢٠٠٩ م) .

٨١- **" بلاد السراة في كتاب : سيرة الأميرين الجليلين الفاضلين القاسم ومحمد ابني جعفر بن الإمام العياني من عام (٤٥١ – ٤٥٩ هـ/ ١٠٥٩ – ١٠٦٦ م) (دراسة تاريخية تحليلية) "** بحث قدم ضمن أعمال الندوة العالمية السادسة لدراسات تاريخ الجزيرة العربية : الجزيرة العربية في العصر العباسي الثاني ، خلال الفترة من (٢٨ – ٢٩ /١٠/١٤٢٧ هـ الموافق ١٩ – ٢٠ /١١/٢٠٠٦ م) بجامعة الملك سعود – كليتي الآداب والسياحة والآثار . وقد نشر هذا البحث في الكتاب السادس الخاص بالعصر العباسي من القرن الخامس حتى نهاية القرن السادس الهجري ، ص ١٢٩ – ١٥٦ .

سيرة ذاتية مختصرة



أولا : معلومات عامة :

الاسم : غيثان بن علي بن عبدالله بن جريس الجبيري الشهري

- من مواليد محافظة النماص بلاد بني شهر عام (١٣٧٩هـ / ١٩٥٩م)
- تلقى تعليمه الابتدائي والمتوسط والثانوي في محافظة النماص وتخرج في الثانوية عام (١٣٩٦هـ / ١٩٧٦م)
- تلقى تعليمه الجامعي في مدينة أبها بفرع جامعة الملك سعود ، قسم التاريخ ، وتخرج بمرتبة الشرف الأولي في عام (١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م)
- ذهب إلى الولايات المتحدة الأمريكية ودرس درجة الماجستير في جامعة أوستن تكساس (Austin Texas) ، ثم أنتقل إلى جامعة إنديانا في مدينة بلومينجتون (University of Indiana) وتخرج فيها عام (١٤٠٥هـ /١٩٨٥م)
- ذهب إلى بريطانيا وحصل على درجة الدكتوراه في التاريخ الإسلامي عام (١٤٠٩هـ - ١٤١٠هـ/ ١٩٨٩ -١٩٩٠م)
- عاد إلى جامعته في أبها وعمل في العديد من الأعمال الإدارية والأكاديمية بالإضافة إلى رئاسة القسم حوالي ثلاثة عشر عاماً.
- حصل على درجة الأستاذية في نهاية عام (١٤١٧هـ / ١٩٩٦م).



تابع سيرة ذاتية مختصرة

ثانياً: عضوية المجالس والمؤسسات المحلية والعربية والعالمية:

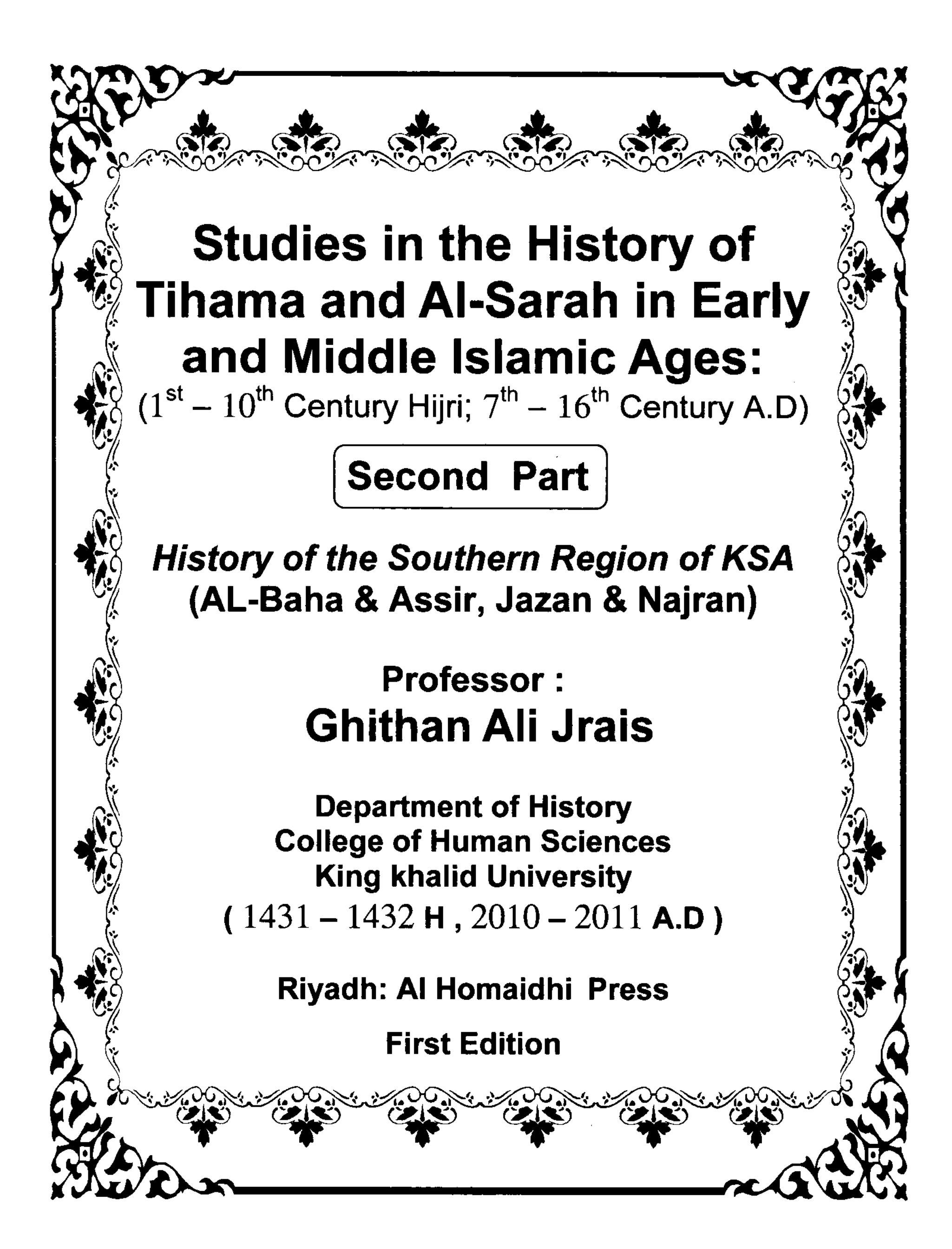
- رئيس تحرير مجلة بيادر الصادرة من نادي أبها الأدبي في الفترة من عام (١٤١٥هـ - ١٤١٩هـ / ١٩٩٥م - ١٩٩٩م).
- عضو الجمعية المصرية للدراسات التاريخية.
- عضو اتحاد المؤرخين العرب بالقاهرة.
- عضو الجمعية السعودية التاريخية.
- عضو جمعية التاريخ والآثار بدول مجلس التعاون لدول الخليج العربي.
- أول مشرف لكرسي الملك خالد للبحوث العلمية بجامعة الملك خالد.

ثالثاً: المحاضرات العامة، والمؤتمرات، والندوات، والحوارات المحلية والإقليمية والعالمية، بالإضافة إلى حصوله على بعض الجوائز والتكريم:

- قدم أكثر من خمسين محاضرة عامة، وشارك وقدم أوراقاً علمية في (٥٥) ندوة، أو مؤتمر، أو لقاء علمي.
- حصل على جائزة عبد الحميد شومان في العلوم الإنسانية عام (١٩٩٦م).
- تم تكريمه من قبل نادي أبها الأدبي في (١٤١٨/٢/٥هـ / ١٩٩٧م) وذلك بمناسبة حصوله على درجة الأستاذية بتميز.

رابعاً: النتاج العلمي:

١ - تم تأليف وطباعة ونشر حوالي (٣٠) كتاباً.
٢ - قام بتحقيق ومراجعة العديد من الكتب والمجلات.
٣ - نشر أكثر من (٨٠) بحثاً علمياً في مجلات وكتب علمية، معظمها باللغة العربية وبعضها باللغة الانجليزية.



Studies in the History of Tihama and Al-Sarah in Early and Middle Islamic Ages:

(1^{st} – 10^{th} Century Hijri; 7^{th} – 16^{th} Century A.D)

Second Part

History of the Southern Region of KSA
(AL-Baha & Assir, Jazan & Najran)

Professor :

Ghithan Ali Jrais

Department of History
College of Human Sciences
King khalid University

(1431 – 1432 **H** , 2010 – 2011 **A.D**)

Riyadh: Al Homaidhi Press

First Edition